في المقاومة فلسفة التحدي



رئيس مجلس الإدارة الدكتورة لبانة مشوّح وزيرة الثقافة

المشرف العام
د. نايف الياسين
المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب

رئيس التحرير د. باسل المسالمة

الإشراف الطباعي أنس الحسن

تصميم الغلاف عبد العزيز محمد

في المقاومة

فلسفة التحدي

تأليف: هاورد كايجل ترجمة: د. ممدوح يوسف عمران

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠٢٢م

العنوان الأصلى للكتاب:

On Resistance

A Philosophy of Defiance

الكاتب: Howard Caygill

الناشر: Bloomsbury London, ۲۰۱۳

المترجم: د. ممدوح يوسف عمران

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراءُ المؤلِّفِ ومواقِفُهُ ولا تعبِّر (بالضرورةِ) عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها.

تصدير المترجم

سنُعْنَى في هذا التصدير المقتضب لكتاب «في المقاومة: فلسفة التحدي» للفيلسوف والأستاذ الجامعي هاورد كايجل بأهم أفكاره، فنعرضها عرضاً موجزاً، ومن ثم نقدم تسويغاً لدواعي ترجمته إلى اللغة العربية، ونختم ببعض الملاحظات حول هذه الترجمة التي نأمل أن تسهّل على القارئ الكريم متابعة الكتاب واستيعابه.

أجمع محللو كتاب «في المقاومة: فلسفة التحدي» ومراجعوه بعد صدوره عام ٢٠١٣ على أهميته من حيث التوقيت والطرح، بل إن بعضهم ذهب إلى عدّهِ أول كتاب من نوعه في العالم، يدرس دراسة فلسفية متعمقة ومتشعبة ظاهرة المقاومة، إذ قد توجد بعض الدراسات لفلسفات حركات مقاومة بعينها ضمن سياقاتها الخاصة، أو لأفكار فلاسفة ومقاومين وكتاب ومنظرين ثوريين بعينهم، أما هذا الكتاب فيحاول إعطاء بعض تلك الحركات والشخصيات والأفكار سياقاً عالمياً، ليس من حيث الانتشار الجغرافي والفاصل الزمني فحسب، بل بوساطة ربطها فلسفياً مع بعضها وإظهار مدى استفادتها من تجارب بعضها بعضاً في الرؤى والمارسة، أو مدى تباينها وتنافرها، فهذا الربط الفلسفي انعكس على الأسلوب المتبع في الكتاب، فهو يتضمن في معظمه نوعاً من المواجهة، أو التعارض بين أفكار بعض حركات يتضمن في معظمه نوعاً من المواجهة، أو التعارض بين أفكار بعض حركات المقاومة ورؤاها، أو بعض الفلاسفة أو المقاومين، إذ يُقرأ كلاوزفيتز على سبيل المثال من خلال كانط، كما يُوضع فرويد في مقابل لينين ولوكاش، أما نساء المثال من خلال كانط، كما يُوضع فرويد في مقابل لينين ولوكاش، أما نساء

معسكر غرينعام كومون في بريطانيا فيوضعنَ مقابل حركة البلاك بانثر في أمريكا، وحركة الزاباتيستا في المكسيك.

لا يبدو أن مؤلف الكتاب يهدف من وراء ذلك كله إلى صياغة مفهوم فلسفي موحد للمقاومة، لأنه يعتقد أن المقاومة من حيث ممارستها تاريخياً تقاوم التحليل الفلسفي، مثلها أن فلسفة المقاومة تقاوم ضغط صياغة المفهوم، فالمقاومة في رأي كايجل تفقد مقاومتها حالما تُصاغ في مفهوم، لكن ذلك لا يمنع من إخضاع المهارسات التاريخية للمقاومة إلى تأمل فلسفي، لأن ذلك يمنع من إخضاع المهارسات القاومة وللمقاومين حاضراً ومستقبلاً.

إن السمة الغالبة هنا هي الاستمرارية في التطور والتحول، لأن حركات المقاومة هي ممارسات حياتية لها خصوصيتها وظروفها المحددة، وتتأثر بسياقات مختلفة، لذلك فإن كايجل يقترح أن يكون هناك أرشيف للمقاومة، يُبرز ما تقدمه ممارسات المقاومة للتفكير والخيال الفلسفي المعاصرين. من هنا فإن ما يقدمه كتاب «في المقاومة: فلسفة التحدي» هو نوع من الأرشفة لبعض أهم حركات المقاومة وممارساتها وأصواتها تاريخياً وعلى الصعيد العالمي.

يتبع الكتاب في هذه الأرشفة منهجية تقسيم الموضوع إلى عدد من الأصناف والموضوعات، يوضحها من خلال شرحه ونقده لمهارسات وأفكار عدد من المنظرين والفلاسفة والفنانين والثوريين، بهدف تحديد استمرارية المقاومة والتمرّد، وإنه يركز بشكل خاص على قراءة نصوص مقاومة من القرن العشرين، كما يتأمل بين الفينة والأخرى في مواقع هذه النصوص إلى جانب أفعال مقاومة تاريخية، فالكتاب ينطوي على حشدٍ من الشخصيات والحركات المقاومة، يمتد من روّاد التراث الثوري أمثال ماركس ولينين ولوكسومبورغ وماو، إلى المناضلين ضد الاستعمار أمثال غاندي وفانون والزاباتيستيين والبلاك

بانثرز، إلى داعيات السلام ومقاومة الأسلحة الذرية في معسكر سلام غرينهام كومون في بريطانيا، وإلى منظرين مثل فرويد وفاينجيم، وفنانين مثل بازوليني وجينيه وكافكا، لكن الحديث عن كل هؤلاء يأتي على خلفية الوجود الطاغي للجنرال البروسي كارل فون كلاوزفيتز وكتابه المعنون بـ «في الحرب».

إن كلاوزفيتز وفقاً لـ كايجل هو المُنظّر الأشهر للمقاومة وأشكالها، كها أنه يرى أن هناك مسوّغاً وجيهاً لإطلاق (في القاومة) عنواناً بديلاً لكتاب (في الحرب)، وذلك نظراً إلى ما يقصده كلاوزفيتز بالحرب بوصفها تدميراً لمقدرة العدو على المقاومة من ناحية، وحفاظاً على مقدرة المرء الخاصة على المقاومة من ناحية ثانية. إن كلاوزفيتز كها يُظهر كايجل يتتبع الحروب النابليونية وما أطلقته من طاقة عسكرية، لكنه في الآن نفسه يرسم إستراتيجيات هذه الطاقة العسكرية وسبل مواجهتها، لذلك نراه يخصص حيزاً كبيراً من كتابه للحديث عن حرب العصابات والأنصار وعن إستراتيجيتها، أكثر مما يخصصه للحديث عن عبارته المشهورة المتمثلة في: (إن الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل غن عبارته المشهورة المتمثلة في: (إن الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى). ضمن هذا الإطار يمكن الاستنتاج أن المقاومة غالباً ما تغرق في مستنقع المعركة أو الحرب، وبذلك فإنها قد تجر المنطق السياسي إلى نوع من التدمير الذاتي عبر تصاعد منطق العنف.

يستخدم كايجل في تحليله للمقاومة ثلاث إستراتيجيات عريضة، تركز الإستراتيجية الأولى على الخطب التي على أساسها صيغت المقاومة، وهي: القوة والوعي والعنف والذاتية. وتصف الإستراتيجية الثانية بعض سيات المقاومات السياسية التاريخية وطبيعتها، كما أنها تُظهر كيف أن هذه السيات تؤشر إلى اتساق نمطي يؤثر في ممارستها، أما الإستراتيجية الثالثة فتدرس روابط مفهوم المقاومة وصلاته، من حيث تجانسه أو تنافره مع مفهومات

أخرى، مثل القمع والإصلاح والتحرر والثورة، لكن من المهم التشديد على ما يؤكده مؤلف الكتاب في صفحاته التصديرية بخصوص فهمنا للمقاومة، وهو أنها لا تنحصر في الموقف الذي يتخذه الطرف الأدنى أو الخاضع من طرفي معادلة القوة، بل إنه يشير كذلك إلى موقف الطرف الآخر أو مقاومته في المعادلة. أما الإطار النظري الكامن خلف هذه الإستراتيجيات الثلاث، فيبدو أنه يتجلى في محاولة رسم ملامح لتحويل أشكال الطاقة المقاومة إلى أشكال اليابية، تؤكد أهمية الحياة وتتحاشى قدر الإمكان الأشكال السلبية، وما ينتج عنها من عنف وآلام، فالكتاب بمعنى ما هو نوع من التحذير من المخاطر التي قد تواجهها أشكال المقاومة من إمكانية تعرضها للاحتواء أو تصعيدها العنف، أو من خطر انزلاقها إلى القيام بمارسات تحاكي المارسات التي هي في الأساس محفز ات للمقاومة.

يوضح كايجل أن المقاومة يمكن أن تُفضي إلى تغيير إيجابي عندما تأخذ شكلاً من الطاقة، يرتبط بخصال مثل الشجاعة والتحمّل مع الجاهزية للثبات في الموقع، مها كلّف ذلك من ثمن أو تطلب من وقت، فالمقاومون الملتزمون ينذرون أعهارهم لها، حتى إنهم يعدون أنفسهم «أمواتاً في إجازة» بحسب تعبير الشيوعي الألماني يوجين ليفين، وبحسب المقاومة التي مارستها حركة الزتباتيستا ضد القمع والظلم في المكسيك، كها أن الأمر نفسه ينطبق على رؤى كل من لوكسومبورغ وبينجامين وفاينجيم والموقفيين ونساء معسكر سلام غرينهتم كومون وممارستهم. على سبيل المثال، إن لوكسومبورغ ترى أن صراع غرينهتم كومون وممارستهم. على سبيل المثال، إن لوكسومبورغ ترى أن صراع العيّال المستمر مع الرأسهاليين هو الذي يُبقي طاقتهم حيّة، وعلى نحو مشابه فإن الطاقة المُنطلقة من الحملة التي شتّها نساء معسكر سلام غرينهام كومون ضد الجيش البريطاني وضد نصب صواريخ كروز الذرية الأمريكية في

بريطانيا، تمثل فهماً يربط المقاومة مع طريقة ملتزمة في الحياة وطاقة إيجابية، تتمكن من الوقوف في وجه الشر المتمثل بتلك الأسلحة.

وطوال تحليله لهذه الطاقة الإيجابية للمقاومة يقوم كايجل بالتحذير من خطرَين قد تقع فيها المقاومة: الخطر الأول يكمن في الانجرار إلى علاقة رد الفعل وحسب، لأن هذا منطق تصعيد للثأر، أو الانتقام الذي يؤدي إلى اعتهاد العنف أو القوة، فتصبح المقاومة محكومة بالقوى التي تعارضها وتتهاثل معها إلى جهة الاستخدام المفرط للعنف، يوضح كايجل هذه النقطة في الفصل الأول من الكتاب بالإشارة إلى لوحتين منفصلتين من لوحات «كوارث الحرب» للفنان الإسباني غويا. تُظهر إحدى اللوحتين أشخاصاً بالزى العسكرى يعدمون مدنيين، ويذيّلها غويا بالعنوان «بسبب أو من دون سبب»، أما اللوحة الثانية فتظهر أحد أفراد المقاومة الأنصارية يقتل جندياً، والعنوان الذي يذيّلها هو «الشيء نفسه»، كما أن كايجل يوضح تلك النقطة فلسفياً بالإشارة إلى نقد نيتشه للاستياء أو الانتقام، وكذلك بالإشارة إلى ماو وحرب العصابات لدى حركات أخرى اعتمدت منطق التصعيد العنيف الذي قادها إلى التشابه مع مضطهديها في المارسة الوحشية والقتل، أما المحظور أو الخطر الثاني فيتمثل في رفع المقاومة إلى مستوى المجالات الأكثر بساطة ونقاء وهي مجالات الوعى والحرية والعقل، فالخطر هنا يكمن في احتمال تقليص المقاومة لتصبح مجرّد وسيلة تخدم غاية، بحيث إنها تتبدد لمصلحة تشديد شبه مثالي على القصد أو الغاية مع ما يضمنه ذلك من تشديد على أوامر العقل العملي، من دون اكتراث كافٍ بالظروف المحيطة، إن كايجل يربط هذا الخطر مع الديكارتية الجديدة لدى لينين المتمثلة في تأكيده على الوعى الطبقى الصافي والمميز، وبشكل خاص مع البرنامج الماركسي في «البيان الشيوعي»، كما أنه يربطه مع المقاربات التوحيدية للمقاومة كتلك التي قادها جان مولان في توحيده للمقاومة الفرنسية في المجلس الوطني الفرنسي للمقاومة، إن هذا التركيز الماركسي الحصري على الوعي الطبقي كما يبيّن كايجل أدى إلى التقليل من أهمية مفهوم المقاومة وكان موضع انتقاد من جانب الماركسيين مثل فرويد.

وأخيراً، لا بد من الإشارة إلى أن الكتاب يتطرق إلى العلاقة الملتبسة بين المقاومة والثورة والتحرر، ولا سيها من جهة اقتران ذلك مع القمع والاضطهاد، إذ توضَّح هذه العلاقة بدراسة ما حصل في الصين، مع محاولة ماو أن يجعل من مقاومة الفلاحين وسيلة إلى ثورة وطنية ومن ثم عالمية، أو من جهة إدراك الحاجة إلى الابتعاد عن المشروع الثوري لمصلحة مقاومة السلطة غير الشرعية للدولة، كها أن كايجل يدرك من خلال قراءته لكل من غرامشي وبينجامين أن تقوية المقدرة على المقاومة شيء، والمشروع الثوري لتحقيق الحرية شيء آخر.

إن أهمية الكتاب المُشار إليها أعلاه هي في حد ذاتها مسوّغ كافٍ لترجمته إلى اللغة العربية، إذ من المفيد - بحسب رأينا - أن يطلع القارئ العربي على هذه الدراسة الفلسفية المتميّزة والرائدة لظاهرة المقاومة وصيرورتها وتجلياتها على الصعيد العالمي، ولا سيها في هذه اللحظة من التاريخ العالمي التي تحتدم فيها الصراعات الفعلية، وتختلف الرؤى بشأنها، وهو اختلاف ناجم في معظمه عن اختلاف النظرة إلى المفهومات والمصطلحات المتصلة، ويأتي على رأسها مصطلح المقاومة، ومن المؤمل أن يسد هذا الكتاب فجوة في الدراسات الاجتماعية والسياسية العربية نظراً إلى عدم وجود مثل هذه الدراسة لظاهرة المقاومة وأساليبها في اللغة العربية ترجمة أو تأليفاً - في حدود اطلاعنا - وما يزيد من وأساليبها في اللغة العربية ترجمة أو تأليفاً - في حدود اطلاعنا - وما يزيد من

أهمية هذا الكتاب هو أهمية موضوعاته بالنسبة إلى منطقتنا العربية. في الوقت الحالي، على الرغم من أن الكتاب لا يشير إلا عرضاً ثلاث مرات أو أربع إلى الأحداث التي عصفت ولا تزال تعصف بعالمنا العربي بدءاً من عام ٢٠١١.

إن دراسة الكتاب للمقاومة وتجانسها وتنافرها أو تقاطعاتها مع مفهومات أخرى اجتهاعية وسياسية ذات أهمية مماثلة لها، كالثورة والتحرر والعنف والإرهاب والقمع، تعطي مسوغاً إضافياً لترجمته إلى اللغة العربية، إذ إن المنطقة العربية لا تزال مسرحاً لكثير من هذه الأمور؛ ولهذا فإننا نعتقد أن القارئ الكريم سوف يجد في كثير من مقولات هذا الكتاب وطروحاته ومنهجه التحليلي عوناً له في محاولة تحليل واستيعاب مآلات الأمور في الدول العربية التي ضربتها الصراعات ولا تزال.

أما فيها يخص الترجمة، من حيث التعامل مع العنوانات وبعض الأسهاء والمصطلحات، فلا بُدَّ من التنويه ببعض الأمور التي نأمل أن تقدّم مزيداً من العون للقارئ الكريم على متابعة الكتاب؛ فلقد رأينا من المفيد عند ترجمة بعض العناوين أو المصطلحات أو التسميات أن نقدمها مصحوبة بالعنوان أو المصطلح أو الاسم في النص الأصلي، وذلك زيادة في الإيضاح ومنعاً لأي التباس، وذلك على الأقل في المرة الأولى، كها أن الأمر قد يتكرر إذا كان هناك فاصلٌ كبيرٌ نوعاً ما بين المرة الأولى والمرات اللاحقة التي يُذكر فيها الاسم أو المصطلح، وبها أن الكتاب يعالج أفكار وممارسات حركات وشخصيات مقاومة تنتمي إلى قوميات ولغات مختلفة، فإن المؤلّف غالباً ما يقوم بكتابة مصطلح أو عنوان ما باللغة الإنكليزية، ثم يتبعه بالمعادل أو باقتباس من اللغة الأصل، لذلك وتجنباً للتكرار فإننا نقوم في هذه الترجمة إلى

العربية بترجمة المصطلح من الإنكليزية كما يوردها مؤلف الكتاب، ونُتبعه بالمصطلح أو العنوان في اللغة الأصل كما ورد في الكتاب، ويُورد الكاتب أحياناً أخرى مصطلحات أو قولاً بلغته الأصل فحسب، أي دون ذكر المعادل له في اللغة الإنكليزية، وهنا نترجم العنوان أو المصطلح إلى العربية مع إعادة كتابته في اللغة الأصل، وقد رأينا إضافة إلى ذلك أنه من المفيد أحياناً إضافة تعقيب على بعض المصطلحات أو الأسهاء بوساطة حاشية سفلية بهدف إعطاء مزيد من الشرح والتعريف بها، ونقوم بالشيء نفسه حتى بخصوص بعض الأسماء المشهورة، وذلك من باب التذكير فحسب، أما بخصوص بعض المفردات أو المصطلحات المتشابهة على الأقل ظاهراً في المعنى، التي أحياناً كثيرة تستعمل تبادلياً مثل non-violent و peaceful، فقد تعمدنا في الترجمة الالتزام بكلمة «لاعنيف» للأولى و«سِلْميّ» للثانية، وذلك لا سيما في الجزء المتعلق بالمقاومة لدى غاندى، والأمر نفسه ينطبق على كلمتى unconscious و spontaneous حيث يُلتَزم في الترجمة بالمعنى التقني للأولى «لاواعي» من حيث تعلقه بالوعي، أما الثانية فتُترجم بالمعنى الشائع، وهو «عفوى»، وإن كانت العفوية من تجليات اللاوعي.

مدوح يوسف عمران

إن هذه المقاومة بوصفها احتجاج الرجال الذين جرى التطاول على كرامتهم، وعلى تصورهم السليم عن الحقيقة التي يتمسكون بها، وبوصفها ذات معنى يتعدى الظروف التي تأكدت ضمنها، فمن المهم الآن استرجاعها بغض النظر عها ستفضى إليه الأمور.

إعلان حق العصيان في الحرب الجزائرية (بيان الـ ١٢١)

Declaration of the Right to Insubordination in The Algerian War (Manifesto of the 171).

«حان الوقت للمقاومة».

«دعوة لقاومة السلطة غير الشرعية، ١٩٦٧ تشومسكي، ماركوسا، سوناغ، وآخرون»

Call to Resist Illegitimate Authority, 1977 Chomsky,

Marcuse, Sontag Et.Al.

لكن ماذا لو كان قراري أن أُعلن أنَّ سنواتي مع المقاومة سوف تختفي سريعاً؟ لقد انتابني إحساس ما غريب بأن التمرد أخذ يخبو، ويَضعُف، وإنه على وشك تحويل المسير والاختفاء، وإنه سوف يُحوَّل إلى ملاحم. لقد نظرت إلى المقاومة وكأنها سوف تتلاشى في أمِّ لحظة.

جان جينه، سجين الحب Jean Genet, Prisoner of Love

«إنها لحالة صعبة. ماذا تعتقد أن عليّ فعله؛ أن أقاوم؟ إيه؟! لا أريد غير العدالة»... لم يُرد سوى العدالة... لا شيء غير العدالة.

جوزيف كونراد، قلب الظلمة Joseph Conrad, Heart of Darkness

السابع والعشرون من تشرين الأوّل / أكتوبر ١٩٦٠

كوَّنت الاضطرابات التي حصلت في باريس في السابع والعشرين من تشرين الأوّل / أكتوبر ١٩٦٠ بداية سلسلة من الأحداث بلغت أوجها في التحدي الصارخ عام ١٩٦٨. حينها أعلن اليسار والاتحادات العمالية ذلك اليوم يوماً للسلام في الجزائر، فتفلّت عنف الشرطة ضد المتظاهرين من عقاله وتواصل مع اشتداد النضال ضد الاستعمار في الجزائر وانتقال العنف فيها إلى العاصمة الاستعمارية (٢١٠٧). جاء ذلك مباشرة عقب إعلان «حق العصيان في الحرب الجزائرية Declaration of the أو «بيان الـ ١٢١» في الخامس من أيلول / سبتمبر الذي ذكر المقاومة الفرنسية في دعوته إلى العصيان المدني، وتزامن مع محاكمة الشبكة الجنيسونية الجنيسونية المحسيان المدني، وتزامن مع محاكمة الشبكة الجنيسونية المجنيسونية المحسيان المدني، وتزامن مع محاكمة الشبكة الجنيسونية المجنيسونية المحسيان المدني، وتزامن مع محاكمة الشبكة الجنيسونية المحسيان المدني، وتزامن مع محاكمة الشبكة المحسيان المدني، وتزامن مع معاكمة الشبكة المحسيان المدني، وتزامن مع المحسيان المدني، وتزامن مع محاكمة الشبكة المحسيان المدني، وتزامن مع محاكمة الشبكة المحسيان المحسيان

⁽١) هو الاسم الذي يُطلق على الحركة التي ناهضت الاحتلال الألماني لـ فرنسا حكومة فيشي المتعاونة مع الاحتلال في أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) [المترجم].

⁽۲) نسبة إلى فرنسيس جينسن (۲۰۰۹–۱۹۲۲) Francis Jeanson الذي ساعد عملاء جبهة التحرير الوطنية الجزائرية في العمل على الأراضي الفرنسية في أثناء حرب التحرير الجزائرية، إذ كانوا ينقلون النقود والأوراق للجزائريين وعرفوا به «حملة الحقيبة»، وهي فكرة مستقاة من حركة المقاومة الفرنسية في الحرب العالمية الثانية. وقد كان من بين أعضائها الناشط الشيوعي الشهير والمناهض للاستعمار هينري كورييل Henri Curiel، كما كان الفيلسوف جان بول سارتر الشهير والمناهض للاستعمار هينري كورييل Jean Paul Sartre (۱۹۸۸–۱۹۸۰) Simone (۱۹۸۸–۱۹۸۹)

المقاومة، ومع المقدمة الحادة التي كتبها جان بول سارتر Jean Paul Sartre المعذبو الأرض The Cursed of the Earth للمعذبو الأرض The Cursed of the Earth للمعذبو الأرض The Cursed of the Earth للمعذبو الأرض الأرض كالمعال الله في فرنسا). إن عنف الدولة المتعمَّد ضد الجالية المخزائرية في باريس الذي خطط له ونفذه موريس بابون Maurice Papon رئيس الشرطة الباريسية والذي تضمنت مؤهلاته للمنصب اضطهاد يهود بوردو Bourdeaux في ظل فيشي (Vichy والقمع الاستعاري الوحشي في المغرب والجزائر (انظر House and Macmaster) بلغ أوجه بعد سنة، وذلك في مطاردة الشرطة للمتظاهرين في باريس، وقتلها لما يزيد عن مئتي متظاهر في السابع عشر من تشرين الأوّل / أكتوبر عام ١٩٦١، وكذلك في مظاهر في السابع عشر من تشرين الأوّل / أكتوبر عام ١٩٦١، وكذلك في الثامن من شباط / فبراير عام ١٩٦١، وقد استُكمِلَ القمع الرسمي بأعمال الثامن من شباط / فبراير عام ١٩٦١، وقد استُكمِلَ القمع الرسمي بأعمال بول سارتر في (٩ تمّوز / يوليو عام ١٩٦١، و٧ كانون الثّاني / يناير عام ١٩٦١) وعلى مكاتب مجلة الأزمنة المعاصرة Les Temps Modernes في ١٩٦٢) وعلى مكاتب مجلة الأزمنة المعاصرة Les Temps Modernes في ١٩٦٢)

إن ذكرى المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي والتعاون معه في أثناء الحرب العالمية الثانية لازمت تلك الوقائع العنيفة في الأيام الأخيرة

⁽٣) فرانز فانون (١٩٢٥- ١٩٢١) Frantz Fanon طبيب نفسي وفيلسوف وكاتب وثوري مناضل من أجل الحرية ومناهض للعنصرية، وهو من مواليد جزر المارتنيك [المترجم].

⁽٤) الإشارة هنا إلى حكومة فرنسا (١٩٤٠-١٩٤٤) بعد نقلها إلى مدينة فيشي بقيادة الماريشال فيليب بيتان (١٩٤٥-١٩٥١) Marshal Philippe Pétain(١٩٥١-١٨٥٦) الذي حوكم بعد الحرب العالمية الثانية بتهمة الخيانة والتعاون مع الاحتلال [المترجم].

للحرب الجزائرية. وقد سأل «بيان الـ ١٢١»، كيف لدولة تستند شرعيتها على أخلاقية المقاومة ضد النازية ف حرجا إلى الأساليب النازية في حرجا القذرة ضد المقاومة الجزائرية (۱۷-۱۷). وسأل السؤال نفسه أولئك المواطنون الفرنسيون من الشبكة الجنيسونية وغرها من الشبكات المقاومة التي اتخذت قراراً بدعم الجزائريين في نضالهم ضد الدولة الفرنسية؛ والتي رأت أعمالها بمنزلة مقاومة مستمرة ضد النازية (انظر Evans 199۷)، ومع ذلك فقد اشتركوا في هذه الرؤية مع منظمة الجيش السرى (OAS)، وهي المجموعة Organisation de l'armée secrète أو الـ (OAS)، الإرهابية شبة العسكرية التابعة لليمين التي كانت أيضاً «منغمسة في صور مقاومة» (Evans 199V, 1AV)، فهي أيضاً - ومن الأعلى - عدّت حربها الثورية guerre révolutionnaire المضادة للتمرد، أو حرب العصابات الخاصة بها بأنها حرب متواصلة مع المقاومة في زمن الحرب؛ فمن هم إذن المقاومون الحقيقيون؟ وما الصلة بين ماضي رئيس الشرطة الباريسية المتعاون مع الاحتلال وبين ممارسة الدولة للعنف المفرط- بل المتعمد - ضد المتظاهرين

⁽٥) النازية هي الاسم المعروف لل القومية الاشتراكية National Socialism، وهي حركة سياسية تأسست في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، إذ تمكن المنتمون إلى الحزب القومي الاشتراكي العمالي الألماني تحت زعامة أدولف هتلر (١٨٨٩ – ١٩٤٥) Adolf Hitler (١٩٤٥ – ١٨٨٩) من الهيمنة على السلطة في ألمانيا عام ١٩٣٣ وإنشاء ما سمي بدولة الزعيم والمملكة الثالثة التي أثارت الحرب العالمية الثانية [المترجم].

⁽٦) منظمة يمينية متطرفة شبه عسكرية تأسست في فرنسا في مرحلة حرب الجزائر (١٩٥٤ -١٩٦٢)، وقد قامت بأعمال تفجير واغتيالات هدفها منع استقلال الجزائر من الاستعمار الفرنسي، فقد كانت ترى أن الجزائر فرنسية وسوف تبقى فرنسية [المترجم].

المناهضين للاستعهار؟ وكيف أصبح ممكناً آنئذٍ أن يُصنّف الرجل الذي أطلق الدعوة الأسطورية للمقاومة في الثامن عشر من حزيران / يونيو عام ١٩٤٠ بأنه «مشعوذ كبير» (سارتر) أو تجل «للضلال الحقيقي» (بلانشو Blanchot)؟ وماذا عن بطل المقاومة الذي تلقى وسام صليب الحرب Croix وماذا عن بطل المقاومة الذي تلقى وسام صليب الحرب للأرض وساء عام ١٩٤٥ لقاء خدمته البطولية، والذي دعا في حينه في «معنبو الأرض» إلى مقاومة مطلقة ضد الجمهورية الفرنسية الاستعمارية؟ وما يدفع إلى مثل هذه الأسئلة هو الإرباك بشأن طبيعة المقاومة: فهل هي ارتكاسية وحزء من حركة قمع تبادلية متصاعدة؟ تستدعي مقاومة تكثّف بدورها مقاومة مضادة ... أو إنها التحدي الدائم للاضطهاد والظلم؟!

إن مقالة سارتر عام ١٩٦١ الموسومة بـ «الرسام البائس» التي كتبها لدليل معرض روبيرت لابوجاد Robert Lapoujade - «لوحات في موضوع الاضطرابات التريبتيك عن التعذيب وهيروشيما» - الذي أُقيم في صالة عرض بيير دوميك Galerie Pierre Domec بين ١٠ آذار / مارس و١٥ نيسان / أبريل عام ١٩٦١، ثم ضُمِّنت في الجزء الرابع من كتاب مواقف Situations IV تصوّر لوحة اضطراب «السابع والعشرين من تشرين الأوّل / أكتوبر» في إطار المقاومة الحائرة:

ثم فجأةً يوجد ذلك الشريط من الإسفلت: إنه الفراغ يطفح وينساب إلى أسفل القهاش. لكن هل هناك قمة أو قعر؟ إن الفضاء نفسه هو معنى يكوّنه الجمهور، هذا الشريط هو

⁽٧) التريبتيك كلمة مأخوذة من اللغة اليونانية وتعني صورة محفورة على لوحات ثلاث مثبتة جنباً إلى جنب بحيث تنطبق الأولى والثالثة على الوسطى [المترجم].

غوص كثيف نحو الأسفل وفرار نحو الأفق في وقت واحد، ولا يهم كثيراً أيها الغالب، إنه الانفتاح المفاجئ للفراغ: فالشرطة تهاجم، هل سنفر أم نقاوم؟ أياً كان ما نعمله، فإن الفضاء موجود بكل أبعاده في بعد واحد: إنه مسافة تبدو لا متناهية، تتقلص من جهة ثم من الأخرى (Sartre, 079).

إن هذا لسيناريو معهود، وهو سيناريو جرت إعادته مؤخراً في الثورات العربية وفي مقاومة الأندغنوز والأغاناكتسمينو "hidignados and" والشهورية تقسيم aganaktismenoi والاندلاع العالمي لحركة احتل و "جههورية تقسيم" Repbublic وفي القمع العنيف لها، ويرى سارتر لوحة لابوجاد بأنها لحظة قرار: إذ إن لزوجة «شريط» اللون وخواءه يختز لان التجربة المكثّفة للزمان والمكان المميزين للحظة المقاومة، وبناء المقدرة على المقاومة، ويرسم سارتر ظواهرية phenomenology لحظة التحدي تلك، التي فجأة لم يعد فيها الشارع والساحة «حاضرين في المتناول» بحياء، بل أصبحا بدلاً من ذلك يمتلكان صفات تهديدية تجمع الضدين، فمع التقلص السريع للمسافة بين اندفاع وممتداً نحو الأفق دفعة واحدة، يحدد سارتر هذه التجربة بأنها «وظيفة أعمال الجمهور»، كما أن توسّع الفضاء الحضري وتقلّصه يظهران ارتباك الجمهور في لحظة اله إما/ أو الكير كيغاردية "Kierkegaardian "هل سنفر أم سنقاوم؟» —

⁽١) الأنديغنوز هي كلمة إسبانية تعني الساخط، والأغاناكتسمينو هي كلمة يونانية تعني الغاضب أو المُحبط [المترجم].

⁽٢) الإشارة هنا إلى ساحة تقسيم في إسطانبول، تركيا [المترجم].

⁽٣) نسبة إلى سورين كيركيغارد (١٨١٣ –١٨٥٥) Søren Kierkegaard الفيلسوف الدانهاركي الذي عرف بها يسمى الوجودية المؤمنة، مقارنة مع الوجودية الملحدة لدى سارتر [المترجم].

- احتمل الشارع صفات فضائية مثيرة ووجدانية مبهمة روتينياً، لكنها الآن ملتقطة في لوحة الفنان، فقد تغير «معنى» الفضاء من الروتين إلى الاستثناء، كما أن مسألة الهروب أو المواجهة تلف المشهد برمته، وتجعله يبدو وكأنه الفضاء الطقسى لعرض إما مقاومة حقيقية أو هروب زائف.

مع ذلك ربها تكون سهات هذا المشهد غير واضحة بمثل ما بدت لـ سارتر، كما أن مسألة المعنى ليست هي الأهم، إذ يفترض سيناريو المعنى لدى سارتر تقابلاً سابقاً للقوى التي هي نفسها نتاج فعل مقاومة سابق، إن سارتر لا يرى ذلك بوضوح، وهذا يظهر من خلال زعمه الذي يصر عليه بإفراط بأن «معنى» الفضاء *يُصاغ* أو لاً من جانب الجمهور، ثم يتحدد الفضاء بوصفه دالاً على أعمال الجمهور. قد تصح هذه المعادلة بالنسبة إلى المعنى، لكنها لا تصل إلى حركيّة القوة السياسية، إذ تبقى الأخيرة مخفيةً نظراً لأن إحدى أهم القوى المتعارضة في هذا السيناريو لا تتجلى بوصفها قوة منفصلة، بل بوصفها إحدى الحالات الحالية المسلم ما، ف (سارتر) ومن خلال تركيزه على عنصر واحد في سيناريو ديناميكي، ومن خلال بحثه عن معناه يرتكب الخطأ الذي حذر منه نيوتن (' Newton سابقاً بوساطة مثاله عن حصان يجر صخرة، وذلك في نص القانون الثالث في كتاب « الأصول» Principilia: «إذا جر حصان صخرة مربوطة بحبل فإن الحصان (إذا جاز التعبير) سوف ينجر ليضاً بشكل متساو نحو الصخرة...» (Newton, ٤١٧). إن نيوتن يعزز بوساطة هذه الصورة المبدأ القائل: إن «لكل فعل دائماً ردة فعل معاكسة ومساوية» أو إن الصخرة بالفعل

⁽۱) الإشارة هنا إلى إسحاق نيوتن (۱۲۲۲-۱۲۲۷) Isaac Newton، وهو عالم الفيزياء والرياضيات الإنكليزي المشهور [المترجم].

تجر الحصان، ففي حال الاضطرابات التي وقعت في ٢٧ تشرين الأوّل / أكتوبر عام ١٩٦٠ يتأثر معنى الفضاء ويتقوض سلفاً بوساطة مجال مركّب من القوى المُستخدَمة والمقاومة، بحيث تتحدد صفات الفضاء بالقدر نفسه عبر قوة اندفاع الشرطة ومقاومة الجمهور لها، إذ إن وقوف الجمهور هو تبادل عكسيٌّ مع هجوم الشرطة وفقاً للديناميكية السياسية: أي إن التحدي أو الموقف يفترض مقدرة على المقاومة ناتجة عن مواقف سابقة ضمن سيناريوهات سابقة من القوى المتعارضة.

إن وصف هيغل⁽¹⁾ Hegel للكيفية التي يصبح فيها اصطدام القوى ضبابياً بسبب مسألة المعنى أو «القانون» في قسم «القوة والعقل» Kraft und Verstand هو وصف ينتقد من كتاب «فينومينولوجيا الروح⁽¹⁾ Phenomenology of Spirit هو وصف ينتقد بشكل توقعي بادرة سارتر في مقالة «الرسام البائس»، فالخطوة المهمة في رواية هيغل لانسداد القوة تصف كيف يمكن لإحدى القوى المتعارضة في سيناريو ديناميكي أن تفترض نفسها «وسيطاً» حيادياً أكثر مما هي قوة منفصلة:

على سبيل المثال تُحتسب القوة المُحرِّضة وسيطاً كلياً، والقوة المُحرَّضة من جهة أخرى تُعدَّ قوة مُرتدة على نفسها: لكن الأولى هي وسيط كلي فحسب، من حيث إن الأخرى قوة مرتدة على نفسها، والثانية هي في الحقيقة القوة المُحرِّضة بالنسبة إلى الأخرى وهي التي تجعلها وسيطاً (١٩٧٧, ٨٤).

⁽۱) الإشارة هنا إلى جورج فيلهلم فريدريك هيغل (۱۷۷۰-۱۸۳۱) Georg Wilhelm (۱۸۳۱-۱۷۷۰) الفيلسوف الألماني المشهور [المترجم].

⁽٢) تم هنا التقيد بترجمة عنوان الكتاب كما صدر عن المنظمة العربية للترجمة (٢٠٠٦) إذ استورد كلمة فينومينولوجيا [المترجم].

في ٢٧ تشرين الأوّل / أكتوبر ١٩٦٠ اتخذ الجمهور وضعية القوة «الله تدة على نفسها» عندما اضطر أن يقرر فيها إذا كان سوف يقاوم أم سوف يهرب، وهذا قرار «يُحِرِّضه» «الوسيط الكلي» أو قوة الشرطة التي يبدو هجومها متواصلاً مع ممارستها القوة الروتينية والشرعية، إن القوة التي تبدو أنها «وسيط كلي» حيادي، ضمن الحفاظ الروتيني للدولة على النظام، تظهر في هذه اللحظة في باريس، لكنها قوة فاعلة أيضاً في الجزائر البعيدة ظاهرياً، ومع ذلك كان السيناريو أكثر تعقيداً مما استحضره سارتر أمام لوحة لابوجاد، فقد كانت السلطات قد حظرت مظاهرة ٢٧ تشرين الأوّل / أكتوبر ١٩٦٠، وقد احترمت الاتحادات العمالية والمنظمات الاشتراكية والشيوعية الحظر، وفي حين كان الحظر على المظاهرات في الخارج، فقد جرى السماح بها داخل الأبنية، وعليه، فقد عقدت منظمة اتحاد الطلاب الوطني الفرنسية اجتماعاً جماهيرياً في قاعة التشارك Salle de la mutualité إذ هاجمه مقاتلون من اليمين بوساطة قنابل الغاز وأجبروا الطلاب عمداً على الخروج إلى الشوارع والاشتباك مدّة ثلاث ساعات مع الشرطة، التي كانت تنتظرهم في الخارج (جرى القتال على الضفة اليسرى، وليس في ساحة الجمهورية Place de la République كما ذكر سارتر). نجم عن ذلك ٦٠ إصابة بين المتظاهرين، و ٢٥ إصابة بين الشرطة، و٧٢٥ موقوفاً.

إن لحظة القرار عند سارتر ممكنة فحسب - كما يبيّن هيغل - في سياق سائد أساساً من قوى متصارعة، وبالفعل، فإن قراءة كلاوزفيتزية (۱۰ Clausewitzean لـ سارتر سوف تستنتج أن إهماله السمة التبادلية للقوة هو

⁽۱) نسبة إلى كارل فون كلاوزفيتز (۱۷۸۰-۱۷۸۰) Carl von Clausewitz الجنرال والمنظر العسكري البروسي Prussian المشهور [المترجم].

خطأ إستراتيجي قاتل: إذ إن سارتر يغفل نوعية القوى المتعارضة، وذلك بوضعه القرار بالمقاومة أو الفرار على مستوى المعنى والقرار السليم، فمن وجهة النظر الديناميكية لا يمكن تقليص المقاومة التي تُفهم على أساس الحفاظ على المقدرة على المقاومة أو تقويتها لتصبح تعارضاً مزدوجاً بين «قاوم أو اهرب»، بل يجب وضعها بدلاً من ذلك ضمن مجال فضائي، زماني معقد وديناميكي يتجلى في وضعيتي السيطرة والتحدي. فالعقيدة العسكرية التي مهّد لها كلاوزفيتز، ذات الصراع المركزي بين الحرب الهمايونية وحرب العصابات، تزدري الإيهاءات الرومانسية والفروسية ذات المعنى العميق إنها المشؤوم، مثل موقف عدم التراجع أبداً. إن وصف سارتر لـ ٢٧ تشرين الأوِّل / أكتوبر عام ١٩٦٠ يحترم ضمناً منطق ما يدعوه هيغل «verkehrte Welt» أي العالم المعكوس، ففي حين يسلم سارتر ضمناً بمبادرة الشرطة، «كانت الشرطة تهجم»، فهو مع ذلك يُتابع وكأن المبادرة تتوقف كلياً على الجمهور وأن قرار الجمهور هو المهم، لكن الجمهور يُوضع في الوقت نفسه في وضعية رد الفعل على القوة المستخدمة، إي إن استجابته هي استجابة «مُحرَّضة» بحسب لغة هيغل، إن هذا المأزق يظهر في صيغة السؤال نفسه، «هل سنفر أم سنقاوم؟» الذي يتضمن امتلاك زمام المبادرة والتخلي عنها معاً، فالطلاب يهربون من هجوم اليمين المتطرف (المجهّز والمخطط له بعناية)، وهروبهم يقودهم إلى وضعية التحدي ضد وسيط المقاومة، وهو الشرطة، ومع ذلك لا يتمكن سارتر من إدراك أن المبادرة تكمن في هجوم اليمين المتطرف - أو عناصر من الشرطة نفسها نظراً لاستخدام قنابل الغاز المسيّل للدموع - الذي أدار المواجهة بين الطلاب والشرطة، وجرى التقاطها في لوحة **لابوجاد** وفي تأمل سارتر الخاص بمعناها. إن ٢٧ تشرين الأوّل / أكتوبر ١٩٦٠ من هذا المنظور أي المنظور الرجعي لحرب عصابات منظمة الجيش السري OAS، كان تمريناً ناجحاً بشكلٍ مدهشٍ للمقاومة ضد التحرر من الاستعمار معافرة مع وذلك بزّجه المتظاهرين المناهضين للاستعمار في مواجهة عنيفة وخاسرة مع الدولة.

إن عالم القوة المُحرِّضة والمُحرَّضة المقلوب، الظاهر في استجابة سارتر للتصادم بين القمع والتحدي يوم ٢٧ تشرين أول / أكتوبر ١٩٦٠ هو عالم صعب التحليل أو الإيضاح التام، إذ ليس هناك أبداً لحظة مقاومة خالصة، بل إن هناك على الدوام ممارسة متبادلة لمقاومات تشكل لفائف أو سلاسل من المقاومة والمقاومة المضادة، ترد على بعضها في تسليم المبادرة أو اتخاذها، تأخذ ضربات الشرطة ومقاومة المتظاهرين مكانها ضمن سيناريو فضائي يمتد من الضفة اليسرى في باريس إلى الجزائر في تسلسل زمني يتضمن في بنوده باريس التحرر وديان باين فو السلامين للاستعمار بقدر ما كان فالشرطة كانت مكلّفة بمقاومة المتظاهرين المناهضين للاستعمار بقدر ما كان المتظاهرون يقاومون الشرطة، وقد اختلت معادلة القوى عمداً عندما قام اليمين المتطرف بالمبادرة في مهاجمة الاجتماع، وأجبر المتظاهرين على مواجهة السعراضية لم يكن لهم بد من خسارتها.

شكراً للطلاب والزملاء في مركز البحوث في الفلسفة الأوروبية الحديثة شكراً للطلاب والزملاء في مركز البحوث في الفلسفة كينغستون Centre for Research in Modern European Philosophy في جامعة كالمنافقة Department of Philosophy في جامعة المنافقة الإنكليزية والعلوم السياسية الريس المنافقة الإنكليزية والعلوم السياسية الريس المنافقة الإنكليزية والعلوم السياسية المنافقة الإنكليزية والعلوم السياسية

⁽١) معركة حاسمة بين قوات تحرير فيتنام والجيش الفرنسي في عام ١٩٥٤ [المترجم].

University of في جامعة دلهي Department of English and Political Science Centre for Linguistics, ومركز اللغويات في جامعة جواهر لال نهرو Delhi ومركز اللغويات في المنادين والمشاركين في أتاكاري إنديا المنادين المن

⁽٢) اسمٌ لمهرجان بدأ عام ٢٠٠٠ و يحصل كل عامين في مدينة بنغالور Bangalore في الهند ويمثل منصة فريدة في جنوب آسيا للجديد في الفنون والرقص وتبادل الأفكار والبحث العلمي [المترجم].

مُقتِّلُمْتُهُ

كانت المقاومة واحدة من الألفاظ الأهم والأكثر ديمومة في الخيال والفعل السياسيَّين للقرن العشرين، وهي لفظة تزداد أهميتها على الدوام في صراعات القرن الحاضر، ومع ذلك – وعلى الرغم من تزايد النصوص المكرسة لإثارة المقاومة والمحافظة عليها أو قمعها – فمن الغريب أنها لا تزال غير خاضعة للتمحيص، وهي بالفعل عصية على التحليل الفلسفي، ويبدو أن المقاومة متجذرة في المهارسة، ويُفصَح عنها في بيانات ومسوغات تكتيكية تتطرق إلى سياقات تاريخية معينة من دليل «الجيش السويسري للمقاومة الشاملة» كومون "Swiss Army Manual Total Resistance وهو «ضد الانقلاب» لدى معسكر سلام نساء غرينهام كومون "Atti-Coup وهو «ضد الانقلاب» ويوس جينكينز Bruce Jenkins وبروس جينكينز Bruce Jenkins. إن

⁽٣) كتبه الضابط والمنظر العسكري السويسري هانس فون داخ (١٩٢٩ - ٢٠٠٣) Hans von (٢٠٠٣ - ١٩٢٩) عام ١٩٥٧ [المترجم].

⁽٤) الإشارة هنا إلى المخيم الذي بدأ عندما قدمت مجموعة من النساء الويلزيات إلى غرينهام في أيلول / سبتمبر عام ١٩٨١ للاحتجاج على قرار الحكومة البريطانية الموافقة على نصب صواريخ كروز الأمريكية في القاعدة العسكرية هناك. بقي المعسكر مستمراً مدَّة تسعة عشر عاماً إلى أن جرت إزالته عام ٢٠٠٠ [المترجم].

⁽٥) عنوان كتاب صدر عام ٢٠٠٣ [المترجم].

⁽٦) يعُد مولان (١٨٩٩-١٩٤٥) رمزاً للمقاومة الفرنسية، في أثناء الحرب العالمية الثانية [المترجم].

⁽٧) الإشارة هنا إلى شارل ديغول (١٩٧٠١٨٩٠ -) Charles de Gaulle، وهو جنرال ورجل سياسة فرنسي قاد مقاومة بلاده في الحرب العالمية الثانية وترأس حكومة فرنسا الحرة في لندن، وفي سنة ١٩٤٣ ترأس اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، التي أصبحت في حزيران ١٩٤٤ تسمى بالحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية، ثم أصبح لاحقاً أول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة [المترجم].

Mathew Cobb, The «ماثيو كوب، المقاومة: النضال الفرنسي ضد النازيين (٨) ورد في كتاب «ماثيو كوب، المقاومة: النضال الفرنسي ضد النازيين .Resistance: The French Fight against Nazis, Simon and Schuster, London, p. ١٥٩

المنجذبة نحو المركز إلى منطق عسكري و/أو سياسي مركزي، ومع ذلك فلو لا إعادة الاستنباط المستمرة للمقاومات لما أصبحت المقاومة المستدامة ممكنة.

يجب على فلسفة المقاومة نفسها أن تقاوم ضغط صياغة المفهوم، ضغط اختصار أساليب المقاومة في مفهوم وحيد قابل للتشريع، والاستحواذ من جانب شكل - الدولة عينه، الذي بدأت المقاومة بتحديه، لكن في الوقت الذي تبقى الفلسفة منتبهة لمثل هذه المخاطر، لا يمكن لها أن تتخلى عن مسؤولية السعى من أجل نوع من التهاثل في ممارسات المقاومة: أي في الوقت الذي يجب فيه إعادة استنباط المقاومة باستمرار، يجب التأمّل فلسفيّاً بتاريخ استنباطاتها. إن نقطة التحوّل المناسبة لمثل هذا التأمل هي صيغة كانط «Kant المأخوذة من النقد الأول والقائلة: «إن الأفكار فارغة من دون معنى والمؤسسات عمياء من دون مفهو مات»، لكن ليس بالمعنى الذي قصده، وهو الاسترداد المتبادل للوفرة والرؤية. (Kant ۲ . ۳۳, A o 1/BV o). إن صيغة كانط بإدراكها مخاطر أقاصي التوحد المفاهيمي والتشتت التاريخي، قد تسهم في تنظيم الأرشيف التاريخي للمقاومات، ومن ثمَّ فإنها تجعل تجربة المقاومة من الناحية النظرية في متناول الدعوات والفرص المستقبلية للمقاومة، فجعل مثل هذه التجربة متاحة وتجنّب التوحيد المفاهيمي لـ «المقاومة» إضافة إلى أنَّ التشتت العملي لكثير من المقاومات غير الظاهرة تاريخياً، يستلزم فهماً للمفاهيمية يجيز التجانس من دون فرض الوحدة. إذن إن «مفهوم» المقاومة يجسّد مفاهيمية تتضمن في داخلها حركة مناقضة للتوحيد والتشتيت معاً، وربها يجب رؤيته كأنه صورة أخرى للحكم

⁽٩) الإشارة هنا إلى الفيلسوف الألماني المشهور إيهانيويل كانط (١٧٢٤ –١٨٠٤) Immanuel Kant (١٨٠٤ – ١٧٢٤) وهو يُعد آخر فلاسفة عصر التنوير في أوروبا [المترجم].

التأملي الكانطي Kantian، لكنه حكم لا تتطلب الحالة الفردية فيه تبدلاً في مفهوم الحكم أو قاعدته وحسب، بل تتطلب مقاومة فعّالة لانضوائه تحت مثل هذا المفهوم أو القاعدة.

إن عصيان المقاومة على التحليل هو نقطة الافتراق بالنسبة إلى أحدث وأهم محاولتين فلسفيتين لفهم السهات الخاصة بهذا المفهوم، وهما: المقاومات علم النفس» له جاك ديريدان (۱۹۹۲) (۱۹۹۲) Jacques Derrida's (۱۹۹۲) وعمل فوكو (۱۹۹۲) وعمل مناقاومة منذ Foucault' وعمل فوكو (۱۹۹۳) وعمل المقاومة منذ منتصف السبعينيات. يتحدث ديريدا عن المقاومة بأنها تلك الكلمة التي تردد صداها في رغبتي وخيّلتي كأجمل كلمة في سياسة هذا البلد وتاريخه، تلك الكلمة المشحونة بكل الشَّجُو والحنين لديّ، كها لو أني وبأي ثمن أتمنى لو أني لم أفوّت تفجير القطارات والصهاريج ومراكز القيادة بين ۱۹٤۰ و۱۹۶۵ – لماذا وكيف أخذت مثل المغناطيس تجذب كثيراً جداً من المعاني والفضائل والاحتمالات الدلالية أو الانتشارية (Derrida ۱۹۹۸, ۲).

إن حلم المقاومة الديريدي Derridean هو أيضاً الحلم بمقاومة الحلم المقاوم، غير القابل للتحليل، الذي تصبح فيه المقاومة تمثل الحد الذي يتعثر عليه التحليل وينفض، حيث إن كل نقطة تُواجَه فيها مقاومة تبدو سلفاً كأنها مقاومة معاكسة، ومن ثمَّ فهي بالتعريف متملصة من أي تفكير فيها مقاومة أحادية وصرف.

⁽۱۰) جاك ديريدا (۲۰۰۱–۲۰۰۶) Jacques Derrida فيلسوف فرنسي مشهور بتطويره للنظرية التفكيكية [المترجم].

⁽۱۱) الإشارة هنا إلى ميشيل فوكو (۱۹۲۱-۱۹۸۶) Michel Foucault، وهو فيلسوف ومؤرخ أفكار فرنسي مشهور [المترجم].

قبل ذلك بسنوات حاول فوكو أيضاً إيجاد مكان للمقاومة، هذه المرة بجانب القوة، ففي واحدة من مقابلاته الأخيرة عام ١٩٨٤ حول الحركة المثلية والمهارسات السادو/مازوخية S/M ومتعها يرد فوكو بالتعقيب الآتي على الاقتباس الشهير آنئذٍ لقطعة من كتاب «تاريخ الجنسانية» History of Sexuality، الا وهو «حيث يو جد قوة تو جد مقاومة»:

انظر، لو لم تكن هناك مقاومة لما وُجدت أي علاقات قوة، لأن كل شيء سوف يصبح مسألة طاعة وحسب، فعلى المرء أن يستخدم علاقات القوة من اللحظة التي يصبح فيها في وضعية العجز عن فعل ما يريد، ومن ثمَّ إن المقاومة تأتي أولاً، وهي تبقى فوق كل قوى الصيرورة، وتجبر باقي علاقات القوة الواقعة تحت تأثيرها على التغيّر. ولهذا فإنني أعد كلمة «مقاومة» أهم كلمة، وهي الكلمة المفتاحية لهذه الديناميكية (٢٠٠١, ١٥٥٩).

تتميز هذه الكلمة بأنها «عنصر في العلاقة الإستراتيجية، ألا وهي علاقة القوة»، وهي تتميز «دوماً باعتهادها على الموقف الذي تحاربه» (Foucault القوة»، وهي تتميز «دوماً باعتهادها على الموقف الذي تحاربه» (٢٠٠١, ١٥٦٠ معاً، فإن المقاومة تبقى غير ملموسة، ومن دونها ليس هناك أيُّ قوة، لكن بالضبط: بم، ومتى، وأين، وكيف هي كذلك؟ يبقى عصياً على التحليل. يقر فوكو، مثله مثل ديريدا أن مقاومة المقاومة هي نقطة نهاية للتحليل، لكن فحسب إذا فُهم الأخير وفقاً لأنموذج التحليل الحقوقي ١٠٠٠.

Precarious Life: the «الحياة المحفوفة بالمخاطر: قوى الحداد والعنف Judith Butler في Judith Butler تتأمل جوديث بتلر Powers of Mourning and Violence (٢٠٠٤) نتائج إبطال المعيار القضائي وتوسع «الصلاحيات غير القانونية» التي مورست عبر المحاكهات ومعسكرات الاعتقال، وهو بحث ذو مضامين تختلف عن الأنموذج الإستراتيجي لنظرية المقاومة وممارستها الذي أعلنه فوكو Foucault.

ترك فوكو بعضاً من الدلائل الموحية جداً حول أنموذج آخر لتحليل القوة والمقاومة. تظهر إحدى هذه الدلائل في المقابلة مع بي إتش. ليفي B.H. Levy في القاومة. تظهر إحدى هذه الدلائل في المقابلة مع بي إتش. ليفي B.H. Levy في لو أوبزر فوتوار المعلال المعابلة الله في مقابلة سابقة (١٩٧٤) في لو إيمبر فو L'imprevu التي تستأنف ما قاله في مقابلة سابقة (١٩٧٤) في لو إيمبر فو المعدد شيء من النقاش حول إستراتيجية القوة وتكتيكاتها، الذي كان القصد منه مرة أخرى هو الحكمة القائلة: «حيث توجد القوة توجد المقاومة» يخضع ليفي Levy للاستفزان ويشكو قائلاً: «القوة والمقاومة… التكتيكات والإستراتيجية… لماذا هذه المجازات ويشكو قائلاً: «القوة والمقاومة». يبب من الآن فصاعداً رؤية القوة على شكل ذات الخلفية العسكرية؟ هل تعتقد أنه يجب من الآن فصاعداً رؤية القوة على شكل الحرب»؟ (Foucault ۲۰۰۱, ۲۹۷) يبدو أن فوكو يتراجع بسبب اللوم لامتلاكه ولعاً غير مسوَّغ بأمور عسكرية، لكنه يدعي الجهل ويمضى قائلاً بخداع:

إنني - عملياً - لا أعلم أي شيء عنها في هذه اللحظة، لكن الأمر الوحيد الذي يبدو أكيداً هو أنه تحت تصرفنا في هذه الآونة أنموذجين فحسب لتحليل علاقات القوة: ذلك الأنموذج الذي يخولنا به القانون (قوة القانون، المنع، المؤسسة)، والأنموذج العسكري الإستراتيجي لعلاقات القوات. إنني أعتقد أن الأول أظهر قصوره بشكل مقنع، إذ إننا نعلم أن القانون لا يصف القوة (٢٠٠١, ٢٠٠١).

في الواقع لقد كان فوكو أساساً متقدماً جداً في مشروع معرفة القوة من خلال الأنموذج الإستراتيجي للتحليل، فقد سبق أن تخلت محاضراته في معهد فرنسا في يسان/ أبريل من عام ١٩٧٣م التي تحمل عنوان «القوة النفسانية» Psychiatric وفقاً ووصفت علاقات القوة في المصح وفقاً للإستراتيجية العسكرية: «وهكذا إن الذي يُنظم في المصح هو بالفعل ساحة

معركة» (Foucault ۲۰۰٦, ۷). لكن المكان الذي طرح فيه فوكو فرضيته الصريحة القائلة: إن «القوة هي الحرب، أي استمرار الحرب بوساطة أخرى» هو المقدمة لمحاضرات يونيو/ حزيران من عام ١٩٧٥م، في العام السابق لمقابلته مع ليفي المعنونة به «يجب الدفاع عن المجتمع» (Foucault ۲۰۰۳, ۱۵)، وهو بذلك يقلب تعريف كلاوزفيتز الشهير الذي استشهد به ماو (۱۵ مهم ويبرز في «الكتاب الأحمر الصغير» للتاله القائل: «إن الحرب هي استمرار صرف للسياسة بوسائل أخرى». تتقوض مضامين هذا التحول نحو «الأنموذج الإستراتيجي» للتحليل أخرى». تتقوض مضامين هذا التحول نحو «الأنموذج الإستراتيجي» للتحليل فإن شيئاً آخر سوف يحل محلها» (۲۰۰۱, ۲۲۷). يصمت فوكو بخصوص ما قد يكون هذا البديل، لكن من الواضح أن سياسة المقاومة هي مرشح بخصوص ما قد يكون هذا البديل، لكن من الواضح أن سياسة المقاومة هي مرشح مهم، ومن ثمّ فإنّ الرهانات المرتبطة بفهم المقاومة ترتفع كثيراً وأقل ما تعد به هو سياسة أخرى أو سياسة جديدة، لكن طبيعتها تبقى غامضة أو غير محسوسة.

إن الوصول إلى سياسة مقاومة يثير مزيداً من الالتباس بخصوص هذا المصطلح، إذ إن تاريخه اللغوي الذي يُستشهد به على نحو متكرر في اللغة اللاتينية هو stare - يقف أو يتسبب بالوقوف - يربطه مع المصطلح الإغريقي القديم ركود stasis، الذي كما أظهرتُهُ نيكول لورون (١٩٨٦)

⁽۱۳) تجدر الإشارة إلى أن كاتب هذا الكتاب يكتب اسم ماو تسي تونغ (۱۸۹۳-۱۹۷۹) السياسي والقائد العسكري الصيني الذي كان زعيم الحزب الشيوعي الصيني منذ Mao Zedong أو Mao Tse-Tung أو الإنكليزية بصيغتين: ۱۹۳۰ أو ۱۹۳۸ (الأخيرة هي الصيغة المستوردة) [المترجم].

⁽١٤) نيكول لورو (١٩٤٣ -١٩٤٣) Nicole Loraux (٢٠٠٣ - ١٩٤٣) هي كاتبة فرنسية مختصة بتاريخ أثينا القديمة ولها عدة كتب في هذا المجال [المترجم].

يُسمّى مناسبة ابتكار الديمقراطية وما دُعي لاحقاً «السياسة». إن التجربة المتناقضة للانسداد أو aporia الذي هو أيضاً انتفاضة أو تمرد - وهي تجربة يمكن تسميتها بـ حالة مقاومة - تضعها على مفترق طرق بين العنف والكلام، فالمسألة الخلافية هنا هي رغبة المقاومة، أي توجهها نحو مستقبل يمكن بسهولة أن يكون بالقدر نفسه هدّاماً وبنّاءً، وهي رغبة سوف تتمظهر في الحرب والسياسية، لكنها ستتجلى أيضاً فيها أصبح يُعرف لاحقاً بـ «الفن» كما يُثبت دور التراجيديا في الديمقراطية اليونانية. إن التحليلات التي قدمتها مؤخراً جاكلين روز Jacqueline Rose في كتاما «المقاومة الأخبرة» The Last Resistance عن الركود الحالي، الذي هو حال المقاومة (الإسرائيلية) والفلسطينية، ترسم مسار وعمل الرغبة المقاومة المتناقضة في الخيال السياسي وفي الأدب. فبوضعها الأدب بوصفه مماسّاً يمر من نقطة تقاطع العنف والخطاب، أي الحرب والسياسة، تتمكن روز من إظهار كيف أن الأدب تنفيسي cathartic وتكويني، وهو قادر على تمييع المقاومة وتثبيتها في آن واحد. إن رؤية روز الثاقبة للموقع الغريب الخاص بالأدب من حيث التشابك بين العنف والكلام، أي بخصوص المقاومة، تؤثر بها سيتبع من قراءات هامشية لـ جينه (۱۰۰ Genet و بازوليني (۲۰۰ Pasolini و كافكا «۱۰۰ Kafka

⁽١٥) الإشارة إلى جان جينيه (١٩١٠-١٩٨٦) Jean Gene، وهو كاتب وروائي وشاعر ومسرحى وناشط سياسي فرنسي مشهور [المترجم].

⁽١٦) الإشارة إلى بير بابلو بازوليني (١٩٢٢–١٩٧٥) Pier Paolo Pasolini، وهو مخرج ومفكر وشاعر وكاتب إيطالي معروف [المترجم].

وسوف يتبع تحليلي للمقاومة ثلاث إستراتيجيات عريضة: الأولى تقتفي انكسارات مفهوم المقاومة عبر الخطب المتعددة التي صيغ وفقها، فمن خلال الإظهار المستمر لبعض الأطر ونهاياتها يصبح ممكناً محاولة تقديم نقد للمقاومة، لأن هذه الأطر قد وفّرت - ولا تزال توفر - شروط الإمكان لتفكير المقاومة، لكنها لم تستنفد مقدرتها. تضمنت هذه الأطر صياغة للمقاومة على أساس القوة والوعي والعنف والذاتية. أما الإستراتيجية الثانية فتصف بعض سهات المقاومات التاريخية، أي إنها تصف طبيعتها وإشاراتها الاعتيادية وتُظهِر كيف أن هذه السهات تؤشر نحو اتساق نمطي يؤثر في ممارستها، في حين أن الإستراتيجية الثالثة تدرس تكافؤات مفهوم المقاومة، أي روابطها وصلاتها المتجانسة والمتنافرة مع مفهومات أخرى مثل القمع والإصلاح والثورة من وسوف تُتبَّع هذه الإستراتيجيات بوساطة قراءة نصوصٍ مقاوِمة من القرن العشرين الطويل، يتخللها تأملات بشأن موقع هذه النصوص إلى جانب أفعال مقاومة تاريخية.

إن *القوة* هي الخطاب الأكثر انتشاراً وتأطيراً للمقاومة، وهو خطاب يتخطى المجال السياسي للمقاومة باتجاه مجالاتها الكهرومغناطيسية والمناعية

⁽١) الإشارة هنا إلى فرانز كافكا (١٨٨٣-١٩٢٤) Franz Kafka، وهو كاتب روائي يهودي تشيكي كان يكتب باللغة الألمانية [المترجم].

⁽۲) في إحدى المحاولات النادرة للتوسع بشأن «نظرية المقاومة» يصرّ رولف شرور في كتاب الإناسة المناصر السياسية» Rolf Schroers' Der Partisan zur politichen Anthropolagie على الإناسة المناصر السياسية المقاومة «مقولة تختلف عن مقولة الثورة» (Schroer, ۱۸)، لكنها تُظهر مقدرتها على إلصاق نفسها بتعبيرات أخرى من السلطة السياسية، وعلى الاستمرار مدّة طويلة من الزمن.

والعسكرية، فالطبيعة الملتبسة للقوة ومن ثمَّ للمقاومة تسهم في صعوبة المفهوم، لكنها تسهم أيضاً في سعة حيلته، وعندما يستحضر ديريدا المقاومة ضمن المقاومة، فإنه يقوم بذلك عبر التوسل إلى خطاب المناعة المعقد ويشبّه المقاومة المعاكسة بـ (عملية المناعة الذاتية) (١٩٩٨, viii) إلا أن هذا الخطاب نفسه يرتبط عن كثب - إنها بشكل غير محسوس - مع العقيدة العسكرية للمقاومة وتركيزها على العدو، حقاً، إن للمقاومة مكانها ضمن مشروع الفيزياء السياسية، أو علم المناعة الذي يتجلى قبل كل شيء في صراع قوى يُفهم وفقاً لعلاقات العداوة التي تُنظّر لها بمنتهى الوضوح عقيدة المقاومة العسكرية، وفي هذا الخصوص لا بدّ لأي محاولة تفلسف في موضوع المقاومة من أن تقارب عمل كلاوزفيتز لأنه أول منظّر لحرب المقاومة على الرغم من أنه عُرف خطأً مدّةً طويلة بأنه منظّر حروب الدول. وعليه فإن رؤيته الثاقبة القائلة: إن السياسة والحرب الحديثتين تتمحوران حول «المقدرة على المقاومة»، هي رؤية أساسية بالنسبة إلى فلسفة المقاومة وتعقّد علاقتها مع خطاب القوة، حيث إن ما نراه أساساً على الصفحة الأولى من كتابه «في الحرب» On War الذي نُشر بعد وفاته عام ١٨٣٢ هو تعريف للحرب صيغ على أساس علاقة عداوة صرف - مبارزة أو زوج من المصارعين - يكون فيها هدف الاستخدام المتبادل للقوة هو جعل الطرف الآخر «غير قادر على مزيد من المقاومة». إن كلاوزفيتز واضح جداً بشأن مضامين هذا التعريف، وهو يكرس قسماً كبيراً من كتابه «في الحرب» لتبيان أن حرب المقاومة هي حرب ثنائية التكافؤ، فهي ليست مكرّسة لتقويض العدو، أو تدمير مقدرته على المقاومة وحسب، بل إنها مكرّسة أيضاً لحفاظ المرء على مقدرته الخاصة على المقاومة، وتعزيزها في مواجهة استخدام العدو للقوة.

وفي حين تبقى فكرة المقاومة مدينة لأصلها في خطاب القوة، وتعارض القوى المميزة للميكانيكية النيوتينية Newtonian وبعدها الكهرومغناطيسية، وهو منشأ بقي - في أغلب الأحيان - دون نقاش، ضمن فلسفة أواخر القرن العشرين المفتونة بفكرة القوة، فقد جرى نقلها إلى خطب قوية أخرى وطُعِمت بها، كها أن تطعيم فلسفة الوعي بتجربة المقاومة قد أثبت أنه اتحاد قوي وغني خاصة في النظرية الماركسية الكلاسيكية، لكنه تطعيم له حدوده ومصاعبه الداخلية الخاصة، إذ إن إقحام المقاومة في سياقات وعي وطنية ولاحقاً طبقية قد نشط الإمكانية أو المقدرة على المقاومة وحرفها في الوقت نفسه بوساطة إلصاقها بموضوعات مثل الوطن والطبقة، إذ إن استخدام المقاومة في الصراعات الوطنية والطبقية وفي عمليات تشكيل الهوية بوساطة فلسفة الوعي، أنتج عدداً من المشكلات الإستراتيجية والنظرية الموضحة في محاولة جورج لوكاش "Georg Lukács بشأن المعوفي لينين الموقعي لينين الموقعي لينين المقاومة والثورة في كتابه «التاريخ والوعي الطبقي» (١٩٢٣) العلاقة بين المقاومة والثورة في كتابه «التاريخ والوعي الطبقي» (١٩٢٣)

⁽۱) نسبة إل كارل ماركس (۱۸۱۸ –۱۸۸۸) Karl Marx الفيلسوف وعالم الاقتصاد الألماني المشهور الذي نشر مع زميله فريدرك إنجلز (۱۸۲۰–۱۸۹۵) Friedrich Engels (۱۸۹۰–۱۸۲۰) «البيان الشيوعي» عام ۱۸۶۸ [المترجم].

⁽٢) جورج لوكاش (١٨٨٥ - ١٩٧١) فيلسوف وناقد ماركسي من دولة المجر [المترجم].

⁽٣) هذا هو اللقب لقائد الثورة البلشفية في روسيا، وهو فلاديمير ألييتش أوليانوف (٣) هذا هو اللقب لقائد الثورة البلشفية المترجم].

⁽٤) الإشارة هنا إلى روزا لوكسمبورغ (١٩١٩-١٨٧١) Rosa Luxemburg وهي فيلسوفة ومنظّرة ماركسية واقتصادية ألمانية. كانت عضواً في عدة أحزاب منها الحزب الاشتراكي الديمقراطي المستقل والحزب الشيوعي الألماني [المترجم].

History and Class Consciousness، والموضحة كذلك في رسم فرويد Freud ⁽¹⁾ بحريطة طرائق عمل المقاومة اللاواعية.

أصبح اصطفاف المقاومة والوعي اصطفافاً معقداً بسبب اعتهاد مفهوم المقاومة على خطاب القوة والقوى المتعاكسة. فتعارض القوى كها أظهر كلاوزفيتز بجلاء يؤدي مباشرة إلى ممارسة العنف، والعلاقة بين المقاومة والعنف كانت – وسوف تبقى – واحدة من المسائل الأساسية في سياسة المقاومة. إن أحد الخيارات هو الاقتداء به كلاوزفيتز في تعريف المقاومة والعنف، وهو تعريف يقود مباشرة إلى الافتراض الذي يتكرر في أكثر من صيغة في كتاب (في الحرب)، ألا وهو أن الحرب هي السياسية بوسائل أخرى. تبنّى لينين وماو وتشي غيفارا هذا الموقف ورأوا أن المقاومة هي خطوة أولية نحو حرب طبقية ثورية تهدف إلى الوصول إلى المقاومة هي وتشرعن العنف الضروري لتحقيقه. أما الخيار الآخر فقد محدى المطابقة بين المقاومة والعنف مع المحافظة على تصور قوي للعداوة، وقد شرح غاندي هذا الموقف في النضال الجنوب إفريقي والهندي المناهض

⁽٥) سيغموند فرويد (١٨٥٦ -١٩٣٩) Sigmund Freud (١٩٣٩ - ١٨٥٦) الطبيب وعالم النفس النمساوي المشهور [المترجم].

⁽۱) الإشارة هنا إلى إرنستو «تشي» غيفارا (۱۹۲۸-۱۹۲۷) "Ernesto "Che المعروف بـ تشي غيفارا، وهو مناضل ثوري ماركسي أرجنتيني له رمزية ثورية عالمية [المترجم].

⁽۷) الإشارة هنا إلى موهانداس كرمشاند غاندي (۱۸۶۹–۱۸۶۹) Mohandas Karamchand (۱۹٤۸–۱۸۶۹) وهو الزعيم السياسي والروحي للهند في أثناء حرب الاستقلال عن الحكم الاستعماري البريطاني، وهو معروف بلقب المهاتما غاندي Mahatma Gandhi والمهاتما تعني باللغة السنسكريتية «روح الأمة» [المترجم].

للاستعار، كما أن المقاومة غير العنيفة تبقى خياراً إستراتيجياً فعّالاً بين أيدي جين شارب وبروس جينكينز وآخرين. إن هذا الخيار ليس بعيداً كلية عن الاعتبارات الكلاوفيتزية بها أن لديه تصوّراً واضحاً للعداوة، إضافة إلى امتلاكه إحساساً إستراتيجياً متطوراً بأهمية الحفاظ على المقدرة على المقاومة وتعزيزها، فالمقاومة اللاعنفية بإشتغالها على أرض وصفها كلازفيتز بأنها قوة أخلاقية أكثر منها مادية، تصبح خياراً إستراتيجياً قوياً في الكفاح من أجل الحفاظ على مقدرة العدو أجل الحفاظ على مقدرتها الخاصة على المقاومة وعلى تقويض مقدرة العدو على المقاومة.

إن استنباط الذاتية المقاومة هو أحد السبل التي جرى التفكير فيها وممارستها للحفاظ على المقدرة على المقاومة وتقويتها، ويعود كلاوزفيتز بشكل متكرر إلى هذه المشكلة في كتاب «في الحرب»، حتى إنه يطوّر أنثروبولوجيا للذاتية العنيفة أو للمقاومة، فمارسة المقاومة تسهم في صياغة هويات مقاومة، أي إنها تسهم في خلق مقاومين أنموذجيين، يتموضعون في ثقافة أوسع من التحدي ويقومون بتنميتها.

جرى تطوير التفكير بشأن الذاتية العنيفة المقاومة في عمل ماو وجياب وفانون، لكن يمكن مقارنتها مع الذاتية المقاومة اللاعنفية التي مرة ثانية - كان غاندي رائدها، وتابعتها حركة الحقوق المدنية الأمريكية

⁽٨) المقصود هنا هو فو نجوين جياب (١٩١١- ٧٥ Nguyên Giáp الجنرال الفيتنامي الذي خطط لمعركة ديان بيان فو التي هُزم فيها الفرنسيون، وهو القائد الذي تمكن لاحقاً من هزيمة الأمريكان في الحرب الفيتنامية [المترجم].

تحت قيادة مارتن لوثر كينغ الصغير "Martin Luther King Jr ومع مقاومة معسكر سلام نساء غرينهام كومون ضد العنف العسكري، فإن استخدام نظرية الفضائل التقليدية الأساسية، من عدالة وشجاعة وإقدام وتعقّل في فهم المقاومة هو السمة المفاجئة للذاتية المقاومة، إذ إن المقاومة تُحرّض قبل كل شيء بوساطة الرغبة في العدالة، وتقوم بأعالها ذاتيات تمتلك منتهى الشجاعة والإقدام، كما أن ممارستها تسترشد بالتعقّل، وكل هذه السمات الثلاث تسهم في الحفاظ الواعى على المقدرة على المقاومة وفي تعزيزها.

إن خطب الوعي والعنف والذاتية تؤثر في نظرية المقاومة، كما أنها تتقاطع في التأملات التاريخية بشأن ممارستها، ويمكن تحويلها إلى نمطية مقاومة مستقاة من حركات المقاومة التاريخية، ولا سيها من الحالة المتطرفة للمقاومة ضد الاشتراكية القومية National Socialism التي جسّدتها المقاومتان البولندية والفرنسية. إن تنظيم نشاطات المقاومة الفرنسية بناءً على العمل العنيف شبه العسكري وعلى الدعاية ونشاطات جمع المعلومات والتدريب التي اقترحها هينري فريني شبداية، وتبناها جان مولان يمكن أن يُفهم وفقاً للبنية المفاهيمية للعنف والوعي والذاتية، وتشتمل المجموعة الأولى من الأعمال شبه العسكرية على الاغتيالات والتخريب والسرقة والمظاهرات الجماهيرية وأعمال العصابات الحضرية والريفية، لكنها تتضمن والمظاهرات الجماهيرية وأعمال العصابات الحضرية والريفية، لكنها تتضمن

⁽٩) مارتن لوثر كينغ الصغير (١٩٢٩-١٩٦٨) هو زعيم أمريكي من أصول إفريقية، كان مناهضاً للعنصرية ومطالباً بالحرية وحقوق الإنسان، لكنه كان رافضاً للعنف بكل أشكاله [المترجم].

⁽۱۰) هنري فيرني ساندوفال (۱۹۰۵–۱۹۸۸) Henri Frenay Sandoval المعروف بـ هنري فيرني. كان ضابطاً ورجل مقاومة فرنسي [المترجم].

أيضاً حزمة واسعة من المارسة اليومية اللاعنفية التي جرى إبراز مداها في العمل الجديد حول الثورة الفرنسية (انظر ٢٠٠٦) (١٠٠٠) وقد أسهم كثيرٌ من هذه الأعمال في وظيفة الدعاية، إذ ذُيِّلت بحركات مسرحية مثل إشارة النصر V Sign وبدائلها في الحرب العالمية الثانية، وبها يمكن وصفه بمهرجان المقاومة (١٠٠٠) كما يرتبط بذلك موضوع الحنكة أو التعقّل الذي حلّله جان بير فيرنان (١٠٠٠) ببراعة كما يتضح من مذكراته، وقد جرى تطبيقه في سياق

James C. Scott يه المنظّر الرئيس للمقاومة الروتينية اليومية هو جيمز سي سكوت التشفت غير الذي أظهرت دراسته لإثنية ماليزيا مقاومة غير مرئية: "إن المقاومة التي اكتشفت غير مرتبطة بأي حركات وأيديولوجيات أو كوادر ثورية سياسية أكبر وإن كان من الواضح فعلياً حصول صراعات مشابهة في كل قرية في الإقليم... إن مثل هذه الأشكال من المقاومة = هي الإستراتيجيات الدائمة والمستمرة واليومية تقريباً بالنسبة إلى الطبقات الدنيا الريفية في ظل ظروف صعبة، وهي الأساس الصلب الذي قد تنشأ بناء عليه أشكال أخرى من المقاومة، من المحتمل أن تستمر بعد أن تكون مثل تلك الأشكال الأخرى قد فشلت أو أنتجت بدورها نمطاً جديداً من الظلم» (٢٧٣ ، ١٩٨٥ ، يتكون هذا الأساس الصلب للمقاومة الذي يصفه فيرنان Vernant بأنه إستراتيجيات «ماكرة» ويصفه سكوت بأنه إستراتيجيات «ماكرة» ويصفه سكوت بأنه إستراتيجيات «مريختية» Brechtian أو «سكيويكيانية» Schweykian من محاطلة ونفاق وطاعة زائفة وسرقة وجهل مصطنع وافتراء وحريق متعمد وتخريب وهلم جرّاً» (Scott, ١٩٨٥ , ٢٩٨). انظر أيضاً بالكراء الكراء المقاومة الذي عدد المعرب عربة عربة عربة وحربة متعمد وتخريب وهلم جرّاً» (Scott, ١٩٨٥ , ٢٩٨).

⁽۱۲) من أجل الحصول على مثال على الكرنفالي في السياق غير المحتمل لحركة العصابات الحضرية الألمانية في أواخر ستينيات القرن العشرين، انظر إلى مذكرات بومي بومان Bommi Bauman من حركة الثاني من حزيران / يونيو، وهي تجربة استشهدت بها الدعوات العصرية للمقاومة: «كيف بدأ كل شيء» (١٩٧٥) Wie alles Anfing.

⁽۱۳) جان بيير فرنان (۱۹۱۶–۲۰۰۷) Jean-Pierre Vernant (۲۰۰۷–۱۹۱۶) هو فيلسوف فرنسي كان مقاوماً للنازية [المترجم].

حرب المقاومة الفرنسية وكان له أثرٌ بليغٌ (١٠٠٠). وقد تتراوح نشاطات الأستخبارات بين أساليب التجسس الكلاسيكية والمعلومات المُضللة والسرية والدعاية المضادة مثل الاستهاع سراً إلى اله بي بي سي BBC في أثناء الحرب العالمية الثانية، ومؤخراً مثل القرصنة وعمل ويكيليكس (١٠٠٠)، وإن زيادة الوعي من خلال المقاومة ضد سرية الدولة، أي عبر إفشاء أعهالها السرية ضمن إطار استغلال الاتصالات ووسائل الإعلام هي المعيار هنا بصيغتيه التاريخية والمعاصرة.

يتكون مفهوم المقاومة أيضاً بوساطة تكافؤاتها، وبوساطة الربط الجزئي مع مفهومات أخرى والنفور منها، وإن البارز بين هذه المفهومات هو الصلات بين المقاومة والقمع والمقاومة والدستور والمقاومة والثورة، وموقع المقاومة في التعارضات بين الفعل ورد الفعل وبين السيادة والمناصر والعنف الشرعي وغير الشرعي وبين الحقد والتوكيد وأخلاقية العبد والسيد. يُصاغ مفهوم المقاومة ضمن هذه المُركّبات من خلال ما يُعارضه أو يكمله، كما أن دور التكافؤات دور جوهري من أجل نقد المقاومة، بما أنه يطرح إمكانية أن يجري تحديد المفهوم نفسه

⁽١٤) كان فيرنان Vernant قائداً فذاً في المقاومة الجنوبية وقد كرّمته الدولة الفرنسية لاحقاً بوصفه رفيق التحرر Compagnon de la liberation. نشر مذكرات قصيرة عن حياته في المقاومة Un temps unsoumis مع نهاية حياته، وقد نُشرت ضمن مجموعة «تجاوز الحدود» La traversée des frontières ٢٠٠٤.

⁽١٥) ويكيليكس Wikileaks هي منظمة دولية غير ربحية تنشر تقارير وتسريبات عن مصادر عبهولة قام بتأسيسها عام ٢٠٠٦ مبرمج الكومبيوتر الأسترالي جولين أسانج Assange

إلى حدٍّ ما من خلال مقاومته، فإن هذه هي الحال، ولا سيها مع خطاب القوة، فالمقاومة بوصفها قوة تتحدد ضمنه بشكل أساسي عبر القوى التي تعارضها.

إن الخطب والنمطية التاريخية والتكافؤات المفاهيمية للمقاومة تشكل مصدر matrix القراءات لجل نصوص وممارسات القرن العشرين التي تكوّن أرشيف المقاومة الذي يُزار في هذا الكتاب. يُستهل الكتاب في بحث كلاوزفيتز عن طريق تنظير المقاومة ضد الإمبراطورية النابليونية المعافورية النابليونية الإمبراطورية ثم يتبع تسلسلاً يبدأ مع استحضار حرب كونية مدنية بين الإمبراطورية والكوميونيّة Commune في عمل ماركس Marx ونيتشه المقاومة التي يُعبَّر وينتهي في التجربة النازية وإمكانية اضمحلال المقدرة على المقاومة التي يُعبَّر عنها في اليأس المتحدي لدى بازوليني Pasolini في أثناء صناعة فيلمه الأخير اسالو Salò سوف يُبرز الاختراع الرائد لإستراتيجيات مقاومة جديدة في النضالات ضد الاستعمار في هذه الرواية، وسوف يُبرهن على أثرها المهم في أنهاط التفلسف، التي هي على ما يبدو بعيدة جداً عن السياق المباشر للنضال

⁽۱) نسبة إلى نابليون بونابرت (۱۸۲۹–۱۸۲۱) Napoléon Bonaparte والإشارة هنا إلى الإمبراطورية الفرنسية الأولى التي تشمل الحقبة التي سيطرت فيها فرنسا على أوروبا القارية تحت حكم بونابرت (۱۸۰۶–۱۸۱۶) [المترجم].

⁽۲) الإشارة هنا إلى كوميونة باريس La Commune de Paris، وهي حكومة بلدية ثورية أدارت باريس في فرنسا مدَّةً قصيرة ابتداءً من منتصف آذار وحتى ۲۸ أيّار / مايو أدارت باريس في فرنسا مدَّةً قصيرة ابتداءً من منتصف آذار وحتى ۱۸۷۱، وقد جرى قمعها بعنف من جانب الدولة الفرنسية بها أصبح يُعرف بـ «الأسبوع الدموى» [المترجم].

⁽٣) فرريدريك فيلهيلم نيتشه (١٩٤٠-١٩٤٠) Friedrich Wilhelm Nietzsche هو فيلسوف وناقد وشاعر ألماني مشهور [المترجم].

ضد الاستعمار، وسوف يتأمل الفصل الأخير في المقاومات الحديثة والمعاصرة، ويسأل عن مدى ما تقدمه من فهم جديد للمقاومة.

الفصل الأول

المقاومة الواعية

١-١- كوارث الحرب:

اضطر كارل فون كلاوزفيتز (۱۷۸۰–۲۷۸۰) وهما من طرفي وفرانسيسكو دي غويا (۱۷۸۰–۱۷۶۹) (۱۷۸۰–۲۷٤٦) وهما من طرفي اوروبا النقيضين إلى أن يكونا شاهدين على بروز شيء جديد ورهيب طوال حياتهما، فقد دَل كلُّ من المراقب العسكري في بروسيا والفنان في إسبانيا بوسيلتيهما المختلفتين على بَدْء حرب جديدة ذات عنف وقتل جماعي همجي لم يسبق له مثيل، ولم يكونا شاهدين فحسب على المغامرة العسكرية التي نجحت في تدمير فرنسا الثورية والنابليونية، والتي اجتاحت كل جيوش النظام القديم في تدمير فرنسا الثورية والنابليونية، والتي اجتاحت كل جيوش النظام القديم مقاومة العصابات التي تصدت لهذه المغامرة وكان لها أثر فتاك وبليغ في حرب شبه الجزيرة (۱۲۵–۱۸۰۸). سعى كلاوزفيتز وغويا إلى فهم وتمثيل التواطؤ

⁽۱) الإشارة هنا إلى الحرب بين فرنسا وتحالف قوات إسبانيا والبرتغال للاستيلاء على شبه جزيرة أيبريا. بدأت الحرب عندما غزت الجيوش الفرنسية البرتغال عام ١٨٠٧م وإسبانيا في ١٨٠٨م واستمرت حتى هُزِمَ نابليون عام ١٨١٤م على يد التحالف السادس المكوّن من قوات النمسا وبروسيا وروسيا والمملكة المتحدة والبرتغال والسويد وإسبانيا وبعض الولايات الألمانية. شبه جزيرة أيبيريا أو شبه الجزيرة الأيبيريّة أو إباريّة كانت تسمى جزيرة الأندلس أو شبه جزيرة الأندلس أو شبه الجزيرة الأندلسية في أثناء فترة=

المستحدث للحروب الثورية / الإمبريالية والمقاومة/ العصابات واستحضر كلُّ منها بطرائق مختلفة «الشعبَ المسلح» واكتشفا في الحرب الجديدة بروز منطق غير مسبوق وفتاك من الرعب والتصعيد العنيف"، وعلى الرغم من أن العنوان الذي أُعطي لمنقوشات غويا التي تكوّن «كوارث الحرب» قد أُطلِق بعد مماته"، فإن كلمة كارثة تصف بشكل صحيح ورطة العنف الجديدة التي وجدت آنئذ الشعوب الأوروبية ولاحقاً العالمية نفسها فيها، وهي ورطة بدا فيها أن الحرب العدوانية والمقاومة غير قابلتين للانفصام".

يُقدم كلاوزفيتز تأمّله المستمر في الحرب الجديدة في كتابه الذي نُشِر بعد ماته، وهو «في الحرب» On War، ففي هذا المصدر الفذ عن الإستراتيجية لا يحلل كلاوزفيتز الحرب النابليونية وحسب، على أمل الحصول على فهم أفضل للعدو، بل إنه أيضاً – على نحو أكثر دلالة – يستعرض خيارات مقاومتها،

⁼الحكم الإسلامي للأندلس. تقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا وتتكون من إسبانيا والبرتغال وأندورا ومنطقة جبل طارق. تشكل إسبانيا الجزء الأكبر منها بحوالي ٨٥٪ في حين تحتل البرتغال الجزء الغربي فيها بنحو ٩, ١٤٪ من مساحة شبه الجزيرة. يحدها البحر المتوسط من الجنوب والشرق والمحيط الأطلسي من شالها وغربها وتتصل مع أوروبا من طرفها الشهالي الشرقي [المترجم].

⁽٢) انظر هاهلویغ ١٩٨٦ Hahlewg من أجل لمحة عن تطوّر نظریة حرب العصابات لدی کلاوزفیتز.

⁽٣) كان عنوان غويا الخاص بملف المنحوتات أكثر تحديداً، وهو «النتائج القاتلة للحرب الدموية التي شنتها إسبانيا ضد بونابارت وبعض النزوات المدهشة».

⁽٤) اكتشف المقاومان ريموند أرون (١٩٧٦ و ١٩٧٦ و Raymond Aron (٢٠٠٥ و كارل شميت (٤) اكتشف المقاومان ريموند أرون (٢٠٠٥ أو الوقت نفسه تقريباً، أن كلاوزفيتز كان قبل كل شيء مفكر حرب المقاومة، وذلك من خلال تأملاتها في تركة كلاوزفيتز بالنسبة إلى الإرث الماركسي، ولا سيها بالنسبة إلى النسخة الماوية Maoist في الحرب الشعبية.

وبالفعل قد يكون من الملائم أكثر إطلاق عنوان «في المقاومة» على كتاب «في المحرب»، بها أن أساس دافعه النظري هو ابتداع وسيلة لمقاومة الإستراتيجية النابليونية، ويتضح هذا الطموح في التعريف الافتتاحي الصارخ، إنها الذي أسيء فهمه لغاية (Zweck) الحرب بأنها جعل العدو «غير قادر على مزيد من المقاومة». ويتضح هذا الطموح في التعريف الافتتاحي الصارخ، إنها الذي أسيء فهمه لغاية (٢٠١٠, ٢٤) ('zu jedem ferneren Widerstand unfähing zu machen') المسألة الخلافية في الحرب هي المقدرة على المقاومة التي فهمها كلاوزفيتز بأنها جملة من الوسائل المادية، إضافة إلى الإرادة المعنوية على مقاومة العدو. فالحرب سواء أكانت هجومية أم دفاعية فإنها تتجه نحو إضعاف المقدرة على المقاومة أو مقاومة أي محاولة لإضعاف المقدرة على المقاومة. سوف نجد أن الخصائص مقاومة أي محاولة لإضعاف المقدرة على المقاومة لدى الآخر أو الدفاع عن المقدرة الخاصة على المقاومة ستوضح كثيراً من الخصوصيات المفاهيمية المميزة للمقاومة وإستراتيجياتهان.

لا يمكن فصل الميزة المفاهيمية الممنوحة للمقاومة عن الظروف التاريخية المحددة التي أثارت تأملات كلاوزفيتز بشأن العنف المنظم،

⁽٥) يرد التعريف بأكمله كما يأتي: "إن الحرب ما هي إلا مبارزة على مدى واسع، فلو تصوّرنا العدد غير المحدود للمبارزات التي تكوّن الحرب بأنها تشكّل وحدة، فسوف نقوم بذلك على أكمل وجه، بافتراضنا متصارعين يجاهد كلٌّ منهما كي يجبر الآخر عبر القوة الجسدية أن يستسلم لإرادته، ويحاول كل واحد أن يطرح خصمه، ومن ثم يجعله غير قادر على مزيد من المقاومة». إن هذا التعريف يوسّع أنموذج العداوة الصرف ثنائية القطبية في المبارزة إلى كل أنواع الحرب ويبرز المفهوم الكانطي Kantian للمقدرة أو Fähigkeit.

⁽٦) إن أكثر الأمثلة شهرة في تطبيق دروس كلاوزفيتز على حرب المقاومة هو المقاومة البولندية Polish أو لا للغزو القيصري Tsarist ثم للاشتراكي القومي Polish التي كان في صُلبها الحفاظ على المقدرة الوطنية والحاضرة والمستقبلية على المقاومة وتعزيزها.

فكتاب «في الحرب» ينقّى أفكار كلاوزفيتز بشأن معايشته الخاصة لهزيمة بروسيا على يد فرنسا النابليونية في معركة جينا Battle of Jena عام ١٨٠٦ وبشأن عمله اللاحق مع معلمه شارنهورست Scharnhorst في الإصلاحات العسكرية والمدنية لـ بروسيا رداً على هذه الهزيمة، وقد أكمل كلاوزفيتز عمله في الإصلاحات البروسية العسكرية بتأمل موسع في أسباب الهزيمة وبطبيعة الحرب الجديدة التي ظهرت مع الثورة الفرنسية ٠٠٠ لم يكن ذلك بأي حال من الأحوال تأملاً استرجاعياً «حنينياً» حول زوال النظام القديم، بل إنه كان تقصياً ملحاً لإمكانات مقاومة الجيوش النابليونية التي كانت على ما يبدو لا تُقهر. استشف كلاوزفيتز مثل هيغل - لكن بشكل أكثر تشكيكاً -المغزى التاريخي/ العالمي لنابليون وللثورة الفرنسية، لكنه كان منشغلاً ليس بفهم ما كانت تعنيه فحسب، بل أيضاً بكيفية مقاومة تجليها العنيف والإمبريالي ٥٠٠، ولم يكرّس كلاوزفيتز نفسه لفهم كيف أن نابليون ومن خلال اعتماده على الحشد الكلى للناس ظاهرياً للدفاع عن الثورة في أوائل سبعينيات القرن الثامن عشر - قد ابتدع أسلوباً جديداً من الحرب فحسب، بل إنه كرسها أيضاً لفهم كيفية تطوير المقدرة على المقاومة. افترض كلاوزفيتز أن التحام السياسة والحرب في الأمة الثورية الفرنسية قد ولَّد

⁽٧) حصلت الثورة الفرنسية French Revolution في المدة ما بين عامَي ١٧٨٩ و١٧٩٩ [المترجم].

⁽٨) إن بول فيريليو Paul Virilio هو أحد القلائل الذين يؤكدون المسافة بين هيغل وكلاوزفيتز، كما أنه يطرح نظرية حداثة كلاوزفيتزية جديدة.

لسوء الحظ فإن رؤيته للقيامة العسكرية المُشار إليها في «السرعة والسياسة» Speed and المجزء الثاني Politics لا تفسر بشكل كامل بعد المقاومة في كلاوزفيتز ونتيجة لذلك فإن الجزء الثاني من «الدفاع الشعبي والصراعات البيئية» (١٩٩٠) Struggle المخصص لـ «المقاومة الثورية» يبقى مجرداً، بل حنينياً بشكل عاطفى.

نقيضه في خلق مقاومة سياسية وعسكرية بوساطة حرب العصابات، بداية في فيندي الاصطفاع على العصابات، بداية في فيندي العصابات على المعاومة المعبية متأثراً بالمقاومتين التيروليه المقاومة الشعبية متأثراً بالمقاومتين التيروليه المقاومة الله المعاومة والإسبانية ضد نابليون (كلاوزفيتز هو أول من يصفها بأنها «مقاومة»)، لكن - وبغية فهم المقاومات التاريخية الممكنة مستقبلاً وكي يتم التنظير لكيفية المقاومة والمحافظة على المقدرة على المقاومة في وجه الدولة الأمة الإمبريالية وسلاحها - كان على كلاوزفيتز أن يراجع المفهومات التي كانت الحرب حتى ذلك العهد قد فُهِمتْ من خلالها.

إن الحرب الجديدة تطلّبت بنية مفاهيمية جديدة بغية فهمها وهزيمتها، وهي بنية وجدها كلاوزفيتز في فلسفة عمانوئيل كانط Immanuel Kant. كان من الممكن أن يصبح «فقد العقل العسكري» هو العنوان البديل الآخر لكتاب «في الحرب»، فهو ليس فها أصيلاً لشروط إمكان الحرب الحديثة وحدودها فحسب، بل إنه أيضاً إسهام مهم في تاريخ الفلسفة ما بعد الكانطية. إن فهم كلاوزفيتز واستعماله للمفهومات الكانطية هو فهم منفصل تماماً عن تطورات الفلسفة النقدية الفيختية (۱۳ Fichtean والهيغيلية Hegelian الأكثر معيارية. فمثل زميله هينريتش فون كلايست العسكري ما بعد الكانطي، يقارب كلاوزفيتز زميله هينريتش فون كلايست العسكري ما بعد الكانطي، يقارب كلاوزفيتز

⁽٩) اسم إقليم يقع في غرب فرنسا مطل عل المحيط الأطلسي [المترجم].

⁽١٠) نسبة إلى ولاية تيرولين في النمسا [المترجم].

⁽١١) نسبة إلى الفيلسوف يوهان جوتليب فختيه (١٧٦٢-١٨١٤) Johann Gottlieb Fichte (١٧٦٢-١٨١٤). وهو من أبرز مؤسسي الحركة الفلسفية المعروفة بالمثالية الألمانية [المترجم].

⁽۱۲) هينريتش فون كلايست (۱۷۷۷–۱۸۱۱) Heinrich Von Kleist کاتب مسرحي وروائي وشاعر ألماني [المترجم].

الفلسفة النقدية من وجهة نظر عقل يواجه الخطر وعدم الأمان وعنف المصادفة. وبتحاشيه ورطة الخطر وعدم الأمان يشك كلاوزفيتز في إلحاح كانط على تسويغ التملك الشرعي للمفهومات ويلاحظ أن مثل هذا التسويغ ما كان ضرورياً لو لم يكن التملك أساساً في خطر، أي في حالة حرب. إن وصفه لمنطق التصعيد ومخاطر الحرب المطلقة هو وصف كانطي في تقييمه للمخاطر على الفكر والسعادة المتعلقين بالحركة من مجال (الرصد المسلح) المحدد زمانياً ومكانياً، إلى المطلق غير المحدد للحرب الكاملة. كها أن رفضه متابعة التأمل والقرار الدياليكتيكيين أو التسليم بها يستبق نقاد الهيغيلية (١٠٠٠)، مثلها تفعل وجهة نظره غير النقدية للمقاومة، بوصفها مفهوماً مكرساً للحفاظ على مقدرتها الخاصة أو شروط إمكانها.

عتمت شهرة كلاوزفيتز كإستراتيجي ومنظّر حرب على هذا المديونية للفلسفة النقدية. فبوصفه فيلسوفاً ما بعد كانطي تدرب في أكاديمية برلين العسكرية على يد كيزوترنن، وهو من الجيل الكانطي الأول ومعاصر له هيغل (١٧٨٠–١٨٣١)، ومن النادر جداً – إن لم يكن مستحيلاً – ما يوضع

⁽١٣) في حين يفكر كلاوتزفيز باستمرار بلغة المعارضة، لا يوجد بصيص ضئيل بأي حل. بالفعل إن الفرضيات الافتتاحية للفصل الأول من كتاب «في الحرب» تنظّر للإفناء التام لقطب واحد فيها قد يبدو تعارضاً دياليكتيكياً، وهذا ما يميزه عن هيغل مثلها تميزه عداوته له نابليون، وذلك في تعارض تام مع إعجاب هيغل به «روح العالم على صهوة حصان» (وهو شخصية تجسد التاريخ العالمي الذي كان لاحقاً مركزياً في قراءة كوجيف Kojéve المؤثرة له هيغل في الثلاثينيات).

الإشارة هنا إلى جون غوتفريد كارل كريستيان كيزوتر (١٧٦٦–١٧٦٩) Oottfried Karl Christian Kiesewetter

كلاوزفيتز في التراث الذي يتضمن فيخته Fichte وشيلينغ في التراث الذي يتضمن فيخته Hegel. ليس هذا مفاجئاً للغاية، بها أن عمله مخلص للفلسفة النقدية بسبل شتى، لكنه ينحرف جذرياً عن المسالك التي اتبعها قُرّاء كانط المعاصر ون الآخرون، إن مفهوم التصعيد المركزي والأكثر تأثراً لديه، يعيد صياغة الاهتمام الكانطي الصارم بمخاطر التحرك من مظاهر محدودة فضائياً وزمنياً إلى مطلقات العقل، في هذه الحال من «الرصد المسلح» إلى «الحرب المطلقة»، كما أن تركيزه على الواقع والطاقة والفعل Aktus يثبت افتتانه بمقولة الواقع الموجّهة عند كانط التي تميزه هو وأستاذه كيزويتر عن الانجذاب المعاصر نحو مقولة الإمكان لدى كانط (أما المقولة الموجهة الثالثة - الضرورة - فقد تُركت لـ «السبينوزيين» (Spinozans). إن المقولات الموجهة تصف علاقة الذات مع جملة المظاهر، كما أن التركيز على الإمكان يقود مباشرة إلى مركزية فكرة الحرية، أى إلى الذات الحرة نسبة إلى المظاهر. تشارك فيختيه وشيلينغ وهيغل بطرائق مختلفة هذا الولع بالحرية على خلاف كلاوزفيتز الذي لم يستعمل المصطلح إلا ما ندر، فبدلاً من الحرية يهتم كلاوزفيتز بالفعل akt، أو بواقع الحرب، إذ إنه يصف في الفصل الثاني من الكتاب الأول كيف أن «قوى وحقائق روحانية تتخلل جل فعل الحرب» أو إن الحرب تُوصف في الكتاب الأول، الفصل الأول بأنها تحقيق للسياسة أكثر مما هي تحقيق للعنف»، وإن علاقة الذات الكلاوزفيتزية مع جملة

⁽١٥) يعد الفيلسوف فون شيلينغ (١٧٧٥-١٨٥٤) Von Schelling من الفلاسفة الألمان الذين طوروا المثالية الألمانية [المترجم].

⁽١٦) نسبة إلى باروخ سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) Baruch Spinoza؛ الفيلسوف الهولندي المعروف المترجم.

المظاهر تميزت بعدم الأمان الذي تسببه قوة الحظ وآثار العداوة. فأنموذج الفعل التاريخي لدى كلاوزفيتز هو إدارة للعنف الذي أطلقته أعمال الحظ والعداوة أكثر مما هو تحقيق للحرية بمهارسة الإرادة الحرة. لم تكن تلك آثاراً يمكن أن تُفضي إلى نوع من حل دياليكتيكي أو أن يتمخض عنها نتيجة إيجابية، بل بالفعل إن الحظ والعداوة يمثلان علامة على اندثار المسعى الدياليكتيكي.

إن ابتعاد رؤية كلاوزفيتز ل كانط عن رؤيتي فيختيه وهيغل يتضح أيضاً في مواجهته العقل مع التاريخ. إذ إن التاريخ يُفهم بأنه مجال الحظ والمصادفة الذي يقاوم الإخضاع السهل للمتواليات والتعاقبات العقلانية. فالمصادفة في فلسفة التاريخ لدى هيغل هي مرحلة أو لحظة في سلسلة تاريخية عقلانية، في حين هي بالنسبة إلى كلاوزفيتز تقطُّع أو إحباط لأي تطلع نحو مثل هذه السلسة العقلانية، ومن ثمَّ فإن قاعدة الحظ والعداوة تتحكم بمجمل التسلسل الجدالي في كتاب «في الحرب» وتشكّل بنية مجلداته الثهانية التي تغطي طبيعة ونظرية الحرب والإستراتيجية والتكتيكات والهجوم والدفاع، إضافة إلى العلاقات بين الحرب المطلقة والحرب الفعلية وبين الحرب والسياسة «في الحرب الفعلية وبين الحرب والسياسة». إن «في الحرب» ليس بأي حال من الأحوال دفاعاً

⁽١٧) يصف باريت Paret المنطق الإنشائي لكتاب «في الحرب» بدقة متميزة: «يتم ضمن الكتب الثانية والـ ١٢٨ فصلاً وقساً من كتاب «في الحرب» عرض العشرات من الموضوعات الرئيسة والثانوية وتطويرها وجمعها، والمقولات تتكرر تُختبر في سياقات مختلفة، ويُجرى تفاعل بين اثنين أو أكثر من الأطروحات، إذ تُعرَّف فكرة بوضوح تام أحادي الجانب، بغية تنويعها في الفصول اللاحقة وإعطائها بعداً جديداً مع امتزاجها مع أطروحات وملاحظات أخرى» (Paret ۲۰۰۷, ٣٦٥). إنها الجاز بدلاً من السيمفونية الهيغيلية، أي سلسلة مناوشات بدلاً من حملة طولية موجهة.

عن طرائق العقل وعمله في التاريخ، بل هو بالأحرى تكثيف لحكم كانط التأملي الذي تقاوم فيه الحالة تطبيق القاعدة وتطعن بشرعيتها وتوفر الفرصة للتفكير بأثر الحظ والعداوة على العقل.

إن أهمية المقاومة بالنسبة إلى فهم كلاوزفيتز المحدد للحرب الجديدة -الحرب العدوانية النابليونية وحرب العصابات المقاومة على حد سواء -تتأكد من خلال الأهمية التي يكتسبها الكتاب السادس في بنية «في الحرب». فهو أكبر كتاب منفرد، وهو أطول بمرتين من الكتب الأخرى، كما أنه مكرس لإثبات فرضية أن «الدفاع هو شكل من الحرب أقوى من الهجوم» (Clausewitz ۲۰۱۰, ۳۳۵). يزعم كلاوزفيتز أنَّ حرب المقاومة الدفاعية التي شنَّها الشعب «كما في إسبانيا» (Clausewitz ۲۰۱۰, ٣٤٢) تُظهر أن قوة جديدة (Potenz) قد ظهرت، ألا وهي قوة «الشعب المسلح» أو تسليح الشعب Volksbewaffnung (في السياق البروسي اجتياح الأرض Landsturm)، وهي آنئذٍ تواجه «الشعب المسلح للجمهورية / الإمبراطورية الفرنسية». إن شكل الحرب الأنسب لهذه القوة الجديدة الناشئة هو widerstand أو المقاومة، وفي الفصل الثامن المكرس لتحليل «أشكال المقاومة» (معدلات المقاومة widerstandsraten) يكرر كلاوزفيتز أنَّ حرب المقاومة الشعبية قد أصبحت الشكل الأكثر قوة في الحرب المعاصرة. كانت المقاومة الإسبانية بمنزلة إشارة إلى قوة جديدة وحقبة جديدة في تاريخ الحرب، ألا وهي حقبة العنف الإمبراطوري والمقاومة ضده، وهي حقبة ترتبط ارتباطاً عضوياً مع أولوية المُسيّس التي يناقشها كلاوزفيتز بشكل مستفيض جداً في المجلدين الأول والثامن من كتاب «في الحرب».

وفي الفصل السادس ب من المجلد الثامن من (في الحرب) الذي يحمل عنوان «الحرب هي أداة السياسة» يعرض كلاوزفيتز «فكرة تنظيمية» كانطية لو لاها ما كان لمفهو مات الحرب والسلام المتباينة أن تتوحد: «إن الحرب جزء من الفعل السياسي، وهي فعل غير مكتفٍ ذاتياً بأي حال من الأحول»، أو بالأحرى إن الحرب هي «استمرار للعمل السياسي من خلال امتزاجها مع وسائل أخرى» (Clausewitz ۲۰۱۰, ٥٩١)، إذ ليس للسياسة والحرب المكانة نفسها في هذا الافتراض، فالحرب تقريب لـ «منطق» أو فكر السياسة، أي إنها نظيرتها، لكن يُعبَّر عنها بـ «كتابة مختلفة وكلام مختلف»، «فلنعترف أن للحرب قواعدها الخاصة، لكن ليس لها منطقها الخاص» (Clausewitz ۲۰۱۰, 09۱)، فقد يُعبّر عن قوانين الحرب والسلم بوساطة المنطق، لكن الحرب هي التحقيق القواعدي لهذا المنطق، أي إنها فعليتها كحدث، ويدعى كلاوزفيتز أن السياسة هي كلُّ وأن الحرب ما هي إلا جزء منه. إن نتيجة هذه التورية metonymy هي صورة ذهنية مشوهة anamorphosis تحوّلُ فيها السياسة «عنصر الحرب الكاسح إلى مجرّد وسيلة»، أي إنها تحوّل الحدث العنيف إلى حساب منطقى، حيث يصبح سيف الحرب القاتل الذي «ترفعه كلتا اليدين بكل القوة الجسدية»، خنجراً أو شفرة المبارزة للمنطق والسياسة». إن الحرب تجسّد فعلياً المنطق السياسي وتلتزم في الوقت نفسه بقواعدها الخاصة، فهي تتمة للسياسة، أي إنها تبديل للقلم بالسيف ولنوع من التعبير العنيف بنوع آخر.

إن الحرب بوصفها وسيلة استمرار، أو تحقيق للمنطق السياسي، تهدد بإحلال نفسها محل السياسة التي عليها أن تخدمها: «فبقدر ما تكون السياسة هائلة وأكثر قوة بقدر ما تكون الحرب كذلك أيضاً، وهذه يمكن أن تصل إلى

ارتفاعات شاهقة حيث تتخذ الحرب شكلها المطلق» (Clausewitz ۲۰۱۰,) ٥٩٣)، وحقًّا إن لفكرة الحرب المطلقة التي غالباً ما تُفهم على أنها تقريب للحرب من فكرتها الأفلاطونية «١٠ Platonic معنىٌ مختلفاً غير أفلاطوني، فهي تحقيق للسياسة التي بشكلها المطلق لم تعد سياسة، بل هي مزيج من السياسة والحرب وَصَفه كل من فريليو (١٠٠) وجبر ار (٢٠٠) على نحو قيامي apocalyptically وصوّره غویا بأنه عملاق Lecaldamo, ۸۸) colossus). إن كلاوزفيتز يفكّر بشكل خاص في أثر الطاقات التي تطلقها السياسة الثورية على شدة الحرب، فالحرب في رأيه تعبير قواعدي، وهي لا تمتلك جوهراً مثالياً، وفي حين إن لتعبيرها درجات من الحدة - من الحد الأدنى إلى الحد الأقصى - فإن فهم هذه الدرجات لا يتم بحسب مستويات المشاركة في فكرة، بل بوصفها درجات من التحقيق، فالحرب المطلقة هي التعبير الأكثر حدة عن المنطق السياسي الثوري، أي إنها تحقيقه الأكمل، ويقوم كلاوزفيتز باستعمال كلمة «طاقة» بمعناها الكلاسيكي الأرسطي "Aristotelian ما قبل الديناميكي الحراري pre-thermodynamic كي يصف هذا التحقيق، فالحرب تحقيقٌ لمنطق سياسي أو تجسيد له في حدث، بدرجات متفاوتة من الحدة، يصفها

⁽١٨) نسبة إلى أفلاطون (٤٢٧ -٣٤٧ ق م)، Plato الفيلسوف والكاتب اليوناني الكلاسيكي المشهور [المترجم].

⁽١٩) الإشارة هنا إلى بول فيريليو (المولود عام ١٩٣٢) Paul Virilio وهو منظّر ثقافي فرنسي مشهور بكتاباته عن التكنولوجيا [المترجم].

⁽٢٠) الإشارة هنا إلى رينه جيرار (١٩٢٣-١٠١٥) René Girard، وهو فيلسوف وناقد ومؤرخ فرنسي مشهور [المترجم].

⁽٢١) نسبة إلى أُرِسْطُو (٣٢٢-٣٨٤ ق .م) Aristotle الفيلسوف اليوناني الكلاسيكي المشهور [المترجم].

صاحب كتاب «في الحرب» على أساس الطاقة، أو المقدرة على توليد أحداث أو مقاومة توليدها.

يفشي كلاوزفيتز - بعد قيامه بسلسلة من التغيرات في موضوع الحرب والسياسة - الحدث التاريخي الذي استدعى ابتداعه لإطار مفاهيمي جديد من أجل فهم هذه العلاقة، ألا وهو الثورة الفرنسية، ففي مقطوعة ذات وضوح استثنائي يبين كلاوزفيتز أنه «من الواضح أن التأثيرات الهائلة (ungeheueren Wirkungen) للثورة الفرنسية في الخارج تعود إلى حالة الإدارة وفنها المتغيرين تماماً، أكثر مما تعود إلى الوسائط والمنظورات الجديدة لقيادتها العسكرية، أي إنها تعود إلى طبيعة النظام ووضع الشعب» لقيادتها العسكرية، أي إنها تعود إلى طبيعة النظام ووضع الشعب» تفهم هذا المستجد، فردت بطرائق تقليدية على عدو جديد، وهذا أمر ضروري بالنسبة إلى كلاوزفيتز وإن فُهم مُسبقاً العدو «فلسفياً»، بها أن الجديدة التي أطلقتها الأمة المسلّحة، وقواعدها الجديدة للحرب.

إن فن الحرب الجديد الذي «قرّب (الحرب) من شكلها المطلق» أو من شدتها القصوى كان ممكناً فحسب بعد أن ظهر المُسيّس (politik) الجديد في فرنسا وأوروبا» (Clausewitz ۲۰۱۰, ۵۹۷). ويواصل كلاوزفيتز قائلاً: إن «هذا المُسيّس الجديد» استدعى «وسائل جديدة وقوى جديدة وأفسح المجال أمام طاقة من الحرب لولاه ما كان ممكنناً تخيلها» (Clausewitz, ۲۰۱۰, ۵۹۷)

("". فالتغيير في ظروف الإمكان السياسية (politik) أو «السيس") أفسح المجال أمام حدوث تحقيق للحرب لم يكن التفكير فيه ممكناً سابقاً، وهو تغيير جرف جانباً الحروب المحدودة مكانياً وزمانياً التي حققت السياسات ما قبل الثورية. إن هذا التكثيف للحرب، وهو تكثيف يقترب من حد الحرب المطلقة يتميز بمقدرته على تصعيد حدة العنف إلى ما يتعدى حدود المنطق السياسي، ففي الفصل الافتتاحي من كتاب «في الحرب» الذي قد يكون آخر فصل كُتب فيه، يتأمل كلاوزفيتز احتمالية منطق سياسي (الثورة) قادر على تحقيق طاقة عسكرية ذات كثافة تكفي كي تستنزف المسيس نفسه و تدمره، وهذه نقلة تتجسد بالنسبة إليه في التحول من فرنسا الثورية إلى فرنسا الإمبراطورية.

تقف كثيرٌ من القراءات لـ كلاوزفيتز عند هذه النقطة، وترى موضوعه النظري بأنه يقتصر على الشكل السياسي «للدولة – الأمة» وعلى الكثافة القصوى لحربها. هذا هو كلاوفيتز الطاقة energeia العسكرية القادرة على جذب المنطق السياسي نحو تصعيد للعنف مدمر ذاتياً وموجه ضد عدوه ونفسه، فلقد أغوت إمكانية التصعيد إستراتيجيي ما بعد الحرب الذرية، ومنظري الألعاب لدى الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، وفي الحال أثارت محاولات ريموند أرون المذعورة في التنظير للأساس السياسي، للحد من التسلح، بوساطة إخضاع متجدد لقواعد التنظير للأساس السياسي، للحد من التسلح، بوساطة إخضاع متجدد لقواعد

⁽٢٢) إن ترجمة باريت وهاوارد Paret and Howard عند هذه النقطة هي تعقيب أكثر مما هي ترجمة، وإنْ كانت تعقيباً جيداً، إذ إن السياسة politik تصبح «أوضاعاً سياسية» والطاقة Energie تصبح «درجة من الطاقة».

⁽۲۳) ريمون آرون (۱۹۰۵ –۱۹۸۳) Raymond Aron (۱۹۸۳ –۱۹۸۰) هو فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي [المترجم].

تصعيد المنطق السياسي، إضافة إلى حملقة رينيه جيرار René Girard القيامية عمود المنطق السياسي، إضافة إلى حملقة رينيه جيرار apocalyptic. ومع ذلك سبق أن تجاوز كلاوزفيتز الحرب النابليونية في كتاب «في الحرب» كي يفكر في حروب المقاومة الجديدة ضدها، وقبل كل شيء في الحرب الصغيرة أو حرب العصابات التي شنّها الإسبان ضد الفرنسيين التي كانت نوعاً من أنواع القتال الذي تجنب إغواء التصعيد أو إغراء محاولة معارضة العدو النابليوني باستخدام وسائل نابليونية، إذ يمكن قراءة كتاب «في الحرب» بوصفه أطروحة في المضامين السياسية لإستراتيجية المقاومة التي تطرح منطقاً سياسياً جديداً وقواعد عسكرية جديدة في آن واحد معاً، ومن ثم تطرح طرائق جديدة في التفكير في العلاقة بينها.

وبهذه الخطوة يبقى كلاوزفيتز أميناً لمنهجه: فالمجتمعات التي تقاوم الثورة ابتدعت أشكالاً جديدة من قواعد القتال المقاوم، ولكن برزت صعوبة بشأن الكيفية التي يمكن بوساطتها من الناحية النظرية تمثيل قواعد جديدة لقتال العصابات ومضامينها بالنسبة إلى المنطق السياسي (۱۲۰ جرى تطويع الأدوات الفلسفية الموروثة عن كانط وفيخته وقبل كل شيء عن هيغل لمنطق الثورة السياسي ورؤيته للحرية بأنها استقلال ذاتي له حق منح القوانين لنفسه. فمنذ روسو (۱۲۰ اكتسبت القوانين شرعيتها بوصفها قوانيننا التي منحناها

⁽٢٤) قارب كلاوزفيتز بداية مشكلة تنظير المقاومة عبر محاضراته في أكاديمية برلين العسكرية petit عن العقيدة العسكرية السائدة للحرب الصغيرة Berlin Military Academy أو للملحق غير النظامي للصراع الحربي النظامي والصفات المميزة لحرب الجبال.

⁽٢٥) الإشارة هنا إلى جان جاك روسو (١٧١٢–١٧٧٨) Jean-Jacques Rousseau، وهو فيلسوف وكاتب فرنسي مشهور بكتاباته التي كوَّنت الأحداث السياسية التي مهدت للثورة الفرنسية [المترجم].

لأنفسنا، والتي سيكون فعلياً من الحياقة معارضتها، وقد تبنى كانط هذا المنطق في مقدمة كتاب «نقد العقل الخالص» Critique of Pure Reason عندما ميّز بشكل مشهور «العصر النقدي» من المؤسسات الاستبدادية والبدوية وأنظمتها الفلسفية، وذلك أساساً من خلال تشكيله «محكمة نقدية» منحت نفسها قوانين، في الوقت الذي كانت تقيّم الدعاوى التي تُعرض أمامها. إن هذا المنطق السياسي كان بالنسبة إلى كلاوزفيتز غير قادر على استيعاب العنف الذي كان هو نفسه قد حققه، إضافةً إلى عنف رفضه، على الرغم من كل الميزات التي أعطاها للاستقلالية والعقل. لقد كان كلاوزفيتز واعياً أن ديونه الفلسفية لكانط وفيخته وضعته مثل هيغل في موقع قوي كي يفهم المنطق السياسي كانط وفيخته وضعته مثل هيغل في موقع قوي كي يفهم المنطق السياسي المتحقق في الحرب النابليونية العدوانية، لكنه لم يفهم قواعد العنف الذي قاومها، إذ إن أي مقاومة ضد العنف الذي حققه، يمكن أن تبدو على ضوء الالتزام بمنطق سياسي للحرية والاستقلال كأنها مجرد هماقة عرضية، وغير عقلانية في مواجهة حتمية لتحقيق العقل والحرية في التاريخ.

إن كتاب كلاوزفيتز «في الحرب» يجد نفسه في المعضلة نفسها التي وجدت نفسها فيها منقوشات «كوارث الحرب» لدى غويا، وهي تحديداً وجوب إظهار شكل جديد من العنف والعمل الحربي. لم تكن المسألة فحسب مسألة وصف أو تحليل لوحش أو لعملاق الحرب النابليونية الذي قام غويا بتصوير مجازي لتصعيده للعنف الذاتي الاستهلاك على هيئة مارد Saturn زحل (إله عند الرومان) يلتهم أطفاله أو وحش يجول الأرض (")، لكنها كانت أيضاً وصفاً

⁽١) إن لوحة التمثال الضخم أو العملاق تتمم «كوارث الحرب»، لكن كما يؤكد تودوروف تودوروف في قراءته لـ غويا، فمن غير الواضح فيما إذا كانت تمثل الشعب الإسباني أو

للمقاومة ولأهوال حرب العصابات، حيث إن منقوشات غويا تبتكر لغة جديدة ذات كثافة ملائمة للتعبير عن هذه الحرب الجديدة المرعبة، كما أن تلاشي الفرق بين المدني والعسكري المتمثل بالأمة المسلحة لاقى مقاومة أكدته من خلال عدم الاعتراف بأي فرق بين العدو المدني والعسكري.

إن مجازر أو «كوارث الحرب» العائدة لغويا هي تمارين في الكارثة الأخلاقية تُظهر سلوك الحرب الجديدة بين قوات المناصرين والقوات النابليونية، إذ يقوم أشخاص يلبسون البزة الرسمية بإعدام أشخاص مدنيين كما في الصورة الثانية من السلسلة التي تحمل الشعار con razón o sin ella كما في الصورة الثانية من السلسلة التي تحمل المناصرون المقاومون جنوداً برسبب أو من دون سبب)، في حين يقتل المناصرون المقاومون جنوداً يرتدون البزة العسكرية بوساطة بلطة وخنجر في المنقوشة الثالثة المتممة ذات الشعار no mismo (الشيء نفسه) (()، ويُؤكَّد على تداعي الفرق بين المدني والجندي في الصورة الخامسة التي تُظهر أمّاً مع طفل منهمكة بعمل غير أمومي، حيث إنها تطعن جندياً معادياً بل مصاباً في المكان نفسه مثل المسيح، عندما طعنه القائد الروماني في أثناء الصلب. تقتل الأم ويصبح الجندي العدو شهيداً مثل المسيح أو الابن المهجور لأمّ أخرى، وتحصل إعادة التقييم لكل تلك القيم فوق العنوان son fieras (إنهم فخورون)، فالصور مثل المنقوشة ٣٦ ذات الجندي المتأمل بمدني مشنوق (التي أعاد رسمها تشابهان

نابليون أو إله الحرب أو جميع هؤلاء (Todorov ۲۰۱۱, ۱٦٩)، إذ يمكن أيضاً رؤية «المارد يلتهم أطفاله» بوصفها حكاية رمزية لفعلية تستهلك الاحتمال.

⁽١) إن بعض الصور التي ظهرت من المقاومة الكريتانية Cretan في أثناء الحرب العالمية الثانية تحمل شبهاً غريباً مع بعض الكوارث. انظر كوكوناس ٢٠٠٤.

برزورز "بشكل مؤثر جداً") تُظهر أهمية جمالية الإرهاب وعرض الرعب في تحقيق الشكل الجديد من الحرب، أي الشكل الذي استخدم «الإرهاب»، أو القوة المعنوية إضافة إلى القوة الجسدية.

إن شعارات غويا والحفاظ على الوضوح في وجهة الصور من اليسار إلى اليمين، يؤكدان على محاولته أن يُبرز معنى المناظر المرعبة التي أحدثتها حرب المقاومة. تحضّر الصورة الأولى من السلسلة لهذا المشروع من خلال عنوانها «تصويرات حزينة لما سيأتي»، وذلك بإشارتها ليس إلى الصور من هذه الحرب وحسب، بل أيضاً إلى تلك الصور من الحروب الجديدة الأكثر فظاعة في الأفق، وبين الفينة والأخرى يتلاشى تماماً تجانس توجه الصورة ووضحها كما في اللوحة ٣٠ المحيّرة كلياً التي وصفها تودوروف "بأنها «الأكثر غرابة» في «كوارث الحرب»، والتي يبدو أنها تلتقط لحظة انفجار قذيفة في بيئة منزلية ". إن تشوش كل الأماكن المألوفة وعدم الأمان الكلي قذيفة في بيئة منزلية ". إن تشوش كل الأماكن المألوفة وعدم الأمان الكلي

⁽۱) المقصود هنا جاك (المولود عام ١٩٦٦) Jake ودينوس تشابيان (المولود عام ١٩٦٢) وهما فنانان إنكليزيان يُعرفان باسم الأخوين تشابيان Chapman Brothers [المترجم].

Jake and Dinos Chapman, Like aشه قیئه» Dog Returns to its Vomit (cat.) White Cube ۲۰۰۵, ۳۵.

⁽٣) الإشارة هنا إلى تزفيتان تودوروف (١٩٣٩) Tzvetan Todorov، وهو فيلسوف ومؤرخ وناقد فرنسي من أصل بلغاري [المترجم].

⁽٤) تؤكد قراءة توديروف لتشويش الصورة المكاني والزماني تلاشي الفرق بين السكان المدنيين والعسكريين: «هل أثر قذيفة المدفع هو الذي دمر البيت؟... لم تقع المجزرة بحق البشر فحسب، بل إنها وقعت أيضاً بحق المكان الذي يقطنون فيه... بل أيضاً وقعت بحق الأماكن التي عاش فيها الرسام ومشاهدو الصورة» (٢٠١١, ١٥٥).

الذي يجلبه ذلك يجسد محاولة غويا وصف «ويلات الحرب»، ففي هذه المحاولة يتولى غويا إبراز اصطدام اثنين من القواعد المستجدة للحرب الشعبية، أي الأمة المسلحة الثورية/ الإمبراطورية وأمة المقاومة المسلحة، في حين أن شهادته اعتمدت على التجربة المباشرة للغزو ومقاومة حرب العصابات – أضاف إلى اثنتين من رسوماته «رأيت ذلك» – فإن تودوروف محق في تأكيده أن صور «كوارث الحرب» هي محاولة للتفكير بصرياً بشأن «النتائج القاتلة» للحرب وللتعبير عن التلميح الذي يتشاركه مع كلاوزفيتز، ألا وهو أن شيئاً جديداً وفظيعاً قد وُلد مع هذه الحرب أكثر مما هو توقع لربورتاج الحرب".

١-٢- نقد المقاومة الخالصة:

في الوقت نفسه الذي كان فيه غويا يرسم الشكل الناشئ للحرب الدائرة أمام عينيه ونتائجها كان كلاوزفيتز يراقب ويفكر ملياً بشأن

⁽۱) انظر مقدمة كتاب «المُفكّر غويا» Goya Penseur من أجل معرفة رؤية تودوروف لمحاولة غويا التفكير بالرسم، أي معرفة «ثورته البصرية» التي سمحت له أن يُجسّد في الرسم الصور الجديدة التي حرضتها المقاومة ضد نابليون، لكن مسألة ما إذا كانت الرسومات الأولية والقليلة المتبقية تعتمد على الدليل البيّن، بقيت مسألة دون حل، إذ إن تلك الرسومات تبدو كأنها دراسات محددة لتضاد الظل والضوء في الرسومات مع استثناءات محتملة مثل الرسم التحضيري للصورة ۱۱ (Lecaldano, ۳۱). وفي هذا الصدد إن اسكيتشات sketches الرسمة ۷ ذات أهمية خاصة، لأنها تبدو وكأنها تنتقل من رسم سريع جداً إلى (إسكيتش) رسم إجمالي تحضيري للصورة، ومع ذلك فإن هذه اللوحة هي واحدة من اللوحات القليلة لحادث تاريخي محدد – حادثة من حصار ساراغوسا Saragossa – التي من غير المحتمل أن غويا قد شاهدها شخصياً (Lecaldano, ۲۳).

الدروس المستقاة من الأحداث في إسبانيا، ففي شباط/ فبراير عام ١٨١٢ عندما كان قريباً من المصلحين البروسيين اختار شكل «مذكرة اعتراف» Bekenntnisdenkschrift أو «مجاهرة بالإيان» Profession of Faith بغية الإفصاح عما كان قد تعلمه من المقاومة الإسبانية بشأن إستراتيجيات مقاومة العنف النابليوني. تفيد أول مجاهرة أن الخضوع للهيمنة النابليونية على شكل «أمل ظاهري في الخلاص على يد القدر «chance» أو «الأمل بالمستقبل» أو محاولة تجنب إثارة «حنق الطاغبة» سوف «يكسر قوة الأجبال القادمة ويقوّضها» (Clausewitz 1977, 7۸۹)، ومن ثمَّ سوف يقوّض بقاء المقدرة على المقاومة في حين تبدو المجاهرة الثانية تناشد الأمير والشعب کی پشنان «مقاومة قصوی وشجاعة» (Clausewitz ۱۹٦٦, ۷۰۳-٤). ومن المدهش أن هذه المقاومة أُعلنت على الرغم من الصعوبات الهائلة كبادرة لم يكن بالضرورة متوقعاً لها أن تنجح على المدى القريب، وإن وجب رؤية «هذه المقاومة (widerstand) كوسيلة أخيرة ووحيدة للخلاص» (Clausewitz ۱۹٦٦, ۷۰٤). فالمقاومة نفسها تبقى أولية، وهي تُعطى في البداية صفات قيامية لكن كلاوزفيتز يتحوّل في الشهادة الثالثة إلى الاعتبارات الحسية الإستراتيجية لشن الحرب الشعبية مع الإبقاء على النظام الملكي. كما تقدم الشهادة الثالثة جرداً للمقدرة المادية البروسية على المقاومة، وذلك عند الاستشهاد بالسوابق الأخلاقية والإستراتيجية للنفير العام landsturm في تيرول (وفيندي وإسبانيا الله على السوابق السوابق

⁽١) تيرول Tyrol اسم ولاية نمساوية [المترجم].

⁽٢) كان هذا النص مهماً، ولا سيما بالنسبة إلى قراءة شميت Schmitt لـ كلاوزفيتز وتنقيحه لـ «مفهوم المُسيّس» The Concept of the Political نحو نظرية المناصر partisan العالمي.

بإعجاب كبير ولا يبالي بالدرس الذي أعطته في منطق التصعيد الإرهاب: «دعونا نرد على الإرهاب بالإرهاب وعلى العنف بالعنف. سيكون من السهل علينا أن نزايد على العدو ونعيده إلى حدود الاعتدال والإنسانية» (Clausewitz, 1977, VT). يدافع كلاوزفيتز عن هذا «التلميح الكئيب» إلى منطق العنف المتصاعد الذي يجلله لاحقاً في كتاب «في الحرب» مبيناً أنه على المدافعين في حالة المقاومة القصوى أو المطلقة أن يتفوقوا دوماً على مهاجميهم في استعدادهم لتصعيد العنف والإرهاب، وذلك لأنه ليس لديهم ما يخسرونه، لكن حتى هنا يخفف من هذا الاحتال من خلال قناعته أنه بإمكان الحكومة أو الملك السيطرة على إرهاب الحرب الشعبية، وفي النهاية وضعه تحت السيطرة السياسية أو الدبلوماسية.

إن هذه الرؤية للحرب بوصفها تتضمن تصعيداً للإرهاب، أو للعنف المعنوي، هي رؤية بعيدة البعد كلّه عن الحرب الاحترافية للنظام القديم، وهي ترد على العنف الذي أطلقته الجيوش الثورية والنابليونية، فقد تقوضت حرب النظام القديم التي كانت تشبه حركة جماهير متواطئة متراصة ومصممة بعناية عبر ما وصفه كلاوزفيتز في كتاب «في الحرب» مجمات الجيوش الثورية السائلة الشبيهة بالأمواج (۱۰)، كما أن غويا يُظهر في

⁽۱) ينقل أرون Aron إعجاب كلاوزفيتز عام ۱۸۰۹ بالإسبانيين الذين علقوا في حرب عصابات مع نصف الجيش النابليوني (١٩٧٦ه, ٥٤)، وقد لاحظ كلاوزفيتز ذلك بنفسه قائلاً: «هكذا هي الحال في إسبانيا، إذ إن نصف قوات الفرنسيين أصبحت في إسبانيا، قائلاً: «هكذا هي وجه التحديد... وهم يقاتلون في معاركهم الرئيسة ضد ويلينغتون Wellington بنحو أربعين ألفاً إلى خمسين ألف رجل. أما جميع من تبقى فيُستخدمون في إبقاء القوات المتمردة بمعزل بعضها عن بعض وفي منع وحدتها». (Clausewitz ١٩٦٦, ٧٣٢)، كما يذكر باريت Paret أن كلاوزفيتز فكّر في الانضهام إلى القوات البريطانية للقتال في

بعض نقوشاته الخاصة بنتائج الحرب البقايا التي تركها طوفان الجيش الثوري العابر، من مبانٍ مدمرة ومحاصيلَ وأكوامٍ من الأجسام المشوهة. كيف يمكن مقاومة مثل هذه القوة التي لا تُقاوم؟ هذا الفيضان من العنف؟ عند تأمله بهذه المسألة في الفصل السادس عشر الموسوم به «عن الشعب المسلح» من الكتاب السادس الذي يحمل عنوان «عن الدفاع» يرد كلاوزفيتز على صورة العنف السائل بواحدة من التبخر والتكثيف، فمن هزيمة الأجسام الصلبة المحتشدة لجيوش النظام القديم على يد الحشد السائل للجيش الثوري تظهر الحرب الشعبية (الحرب الوطنية volkskrieg) المكونة من هجهات عرضية نقطية وتكثيفات مؤقتة لغيمة أو بخار سياسي غير محسوس أي من تحقيق لمقدرة جديدة على المقاومة.

يستهل كلاوزفيتز هذا الفصل حول «الشعب المسلح» بتحديده لهذه الظاهرة السياسية العسكرية في أوروبا بأنها «مظهر من مظاهر القرن التاسع عشر»، ويضعها بأناة في خانة الرد على العنف النابليوني، ويؤكد هذا القرب من الثورة في رده على نقّاد لا يُسميّهم، يعترضون عليه بقولهم: إن تسليح الشعب هو «وسيلة ثورية» تتلازم مع «الفوضي»، ومن ثم فهي تمثّل خطورة داخلية جسيمة على النظام الاجتماعي، بمثل جسامة أي عدو خارجي قد تكون موجهة ضده، وفي إحدى الانتقادات الأولى لمفهوم المقاومة يُضاف

إسبانيا عام ١٨٠٩ عندما بدأ أيضاً بدراسة «إمكانية الثورات الشعبية في كل أنحاء ألمانيا دعماً للجيوش النمساوية» (Paret ٢٠٠٧, ١٤٤). إن هذه الدراسات تضمّنت أوراقاً تتعلق بالحرب الإسبانية والحرب في فيندي Vendée.

إلى هذا الاعتراض السياسي اعتراض إستراتيجي، ألا وهو أن نتائج الحرب الشعبية غير متناسبة مع القوات التي تُفنيها.

يرد كلاوزفيتز على كلا الاعتراضين السياسي والإستراتيجي بإقامته الحجة على أن الحرب الشعبية هي تحقيق لشروط الإمكانات السياسية نفسها التي ولّدتها الحرب النابليونية ويلاحظ أنه «سوف يُنظر بشكل عام إلى الحرب الشعبية على أنها نتيجة كسر عنصر شبه حربي لقيوده القديمة المصطنعة أي على أنها امتداد وتكثيف لعملية من التخمير ندعوها الحرب» (Clausewitz ۲۰۱۰, ٤٦٠)، فالحرب الشعبية تكثّف وتسرّع تلاشي الفرق بين المجتمع المدنى والمجتمع العسكري الذي افتتحته الثورة وتصل إلى درجة من الكثافة تكفى لتبخير العنصر السائل للحرب - أي إلى «تكثيف عنصر الحرب في الإنسانية» (Clausewitz ۲۰۱۰, ٤٦١)، ويترك كلازفيتز مسألة ما إذا كانت هذه العملية مرغوبة «بالنسبة إلى الفلاسفة»، ويقبل تثوير revolutionizing المجتمع كحقيقة سياسية لها - فعلياً - نتائج لا تحصى على قواعد الحرب، وإن جوابه الجاف عن الاعتراضات ضد الحرب الشعبية الموجود في «مذكرة اعتراف» Bekenntnisdenkschrift بقدر ما هو موجود أيضاً في كتاب «في الحرب» هو أن الثورة قد حصلت مُسبقاً وأن الحرب الشعبية نتيجة لها وليست سببها، وأخبراً إنها ظاهرة - أي هي تحقيق لكثافة عنف جديدة - لا يمكن إخضاعها لحساب تفاضل وتكامل عسكريين تقليديين كما لا يمكن فهمها وفقاً لقو اعده البائدة.

ما إن وجه كلاوزفيتز انتباهه إلى هذا الشكل الجديد من الحرب حتى قرنه مع المقاومة، وتظهر عقيدة المقاومة بوصفها جزءاً من الكتاب السادس عن

«الدفاع» في سياق موقف كلاوزفيتز المتضمن أن الدفاع يُفضّل على الهجوم، وهو موقف حيّر كثيراً من قرائه في القرن التاسع عشر الذين لم يدركوا تماماً أن كلاوزفيتز وببساطة لم يكن ينظّر للحرب الهجومية النابليونية، بل إنه كان أيضاً يُنظّر لتكثيفها في حرب مقاومة شعبية. إنه يطرح مسائل جديدة تلائم قواعد جديدة للحرب إذ لم نعد نسأل: ما الثمن الذي تدفعه المقاومة التي يشنها الشعب بأكمله والسلاح في اليد؟ بل إننا نسأل: ما الأثر الذي يمكن أن يكون لتلك المقاومة وما هي شروطها، وكيف تُنفَّذ؟ (٢٠١٠, ٤٠١) إن هذه الأسئلة الجديدة هي التي تتوجه إلى الحركات والمفكرين الراديكاليين الأكثر شهرة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وهم لينين وماو تسي تونغ وتشي غيفارا، الذين رأوا أيضاً أن الثورة واقعة تكثيفية، أي إنها حدث محتوم يحقق نفسه في تكثيفات لا يمكن التنبؤ بها.

وفي محاولته الإجابة عن هذه التساؤلات يجد كلاوزفيتز نفسه مضطراً إلى التفكير، ليس بها يتعدى فيزياء الأجسام الصلبة المتعارضة بديهياً بالنسبة إلى العقيدة العسكرية التقليدية فحسب، وإنها بها يتعدى الجسم العسكري السائل للثورة أيضاً، ويبدأ بمعضلة وصف فاعلية المقاومة بالقول: «من الواضح أن مقاومة منتشرة جداً هي مقاومة غير مؤهلة لتحقيق تأثير الضربات الرئيسة المركزة في الفضاء والزمان» (۲۰۱۰, ٤٦١)، ويجب مقارنة تحقيق الحرب الشعبية مع «عملية التبخر الفيزيائية»، بدلاً من وجودها المحسوس بشكل صلب أو سائل (۲۰۱۰, ٤٦١). في أغلب الأحوال لم يُتطرَّق إلى استخدام كلاوزفيتز مبدأ العناصر الأربعة، لكن يوجد هناك اصطفاف مستمر للحرب مع النار، مع قياس للتعبير عن

حدتها؛ على أساس الدرجة الأدنى للهادة الصلبة (الأرض)، والدرجة المتوسطة للهادة السائلة (الماء)، والدرجة القصوى للتبخر (الهواء). إن الحرب المطلقة – أي درجتها الأكثر حدة على هذا المقياس – هي العنف المتبخر للحرب الشعبية من كها أن تحقيقات العنف في هذه الحرب عالية الكثافة هي تحقيقات نقطية وتآكلية يسري مفعولها في تكرار هجهات صغيرة متراكمة تمتد في الفضاء وتطول في الزمان كها تتكثف وتتبخر. إن حرباً كهذه تدمر أساسات جيوش العدو مثل فيض جارف، وبها أن النجاح يتطلب وقتا فإن حالة من التوتر تنشأ في وقت يؤثر كلا العنصرين بعضهها في بعض. إنها حالة يمكن أن تُحسم تدريجياً إذا أُخدت الحرب الشعبية في نقطة ما، وأشعلت تدريجياً في نقطة أخرى، أو أن تقود إلى أزمة عندما ينزل لهيب الحريق العام على جيش العدو... (Clausewitz ۲۰۱۰, ٤٦٢).

من الواضح أن مصير جيش نابليون في إسبانيا وروسيا كان في صدارة تفكير كلاوزفيتز، لكن المثال الأخير يقوده في حالة الحرب الأوروبية إلى كبح نادر لتفكيره في إخضاع قواعد العنف الجديدة إلى المنطق السياسي الراهن، أي المنطق الذي يمكن فيه تصور أن تُضاف الحرب الشعبية إلى الجيش النظامي.

يسود تضارب في نقاش كلاوزفيتز، وهو تضارب يُعبَّر عنه في محاولة صفّ الحرب الشعبة مع الحرب التقليدية، في الوقت نفسه الذي تُثمِّن فيه وفقاً لشر وطها، بوصفها تكثيفاً جديداً للعنف، وبحسب التوصيف الأخير

⁽١) يصف هاوارد بشكل رائع (٢٠٠٢, ١٥-٩) Howard الفروق بين حروب الأنظمة القديمة والأنظمة والثورية.

فإن كلاوزفيتز يمتلك بصيرة في تحليله للصعوبات الخاصة التي تواجه الحرب الشعبية:

وفقاً لتصويرنا للحرب الشعبية، فإنها يجب أن تكون كائناً ضبابياً، أو شبيهاً بغيمة، لا يسمح لنفسه أبداً أن يتركز في جسم مقاومة، وإلا فإن العدو سوف يستخدم القوة المناسبة ضد هذه النواة ويدمرها، ويأخذ عدداً من السجناء، وهكذا سوف تنخفض المعنويات وسوف يفترض الجميع أن المسألة الرئيسة جرى البت فيها وليس هناك فائدة تُرجى من أي مجهود إضافي، وسوف تخرج الأسلحة من أيدي الناس (٢٠١٠,٤٦٤).

يجب على إستراتيجيي الحرب الشعبية أن يحافظوا على حالتها السديمية وأن يقاوموا إغراء اتخاذها الشكل الصلب والدخول في صراع تقليدي، لكن بغية نجاحها لا يمكن لها أن تبقى معلقة في الهواء: «لكن من الضروري من جهة أخرى أن يتركز هذا الضباب في نقاط وأشكال معينة تهدد الغيوم التي يمكن أن تنبعث منها صواعق ولمع» (Clausewitz ۲۰۱۰, ٤٦٤) "، ويجب على نقاط

⁽۲) إن فهم حرب العصابات المقاومة لجهة حرارة التبخر أثّر في نظرية تي. إي. لورنس T. E. للمعاومة المسلحة وممارسته لها في أثناء «الثورة العربية»، إذ إن مقالته الموسومة برعلم حرب العصابات» تستخدم نظرية العنف المتبخّر، والمكثف لدى كلاوزفيتز في مواجهة شكليه الصلب والسائل، بدلاً من رؤية العرب كجيش نظامي: «افترضْ أن لهم تأثيراً، أي إنهم كانوا شيئاً منيعاً غير محسوس دون مقدمة أو مؤخرة، يطوفون كالغاز؟ كانت الجيوش مثل النباتات ثابتة بشكل عام، وذات جذور راسخة تتغذى عبر الجذوع حتى القمة، قد يكون العرب مثل البخار يهبون حيث يُحشرون» (۲۰ ، Lawrence, ۲۰). كان لورانس أول من أدرك أن «في الحرب» لم يكن دفاعاً عن الحرب النابليونية السائلة ضد جيوش النظام القديم الصلبة والمحتشدة، بل إنه كان نظرية لحرب عصابات مقاومة متبخرة ضد الابتكارات النابليونية على مستوى حركة الحياة ومعركتها وتكلفتها. إن

التركيز هذه ألّا تكون موجودة باستمرار فحسب، وأن تتجلى في فترات متقطعة وغير متوقعة، بل يجب عليها أيضاً أن تظهر حيث هي غير متوقعة، ثم تختفي دون أن تشتبك أبداً في مواجهة أمامية مع العدو، فالمقاومة تتأتى بوساطة التهديد والمفاجأة والظهور والاختفاء غير المتوقعين، وتحديداً عبر رفض قبول القواعد العسكرية للعدو (٣) وهكذا فإن العنف يُوجَّه ضد هوامش العدو، فحرب المقاومة لا تسعى إلى الحصول على أرض، لكنها تسعى إلى جعل تمسك العدو بها مكلفاً مادياً وبشرياً، مع القيام بهجهات على نظام الاتصالات والجسور والممرات والمعابر، من أجل خرق خطوط العدو والتخلي عنها عند حصول هجوم معاكس، ونقل نقطة التكثيف إلى مكان آخر غير متوقع، ويتنبأ كلاوزفيتز بخطأ حروب العصابات المستقبلية كلها (بها فيها الحرب البولندية في بداية الحرب العالمية الثانية والفرنسية في وسطها) عندما يحذّر قوات المقاومة من مغبة الحرب العالمية الثانية والفرنسية وأخير يحشرها في وضعية دفاعية وفي الوقوع في الصدة» (Clausewitz ۲۰۱۰, ٤٦٥).

حرب العصابات لم تكن تخضع لمبدأ هرمي، لكنها حققت عنفاً يتميز بالابتكار وعدم التوقع وتجنب المعركة مع تفضيل لتخريب البنية التحتية العسكرية والحفاظ على الحياة: «إن هلاك جسر أو قطار تركي وآلة أو بندقية أو قنبلة عالية التفجير كان أكثر منفعة من موت تركي. وعلى نحو مساو كان الجيش العربي عندها مقتصداً تماماً في الرجال والمواد: في الرجال لأنهم لم يكونوا في وحدات، بها أنهم كانوا غير نظاميين، بل أفراداً، كها أن الخسارة الفردية هي مثل حصاة أُلقيت في الماء: كل واحدة قد تحدث فجوة وجيزة فحسب، لكن حلقات الحزن تتسع منها» (٢٢-٤).

⁽٣) تعود استعارة التكثيف والبرق وتظهر في استحضار نيتشه لـ«الرجل الخارق» Overman في مقدمة «هكذا تكلم زارادشت» Thus Sapke Zarathustra، وهي نقطة من نقاط تقارب كثيرة بين المفكرين.

يقدم كلاوزفيتز أوسع تأمل له بشأن إستراتيجية المقاومة في الفصل الثاني من المجلّد الأول لكتابه «في الحرب» المُعنون بـ«عن الغايات والوسائل في الحرب»، وذلك في نقاشه للـ «المقاومة الخالصة». إن هذا الفصل هو تأمّل في نقيض البديهية القائلة: إن هدف الحرب هو جعل العدو غير قادر على «مزيد من المقاومة»، فها هي إذن المحاسن الإستراتيجية لرؤية هذا الهدف من الجانب الآخر، أي متابعة هدف «الحفاظ» على المقدرة على المقاومة في وجه هجوم العدو؟ وهل إستراتيجية الدفاع أي الحفاظ هي بالفعل شكل فعّال من الهجوم غير المباشر على «المقدرة على المقامة» لدى العدو؟ يشرع كلازفيتز بسلسلة من التأملات الحاذقة في حرب المقاومة من خلال وضعه لها في صيغة «هجوم» مطوّل على موارد العدو المادية والمعنوية ويبيّن أن الوقت جوهري في هذا الشكل من الحرب، إذ إنه من مصلحة المقاومة أن تُطيل الصراع لأطول مدة عكنة. إن «غاية» أو هدف (zweck) حرب المقاومة الخالصة هو فحسب الحفاظ على المقدرة على المقاومة مع مرور الزمن، ومن خلال ذلك إحداث تأكل في الموارد المادية والإرادة السياسية لدى العدو.

وفي مقابل المخططات الإيجابية المعلنة لحملة العدو المتفوق لوجستياً يطرح كلاوزفيتز (أصغر هدف kleinste zweck)، أو الغاية الدنيا للا «المقاومة الخالصة، ألا وهو الصراع من دون هدف إيجابي» (٢٠٠١, ٤٦). يشرع كلاوزفيتز بتحليل طبيعة المقاومة الخالصة ويتبنى واحدة من صيغ كانط الجمالية بخصوص الجمال المتجرّد «من دون هدف» «zweckmässigkeit ohne zweck»، ويتساءل بداية: «إلى أي مدى يمكن لهذا النفي أن يمتد؟» إن النفي الذي يُعتقد هنا أنه غياب الغاية، أو غياب الهدف الإيجابي لا يصل إلى حد «السلبية المطلقة بما أن العاطفة الصرف لم تعد كفاحاً» (Clausewitz ۲۰۰۱, ٤٦). إن هذا التأمل

المُميز في قضية الحالة القصوى الماثل ظاهراً فحسب لتركيز هيغل على النفي هو الذي يسمح له أن يزعم أن نفي المقاومة الخالصة هو مع ذلك «نشاط يمكن بوساطته تدمير كثير من قوات العدو، بما يكفى لجعلها تتخلى عن هدفها» (Clausewitz ۲۰۰۱, ٤٦). إنه نشاط سلبي يهدف إلى تقويض الموارد المادية والمعنوية للعدو، وباختصار فإنه يهدف إلى تقويض مقدرته على شن مقاومة معاكسة فعالة. ثم يؤكد كلاوزفيتز أن قواعد الحرب هذه تتميز بتخليها عن «الفعالية من خلال عمل وحيد» (فعالية في فعل فردي Wirksamkeit im einzelnen Akt) لمصلحة زمن مطوّل أو «استمرارية الصراع». ويتوقع كلاوزفيتز ما دعاه ماو لاحقاً «حرب المقاومة طويلة الأمد»، فربط حرب المقاومة - التي كانت عندها تدعى مقاومة «بحتة» أو «صرفاً» (مجرد مقاومة bloßen Widerstand) - مع قتال من أجل الوقت أو ضده، ينشد الهدف الأدنى المتمثل به «إنهاك» العدو بوساطة الإصرار الصرف، أي بوساطة الحساب السياسي بأن هدفها العسكري المزمع سوف يصبح في المدى البعيد مكلفاً مادياً، ومعنوياً، إلى درجة لا يمكن احتمالها، وبهذه الطريقة تصبح مقدرة العدو على القيام بمقاومة معاكسة مقدرة ضعيفة إلى درجة معدومة (١٠).

مع نهاية الفصل يبدو أن كلاوزفيتز استقر على التفريق بين الحرب الإيجابية - التي تهدف إلى تدمير مقدرة العدو على المقاومة - والحرب

⁽٤) في مقالته «الخزي والمجد: تي. إي. لورانس» Shame and Glory: T. E. Lawrence يتخلى ديلوز Deleuze عن فكرته الافتتاحية الثاقبة بشأن العلاقة بين الغشاوة الإدراكية والثورة العربية البخارية، وتنتهي المقالة باستحضار لورانس وكأنه جان مولان Jean Molin الجزيرة العربية: «يساعدهم لورانس نفسه في تحويل التزاماتهم الضئيلة إلى حرب عصابات وتحرر، وإنْ سقطت الأخيرة عبر الخيانة... (Deleuze, ۱۲٥).

السلبية التي تهدف إلى تآكل تلك المقدرة واستنزافها. وبذلك يصل كلازفيتز إلى رؤية ثاقبة ستعود وتظهر عبر تصنيف نيتشه للمقاومة مع الحقد في كتاب (أصل الأخلاق) Genealogy of Morals:

«لأن المقاومة الصرف تفتقر إلى هدف إيجابي، فهي - من ثمّ-غير قادرة على توجيه قواتنا نحو أهداف أخرى لكنها مُصرّة فحسب (nur bestimmt sien) على تدمير أهداف العدو (٢٠١٠, ٥٢)».

إن التفاعل بين الإيجابي والسلبي بالنسبة إلى كلاورفيتز هو تفاعل تبادلي، وليس دياليكتيكيا، وإذا كان الدياليكتيك والحل الدياليكتيكي يميزان الصراع «الإيجابي» للجيوش المتقابلة والهادفة إلى تحقيق نتيجة بوساطة النفي في المعركة، فإن الإيهاءة «السلبية» للمقاومة الخالصة وهدفها في المحافظة على المقدرة على المقاومة، تقوّض بدلاً من أن تقصى:

إن السعي نحو تدمير قوات العدو هو غاية إيجابية، ويصبو إلى نتائج إيجابية، وفي النهاية إلى الإطاحة بالعدو، كما أن الحفاظ على قوات المرء الخاصة له غاية سلبية ويقود إلى إفشال مآرب العدو، أي إنه مقاومة خالصة يمكن أن يكون هدفها هو فحسب إطالة أمد العملية، ومن ثمَّ استنزاف العدو (Clausewitz Y • 1 • , 0 ۲).

إن هدف استنزاف العدو، عوضاً عن إحراز النصر عبر صراع نابليوني - هيغيلي من أجل الاعتراف، يتحدى ليس قوة العدو وحسب، بل إنه يتحدى أيضاً أسس منطقه العسكري وقواعده الإستراتيجية، فقد استلزم التدفق السائل للجيوش النابليونية تزويداً متواصلاً بالمواد التي يمكن الاستيلاء عليها فحسب من عدو ثابت، وهذا لن ينبثق عن مواجهة

خصم متبخر من العصابات يضمن أقصى درجة من العرقلة للإمداد، من دون أن يحمل أي موارد يمكن بأي حال من الأحوال أن يساعد العدوّ لدى استيلائه عليها.

إن حرب المقاومة الخالصة ليست تفصيلاً في فلسفة الحرب الأوسع لدى كلاوزفيتز، بل هي صلة مفاهيمية جوهرية بين الحرب والسياسة، فحرب المقاومة هي حرب موجهة نحو فصل قواعد الحرب - ذلك النوع من الحرب التي يجب أن تُشن ضد جيش عصابات - عن المنطق السياسي للعدو المفهوم مادياً ومعنوياً، كما أن عدم المقدرة على القتال مثل العصابات يُدخل منطقاً سياسياً واعتبارات سياسية إلى الحلبة تطغى على التقييمات الإستراتيجية والتكتيكية المحضة، وفي حالة الحرب المطوّلة عمداً تجرى ضعضعة مبادرة العدو وتقويض اندفاعتها العسكرية كما يحوَّل مسار الحرب من ميدان المعركة إلى مجال السياسة، فحرب المقاومة تُظهر جلياً ثالوث القوات والمقدرات الذي رآه كلاوزفيتز في نهاية حياته بأنه يشكّل البنية التشريحية للحرب -السياسية الحديثة، إنه ثالوث: الشعب والقائد والسياسي، فقد تشكل عاطفة الناس في زمن الحرب تتمة لشجاعة أو عبقرية القائد في التغلب على حسابات السياسي، لكن إذا ما توسعت الحرب عندها يُعاد تأكيد دور الحساب السياسي - أي ما يدعوه كلاوزفيتز مراراً وتكراراً «التوازن» بين التكلفة والمنفعة، وهكذا فإن حرب المقاومة تُدار بوضوح على كلا المستويين السياسي والعسكري، وهذه رؤية نظرية ثاقبة لدى كلاوزفيتز سيجرى إثباتها عملياً، مراراً وتكراراً خلال الحروب الثورية للقرن العشرين. إن حرب المقاومة طويلة الأمد - المسلحة أو غير المسلحة - الهادفة إلى تعريض موارد العدو المادية والمعنوية للخطر تميّز إستراتيجيتي المقاومة العنيفة واللاعنيفة لدى كل من ماو وغاندى كم سنرى لاحقاً.

أدرك كارل شميت في عمله اللاحق في الستينيات مغزى تحليل كلاوزفيتز للحرب الشعبية، وأدخل مزيداً من التطور عليها في تأملاته بشأن عقيدتى: الحرب الثورية الماركسية-اللينينية والماوية وعقيدة «المقاومة الشاملة» الدفاعية السويسرية، كما أن كتاب «نظرية المناصر» The Theory of the Partisan ومقالته اللاحقة عن كلاوزفيتز يطوّران الأطروحة المتضمنة: أن الحرب الشعبية هي حرب تقترب من درجة حدتها المطلقة، وتلمّح إلى تحقيق عنف يتكثف مع تصعيدها إلى مستوى الحرب الطبقية العالمية، فعلى المستوى العالمي لم يعد باستطاعة الحرب الشعبية الحفاظ على تعبيراتها المتبخرة وغير المتوقعة ضد تحركات جيش نظامي، فتكتيكات التكثيف والمفاجأة لديها تصبح متوقعة وتلجأ ثانية إلى أرض آمنة كما في العقيدة الماوية، وسوف نعود في الفصل الثالث إلى تحليل شميت للمناصر العالمي وإلى رؤيته له ماو زيدونغ بوصفه catechon أي الرادع للحرب المدنية العالمية، إضافة إلى أنه المشرّع لـ «قانون الأرض» الجديد. كان شميت يكتب بعد تجربة قرن ونصف من حروب الثورة والمقاومة، أما بالنسبة إلى كلاوزفيتز فقد كانت قواعد الحرب الثورية والإمبراطورية وفن المقاومة لها ظاهرة جديدة ساعد هو في بدء تفحصها وفهمها، لكن بفعله ذلك أي

⁽٥) كارل شميت (١٨٨٨-١٩٨٥) Carl Schmitt (١٩٨٥-١٨٨٨) هو أحد أهم المفكرين الألمان في القرن العشرين [المترجم].

بتأمله تاريخياً وفلسفياً في الموجة النابليونية من العنف والمقاومة ضده يكون كلاوزفيتز قد غير بشكل أساسي سيناريو الحرب والسياسة الحديثين.

١ -٣- المقاومة ضد الإمبراطورية:

يشير ماركس في مقالة تحمل عنوان «الحقيقة المُثبتة» كتبها لصحيفة نيو يورك ديلي تريبيون New York Daily Tribune عام ١٨٥٩ إلى كلاوزفيتز بأنه ناقد أنموذجي للأيديولوجية، ناقد أدرك من خلال أوهام المنطق السياسي صحة فعلية العنف: «إذا ما جرى التفكير بالهزائم والانتصارات من وجهة نظرة العلم فإنها تبدو في الواقع نقيضاً لصورتها المعكوسة في تفكير القيل والقال السياسي» (Marx and Engels \$70; see also \$ \$ \$). اشترك ماركس وإنجلز في هذه النظرة نحو الخبير الإستراتيجي المجرّد من الأوهام السياسية إلى حد التشاؤم، ففي رسالة إلى ماركس في السابع من كانون الأوّل / ديسمبر عام ١٨٥٨ كتبها إنجلز وهو لا يزال يعيد قراءة كتاب «في الحرب» أشار إلى «طريقة كلاوزفيتز الغريبة في الفلسفة لكن الجيدة في حد ذاتها» وثمّن تشبيهه المتضمن: «أن القتال بالنسبة إلى الحرب هو بمنزلة الدفع النقدى بالنسبة إلى التجارة، وعلى الرغم من ندرة لزوم حصوله فعلياً فإن كل شيء موجه نحوه، وهو سوف يحصل حتماً في النهاية وسوف يثبت بأنه أمر حاسم» (Marx and Engels ۱۹۸۳, ۲٤۲). وافق ماركس وأجاب «إن الزميل يمتلك حساً سليماً يلامس البراعة» (Marx and Engels 19AT, 7 &V). لكن وعلى الرغم من هذا الاستحسان لصراحة كلاوزفيتز، التي تكاد تكون مخيفة، ولابتعاده المثبّط عن الدياليكتيك، فإن رؤيته الثاقبة والمجرّدة لحقيقة العنف قد تبدو للوهلة الأولى بعيدة عن حماسة السياسة الثورية.

لكن هذه النظرة الثاقبة إلى الوجود المطلق للحرب كانت منسجمة تماماً مع رؤية الوجود المطلق للحرب الطبقية ١٠٠ فقد وضع ماركس وإنجلز شعارات الثورة الفرنسية - الحرية والمساواة والأخوة - والتوسع الإمبراطوري الذي احتقره كلاوزفيتز كثيراً تحت خانة المقاومة والثورة البروليتارية، ورأى كل من ماركس وإنجلز: أن الحرب الطبقية تحصل خلف شعارات «مثالية الدولة»، وقد أرادا الإتيان بشهادة كلاوزفيتز عن حقائق الحرب الثابتة إلى تاريخ الحرب الطبقية وفعليتها ومستقبلها. وقد يكون تحليل كلاوزفيتز غير الدياليكتيكي للعداوة ونتائجها هو الذي يكوّن فهمها لمسار الصراع الطبقى ونتائجه أكثر ممما يفعل الدياليكتيك الهيغيلي للسيد والعبد، ففي بداية «البيان الشيوعي» Communist Manifesto يُفهم تاريخ الصراع الطبقى بأنه ينتهى «إما في بناء ثوري للمجتمع ككل أو في الدمار العام للطبقات المتنازعة» (Marx 1977, 7A) بمعنى إما في نهاية هيغيلية أو نهاية كلاوزفيتزية، ويعبارات كلاوزفيتزية: إن نتيجة الحرب الطبقية - أي إعادة بناء المجتمع أو الدمار المتبادل المتصاعد - تعتمد عموماً على مخطط الحرب الذي تتبناه المقاومة. إن «البيان الشيوعي» هو محاولة

⁽٦) أثارت حرب الاستنزاف جدالاً بين قراء كلاوزفيتز المرتبطين مع المؤرخ هانس دلبروك Hans Delbruck وتقييمه لمنجزات فريدريك العظيم Hans Delbruck الذي يستشهد به كلاوزفيتز في ١، ٢ بأنه يتوقع سلوك حرب المقاومة، وأن خيارات تقويض قوات العدو المادية والمعنوية هي خيارات إرهابية أساساً، وترمي إلى تقويض إرادة العدو. يصف أرون Aron بوضوح المسائل موضع الخلاف في هذا الجدال في الفصل الثالث وفي الملاحظة ٢٠ من «تصوّر الحرب» Penser la Guerre ۱، لكن بمعزل عن تأملات كلاوزفيتز بشأن الحرب الشعبية وحرب المقاومة طويلة الأمد.

لتقديم مثل هذا المخطط، أي إنه إعادة صياغة لمقاومة العمال اليومية ضد الحكم البرجوازي وفقاً لقواعد فعلية الحرب الطبقية والمنطق السياسي للوعي الثوري الشيوعي، ويصف الجزء الأول من البيان تشكيل الأطراف المتحاربة، أما الجزء الثاني فيصف تحالف العمال المقاومين مع الشيوعيين، والثالث يصف رفض خطط الحرب الشيوعية المتنافسة، والرابع يصف التعبير في الحرب الطبقية بأنها حرب مقاومة شعبية ذات مشروع، أو مخطط حرب من أجل إعادة بناء ثورية للمجتمع.

يقترح ماركس وإنجلز في القسم الرابع من «البيان الشيوعي» توحيد المقاومة العمالية مع المنطق الثوري الشيوعي، وهو اتحاد سيهيمن على الحركة الشيوعية لما يزيد على قرن، وقد تضمن ذلك تحويل المقاومة إلى منطق مشروع سياسي واع موجه نحو المستقبل:

يكافح الشيوعيون من أجل تحقيق الأهداف المباشرة، أي من أجل تنفيذ المصالح الآنية للطبقة العاملة، لكنهم في حركة الحاضر يمثلون أيضاً تلك الحركة ويهتمون بمستقبلها (Marx and Engels 19۷۳, 9۷).

تميز التتمة أو الد «أيضاً» الصلة بين المقاومة الحالية والاهتهام بالمستقبل، ومن ثمَّ سوف يتم توجيه تكتيكات المقاومة بناءً على مستقبل ثوري موجود أساساً في الوعي الشيوعي، إذ إن الشيوعين لا يهملون واجب الاهتهام بمستقبل الحركة، في الوقت الذي يقومون فيه بدعم مقاومة العمال الآنية ضد حكم الطبقة البورجوازية، ويُشرّع هذا الواجب ومتابعته باسم استيعاب الشيوعيين الواعي لمعنى مقاومة العمال وتوجهاتهم ما قبل الواعية ودلالتها.

إن وضع المقاومة التكتيكية الآنية مع الأهداف الإستراتيجية الواعية والأشمل حيّر الحركة الشيوعية لما يربو على قرن، فقد تضمنت إحدى المقاربات لها إنشاء كوكبة تاريخية بين نضال الحركة العمالية وتجربة المقاومة المسيحية المبكرة ضد الإمبراطورية الرومانية - أي ما يمكن أن يُسمّى النظرة الإنجيلية لرسالة الشيوعية التاريخية ١٠٠٠ إذ جرى الاستشهاد بالمقاومة المسيحية المبكرة ضد الإمبراطورية الرومانية بأنها توقّع للمقاومة العمالية الاشتراكية ضد إمراطورية رأس المال. وتحول هذا التوازي في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى تعارض بين الشخصيات السياسية له الكوميونة Commune والإمراطورية. يصف ماركس في كتاب «رأس المال» Capital مقاومة العمال التكتيكية لرأس المال ويؤيدها - أعمال المصنع، الصراعات بشأن طول يوم العمل، منع عمل الأطفال - في حين إن خطاباته عن كوميونة باريس Paris Commune وانتقاداته للديمقراطية الاشتراكية شكّلت جزءاً من حرصه على المستقبل الشيوعي للحركات العمالية، ومع ذلك فإن الخطابات عن كوميونة باريس هي التي تطلُّع ماركس فيها إلى ما يتعدى الفرق بين المقاومة في الحاضر والطموحات الثورية الواعية من أجل مستقبل شيوعي موجه نحو مقاومة ذات توجه مستقبلي، لكنها ليست بالضرورة *واعية،* وتتجسد في الكوميونة ...

⁽٧) كما هو معلن في بداية «البيان الشيوعي» Communist Manifesto: «إن تاريخ كل المجتمعات الموجودة حتى اليوم هو تاريخ الصراع الطبقى».

⁽٨) في ملاحظاته بشأن برنامج إرفورت (إشارة إلى برنامج الحزب الديمقراطي الاجتهاعي في ألمانيا الذي عُقد في مدينة إرفورت في عام ١٨٩١ وحل فيه هذا البرنامج محل برنامج غوتا (١٨٧٥) الذي انتقده كارل كوتسي وكارل ماركس وفريدريك إنجلز) Erfurt التي تتواصل مع رؤية لينين للحزب في كتاب «ما العمل؟»، يلاحظ لارس تي. ليه Lars T. Lih بعداً إنجيلياً في أيديولوجية كوتسكي Kautsky الديمقراطية الاشتراكية. ومع ذلك فإنه يعاملها

رد ماركس مباشرة على حادثة كوميونة باريس بنص (ومسودتين) لخطاب عن الكوميونة موجه إلى الجمعية العالمية للعال International لخطاب عن الكوميونة موجه إلى الجمعية العالمية للعال Working Men's Association ماركس عنها اتخذا صبغة أسطورية شبه مقدسة، لدى الحركات الاشتراكية والشيوعية في بداية القرن العشرين، فقد رأى لينين في الخطب سلسة من دروس لا غنى عنها في إستراتيجية الثورة وتكتيكاتها، أي إنه رأى فيها «تحليلاً تاريخياً» يتميز بـ «العبقرية» أن شهرة هذه الخطب بقيت غير

بوصفها مجازاً بريئاً عموماً، في حين أنها بالنسبة إلى نيتشه تدل على استمرارية المسيحية والاشتراكية. يثبت كوتسكي بشكل أكيد البعد الإنجيلي للديمقراطية الاشتراكية في عمله الأخير «أسس المسيحية: دراسة في الأصول المسيحية» Negri أيضاً لاهوت المقاومة المسيحية في Study in Christian Origins أيضاً لاهوت المقاومة المسيحية في اقتباسه للقديس فرنسيس St Francis في المجلد الأول من «ثلاثية الإمبراطورية» Empire وأعدة صياغة رائعة لهذا البعد من التفكير الراديكالي في استخدام هوي نيوتن Trilogy للحظات نيتشه عن انتشار المسيحية في «أصل الأخلاق» Huey Newton للاحظات تكتيكات حزب بلاك بانثر Black Panther Party وهي قراءة توقعها مارتن لو ثر كينغ الصغير. Newton ۲۰۰۹, p. 1۷٥ انظر Martin Luther King Jr.

(٩) إن شهرة خطابات ماركس عن الكوميونة حجبت كتابات إنجلز في الحرب في فرنسا، إلا أن كتاباته إلى بول مول غازيت Pull Mall Gazette، ولا سيها «القتال في فرنسا» Pighting أن كتاباته إلى بول مول غازيت Pull Mall Gazette، مستمدة من نظرية حرب العصابات لاء In France في الأسابيع الستة الأخيرة لتحول لدى كلاوزفيتز: «خضعت نوعية الحرب في غضون الأسابيع الستة الأخيرة لتحول لافت، فقد اختفت الجيوش النظامية التابعة لفرنسا وتابع السجال المجندون الذين أصبحوا جنوداً غير نظاميين، بسبب عدم نضجهم بحد ذاته» (المهمة المستقلال المستقلال عبر حرب الجزيرة ١٩٨٦, ١٦٣٠ الأمريكية The American War of Independence عبر حرب الجزيرة على حيث إلى حربي الاستقلال في إيطاليا وهنغاريا وتصفها بأنها «مقاومة شعبية» حلت محل جيش إلى حربي الاستقلال في إيطاليا وهنغاريا وتصفها بأنها «مقاومة شعبية» حلت محل جيش

ممسوسة بإعادة التقييم المميزة لعمل ماركس التي جرت بعد انهيار الأنظمة «الاشتراكية الحقيقية القائمة» عام ١٩٨٩. توسَّع كل من جاك ديريداDacquel في «أطياف ماركس» (١٩٩٣) «Specters of Marx (١٩٩٣) و دانيل بنسعيد Daniel Benssaïd في «ماركس لزماننا» (١٩٨٥) Daniel Benssaïd في المتعددية الأصوات في النص الماركسي الذي اقتراحه بلانشو Blanchot في اشتغاله على «أصوات ماركس الثلاثة» Three Voices of Marx لكن لي اشتغاله على «أصوات ماركس الثلاثة» تا المتنائية التي عن بقي كتاب «الحرب الأهلية الفرنسية» The French Civil War بمنأى عن إعادة التقييم تلك، مما قلل من قيمة بعض الاكتشافات الاستثنائية التي قام بها ماركس في تأملاته بشأن فعلية الكوميونة. ويمكن مقاربة تلك الاكتشافات عبر مواجهة المنطق والأصوات الفاعلة في كوميونة ماركس مع أصل «الكوميونة» في الحقد والرغبة في الانتقام عند نيتشه.

كان ماركس تلميذاً قريباً من السياسة الفرنسية، فتحليلاته لثورة عام ١٨٤٨ وللانقلاب العسكري الذي قام به لويس نابليون Louis Napoleon ما تزال أعمالاً من الطراز الأول في التاريخ والنظرية السياسية، فقد تتبع عن كثب تأسيس الإمبراطورية الثانية عام ١٨٥٨ ووصف توتراتها الداخلية التي حرّكتها المضاربة المالية والبيروقراطية المتضخمة والكبت البوليسي المستمر. أعلنت الإمبراطورية الحرب على بروسيا بسمارك في التاسع عشر من تموّز / يوليو عام ١٨٥٠ فهُزمت بسرعة واستسلمت في ٢ أيلول / سبتمبر، وقبل ذلك في تموّز /

نظامي أصبح «غير قادر على المقاومة» (Marx and Engels 1917, 170). وتُختتم المقالة بدعوة الجيش البروسي في فرنسا إلى احترام «شرعية» هذا النوع من الحرب، ولا سيها في حالة الجيش البروسي المُصْلح الذي هو نفسه «كان محاولة لتنظيم المقاومة الشعبية قدر الإمكان ضد العدو في ظل ملكية مطلقة». (Marx and Engels 1917, 177).

يوليو ألقى ماركس خطابه الأول في الجمعية العالمية للعمال في لندن عن أحداث فرنسا. تنبأ بدقة أن الحرب ستكون «دقة جرس موت الإمبراطورية الثانية» وأعلن أنه «على النقيض من المجتمع القديم ببؤسه الاقتصادي وهذيانه السياسي، سينبثق مجتمع جديد يكون السلام سلطانه لأن حاكمه الوطني هو نفسه في كل مكان، ألا وهو العمل! إن رائد ذلك المجتمع الجديد هو «الجمعية العالمية للعمال» (Marx 1978, 1973)، فقد رأى مجتمعاً دولياً ينبثق من ركام الإمبراطورية بالطريقة نفسها التي نشأت فيها الكنيسة من ركام الإمبراطورية الرومانية، إلا أن الموازنة هذه المرة تتعقد بالتشابه المادي نفسه بين جمعية الشغيلة العالمية و «الرواد» الذين وضعوا السكة لشبكة الخطوط الحديدة العالمية.

تبع الاستسلام الفرنسي إعلان الجمهورية في ٤ أيلول / سبتمبر وتلاه مباشرة خطاب ثان له ماركس في ٩ أيلول / سبتمبر دعا فيه العمال إلى دعم الجمهورية بشكل حاسم في مقاومتها ضد الغزو الألماني له فرنسا في الوقت الذي كانوا يؤسسون فيه لوجود للمؤسسات العمالية ضمنها: «ليس عليهم أن يعيدوا الماضي، بل أن يبنوا المستقبل، دعوهم يحسنوا بهدوء وعزيمة فرص الحرية الجمهورية من أجل عمل منظمتهم الطبقية الخاصة» (١٨٥، ١٩٧٤, ١٨٥). وقعت باريس تحت الحصار الألماني في التاسع عشر من أيلول / سبتمبر، وقد جرى إلى حدٍّ كبير التخلي عنها بسبب استسلام الحكومة الجمهورية في ٢٨ كانون الثاني / يناير ١٨٧١. بدأ الباريسيون تنظيم مقاومتهم الخاصة بوساطة مجموعات حراسة وتقوية الحرس الوطني، وبهذه المبادرات وفقاً لماركس قررت باريس «ببطولة أن تعرّض نفسها لكل أنواع مخاطر المقاومة ضد المتآمرين الفرنسيين» (١٨٧٠ بعروا انتخابات في العاصمة في الثامن عشر من آذار / مارس ١٨٧١ وأجروا انتخابات في

كيف فهم ماركس هذا العمل من المقاومة؟ وكيف يؤيده من خلال خطابه؟ وما المنطق الذي يستعمله في تنظيم المواد التاريخية التي جمعها من الجرائد والمراسلات، وما غايته؟ إن وضع كتاب «الحرب الأهلية الفرنسية» لـ ماركس تحت امتحان «أصل الأخلاق» The Genealogy of Morals لـ نيتشه ورؤية الأخير الخاصة في الكوميونة والاشتراكية في الشذرات المجموعة في «إرادة المقوق» The Will to Power يسيء من التوجه النقدي الأولي، ونادراً ما يُقرَأ ما ماركس ونيتشه معاً، لكن تجربة مواجهة الكاتبين والنصين في هذه الحال لها ما يسوّغها في عدد من نقاط التقارب التاريخية، إذْ يعالج كل من ماركس ونيتشه يسوّغها في عدد من نقاط التقارب التاريخية، إذْ يعالج كل من ماركس ونيتشه

⁽۱۰) الإشارة هنا إلى غوستاف كوربيه (۱۸۱۹ –Gustave Courbet (۱۸۷۷ –۱۸۱۹) وهو فنان فرنسي كان له علاقة مع كوميونة باريس [المترجم].

الإمبراطورية والكوميونة ويضع كلاهما مقاومة الكوميونة ضد الإمبراطورية ضمن مجموعة تاريخية تمتد حتى المقاومة المسيحية ضد الإمبراطورية الرومانية (١٠٠٠). لكن نيتشه يقرأ كلتا المقاومتين: القديمة والجديدة، وفقاً لمنطق الانتقام والحقد الذي يؤيده ماركس أحياناً، وأحياناً أخرى يتجاوزه كلياً.

تضع المواجهة بين «الحرب الأهلية الفرنسية» و «أصل الأخلاق» خطاب ماركس تحت اختبار الحقد بمثل ما تضع في الوقت نفسه الأصل عند نيتشه تحت اختبار تقييم ماركس لمغزى الكوميونة، ويبدو أن تحليل نيتشه للحقد ينطبق فحسب على منحى واحد من وصف ماركس لمقاومة الكوميونة ضد الإمبراطورية، ففي المقالة الأولى من «أصل الأخلاق» يميز نيتشه بين توليد القيم في أخلاق «السادة» وذاك العائد لـ «ثورة العبيد في الأخلاق»، وتبدأ الأخيرة [...] حينها يصبح الحقد نفسه خلاقاً ويولد قيهاً: فإنه حقد الطبائع التي ينكر عليها التفاعل الصادق أي تفاعل الأعمال، والتي تكافئ نفسها بالثأر الخيالي، ففي حين تنشأ كل أخلاق نبيلة عن إثبات احتفالي بنفسها، تقول أخلاق العبيد منذ البداية «لا» لما هو «خارجي» أي لما هو «ختلف»، لما هو غير نفسها، وهذه الهدالة «لا» همي فعلها الخلاق (١٩٦٩ مع ١٩٦٩).

وفي حين تبدأ أخلاق السادة بتوكيد الاختلاف، فإنَّ أخلاق العبيد تخرج من النفي، إن الصيغتين - واحدة تنطلق من التأكيد إلى النفي والأخرى من النفي، إلى التأكيد - تقرران أخلاقيتين اثنتين تَنتظم واحدة حول الجيد والسيئ، أما الأخرى فتنتظم حول الخير والشر.

⁽۱۱) كارل ماركس وفي. أي. لينين، «الحرب الأهلية في فرنسا: كوميونة باريس» Karl Marx. and V. I. Lenin, The Civil War in France: The Paris Commune

يصف نيتشه بوضوح تام التوجُّهين الأخلاقيين وأصليهما، ويبدأ بـ الحقد قائلاً: «كي تبقى أخلاق العبيد حية فإنها تحتاج دوماً أولاً إلى عالم خارجي معاد بلغة الفيزولوجيا، إنها تحتاج إلى محرضات خارجية كي تقوم بأي عمل، فعملها هو عمل ارتكاسي أساساً» (Nietzsche 1979, I, 1, 1)، وبكلمات أخرى إن أخلاقية العبيد هي أخلاقية مقاومة، وفي المقابل فإن العكس هو الصحيح، فيها يتعلق بالطريقة النبيلة للتقييم فهي تعمل وتنمو عفوياً، وهي تبتغي نقيضها؛ كي تثبت نفسها فحسب، بامتنان واحتفالية ممثلتين بالعاطفة على طول المدى - فمفهومها السلبي «المنخفض» «العام» «والسبئ» هو مجرّد صورة ابتُدعت لاحقاً، وهي صورة شاحبة ومتعارضة مع مفهومها الإيجابي الأساسي...

إن إثبات السيد [...] يتصور المفهوم الأساس بأنه «جيد» مقدماً ومن تلقاء نفسه وعندها فحسب يولّد لنفسه فكرة عن «السيع»! إن هذا «السيع» ذو الأصل النبيل وذاك «الشر» الصادر عن مرجل الكره غير المشبع. الأول هو نتاج لاحق أي مسألة جانبية أي طيف مقابل، أما الثاني فهو على النقيض من ذلك الشيء الأصلي، البداية، إنه الفعل المميز في تصوّر أخلاقية عبيد. فكم هما ختلفتان! هاتان الكلمتان «سيع» و«شرير» على الرغم من أن كلتيهما ظاهرياً نقيضتان للمفهوم نفسه ألا وهو «الجيد». لكنه ليس هو المفهوم نفسه «للجيد» نقيضتان للمفهوم نفسه ألا وهو «الجيد». لكنه ليس هو المفهوم نفسه «للجيد».

إن التقييم الإيجابي للجيد والسيئ، والتقييم السلبي والارتكاسي للطيب والشرير يختلفان جذرياً بشأن مسألة الرغبة في الانتقام، فهذه الرغبة ضرورية بالنسبة إلى الحقد الذي هو بالنسبة إلى نيتشه أخلاقية المقاومة، إنها ليس لها أي دور في أصول أخلاقية السادة التي تعرّف نفسها إيجابياً عبر خلق عالم جديد مع

قليل من التفكير في مقاومة القديم، وهنا يكثّف نيتشه فكرة كلاوزفيتز المتضمنة أن المقاومة تتحدد بوساطة النفي عبر الرغبة في الحفاظ على نفسها في مواجهة هجوم، وأن العاطفية خطرة في هذا السياق من العداوة والثأر (١٠٠٠).

ينتقل نيتشه من الجزء الشكلي لأصل الأخلاق عنده إلى تحليل تاريخي للمسيحية في صراعها مع الإمبراطورية الرومانية، ويرى أن الرغبة في الانتقام هي رغبة مضمرة في الدعوات المسيحية للعدالة، «فمملكتهم أيضاً سوف تأي» (Nietzsche 1979, I, 10). ويستشهد بأولئك المسيحيين التيرتوليين (المرزوقين في الجنة سوف يرون عقاب الملعونين في جهنم كي يزعمون أن «المرزوقين في الجنة سوف يرون عقاب الملعونين في جهنم كي تصبح سعادتهم أكثر بهجة لهم» (Nietzsche 1979, I, 10)، كما يعطي نيتشه رؤية مختلفة بشأن التصور الاشتراكي للتوازي بين المقاومة المسيحية ضد الإمبراطورية الرومانية والمقاومة العمالية ضد إمبراطورية رأس المال، ويقيّم مغزاها بشكل مختلف تماماً، إن إعجاب الاشتراكيين بسابقة المقاومة المسيحية ضد الإمبراطورية جعلها هدفاً لنقد نيتشه الأشمل للحقد، ففي رده على السؤال: «العدمية تقف على الباب، فمن أين يأتي هذا الضيف رده على السؤال: «العدمية تقف على الباب، فمن أين يأتي هذا الضيف (Nietzsche 1970, كما القيمة المسيحية موجودة الأكثر غرابة بين كل الضيوف؟» (الفرائ بقايا أحكام القيمة المسيحية موجودة الهاية المسيحية» وبقائها في الاشتراكية: «إذ إن بقايا أحكام القيمة المسيحية موجودة الهاية المسيحية» وبقائها في الاشتراكية: «إذ إن بقايا أحكام القيمة المسيحية موجودة المهاية المسيحية» وبقائها في الاشتراكية: «إذ إن بقايا أحكام القيمة المسيحية موجودة

⁽١٢) يُشبّه حرق كوميونة باريس بالأعمال التي «اقترفها المسيحيون ضد الكنوز النفيسة حقاً العائدة إلى العصور الوثنية القديمة» (١٩٧٤, ٢٢٩).

⁽۱۳) نسبة إلى كوينتاس سيبتيميوس فلورانس تيرتولانوس (بالإنكليزية تيرتيولان) [۱۵۰- المترجم]. Quintus Septimius (Tertullianus (Tertullian in English) [۲٤٤

⁽١٤) نسبة إلى توماس أكويناس (١٢٧٥-١٢٧٤) Thomas Aquinas [المترجم].

في كل مكان في النظامين الاشتراكي والوضعي» (Nietzsche 1974, § I)، فالاشتراكية هي «هذا الحل الدنيوي، لكن بالمعنى نفسه: إنها حل الانتصار النهائي للحقيقة والمحبة والعدالة...» (٣٠ ق. ١٩٦٨). إنها عارس قياً مسيحية تحت ستار مختلف، لكنها بالنسبة إلى نيتشه ما تزال مدفوعة بالحقد نفسه، بأخلاقية العبيد نفسها أو بالرغبة في الثأر، فتهاماً مثلها تستلهم الاشتراكية المعاصرة وحيها من المسيحية المبكرة يمكن أيضاً تعريف المقاومة التاريخية المسيحية ضد الإمبراطورية استرجاعياً بأنها اشتراكية:

الإنجيل: يفيد الخبر: أن بوابة السعادة تُفتح للفقراء والبائسين، وأن كل ما على المرء أن يفعله هو تحرير نفسه من مؤسسات وأعراف وحماية الطبقات العليا. بهذا المعنى، إن ظهور المسيحية إنْ هو إلا العقيدة الاشتراكية النمطية (Nietzsche 1974, § ۲۰۹).

ويرى نيتشه في المقاومة ضد الظلم وضد أعراف الحكم الطبقي ومؤسساته إنكاراً للعنف والرغبة في الانتقام: «ففي الخلفية هناك تمرّد، هناك انفجار كره دفين تجاه «الأسياد»...» (٢٠٩ ١٩٦٨, ١٩٦٨)، إنه بالنسبة إليه حقد يميّز التشابه الاختياري بين المسيحية والاشتراكية، وهو حقد يعرّفه بأنه «عدمية سلبية»، فإن هذه الحالة تتميز بالرغبة في العقاب، أي إنها تمرد مدفوع بالرغبة في الثأر:

إن الاشتراكي والفوضوي والعدمي - بقدر ما يشعرون أن هناك شيئاً ما في وجودهم يجب اتهام شخص ما به - فإنهم لا يزالون أقرب المقربين من المسيحي الذي يؤمن أيضاً أن بإمكانه تحمل شعوره بالمرض وسوء تكوينه، بإيجاد شخص ما

قد يجعله مسؤولاً عنه. إن غريزة الانتقام والحقد تبدو هنا في كلا الحالين أنها وسيلة تحمّل، وأنها غريزة حفاظ على الذات (١٩٦٨,٥ ٣٧٣).

ويضع نيتشه كوميونة باريس في هذا السياق من الحقد الاشتراكي، ويراها تمرداً ثأرياً، إذ يُطبَّق في نقده لـ الكوميونة إبداؤه للكره والرغبة في الانتقام، المتنكرين في مجاهرات السلام والحب والعدالة لدى الحقد المسيحي والاشتراكي، فما الكوميونة إلا نذير ثورة عبيد جديدة، ورئيسة في الأخلاق: «إن كوميونة باريس التي لها مدافعون ومؤيدون في ألمانيا أيضاً ربها لم تكن أكثر من تخمة صغيرة مقارنة مع ما سيأتي» (Nietzsche ١٩٦٨, § ١٢٥)، ففي هذه القطعة المكتوبة عام ١٨٨٥ يرى نيتشه أن الكوميونة تعلن ما دعاه في مكان آخر «السياسة الكبرى للقرن العشرين» التي سوف تُدحَض فيه التجربة الاشتراكية نفسها بعنف، مما يدل على عبثية لا تزال مع ذلك جديرة بالاهتمام «وإنْ تحققت بثمن هائل من الحيوات البشرية» (Nietzsche 1974, § 170). إذ إن المستقبل ساخط والسعى وراء الثأر باسم العدالة والأخوة سوف يدمر نفسه في النهاية في صيغة متسارعة من التدمير الذاتي للمسيحية، لكن بتدميرها لنفسها ولـ «مجتمع يتمرغ في الغباء» فإن الاشتراكية - وإنْ وُلدت من الانتقام - فقد تصبح مع ذلك «مفيدة وعلاجية» بإجبارها السادة الأوروبيين أن «يبقوا في نشاط» وحذر في مواجهة عدوهم الساخط.

يمكننا الآن أن نسأل ماركس السؤال النيتشي الآي: ما أصل الكوميونة؟ هل كانت نبيلة؟ أو إنها وُلِدت من الحقد؟ يتضمن هذا السؤال المحدد سؤالاً أشمل عمّا إذا كان يمكن للمقاومة دائماً أن تصبح سيدة، أو فيها إذا كانت ارتكاسية دوماً ومشوبة بالحقد؟ للتعبير عن ذلك بشكل أكثر وضوحاً: هل

نص ماركس مدفوع بالرغبة في الثأر؟ إن أحد أصوات ماركس هو بالتأكيد صوت الانتقام، إنه صوت الهجاء العنيف، الصوت الذي يعلن خسارة المعركة، لكن ليس خسارة الحرب. إنه الصوت الذي يختم كتاب «الحرب الأهلية في فرنسا» متنبئاً بانتقام التاريخ من «مبيدي» كوميونة باريس: «لقد سمّرهم التاريخ مسبقاً على هيكل تعذيب لا تنفعهم كل صلوات قساوستهم في الخلاص منه» (Marx 19V8, ۲۳۳). إن استحضار قضاء التاريخ وحكم التشهير الأبدي على المنتصرين على الكوميونة هو المعادل الشيوعي للابتهاج **التيرتيولي** برؤية آلام أهل النار، ويرتبط هذا الصوت من *الحقد* ارتباطاً وثيقاً مع صوت آخر، صوت أكثر فطنة، ألا وهو صوت التضحية، وهو صوت تبناه لينين لاحقاً بخصوص كوميونة باريس، إذ يُوصَف الكوميونيون بأنهم «أبطال ضحّوا بأنفسهم من أجل مجتمع جديد أفضل»، كما تصف «باريس (الشغّيلة) بأنهم يقومون بمحرقتها الذاتية البطولية، وهي ومنهمكة في لهيبها ومبانيها ونصبها التذكارية» (Marx 19V8, YYA). يكاد هذا المديح للتضحية الانتحارية أن يكون مصادقة مرجعية لشك نيتشه بأن «الحياة في مجتمع اشتراكي تدحض نفسها وتقطع جذورها الخاصة» (١٢٥ \ Nietzsche ١٩٦٨). وبكلمات أخرى إن ماركس يقاوم وشايات حزب الانضباط ضد الكوميونة (Marx ١٩٧٤, ٢٣٠) باللجوء إلى خطب التضحية بالنفس والثأر النهائي الأزلى المتجذرة في *الحقد*. إن «الحكام الذين يقطعون الجسد الحي للبروليتاريا لا يمكنهم توقع العودة بانتصار إلى منازلهم سليمة البنيان» (Marx 1978,) ۸۲۲).

يوجد صوت آخر في خطاب ماركس أكثر قوة بكثير وذو نبل لا يرقى إليه الشك، إنه صوت العالم الجديد الآتي، صوت الجمعية العالمية للعمال

التي تتحدث من خلال ماركس، إذ إن الحرب الأهلية في فرنسا ليست حرباً أهلية فرنسية وحسب، بل هي آخر تجلِّ على الأرض الفرنسية لحرب أهلية عالمية بين الإمبراطورية والكوميونة، وإن الإمبراطورية المعنية موضع الجدال هي الإمبراطورية الفرنسية الثانية التي أقامها لويس نابليون لكن الإمبراطورية موضع الخلاف على الصعيد العالمي هي شكل الدولة بنحو عام الذي يستخدم احتكاره للعنف وتركيزه للثروة والسيطرة البيروقراطية من أجل قمع الطبقة العاملة المتمردة، فه الكوميونة هي الشكل السياسي الناشئ الذي تتوزع ضمنه وسائط العنف ديمقراطياً في ميليشيات وتكون فيه ملكية وسائل الإنتاج مشتركة وتُستبدل فيه السيطرة البيروقراطية بتقرير مصير ذاتى ديمقراطي. إن الحرب الأهلية العالمية بالنسبة إلى ماركس هي الصراع بين الإمبراطورية والكوميونية وصراع العالم القديم مع الجديد ومالكي العبيد مع العبيد، وهو صراع مدفوع بالرغبة في الانتقام لكن ليس حيث رآه نيتشه، وإنها هو في الأسياد في «الحضارة والعدالة اللتين تتميزان بالوحشية السافرة وبالثأر غير القانوني» (Marx 1978, ۲۲٦)، ففي مواجهة الكبت والانتقام تتخذ مقاومة الكوميونة ضد الإمبراطورية طبيعة نبيلة وإيجابية تولَّد عالماً ديمقراطياً جديداً يتجاوز مقاومة القديم، ويُسمع دوي إثبات كوميونة باريس عبر أصوات النفى والتعارض الدياليكتيكي وفيها وراءها، التي يتبناها ماركس حين وصفه لها بأنها «النقيض الحقيقي للإمبراطورية نفسها - لقوة الدولة أي السلطة المركزية، والتي ليست الإمبراطورية الثانية سوى الصيغة المستنفدة منها...» (Marx ۱۸۷٤, ٢٤٨). وتتحدث المسودة الأولى أيضاً عن «الإمبراطورية الثانية [بوصفها] الشكل النهائي لذاك الاغتصاب للدولة، فقد كانت الكوميونة نقيضها

الواضح، ومن ثمَّ فهي استهلال للثورة الاجتهاعية في القرن التاسع عشر، ولهذا فإنها سوف تشق طريقها عبر العالم أيًا يكنْ مصيرها في باريس» (١٩٧٤، ١٩٧٤)، لكنَّ هناك شيئاً آخر ينبثق من لغة النفي هذه: فه الكوميونة لا تقاوم الإمبراطورية أو «تثور ضدها» ارتكاسياً وحسب، بل إنها أهم من ذلك تُثبت نفسها ومصلحتها الخاصة: إن الكوميونة بحسب لغة الخطاب الأول «شبّت» وكانت «شكلاً إيجابياً» أو شيئاً جديداً وغير مسبوق تاريخياً.

يعبر ماركس عن السمة الإثباتيه لـ الكوميونة وفقاً لطبيعتها التوسعية بدلاً من القمعية، ففي المسودة الأولى من الخطاب، لاحظ ماركس أن «الطبقة العاملة هي وحدها التي استطاعت أن تصوغ هذا الطموح الجديد بوساطة كلمة «كوميونة»، وتتخذ المبادرة بوساطة كوميونة باريس المقاتلة» (Marx 19٧٤, 7٤٩).

رفعت الكوميونة مراجعة تثمين القيم الممثلة بثورة القرن التاسع عشر الاجتهاعية إلى مستوى وحدة جديدين، ففي مقطوعة رائعة عن لغز الكوميونة في منتصف الخطاب الثالث يقر ماركس بنبلها:

إن تعدد التفسيرات التي خضعت لها الكوميونة، وتعدد المصالح التي بنتها لمصلحتها، يُظهر أنها كانت شكلاً سياسياً توسعياً تماماً، في حين أنَّ كل الأشكال السابقة للحكومة كانت بالتأكيد قمعية. إن سرها الحقيقي هو أنها كانت حكومة الطبقة العاملة أساساً، إذ إنها كانت نتاج كفاح الطبقة المنتجة ضد الطبقة المالكة، أي الشكل السياسي الذي اكتُشِف أخيراً، والذي في ظله يُتدبّر التحرير الاقتصادي للعمل (٢١٢ ، ١٩٧٤).

تطرح هذه القطعة مفهوم «الشكل السياسي التوسعي» وهو مفهوم جديد تماماً، ويكوِّن قطيعة مع شكل الدولة «القمعي» الذي تبنته كل الأشكال الحكومية السابقة (انه باختصار ليس شكلاً سياسياً ارتكاسياً / قمعياً، بل هو شكل توكيدي/ توسعي، فقد ولّد حركة عالمية وولّد معها تعددية في التفسيرات التي تشهد لها بأنها حدث يقاوم الانضواء تحت مفهومات سياسية، قمعية، سارية مثل الدولة. إنه أصبح كائناً أسطورياً يعيش في الأراضي الحدودية لعالم جديد، أكثر مما هو شبح يلازم العالم الرأسمالي القديم، لكن سره الحقيقي يكمن في أنه كان قادراً على توليد شكل سياسي جديد من أجل تحرر العمل أو الكوميونية، على الرغم من أنه خرج من الورطة الارتكاسية للكفاح ضد الإمبراطورية.

إن تركيز ماركس على الطابع التوكيدي لـ الكوميونة يضع صفاء أصل الحقد لدى نيتشه موضع التساؤل، إذ لا توجد أبداً أخلاقية سادة صافية خالية من الحقد، فالنبالة تتكون من التغلب على ورطة الحقد، وليس من التوليد البريء. إن البروليتاريا في سيناريو ماركس وعبر كفاحها ضد الإمبراطورية تجد التوكيد في الكفاح من أجل شكل سياسي جديد، والبروليتاريا بمقاومتها للإمبراطورية تتحدى منطق قمع سياسي سابق ارتكاسي وانتقامي بشكل للإمبراطورية تتحدى منطق قمع سياسي سابق ارتكاسي وانتقامي بشكل

⁽١٥) يجري إثبات هذا في اقتباس نادر له كلاوزفيتز يَرِد في سلسة من الملاحظات عن الإرهاب والبطش المتزامنين مع تأليف «هكذا تكلم زارادشت» اسم لمقطوعة من تأليف ريتشارد شتراوس (١٩٤٩-١٩٤٩) وهو مؤلف موسيقي ألماني (Also Sprach Zarathustra) من صيف المتراوس (١٨٦٤-١٩٤٩) وهو مؤلف التي يُجرى في الأمور ذات الطبيعة الخطرة هي أخطاء التي يُجرى في الأمور ذات الطبيعة الخطرة هي أخطاء أسوأ Irrthümer, die aus Gutmüthigkeit, sind in gefährlichen Dingen die أسوأ أفدم شكري إلى كيث أنسيل بيرسن دالله النتهاهي إلى هذا الاقتباس.

شُمّي، إذ يقوم ماركس في القسم الرابع من الخطاب الثالث بإجراء موازنة بين فرنسا ومجتمع الرق في الجنوب الأمريكي، ومن ثمّ بين الحربين الأهليتين الأمريكية والفرنسية، فكلتاهما كها يرى ثورتان ضد الجمهورية قام بها ملاك العبيد، فعلياً في حالة الحرب الأهلية الأمريكية، ومجازياً في حالة الحرب الفرنسية أن وفضلاً عن أن الكوميونة بعيدة كل البعد عن «ثورة عبيد في الأخلاق» فإنها دلّت على مقاومة النبلاء ضد «ثورة أسياد العبيد في الأخلاق» (انظر ١٩٧٤, ٢٥٣, ٢٦٣)، كها أنها أكدت على المستقبل عبر استشهاد نقدي للشكل السياسي الماضي الخاص به «الكوميونة».

إن نيتشه بتأكيده على ثورة العبيد في الأخلاق ضد الإمبراطورية ورؤيته لها بأنها رغبة ارتكاسية في الانتقام، لم يفهم أن هذه الثورة لم تكن موجهة ضد أي «أخلاق نبيلة» في أوروبا، بل كانت موجهة ضد حقد ثورة الأخلاق الحالية للاك العبيد، وبعدم رؤيته لما كان جديداً وتوسعياً في الكوميونة، وعده لها مجرد ارتداد، فإن نيتشه أساء فهم دمجها للمقاومة والتوكيد، إضافة إلى سوء فهمه لسياستها في الاقتباس: «من يستطيع القول فيها إذا كانت الديمقراطية الجديدة، بل حتى الفوضوية الأكثر حداثة، ولا سيها النزعة نحو الكوميونة، نحو أكثر شكل بدائي للمجتمع يتشاركه جميع اشتراكيو أوروبا، لا تعني بشكل رئيس هجوماً معاكساً هائلاً؟» (Nietzsche 1979, 1,0) إن أنموذجه عن الاشتراكية

⁽١٦) في تصديره لنسخة لاحقة مؤرخة في ١٨ آذار / مارس ١٨٩١ قرِّم إنجلز Engels فعلية تفكير ماركس بحكوماتية غير حكومية بوساطة التمييز بين «الدولة الديمقراطية الجديدة» الآنية لـ الكوميونة والشكل السياسي لجيل المستقبل «الذي سيكون قادراً على التخلّص من الدولة» (١-٢٠٠٨, ٢٩٠١).

هو اشتراكية دوهرينغ "Dühring المسيحية الرجعية المعادية للسامية، وهي نفسها السلف له الاشتراكية القومية الألمانية التي انتقدها إنجلز بإسهاب أيضاً، إنه لم يكن قادراً على رؤية ما ميز الكوميونة من الاشتراكية المسيحية، فقد عدّ كلتيها تجلياً للقمع نفسه، وفي لحظة نادرة من الضعف الفلسفي لم ير نيتشه أن كلمة "كوميونة" نفسها كانت اقتباساً يجمع بين شكل سياسي قديم وشكل جديد، أي شكل ما قبل أو ما بعد الدولة، فكما لاحظ ماركس عموماً أن قدر المخلوقات التاريخية الجديدة كلها، هو الخلط بينها وبين المعادل للأشكال الأقدم، وحتى البائدة للحياة الاجتماعية التي قد تحمل تلك المخلوقات بعضاً من التشابه معها، ومن ثم فقد خُلط بين هذه الكوميونة الجديدة التي تقوّض سلطة الدولة الحديثة وإعادة إنتاج الكوميونات القروسطية التي سبقت سلطة الدولة نفسها، والتي بداية ولاحقاً – أصبحت أساساً لها (٢١١).

إن اهتهام ماركس بهذا «الشكل السياسي التوسعي» الجديد جمع المقاومة في الحاضر مع توجه نحو المستقبل، ففي رسائله المشهورة إلى كوغيلمان Kugelmann في ١٢ و ١٧ نيسان / أبريل ١٨٧١ يشدد ماركس على مبادرة الكوميونيين بلغة تتجاوز الخطب القربانية وتثبتها معاً: «يا لها من مرونة، ومن مبادرة تاريخية، ومن مقدرة على التضحية لدى هؤلاء الباريسيين!» مبادرة تاريخية، ومن اتخاذ زمام المبادرة ومرونة أو ليونة الرد على الظروف الصعبة، يتجاوزان أي منطق ردة فعل أو حقد، حتى وإنْ بدا ذلك ثانية في «المقدرة على التضحية» وفي بحث ماركس «عمن يُلام» على فشلها. إن الملامين المقدرة على التضحية»

⁽۱۷) يوجين كارل دوهرينغ (۱۹۲۱–۱۹۲۱) Eugen Karl Dühring هو فيلسوف واقتصادي ألماني عارض ماركس وإنجلز [المترجم].

بالنسبة إلى ماركس هم الكوميونيون أنفسهم لأنهم لم يكونوا توكيديين بها يكفي لالتقاط اللحظة السانحة أو kairos من خلال أخذ المبادرة في الحرب الأهلية. ضاعت اللحظة المناسبة بسبب الوساوس الأخلاقية والسياسية. «لم يرغبوا في بدء الحرب الأهلية كها لو أن ذاك الإجهاض المؤذي المدعو تيير (١٠٠٠ Thiers لم يكن قد بدأ الحرب الأهلية من خلال محاولته نزع سلاح باريس) للمناسبة على ابتداعها للهناسي توسعي، وذلك بتخليها عن المبادرة ووقوعها في وضعة ارتكاسية.

بهذه التأملات في الحرب الأهلية يغيّر ماركس وجهة المقاومة، ويرى حكومة تير بأنها تقاوم «الشكل الإيجابي» المستقبلي التمردي العائد له الكوميونة، كها أن لينين في استشهاده بكوميونة باريس كان حساساً تجاه هذه المبادرة، أي تجاه الانفتاح على مستقبل جديد، ففي تعليقه على إشارة ماركس إلى «شكل إيجابي» يسأل لينين في «الدولة والثورة»: «ما الدولة التي أخذت بإنشائها؟» (Lenin ۲۰۰۸, ۱۱۰) لقد فهم الشكل الجديد بأنه «استبدال هائل» لمؤسسات الدولة بمؤسسات أخرى (ربها لم تعد «مؤسسات») ذات «طراز مختلف جذرياً»، وعلى الرغم من أنه يلجأ إلى الخطابة الدياليكتكية لتحويل الكمية إلى نوعية، فمن الواضح أنه يشير إلى شيء جديد تماماً، وإنْ انتقصت حتمية المقاومة من جدته، إذ يمكن للوضعية الارتكاسية لـ «قمع البورجوازية ومقاومتها» أن تقلل فحسب من البادرة المستقبلية الخلاقة، ألا وهي الكوميونة ماضياً ومستقبلاً، اقتدى لينين

⁽۱۸) الإشارة إلى أدولف تيير (۱۷۹۷-۱۸۷۷) Adolphe Thiers المؤرخ والسياسي الفرنسي الفرنسي الذي قمع كوميونة باريس عام ۱۸۷۱ وقتل الآلاف من الباريسيين [المترجم].

ب ماركس في تمعنه به الكوميونة من أجل الجديد من «الأشكال السياسية التي أسفرت عنها» (٢٨, ١٢٣ توكيد لينين)، كما جرى التقليل من الكشف عن «الشكل التوسعي» الجديد، الذي لم يُقمع تماماً، وذلك بوساطة الحاجة إلى تحدي مقاومة سابقة، أي الحاجة إلى أن يصبح حدثاً في حرب أهلية عالمية وبوساطة الحرص في الوقت نفسه على سلام عالمي مستقبلي.

يتكلم نص ماركس عن كوميونة باريس بعدة أصوات: بصوت الانتقام والتضحية الذي يجعل من كتاب «*الحرب الأهلية في فرنسا»* كتاباً فريداً في الحقد الاشتراكي، لكن أيضاً بصوت الإبداع والتوكيد والترحيب بها هو جديد. إن الصوت الأخير يعلن تحدى كوميونة باريس لكل أصناف التكوين السياسي الحالية بوساطة الإعلان عن ظهور شكل توسعي جديد مضاد للشكل القمعي الذي حتى ذلك الحين كانت الدولة تتبناه، وفي حين كان نيتشه قادراً على تحليل حقد الكوميونة، لم يكن بمقدوره أن يقيّم تلك اللحظة التوكيدية، ربم الأنه أيضاً في النهاية نظر إليها من خلال عدسات الحقد، ومع ذلك فإن الصوت الغائب بشكل لافت عن تلك النقاشات هو صوت الوعي، إذ لم يكن ماركس يؤكد في أي موضع من خطبه عن الكوميونة كلمة الوعي، ولم يُظهر أي علامة على تنظيمه لتأملاته على أساسه. إن هذا بالطبع مثير للسخرية بالنظر إلى هوس المنظرين والمناضلين الماركسيين بفلسفة الوعى وبالتطبيق المخلص لبروتوكولاته على قضية العمل الثوري. إن خطب ماركس تستحضر بدلاً من ذلك فعلية الكوميونة، أي الفسحة التي تحققت في هذا الحدث، والتي لم يكن بالمستطاع إغلاقها لاحقاً، على الرغم من كل القمع.

١ - ٤ - الوعي المقاوم والسياسي:

جرت أيضاً إعادة اكتشاف كتاب لينين «ما العمل؟» (١٩٠١) العمل؟ Bidgen ٢٠٠٧: Lih) متعددة (أصوات متعددة الله بوصفه نصاً ذا أصوات متعددة (٢٠٠٨: Lih ٢٠١١)، لكنه نص يسود فيه صوت الوعي، فحرص لينين على المستقبل الشيوعي تركّز على ضهان الوعي الطبقي السليم، لكن هذا الاعتناق لفلسفة الوعي ليس خالياً من المجاز النيتشي للأخلاقيات الارتكاسية والتوكيدية، كها يتضح في تمييز لينين بين وعي اتحاد العهال الارتكاسي، أو المقاوم، والوعي التوكيدي للحزب الثوري. إن أهمية نيتشه بالنسبة إلى ديمقراطية أواخر القرن التاسع عشر الاشتراكية، ولا سيها بالنسبة إلى التجمع البلشفي الروسي هي مسألة تخص السجل التاريخي والتعلم في ذلك بالنسبة إلى لينين الذي وُجدت نسخته من «هكذا تكلم زارادشت» Also Sprach Zarathustra في مكتبة الكريملين بعد وفاته زارادشت» (Service ٢٠٠٠, ٢٠٣).

⁽١٩) إن الموازاة بين الحربين الأهليتين الأمريكية والفرنسية تستمر في هذه النصوص: «ملاك العبيد المتمردين في بوردو» (١٩٧٤, ٢٠١) و«المحاولة الأولى لتآمر ملاك العبيد...» (١٩٧٤, ٢٠٠٨)، وفيها «تظهر حضارة النظام البورجوازي وعدالته بشكلها الشنيع أينها انتفض العبيد والكادحون ضد أسيادهم» (٢٢٦, ٢٧٦). انظر إلى Blackburn ٢٠١١ بالنسبة إلى ماركس في الحرب الأهلية الأمريكية. وتُعدَّل المقارنة بين الحربين الحديثتين في الخطاب الثالث عبر إشارات إلى تاكيتوس (الإشارة هنا إلى بابلوس كورنيلوس تاكتوس (٥٥) وهو سيناتور ومؤرخ الإمبراطورية الروماني.

على كل حال إن تقييم الأهمية النظرية لهذا القرب التاريخي لم يبدأ إلَّا مؤخراً. المثال البارز هو مقالة ألان باديو Alian Badiou الموسومة بـ «واحد يقسم نفسه إلى اثنين التي تستخدم مقولات نيتشيّة فيها يرقى إلى قراءة لينين وماو بوصفهما المُحقيقين لسياسة نيتشه الكبرى grosse politik، ففي فهمه لعملهما وممارستهما يستشهد باديو بتحطيم نيتشه للميتافيزيقيا وبتقييمه المغاير لجميع القيم وتمييزه بين العدمية الإيجابية والسلبية، لكنه لم يعلن صراحة النتيجة الضمنية، ألا وهي أن اللينينية هي سياسة نيتشية مطعمة بالاقتصاد الماركسي، كما أنه لا يقوم بتوضيح تلميحاته إلى وجود مفهومات نيتشية في لينين، ويتشارك بايدو في تردده مع لارس إل. ليه Lars L. Gih الذي فعلت أبحاثه كثيراً من الأفعال لزعزعة الكليشيهات التي تحيط بـ لينين، لكنه لا يواجه علانية إمكان أن تصبح اللينينية سياسة نيتشية، فإن الفكرة القائلة: إن نيتشه قد يكون شخصية مهمة ووسيطة في الصياغة المعقدة للنصوص الفلسفية الكلاسيكية والحديثة التي تشكل فلسفة لينين لا تزال فكرة غير موجودة، على جدول الأعمال السياسي أو الفلسفي.

جرى مسبقاً الاعتراف بأهمية تأمل لينين الفلسفي بالنسبة إلى ممارسته السياسية، وذلك في دراسة لوكاش Lukás الرائدة عام ١٩٤٢ التي تحمل عنوان السياسية، وذلك في «لينين والفلسفة» Lenin and Philosophy لا التوسير السينين المناين والفلسفة المناين والفلسفة المناين المناين والفلسفة المناين المناين المناين والفلسفة على المناين والفلسفة على المناين والفلسفة على المناوسة الفلسفية صراحة مثل «المادية والمناهب النقدي التجريبي» المناوسة الفلسفية صراحة مثل المناوسة والمناوسة على المناوسة الفلسفية على المناوسة والمناوسة المناوسة والمناوسة وال

منتقاة من دفاتره في منفاه في بيرن في أثناء الحرب العالمية الأولى عندما درس بتمعن الملنطق Logic في المحرب له الملنطق Logic له هيغل و الميتافيزيقيا Metaphysics له أرسطو و الفي الحرب كلاوزفيتز. لقد جعلت الحرب و دراساته الفلسفية من رؤى لينين رؤى متطرفة في العمل الثوري وقادت إلى الكتابين المشهورين المطروحات نيسان / أبريل April العمل الثوري وقادت إلى الكتابين المشهورين المطروحات نيسان / أبريل Theses و الكورقة والثورة من المواقف الفوضوية في إلغاء الدولة، مستشهداً بـ كوميونة باريس (انظر بانظر بالفلسفية في قوله المأثور من مذكراته لعام ١٩١٧:

قول مأثور: من المستحيل الحصول على فهم تام لكتاب «رأس المال» Das قول مأثور: من المستحيل الحصول على فهم تام لكتاب «لمنطق بدراسة عميقة Kapital له ماركس، ولا سيها لفصله الأول من دون القيام بدراسة عميقة واكتساب فهم كامل لكتاب «المنطق» له هيغل، ومن ثمَّ لم يكن أي واحد من الماركسيين في نصف القرن الماضي يستوعب ماركس استيعاباً جيداً.

إن هذه الدعوة إلى قراءة جذرية له هيغل استمرت تقلق كثيراً من قراء لينين، وأولهم ألتوسير، ولا سيها فيها يتعلق بمتاعب الوعي. سيزداد قلق مثل هؤلاء القراء بسبب الادعاء أن فهم لينين يتطلب ضم كلاوزفيتز إلى هيغل، فقد قرأ لينين كلاوزفيتز كجزء من برنامج الدراسة نفسه الذي تضمن هيغل، وقد وقع اهتهامه كها تُظهر تعليقاته على ثلاثة موضوعات في كلاوزفيتز هي: الدياليكتيك واستمرار السياسة كحرب والحركة بين الهجوم والدفاع (أو مسألة المقاومة) في ولهذا - كها أصر لينين في «إفلاس

⁽۲۰) بالنسبة إلى نيتشه والديمقراطية الألمانية انظر (۱۹۸۳) Hinton Thomas وبالنسبة إلى البلشفيين انظر (۲۰۰۲) Glatzar Rosenthal.

الأعمية الثانية» – فإن الأطروحة الأساسية للدياليكتيك هي أن الحرب استمرار للسياسة بوسائط أخرى (وبشكل أكثر تحديداً بالعنف). هذه هي صيغة كلاوزفيتز، وهو أحد أعظم الكتاب عن تاريخ الحرب الذي استلهم تفكيره من هيغل، وهذه أيضاً كانت وجهة نظر ماركس وإنجلز اللذين عدّا أنَّ أي حرب هي استمرار لقوى العدو والطبقات المختلفة ضمن تلك الدول في مدَّة محددة (cited Heuser, 19).

إن هذا الإقرار بمركزية موضوع المقاومة بالنسبة إلى كلاوزفيتز يدعم وجهة نظر قرّاء مثل نيغري الذي يجادل بأن مواقف لينين الفلسفية موجودة أساساً في كتاب «ما العمل؟» وقد جري صقلها فحسب وتطويرها في مذكراته الفلسفية (٠٠).

⁽۱) إن قراءة نيغري لـ لينين هي دليل مهم على بداية تفكير سياسي غدا نقطة مرجعية أساسية أساسية للنقاشات الحديثة بشأن مناهضة العولمة إضافة إلى ثلاثية «الإمبراطورية»، لكن هذه القراءة تشير أيضاً إلى قضايا تؤثر في نظرية المقاومة لديه، واضحة مسبقاً في السبعينيات، إذ إن غياب نظرية واضحة للمقاومة عن عمل نيغري في السبعينيات أمر مدهش، مثلها هو كذلك لدى منظرين آخرين لاستقلالية العهال: من أمثال ماريو ترونتي Mario Tronti وإن كانت المقاومة تنظم ضمنياً الاتجاه والتوترات التي تغذي نظرية الاستقلال. إن التمييز الكلاوزفيتزي بين التكتيكات والإستراتيجية هو في حالة ترونتي تمييز تأسيسي متحالف مع فهم إيجابي، لكنه ضمني مع مقاومة الطبقة العاملة. وفي مقالته البرامجية «لينين في إنكلترا» فُهم رأس المال والدولة الرأسهالية بأنها ردتا فعل وفي مقالته البرامجية «لينين في إنكلترا» فُهم رأس المال والدولة الرأسهالية بأنها ردتا فعل الطريقة الماركسية للتحول الاجتهاعي» يبدأ «التثبيت الذاتي للسعر» فحسب لدى الطبقة العاملة بالارتباط تلميحاً عبر فوكو Foucault مع خطاب المقاومة، وهو تلميح يُعبَر عنه بوضوح في مقدمته لطبعة النص المعادة عام ۱۹۷۷: لقد «أظهر الهضاب الألف A Thousand Plateaus

إن الأهمية المعطاة للوعي في فلسفة لينين السياسية تفرض علينا أن نسأل: هل لينين سياسي ديكاري Cartesian؟ وهل «ما العمل؟» هو خطابه عن المنهج؟ إن نص لينين على النقيض من ماركس هو نص مهووس بفلسفة الوعي، فنوعية الوعي هي التي تميّز المقاومة الخالصة ضد الرأسمالية من إسقاطها الثوري، وانسجاماً مع فلسفة الوعي التي دشّنها ديكارت، فليست النوعية هي المهمة فحسب، بل المهم هو موضوع الوعي أيضاً، إذ يصبح موضوع الوعي عند لينين هو الطبقة الاجتماعية بدلاً من وعي الفيلسوف، وهي الطبقة التي - للمفارقة تتكوّن بوساطة وعيها لنفسها ولمهمتها التاريخية، وتتحدد فلسفة لينين وممارسته مصادفة أنه أيضاً قارئ متابع لد ديكارت) يضطر إلى البقاء ضمن أحكامها، ويقرأ نيغري فلسفة لينين بوصفها رواية تكوين ذات؛ ذات منبثقة من المقاومة ضد القوى المحيطة بالإنتاج وبإعادة الإنتاج حتى تحقيق الذاتية السياسية التامة بوساطة الوعي، لكن الأمر الجوهري بالنسبة إلى أي وصف لبروز الوعي – من بوساطة الوعي، لكن الأمر الجوهري بالنسبة إلى أي وصف لبروز الوعي – من

اللامحدود للمقاومات الجزيئية يمكن = أن يصبح ثورياً» (Negri ۲۰۰٥, xIvi). ومن الصعب تحديد فيها إذا كان تجنّب مصطلح «مقاومة» بمنزلة استجابة شديدة الحساسية تجاه ميثولوجيا المقاومة في إيطاليا ودورها الأيديولوجي في التركيبة الإيطالية ما بعد الحرب أو تجاه وصف الألوية الحمراءRed Brigades لأنفسهم بأنهم مناصرون لـ«المقاومة الجديدة». الأمر الواضح هو أن التردد في التحرك نحو تحليل موضوعاتي thematized للمقاومة ومكانتها في منطق العُهالانية workerism أدى إلى الاستهانة بالفرص والمخاطر التي يطرحها «المفهوم»، وهو مفهوم ترك الاستقلال غير فعّال في وجه المقاومة المسلّحة للألوية الحمراء والقمع الذي استجلبته، والذي أسهم في تبديد مقدرة المقاومة الإيطالية في «سنوات الرصاص»، لذلك كان عدم المواجهة النظرية الصريحة مع المقاومة، إضافة إلى استخدام خطابتها، ما يزالان يميّزان عمل نيغري وهاردت في ثلاثية «الإمبراطورية».

"خطاب في المنهج» Discourse on Method لديكارت إلى "فينومينولوجيا الروح» لد هيغل هو أولاً فهم للزمن ثم للصراع بين وضوح الوعي البارز والمحرضات المبهمة للقوة.

كان للإستراتيجية السياسية المفصلة في نص لينين لعام ٢-١٩٠١ استثهارات فلسفية عميقة، فكتاب «ما العمل؟: الأسئلة الملحة لحركتنا» يتناول الجدالات ضمن الحزب الديمقراطي الاشتراكي الروسي بخصوص دور الحزب والتنظيم الحزبي، كها أن الكتاب يدرك أن وجود حكومة استبدادية يضع الحزب في وضعية مقاومة، لكنه يبيّن أن هذه الوضعية الدفاعية قد تتحول بوساطة الوعي النظري الواضح إلى مبادرة ثورية تطرح فصوله الخمسة فينومينولوجيا للوعي الثوري تنطلق من الوعي البسيط المنبثق من المقاومة ضد المظالم إلى تقبّل النظرية الماركسية ومعها تقبّل الوعي الطبقي الثوري التام. إن وصف تكوّن الوعي كها في ديكارت هو أيضاً وصف لتكوين ذات الوعي، وهي في هذه الحالة البروليتاريا الواعية طبقياً. إن هذه الذات مع ذلك ليست واحدة، بل هي خليط عما أطلق عليه هيغل الوعي «الطبيعي» و«الفلسفي» (دالفلسفي» (دالفلسفي» (داكوري الماسية).

إن الفصل الثاني لدى لينين عن «عفوية الجماهير ووعي الديمقراطيين الاشتراكيين» يقدم وصفاً موجزاً لموقفه برمته، وإن القسم أ. «بدايات الصعود العفوي» يصف ظهور فهم للماركسية بين الطبقة المثقفة الروسية في تسعينيات القرن التاسع عشر إلى جانب مقاومة العمال العفوية ضد ظروفهم، إنه يصر على فرق بين نوعين من العفوية، ويميزهما قبل كل شيء على أساس درجة وعبها و نوعيته:

حصلت إضرابات في روسيا في «سبعينيات وستينيات» (بل حتى في النصف الأول من القرن التاسع عشر) رافقها تدمير «عفوي» للآلات و... إلخ، حتى إنه يمكن – مقارنةً بهذه «الاضطرابات» – وصف إضرابات «التسعينيات» بأنها «متعمّدة»، إلى درجة أنها تميّز التقدم الذي أحرزته الطبقة العاملة في تلك المرحلة، ويُظهر ذلك أن «العنصر العفوي» في الجوهر لا يمثل تقريباً سوى الوعي في شكل أولي، لا أكثر ولا أقل، بل إن أعمال الشغب البدائية تعبر عن صحوة وعي إلى حدٍّ ما، إذ أخذ العمال يفقدون إيهانهم المزمن بديمومة النظام الذي اضطهدهم. لقد بدؤوا... لن أقول بفهم الحاجة إلى مقاومة جماعية، بل بالشعور في الحاجة إليها، وبالتأكيد أنهم تخلوا عن خنوعهم العبودي لرؤسائهم (٢-٣٥ / ٢٥٥) (١٠).

وتمزج هذه الفقرة اللافتة بين تاريخ من الإضرابات في روسيا القرن التاسع عشر مع ظاهرة من الوعي، يَتْبع الوعيَ المرافق لأعمال المقاومة العفوية مثل الشغب والتخريب وعيُّ «أولي»، أي وعي «محسوس»، يزعزع الإيمان باستمرار الظروف الاستبدادية، ومع ذلك ينبثق «إحساس» (إنها ليس فهم) بضرورة الكفاح الجهاعي، فالمقاومة الفردية العفوية في وجه الضرورة المستبدة يتبعها إحساس بالحاجة إلى مقاومة جماعية، وإلى الآن ترسم حكاية لينين

⁽۱) يترجم لارس تي. ليه Lars T. Lih المصطلحين الروسيين ما العمل؟» يترجمان به (إدراك تقليدياً بأنها «وعي» consciousness، لكنها هنا وفي «ما العمل؟» يترجمان به (إدراك awareness وقصد purposiveness)، بحيث إنها يميزان لحظات الوعي الهيغيلة ضمن المصطلح نفسه (۲۰۰۵, ۳۰)، ومع ذلك فإن الأمر الذي لا يزال واضحاً هو أن الوعي هو المُدرِك وله قصد، إذ تجري رؤية هاتين اللحظتين بأنها جزءٌ من السلسلة التطورية للوعي الطبقي، لكن نسخته عن هذا التحوّل تحافظ على الحركة عبر الفهم من يقين الإحساس إلى «قصد جنيني» أو وعي ذاتي. انظر (Lars T. Lih ۲۰۰۸, ۷۰۱).

التاريخية خريطة مراحل كشف الوعي الظواهري phenomenological عند هيغل، فتنتقل تجريبياً من الجنيني إلى مستوى من يقينية الإحساس، ثم ترتقي إلى مستوى الوعي التام، مع إمكانية الوصول إلى المعرفة المطلقة، إذ يكون الوعي ذاته وموضوعه الخاصين.

لكن هذه العملية ليست مستمرة، بما أن قواعد لينين تعبئ الكلمات النيتشيّة المحذوفة (التوقفات المتخيلة لدى ديريدا Derrida's teleiopoetic)... بغية الإشارة إلى طبيعة المقاومة المفتوحة وغير المحددة، فالمحذوفات تؤشر إلى الانقطاع عن التاريخ وحلول زمن الثورة، وهو حدث يصفه ديريدا في قراءته لكتاب «ما العمل؟» بأنه: «الثورة أي ليس الإمساك بالسلطة من جانب طبقة حاكمة جديدة فحسب، وفقاً لهذا النمط أو ذاك، بل هي قبل كل شيء انقطاع تام عن التسلسل التاريخي. إنها تهتُّكُ لا يمكن علاجه، أي إنها انقطاع الآخر برمته في نسيج أو سلسلة السياسة» (Derrida ۲۰۰۷, ٣١)، ومع ذلك يميل لينين نحو جمع توقفات عملية الوعى الناشئ، تلك التي لاحظها ديريدا في نص لينين، كي تصبح جلية تماماً لدى الوعى الثوري. إن البدايات العفوية للمقاومة هي ومضات من وعي ينبثق من وضعيات شغب وتخريب ارتكاسية ودفاعية، فقد كانت تلك الومضات من المقاومة بالنسبة إلى لينين («أسس القصد» Lih, ٧٠) «من طينة انفجارات اليأس والانتقام أكثر مما هي كفاح، إذ أظهرت إضرابات التسعينيات ومضات وعى أقوى بكثير» (Lenin ۱۹۷٥, ٣٦)، فقد حُفّزت أعمال المقاومة الأولى بوساطة الحقد أو روح الثأر عبر التحدي أو القول: لا! لعالم مستبد: وبالنسبة إلى لينين لم تكن تلك الأعمال سوى توطئة لكفاح واع وتوكيدي، وفي مقابل تحويل لينين ومضات المقاومة إلى ضوء الوعي الطبقي الثوري المتوهج فقد رأت الماركسية اللاحقة (بنجامين Benjamin بنسعيد Benjamin) في ومضات وتقطعات المقاومة مؤشراً على طبيعتها المسيحية الاقتحامية، وبالفعل سوف نرى أن ومضات المقاومة في ليل التاريخ هي بالنسبة إلى جورج ديدي—هبرمان Georges Didi-Huberman في التاريخ هي بالنسبة إلى جورج ديدي—هبرمان Survivances des lucioles في المنجاة البراعات Survivances des lucioles كل ما نستطيع الحصول عليه، لكنها بالنسبة إلى لينين ليست سوى بدايات متعثرة للوعي الثوري، إذ عليها أن تعلو لتصبح إنارة تامة أو وهجاً أو مجداً من الوعي الثوري. إن هذا مجاز من السمو يحدده ديدي— هبرمان وينتقده في العمل الأخير لـ بازوليني Pasolini وفي العمل المخير لـ بازوليني Agamben وفي العمل الجديد لـ أغامين Agamben.

فبالنسبة إلى لينين، إن على الوعي السياسي - بوصفه إنارة تامة - أن يغذي العمل الثوري، لكنه لا يصدر تلقائياً عن أعمال مقاومة فردية أو جماعية، فالمقاومة ليست سبيلاً للمعرفة المطلقة، وهي بلغة لينين غير قادرة على تكوين الذات الثورية، لكنها تومض على الدوام، وهي تُعيد الكرّة على الدوام، ومن ثم يجب أن يأتي الضوء من مكان ما آخر: «سبق أن قلنا إنه لم يكن هناك بعدُ وعي ديمقراطي اشتراكي بين العمّال، فقد كان ممكناً جلبه لهم من الخارج فحسب» (١٩٧٥, ٣٧)، إن التفسير الإيجابي لجلب الضوء إلى الكهف الأفلاطوني يحوَّل بوساطة نبرة نيتشيّة حاسمة، كما يجب على ضوء الوعي السياسي الإثباتي أن يبرز الحقد أو الإصلاح الذي يصدر عن المقاومة الارتكاسية العفوية، ويزعم لينين أن «العفوية يمكن أن تطغى» على الوعي، وأن مقاومة العمال هي مقاومة ارتكاسية في ردها على مأزق، كما أنها تجازف بجعل المأزق يحدد شكل مقاومتها، إذ ليس هناك من توقف بالمعنى الديريدي Derridean للانقطاع عن تاريخ سابق، بل هناك توقف تدوين مقلوب لذلك التاريخ في المقاومة نفسها، إذ إن الكفاح من أجل تدوين مقلوب لذلك التاريخ في المقاومة نفسها، إذ إن الكفاح من أجل تدوين مقلوب لذلك التاريخ في المقاومة نفسها، إذ إن الكفاح من أجل تدوين مقلوب لذلك التاريخ في المقاومة نفسها، إذ إن الكفاح من أجل تدوين مقلوب لذلك التاريخ في المقاومة نفسها، إذ إن الكفاح من أجل

مزيد من الأجور يقبل صيغة الأجور، وإن النضال من أجل ظروف أفضل للعمل يقبل نظام إنتاج المصنع، وباختصار إن المقاومة تجنح نحو الإصلاح بدلاً من الثورة، ويحض لينين قارئه على أن يسأل السؤال الآتي: «لماذا تقود الحركة العفوية، الحركة ذات المقاومة الأقل إلى تحكم الأيديولوجية البرجوازية؟» (1 م 19۷٥, ٥١) ويجيب: لأنها أقدم وأقوى ولأن «وعي اتحاد العمال» هو بمنزلة مقاومة حقد ارتكاسية، إنها تقول لا لمظالم معينة، في الوقت الذي تقوم فيه بتثبيت البنية المؤسساتية للرأسهالية، وهي حتى الآن لا تقول نعم باسم شيء جديد، كما في تأييد ماركس لـ كوميونة باريس.

وفي القسم E من الفصل الثالث لكتاب «ما العمل؟» المُعنون بـ«الطبقة العاملة كطليعة مقاتلة من أجل الديمقراطية» يتبنى لينين بسخرية الإجماع الآتي: «الكل موافق». إنه من الضروري تطوير وعي سياسي للطبقة العاملة» ويتابع منتقداً «الاعتقاد القائل: إنه من الممكن تطوير الوعي السياسي الطبقي للعمال ضمن كفاحهم الاقتصادي إذا جاز القول» (١٩٧٥, ٩٧) وبوصفه كفاحاً ارتكاسياً يجب أن يُستكمل الكفاح الاقتصادي بلحظة إثبات تُجلب من «الخارج»، فالحزب الديمقراطي الاشتراكي سوف يجلب هذا الوعي لحقيقة الشيوعية بالنسبة إلى الطبقة العاملة المرغة في حقد الصراعات الارتكاسية.

كان لتصنيف المقاومة بمقتضى بروتوكولات فلسفة الوعي نتائج هائلة، بالنسبة إلى الماركسية اللاحقة وفهمها للثورة، فالمقاومة شرط لاحتمالية تجاوزها الخاص في الوعي الثوري لدى البروليتاريا، وباستخدام لغة هيغيلية إنها «لحظة متلاشية» تنبثق من الصدام بين القوة الاستبدادية القمعية وقوة البروليتاريا الناشئة، لكنها تُبقى المسألة مفتوحة بشأن ما إذا

كانت المقاومة المنظمة لا تزال «مقاومة» وحسب، أم إنها سوف تتحول إلى شيء جديد من دون تدخل الوعي من الخارج، ويمكن صياغة الرد على هذا السؤال بحسب التنظيم: هل المقاومة تعارض التنظيم أو إنها تشير إلى شكل آخر من التنظيم غير ذاك المفهوم على أساس التوحد بمقتضى الوعي؟ ومع نظرية روزا لوكسمبورغ Rosa Luxemburg تدخل فكرة تنظيم أخرى إلى النظرية الماركسية ونظرية المقاومة، وهي فكرة تنتمي إلى أواخر عهد كانط النظرية الماركسية ونطرية المقاومة، وهي فكرة تنتمي إلى أواخر عهد كانط التحول البيولوجي، وهذا موقف جرى توقعه سابقاً في استخدام لينين المستمر للاستعارات المستمدة من علم الأجنة.

ولأن روزا لوكسمبورغ معاصرة قريبة لـ لينين، ولأنها منظّرة بارزة للقسم البولندي من الحزب الديمقراطي الاشتراكي الألماني، فإن تفكيرها يمثل قطيعة واضحة مع المسعى السائد في تصنيف المقاومة ضمن أنموذج الوعي، فكتابها الإضراب العام، الحزب السياسي والاتحادات العبالية» يتحدى بصراحة «ما العمل؟» لـ لينين على أرضية الوعي والزمانية، إذ تصر لوكسمبورغ على أن أعمال المقاومة والتمرد لا تنسجم مع ذاك النوع من الرواية المنطقية الزمانية التي حاكها لينين، وتتحدى لوكسمبورغ بحسم تأكيده جمع ومضات المقاومة في الضوء الثابت للوعي (أو الحركة من الإدراك إلى الهدفية في صيغة ليه الما المتضمَّن في النظرية الثورية، فقد رفضت ماديتها الراسخة قبول الفرق بين العفوية الاستطرادية للمقاومة، والحضور الدائم لوعي ثوري ذاتي التصحيح، ففي تأمل في توسع ثورة ١٩٠٥ في روسيا لاحظت لوكسمبورغ أنه:

[...] لم يكن هناك مخططٌ محددٌ مسبقاً، ولا عمل منظم، لأن نداءات الأحزاب لم تستطع أن تجاري التمردات العفوية للجماهير، وبشق النفس

وجد القادة الوقت كي يكتبوا الشعارات لجمهور البروليتاريا المندفع، وإضافة إلى ذلك فإن الإضرابات العامة والجماهيرية السابقة نتجت عن التئام صراعات الأجور الفردية، التي تحولت بسرعة إلى مظاهرات سياسية تماشياً، مع المزاج العام للحالة الثورية، وكانت تحت تأثير التحريض الديمقراطي الاشتراكي، فقد كان العامل الاقتصادي والحالة المبعثرة للحركة النقابية العمالية نقطة البداية وكانت النتيجة عملاً طبقيًا وتوجها سياسيًا جامعاً (١٩٧٠, ١٧٠).

وفي قلب متعمد لتفضيل لينين للوعي، زعمت لوكسمبورغ أنه جرى «عكس الحركة»، إذ إن الوعي تبع حركة المقاومة وتحولاتها ولم يوجهها.

إن لوكسمبورغ تصوّر الانتقال من المقاومة إلى الثورة، ليس على أساس صدام الجوامد كما هي الحال في وجهة نظر لينين للذوات الطبقية الواعية والمتحدة، بل كحركات قوى سائلة مؤلفة من تيارات متنوعة، تتحرّك بسرعات مختلفة، ويكرر كل من لينين ولوكسمبورغ وجهة نظر كلاوزفيتز في الانتقال من نظام الحرب الجامد والقديم إلى نظام ثوري سائل، ومن المدهش أن لا أحد منهما يصل إلى تبخير وتكثيف العنف الذي ميّز رؤية كلاوزفيتز للمقاومة، ومع ذلك تمنح لوكسمبورغ المقاومة احتراماً أكبر من قيامها بوظيفة لحظة متلاشية من إسناد الوعي، فبالنسبة إليها فإن التقطعات المقاومة لمسار العالم تكوّن انسيابها الخاص المنتظم والمعقد:

إن الإضرابات السياسية والاقتصادية، والإضرابات العامة والجزئية، وإضرابات التظاهر، وإضرابات القتال، والإضرابات العامة الخاصة بفروع صناعة معينة، والإضرابات العامة الخاصة بمدن معينة، والصراعات السلمية للأجور، ومجازر الشوارع، وقتال المتاريس، كل هذه تتخلل بعضها بعضاً فهي

تسير جنباً إلى جنب، وتتقاطع وتنساب في داخل بعضها وفوقه، إنها بحر من الظواهر دائم الحركة، وإن قانون الحركة لكل هذه الظواهر هو قانون واضح، فهو لا يكمن في الإضراب العام نفسه ولا في تفاصيله التقنية، بل في النسب الاجتهاعية والسياسية لقوى الثورة (١٨٢٠, ١٩٧٠).

إن الثورة ظاهرة حيوية متهايزة داخلياً، فهي تفاوت جوهري للقوى، يتجلى في أحداث صغيرة، وهي تؤثر في العمل «بألف طريقة وطريقة غير مرئية ونادراً ما تكون قابلة للتحكم لكن فعل الإضراب لا يتوقف لبرهة واحدة. إنه يقوم فحسب بتغيير أشكاله وأبعاده وآثاره، فهو النبض الحي للثورة، وهو في الوقت نفسه عجلتها المحركة الأقوى» (١٨٢، ١٩٧٥ الابنض الحي للانتاج وإعادة الإنتاج الرأسهالي لوكسمبورغ من الثورة الروسية هو أن إيقاف حركة الإنتاج وإعادة الإنتاج الرأسهالي هو في حد ذاته «أسلوب حركة جماهير البروليتاريا» (١٨٢، ١٩٧٥ من عنها من كما أن التنظيم يُفهم بموجب عملية خلق ذاتي للتصحيح والتحدي يُعبَّر عنها من خلال استجابة ديناميكية لبيئة معينة، كما أن جملة أعمال المقاومة المتناهية الصغر تضمن أنه ليس هناك من وجود للاستجابة الارتكاسية، بل إن هناك عملية امتحان وتحول مستمرة تكون فيها المقاومة أساسية:

ومع انتشار النضال السياسي وتوضيحه واستدارته، فإن النضال الاقتصادي ليس غير معرّض للتضاؤل وحسب، بل إنه أيضاً وبشكل متساو يتوسع وينتظم ويصبح أكثر انغهاساً، وهناك بين الاثنين يوجد العمل التبادلي الأكثر اكتهالاً (Luxemburg 19۷0, 1۸0).

ليس هناك وجود لمسألة تنظيم الوعي، بل إن هناك - بدلاً من ذلك - صراعاً وتوسعاً ديناميكياً للقوى التي تُولّد أعمالها التفافات، وتترك آثاراً تغيّر بيئة النضال المستقبلي، كما في هذه الصورة الجميلة لموجة المقاومة التي

تترك آثاراً لمرورها على الرمال. إن ومضات المقاومة لا تتبدد في عتمة الكبت، ولا تصعد إلى ضوء الوعي، بل هي دوامات في تيار الصيرورة تترك آثاراً: «فبعد كل موجة مزبدة من العمل السياسي يبقى خلفها راسب إثمار تنبثق منه ألف قصبة من الصراع الاقتصادي، وبطريقة عكسية إن حالة الصراع الاقتصادي المستمر للعمال مع الرأسماليين تُبقي طاقتهم القتالية حية في كل مرحلة سياسية فاصلة... (١٨٥ ، ١٩٧٥).

إن مخالفة لوكسمبورغ لأنموذج الوعي حررت المقاومة من الدور الوصائي المعطى لها في نظرية لينين، فانسجام أعمال المقاومة الفردية أو تماسكها لا يُنتجه التنظيم الواعي، بل إنه ينشأ عبر عملية تحوّل، كما أن اختبار البيئة المعادية في أثناء المقاومة يترك أرشيفاً من الآثار المدوّنة على البيئة الرأسهالية والتنظيم الناشئ للبروليتاريا معاً. إن لتاريخ مثل هذه الأعمال من المقاومة انسجامه الخاص، وهو انسجام لا يخص الوعي، لكنه يُحافظ على المقاومة نضالات الماضي مع بقائه متوجهاً نحو المستقبل.

لم يحظ عمل لوكسمبورغ بالعناية الفلسفية نفسها التي حظي بها عمل لينين، ما عدا الاستثناء البارز المتمثل في شرحه فلسفة هانة آرنت السياسية، ومع ذلك فإنه نقد مهم لفرضيات كتاب «ما العمل؟» الفلسفية للينين وفهمه للمقاومة، وهو أيضاً متأثر بشكل أساسي بكتاب «الحرب الأهلية الفرنسية» لـ ماركس، إلا أنه يستقي منه نتائج مختلفة تؤكد الإبداع

⁽٢) هانه آرنت (١٩٠٦–١٩٧٥) Hannah Arendt (١٩٧٥–١٩٠٦) هي فيلسوفة ومنظّرة يهودية ألمانية. تناولت في كتاباتها أموراً عدة منها القوة والعنف والسلطة، وقد اتُهمت بمعاداة السامية لأنها عارضت محاكمة القيادي النازي أدولف إيخهان أمام محكمة إسرائيلية بعد أن اختطفه جهاز الموساد الإسرائيلي [المترجم].

السياسي لـ الكوميونة، أي شجاعتها، ويظهر الخطاب البيولوجي للحيوية والصحة الذي احتل هوامش خطابات ونصوص أخرى لـ ماركس، كما استقى إلهامه أيضاً من فهم ماركس الإيجابي لنبل كوميونة باريس وتقديره لزمانيتها غير المألوفة، إذ إن انسلاخها عن تاريخ الدولة والإمبراطورية أتى في وقت مبكر جداً فكانت مستقبلاً يقتحم تسلسلية الحاضر والماضي، ومع ذلك فإن الأمر المهم بالنسبة إلى لوكسمبورغ هو انفتاح هذه المرحلة والأثر الدائم الذي تركته في ذاكرة مقاومة الطبقة العاملة.

١-٥- المقاومة اللاواعية:

إن القطيعة مع أنموذج الوعي واكتشاف المقاومة اللاواعية التي أشارت إليها لوكسمبورغ تعزَّزا في أعهال أُنتجت بشكل مستقل في فيينا، في النصف الأول من العقد الثالث من القرن العشرين وهي: «التاريخ والوعي الطبقي: دراسات في اللياليكتيك الماركسي» History and Class Consciousness: Studies in Marxist الماركسي، الأعراض، الدياليكتيك الماركسي، الأعراض، الأعراض، وهوو والنواهي، الأعراض، الأعراض، والقلق، المامة المنائل في مزاولة الطب النفسي المامة المنائل في مزاولة الطب النفسي المامة النفسي المامة عن يئتين مختلفتين جداً، لكنها تتشارك في الضيق من فلسفة البثقت هذه النصوص في بيئتين مختلفتين جداً، لكنها تتشارك في الضيق من فلسفة الوعي وفي مقاربة نقدية تجاه المقاومة، ولم تكن إعادة التفكير بالعمل السياسي والصحة النفسية منفصلة عن إعادة التفكير بالمقاومة بالنسبة إلى كلا الكاتبين.

⁽٣) اعتُمدت ترجمة جورج طرابيشي الصادرة عن دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، علماً بأن الترجمة عن الطبعة الفرنسية من الكتاب [المترجم].

إن المقاومة بالنسبة إلى لينين تعبّر عن مستوى منخفض من الوعي الارتكاسي، في حين هي عند لوكسومبورغ الوسيلة التي يمكن بوساطتها تدوين كيفية عمل القوة الحيوية في أرشيف الصراع الطبقي، وكان رد لوكاش على هذا الاختلاف الجوهري بخصوص تقييم المقاومة في النظرية والتطبيق الماركسيين هو البحث في المصادر الفلسفية عن معضلة الوعي في المثالية الألمانية، وهذا ما قاده إلى أقصى حدود فلسفة الوعي وإلى ما وراءها، إذ إن انفجارات المقاومة بالنسبة إلى لينين كانت محكومة إما بالتلاشي والاختفاء في عتمة الكبت أو بالارتفاع إلى الضوء التام للوعي الثوري. إن نقد لوكسومبورغ فرض على لوكاش مواجهة فلسفية وسياسية مع مسألة الوعي، تجاوزت الوعي نحو نظرية مقاومة توكيدية أو إبداعية.

يستعرض الفصل الرئيس من «التاريخ والصراع الطبقي» الذي يحمل عنوان «التمدين» ووعي البروليتاريا» ظهور وعي متمدِّ في الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، فمن خلال حبكه لنقد ماركس صيغة السلعة مع نظرية التمدي لدي سيميل Simmel وأطروحة العقلنة لدى فيبر «Weber»، يفترض لوكاش أن «التمدي يتطلب من المجتمع أن يتعلم إشباع كل حاجاته على أساس تبادل السلع...» وأن «مبدأ الحساب والمكننة العقلاني يجب أن يشمل كل مناحي الحياة» (Lukás 1 9 V 1, 9 1). كما أن لوكاش يرى أن هذا الاحتضان يتوسع انتشارياً وتركزياً، ولا يحتل العالم وحسب، بل إنه يحتل الوعي نفسه: «إذ إن بنية

⁽٤) التمدي: هو كلُّ ما يجعل الشيء ماديًّا.

⁽٥) الإشارة هنا إلى ماكس ڤير (١٨٦٤ - ١٨٦٠) Max Weber، وهو عالم اقتصاد وسياسة ألماني، ومن العلماء المؤسسين لعلم الاجتماع الحديث، والدارسين لمؤسسات الدولة والإدارة العامة [المترجم].

التمدي تغوص إلى وعي الإنسان باضطراد على نحو أعمق وبشكل أكثر حتمية وحسماً تماماً مثلها ينتج النظام الرأسهالي نفسه ويعيد إنتاجها اقتصادياً باستمرار على مستويات أعلى فأعلى» (Lukás ۱۹۷۱, ۹۳). كها يُنظر إلى تمدي الوعي على أنه عملية تاريخية تؤدي إلى الحد الأقصى من التمدي التام الذي لا يتضمن العالم وحسب، بل إنه يتضمن «الطبيعة المادية والنفسية للإنسان» أيضاً يتضمن العالم فرحسب، بل إن لوكاش ومن خلال قيامه بمثل هذا التحديد لنزعة تاريخية نحو تمدي الحياة والوعي يجعل من نظرية المقاومة أساساً بالنسبة لأي عاولة تحدّ لتلك النزعة.

إن إحدى الاستجابات لمعضلة التمدي التي يقترحها لوكاش تكمن في رؤية العامل كسلعة أصبحت واعية لحالتها السلعية الخاصة، إن هذا التحول على مستوى الوعي ذو نتائج فورية بالنسبة إلى الفعل (انظر ،١٩٧١) للهذاتي أو النوري ملائمة هذه الاستجابة مع الحل اللينيني في استجلاب الوعي الذاتي أو الثوري من الخارج، أي إن وعي الكلية يرفض الوعي المتمدي الجزئي والارتكاسي لدى العامل. أقر لوكاش في مقالته عن «الوعي الطبقي» بأن الوعي الارتكاسي يميل نحو «حدود قصوى» تجريبية وطوباوية، «وفي إحدى الحالات يصبح الوعي مراقباً سلبياً تماماً يتحرك انقياداً وفقاً لقوانين لا يمكنه أبداً أن يسيطر عليها، كما يعد نفسه في الحالة الأخرى قوة قادرة بملء إرادتها الذاتية أن تُتقن الحركة التي لا معنى لها أساساً» (Lukás ۱۹۷۱, ۷۷). يُفصّل الموقف الأخير في نقده لـ روزا لوكسمبورغ التي يراها تغالي في تقدير «القوى الطبيعة العفوية للثورة» (Lukás ۱۹۷۱, ۲۷۹)، لكن إلى جانب هذه المحاولات لحل مشكلة التمدي عبر فلسفة الوعي، يبرز نوع مختلف من المحاولات لحل مشكلة التمدي عبر فلسفة الوعي، يبرز نوع مختلف من الاستجابة يتطلع إلى ما وراء حدود مسرح الوعي.

إن هذه الاستجابة التي تحيد عن تحليل التمدي، تتطلع نحو تحديد مواقع وأماكن أو لحظات يمكن من خلالها لمقاومة التمدي أن تبرز أكثر مما تتطلع نحو إمكانية تغيير الوعي. إن هذه هي لحظات إبداع تنفجر في ثقافة منكبَّة على التفكير، سواء كان بالإبداع السياسي في المجالس العمالية أم السوفيتيات Soviets التي دافعت عنها لوكسمبورغ، أم بوساطة شطحات خيالية فنية تتجاوز التمدي، وعلى الرغم من ذلك يمكن أن يصف لوكاش هذه الاستجابة في المقالة الختامية لجموعة «نحو منهجية لمعضلة التنظيم» Towards a Methodology of the Problem of Organization على أساس قضية التفاعل بين العفوية والتحكم الواعي» (Lukás 19V1, T1V) الذي يربطه مع الشكل التنظيمي لـ «الحزب الشيوعي»، لكن من الواضح أن هذه المقاومة توجد في مكان آخر. إذ إنها يمكن أن توجد في أعمال فنية وفي الفلسفة التي تشير نحو مواقع محتملة لمقاومة ثقافة ووعى متمديين. إن تلك الإمكانية لأشكال ومواقع المقاومة المتجاوزة لفلسفة الوعى هي التي حرّضت تفكير أدورنو Adorno وبنجامين Benjamin ومدرسة فرانكفورت Frankfurt School، فقد شرح عملهم تحول حدس مواقع لاواعية للمقاومة عند لوكاش إلى تأمل في المقاومة الجمالية، أي في المقاومة المسيحية التنبؤية، بل حتى مقاومة المفهوم، أي تحولها باختصار إلى عالم من المقاومات لم يعد مرتبطاً بخطاب الوعى والقوة.

رأى أعضاء مدرسة فرانكفورت بوضوح تام الصلة بين تلك اللحظات في عمل لوكاش التي تتخطى خطاب الوعي، وبين المهارسة السريرية لعلم النفس الذي كان فرويد رائده، وفي حين حلَّل فرويد تكتيكات المقاومة بدمج خطب القوة والإبداع مع اعتبارات طبية حيوية، فإنه شكك أيضاً في العلاقة المفترضة بين المقاومة والثورة بإظهاره تواطؤها مع القمع والاستبداد، ويمكن

القول إن مشروع التحليل النفسي هو في بعض النواحي تأمل في المقاومة، وقد لا يكون مجرّد تأمل، بل إنه ابتداع طريقة عمل ضد طبع المقاومة.

وقد أورد فرويد سابقاً في كتاب «دراسات في الهستيريا» Studies in Hysteria عام ١٨٩٦ مواجهات مع المقاومة لدى مرضاه وبشكل ملحوظ مع مقاومة التنويم المغناطيسي، فهو يصف المقاومة طوبوغرافياً بأنها علامة تحليلية للقرب من صميم العُصاب، ويفهمها بأنها آلية دفاع مناعية تعيق مرور أمراض لاواعية إلى التمعّن الواعي مع أخذ الفارق في الحسبان، إذ إنه على النقيض من الخطب المناعية الناشئة - ليس الكائن العضوي هو الذي يدافع عن نفسه ضد مسبب المرض pathogen بل إن مسبب المرض هو الذي يدافع عن نفسه ضد الكائن الحي، وعليه فإن فرويد يفهم المقاومة لجهة منع الوصول مع صون للأسرار ويصنف الاختصاصي النفساني بأنه شخص يعمل مع المقاومة كي يسمح، بالوصول إلى المحجوب. يوجد تشابه كبير مع لوكاش الذي لا يتكلم فحسب عن «اللاوعي السياسي»، بل إنه أيضاً عدّ استغلال الطبقة العاملة - أي استخلاص فضل القيمة على شكل تبادل متساو مع عقد الأجور - سراً قاومت الرأسمالية فضحه بأي ثمن، إن الذي يبرز في كليهما هو وجود بعض التضارب بخصوص المقاومة، فهي قوة كبت بقدر ما هي قوة تحرر، وهذا تضارب يعود إلى الطبيعة الديناميكية للمقاومة أي إلى سمتها الفاعلة والارتكاسية معاً.

يسترشد عمل فرويد على المقاومة بالحدس الدقيق لطبيعتها المُطَاردة على نحو تخريبي، بأنها طبيعة «توقف العمل كلياً» ليس عبر الإضرابات والتخريب والمظاهرات فحسب، بل بوساطة انزياحات وتكثيفات ومجازات وتحويلات معقدة، فالعمل مع ما يوقف العمل تماماً هو سعي لمقاومة المقاومة، ويدرك

الطبيعة الانعكاسية للمقاومة بوصفها دوماً مقاومة مضادة. إنه عمل يستلزم مكراً تكتيكياً ومواجهة غير مباشرة، ومقدرة على استغلال تضاربات المقاومات في التغلب عليها، بكلمات أخرى إنه عمل ينسجم مع السيرة الإستراتيجية لحرب العصابات، حتى إن فرويد بالفعل يصف عمله على أساس «قتالنا ضد المقاومة في التحليل....» (Freud ۲۰۰۱, ۱۰۹). يجرى تبويب تجربة حملات المقاومة ضد المقاومة التي توصف في دراسات فرويد الميدانية وقبل كل شيء في «دورا ورجل الفأر» Dora and the Rat Man في الفهرس (أ) من كتاب الالنواهي، والأعراض، والقاق» Inhibitions, Symptoms and Anxiety لعام ١٩٢٦، إذ يوسّع فيه فرويد واحدة من رؤى نيتشه المقلقة كثيراً، ألا وهي أننا نريد أن نمرض، أي إننا نقاوم أن نصبح أصحاء بتفضيلنا عدم رغبة أي شيء بدلاً من عدم الإرادة مطلقاً، بحيث تشمل التحقيقات الخمسة للمقاومة، فثلاثة من هذه التحقيقات قريبة إلى ما نعتقد أننا نعرفه بأنه هو الوعى أي مقاومة الأناego resistance في حين أن الاثنتين الأخريين لهم طبيعة مختلفة جداً وخادعة أكثر بكثير وتصدران عن الهو Id والأنا العليا Superego. إن التحقيق الأول للمقاومة يجد نفسه على مقربة من الكبت: «إن العنصر المهم في هذه النظرية هو الرؤية القائلة: إن الكبت ليس حدثاً يحصل مرة واحدة، لكنه يتطلب إنفاقاً مستمراً (للطاقة).... إن هذا العمل المُتخذ بغية حماية الكبت يمكن ملاحظته في المعالجة التحليلية بوصفه مقاومة» (Freud ۲۰۰۱,) ١٥٧). تتخذ المقاومة هنا وضعية دفاعية لتامين ظروف التكرار، وبفعلها ذلك فإنها تدافع عن الكبت. أما التحقيق الثاني من بين «مقاومات الأنا» الثلاث، هو التحويل أو المقاومة ضد تذكر الكبت بوساطة استبدال سريري «ينجح في إقامة علاقة مع الوضع التحليلي للمحل نفسه، ومن ثم في إعادة إحياء الكبت الذي كان يجب أن يُتذكّر فحسب» (Freud ۲۰۰۱, ۱٦٩)، فالذي يبدو أنه مقاومة للكبت هو في الواقع تأكيد له باستبدال الوضع السريري، والمقاومة

الثالثة هي الربح من المرض، أي التردد في التحرر من العَرَض بسبب الإشباع الذي يُحصل عليه من أداء دور المريض.

إن التحقيقين الرابع والخامس للمقاومة موجودان خلف نطاق سيناريو الأنا وتَقلّباتها، إذ يتجلى الرابع في المقاومة العنيدة التي يبديها اللاوعي، أو «الهو» حتى لو كان المريض واعياً لأعراضها، وتمَّ التغلب على مقاومة الأنا لدى كليهما، فالأعراض تستمر، وعند هذه النقطة نصادف الحد الأقصى لالتزام فرويد بفلسفة اللاوعى بوصفها نقلة من علاقة سلبية، إلى علاقة إيجابية، إلى كبت يكون حتى اللاوعي فيه غير قادر على التغلب على «قوة الدافع القسري نحو التكرار»، إذ يوجد «أنموذج أصلي prototype لا واع» يواصل ممارسة الجذب «على العملية الغرائزية المكبوتة» (Freud ۲۰۰۱, ۱۵۹). عندئذٍ يفكّر فرويد في نهاية لاحتمالية المستقبل - كبح الرغبة - تعمل على مستوى من المقاومة بعيد جداً عن متناول الوعي، ويتبع هذه المقاومة المميتة مقاومة خامسة أو «أنا عليا» هي بالنسبة إلى فرويد «الأكثر غموضاً إن لم تكن الأقل قوة دائمًا، ويبدو أنها تنشأ عن الشعور بالذنب أو الحاجة إلى العقاب»، وهي تكتيك يُستعمل «لمعارضة كل حركة نحو النجاح، بما فيها - تبعاً لذلك -شفاء المريض نفسه بوساطة التحليل» (Freud ۲۰۰۱, ۱٦٠)، وبهذا ينهى فرويد تقييمه الإستراتيجي لمقدرة المقاومة لدى عدوه التي تتجلى كمقدرة على مقاومة نفسها.

وفي كتابه المعاصر «مسائل في مزاولة الطب النفسي» (١٩٢٦) وفي كتابه المعاصر «مسائل في مزاولة الطب النفسي» Question of Lay Analysis فيكتب «ما الذي يجب فعله؟» للمحلل الطامح، ونظراً لانبثاقها من حروب المقاومة ضد التحليل النفسي الذي حُلّلت مزاياه ودُرست مسببات أمراضه في

«مقاومات التحليل النفسي» (١٩٢٤) فإن «مسائل في مزاولة الطب النفسي» يقدم نصيحة تكتيكية لإدارة حرب العصابات التي ينهمك فيها المحلل ضد مقدرة المقاومة لدى الشخص الخاضع للتحليل»، فحينها يجد رجل العصابات أو المحلل العادي تفسيراً معقولاً لأعراض الشخص الخاضع للتحليل، يجب عليهها أن يتبنيا سياسة أو زمن علاج يتضمن حرباً طويلة الأمد ضد المقاومة. إن مجرد وضع التفسير في مواجهة وعي المريض يمكنه فحسب أن يعزز المقاومة فيصبح كل شيء مسألة اختيار اللحظة المناسبة والمنهج الصحيح وغير المباشر في العادة. إن الاختيار الملائم للوقت وللتصرف يستلزمان ما يعده فرويد مردِّداً مقولة كلاوزفيتز «براعة إستراتيجية»:

إنك ترتكب خطأً جسياً لو أنك ربها في محاولة لاختصار التحليل ألقيت بتفسيراتك على رأس المريض حالما وجدتها، وفي تلك الطريقة سوف تستجلب منه تعبيرات مقاومة ورفض، وغضب لكنك لن تمكن الأنا لديه من التغلب على المادة المكبوتة. إن الصيغة هي: الانتظار حتى يقترب كثيراً من المادة المكبوتة، بحيث يبقى لديه خطوات إضافية قليلة مسترشداً بالتفسير الذي تقترحه (٢٠٠١, ٢٢٠).

إن الدور الريادي للمحلل في جذب الخاضعين للتحليل إلى نقطة يصبحون فيها هم أنفسهم قادرين على التغلب على المقاومة يتضمن تظاهراً بالتفسير، أي إنه إستراتيجية تأخذ خطوة واحدة إلى الخلف بغية تأمين خطوتين إلى الأمام، وهي مُصاغة بعبارات مشابهة للعمل السياسي المحدد في «ما العمل؟» لد لينين. ومن البديهي أن حقد المرضى – أي استثمارهم في الشعور بالإثم والعقاب الذاتي – يتضمن أنه «ليس لديهم أي رغبة من أي نوع في الشفاء» وأن مقاوماتهم ارتكاسية، إذ يحتل الخاضع للتحليل حصناً

من المقاومات التي «تعارض عمل الاستشفاء» – الاحتماء خلف متاريس الربح من المرض والإثم والخوف وعدم الأمان التي تولّد لديهم الحاجة إلى القطيعة مع التاريخ وهجران «العملية الغرائزية التي كانت تسير على مسار معين لعقود» – وتجعل الخاضع للتحليل متردداً بشكل فجائي «في أخذ مسار جديد جرى توا فتحه أمامه» (٢٠٤١, ٢٢٤).

إن النبرة العسكرية غير الملحوظة لنصوص فرويد في الأمثلة المستقاة من عُصاب الحرب والإحساس بالمبارزة بين المحلل النفسي والخاضع للتحليل، تصبح واضحة فجأة عندما يصف «جميع القوى التي تعارض عمل الشفاء بأنها «مقاومات» لدى المرضي» (٢٠٠١, ٢٢٣)، وبالفعل يصف فرويد عملية التحليل بلغة حرب العصابات، فالصراع بين المحلل النفسي والخاضع للتحليل من أجل التغلب على المقاومة أو المحافظة عليها يُصاغ بلغة تُعيد إلى الذاكرة كتاب «في الحرب» (أنه إذ إن «الصراع ضد كل هذه المقاومات...) (في هذه اللحظة يركز فرويد على تعددية المقاومات بدلاً من المقدرة الوحيدة على المقاومة لدي كلاوزفيتز)، «... هو عملنا الرئيس في أثناء المعالجة التحليلية» (٢٠٠١, ٢٢٤)، وهذا الصراع يستلزم وقتاً – فالتحليل هو حرب مقاومة مديدة ضد مقاومة – يتبنى فيها المحلل وضعية رجل العصابات الإستراتيجية طويلة الأمد ضد مقاومة لدى جيش احتلال، ويعتمد طول الصراع بين المتخاصمين على قوة المقاومة لدى جيش احتلال، ويعتمد طول الصراع بين المتخاصمين على قوة المقاومة لدى

⁽٦) إن تأملات لاكان في المقاومة في «مدخل إلى تعليق جان هيبولات على «نفي» فرويد» Jean Hyppolite's Commentary on Freud's 'Verneinung' تشير صراحة إلى كلاوزفيتز بغية شرح الفرضية القائلة: إنه «حيث يتوقف الكلام يبدأ ميدان العنف، وإن العنف يسود هناك أساساً حتى من دون أن نحرّضه». (Lacan, ٣١٣).

العدو أكثر مما يعتمد على أرضه «إذ يمكن إعاقة جيش مدَّةَ أسابيع في بقعة من بلد يقطعها قطار سريع في ساعتين زمن السلام، إنْ كان على الجيش أن يتغلب على مقاومة العدو هناك، فإن مثل هذه المعارك تستدعى وقتاً في الحياة العقلية أيضاً» (Freud Y . • ١, ٢٢٤)، وعلى الرغم من ذلك ليس القصد هو التغلب على المقاومات لدى الخاضعين للتحليل النفسي، بل هو تعليمهم من خلال الصراع أن يكوّنوا ذاتيتهم الخاصة الإيجابية والمقاومة بفعالية، لأن أنا المريض هي (التي) تتغير «مع هذا الصراع ومع التغلب على المقاومات وتتقوى جداً (إلى درجة يمكننا معها أن نتطلع بشوق ورباطة جأش إلى سلوكه المستقبلي عندما ينتهي العلاج» (Freud ۲۰۰۱, ۲۲٤). إذ لم يعد المحلل الطليعي يشن حرباً على أرض الوعى - «فمهمته في تقديم تفسيرات لا تعادل شيئاً» (Freud ۲۰۰۱, ۲۲٤)، مقارنة بالحرب مع المقاومة - بل إنه يسعى إلى تنظيف المسالك وتأمين الأرض والتغلب على مواقع المقاومة، بغية فتح أشكال مستقبل جديدة وخلَّاقة، ومن المفارقة أنه يجب على المحلل أن يعطل المقدرة الحالية على المقاومة لدى الخاضع للتحليل كى يفسح المجال أمام إعادة تشكيلها بشكل أكثر فعالية. إن هذا عمل يتطلب «شجاعة» وصبراً من المحلل - ولا يمكنه أن يكون «جباناً» حتى عند دخول التحول - مرة ثانية مردداً موضوع حرب العُصاب.

إن فرويد يدعونا إلى أن نعد مقاومة الكبت مقاومة لمقاومة معاكسة، مما يضعنا في أرض قوى متعارضة يمكن فيها لكل قوة أن تنتقل من امتلاك زمام المبادرة إلى مقاومتها، ومع هذا تستطيع المقاومة أيضاً أن تتجاوز مسرح القوة - كما رأينا في تأمل سارتر في ٢٧ تشرين الأوّل / أكتوبر ١٩٦٠ - فتصبح تصرّفاً بارعاً وماكراً يحرّك المقاومة بغية إثبات كبتها الخاص، هناك - على وجه

التقريب - تعارض كيركيغاردي Kierkergardian بين فرويد هنا وبين عمل لوكسمبورغ ومراحل من عمل لوكاش، فبالنسبة إلى لوكسمبورغ إن كل المقاومة والآثار التي تتركها تشير نحو تدبر طريق الثورة، أي نحو منفذ إطلاق الرغبة في المستقبل، في حين أن المقاومة وحيلها بالنسبة إلى فرويد يمكن أن تؤكد الكبت بشكل مهلك، وقد يكون من الضروري الحفاظ على كلا الموقفين، ولا سيها في أثناء دراسة عمل المقاومة التاريخية التي اندلعت ضد ادعاء الاستعمارية والفاشبة والنازية حق السبطرة الشاملة، فكما علَّمنا ماركس ونيتشه وعلم النفس أن المقاومة موجهة على الدوام ضد مقاومة سابقة - فـ الفاشية والنازية هما عملا مقاومة ضد الحداثة وضد تهديد الشيوعية - أي إنها مقاومة واعية ومطوّلة في وجه عدم الأمان والمستقبل الملتسي، كرّست نفسها من أجل تجميد الهويات الاجتماعية والأشكال الاجتماعية لألف سنة. كيف يمكن إذن مقاومة هذه المقاومة؟ مرة أخرى يُرينا علم النفس بشكل حاسم أن المواجهة على مستوى الوعي لن تكفى، بل إن على المقاومة أن تقوم في الوقت نفسه بمواجهة المقاومات، وأن تعمل على ابتداع ذاتية توكيدية مقاومة، لكن هذا المشروع بدوره يتعدى السياق العلاجي ويستذكر الاهتمام الكلاوزفيتزي بالدور الذي يلعبه العنف في المحافظة على المقدرة على المقاومة وفي محاولة التغلب عليها.

الفصل الثاني المقاومة العنيفة

١-٢ - منطق التصعيد:

كانت معادلة كلاوزفيتز الخاصة بالحرب والمقاومة جواباً عن السؤال عن كيفية مقاومة الحرب السائلة الجديدة للجيوش النابليونية، لكن كان لهذا السؤال مضامين تتعدى الظروف التاريخية لمقاومة الإميريالية الفرنسية، لتطال إمكان المقاومة عبنها بمطلق الأحوال، فقد بدا أن منطق كلاوز فيتزيشر بعناد إلى الحل العنيف للمسألة، لكنه كان حلاً من دون دياليكتيك، من حيث إن العنف الذي أطلقت حرب المقاومة له العنان كان يُحتمل أن يتسبب بهلاك متبادل للمتخاصمين أكثر من أي إلغاء Aufhebung للعدو. إن النقد الكانطى Kantian في كتاب «في الحرب» للتصعيد أو للانتقال إلى الحرب المطلقة أو المقاومة الخالصة طرح معضلة سياسية وإستراتيجية. فهل كان من الواجب متابعة هذا الانتقال؟ - بالفعل تكثيفه - كما رأينا كلاوزفيتز يقترح في «مذكرة اعتراف» Bekenntnisdenkschrift أو هل كان سيؤجل؟ أو تصعيده إلى سياسة ودبلوماسية؟ كما يبيّن في بعض أقسام «في الحرب»، وما دور العنف في هذا التكثيف أو التأجيل؟ تقدم عقيدة ماو زيدونغ Mao Zedong الإستراتيجية عن حرب المقاومة الثورية العنيفة جواباً عن هذا السؤال وتقدم إستراتيجية

الساتياغراها Gandhi جواباً آخر، وقد جرى شرحها بوصفها إستراتيجيتي مقاومة ضد الهيمنة الاستعمارية، والمقاربة الأخرى التي تبنتها الفلسفة الفرنسية ما بعد الحرب في إطار التجربة التاريخية الناجحة للمقاومة هي الشك بشروط السيناريو الكلاوزفيتزي عينها. لقد مثل الفعل المتنامي للتركة الكلاوزفيتزية تياراً مها في الفلسفة الفرنسية ما بعد الحرب، حيث إنها تطفو بوضوح على عمل ريموند أرون Raymond Aron ومؤخراً على وإيريك ويل Eric Weil وإيريك ويل René Gerard ومؤخراً على

بالفعل إن عمل كلاوزفيتز يمثل واحداً من أكبر الهجهات على الدياليتيك الهيغلي، وقد يكون مفاجئاً، وإن تحطيمه للدياليكتيك لم يكن يتمتع بأهمية أكبر حتى بالنسبة إلى تيار الفلسفة الفرنسية ما بعد الحرب المناهض بحدة للهيغيلية وللدياليكتيك. قد يعود ذلك إلى رغبة كلاوزفيتز في تقبل حركة نحو نهاية هدامة، وهذه نزعة تتميز من صيغ أكثر رواجاً للفكر المناهض للدياليكتيك، والتي تنزع نحو الحياد. إن تجنب الحل الديالكتيكي من خلال التحويل أو التأجيل يتعارض مع مناهضة كلاوزفيتز للدياليكتيك الذي يميل نحو الحرب المطلقة أو تصعيد العداوة إلى نقطة التدمر المتبادل.

⁽٧) الساتياغراها: هي كلمة باللغة السنسكريتية تعني الإصرار على الحق أو قوة الحق، وهي فلسفة تركز على المقاومة اللاعنفية بوصفها وسيلةً لتحقيق الإصلاح الاجتهاعي والسياسي، ابتدعها المهاتما غاندي وطبقها في جنوب إفريقيا أولاً سنة ١٩٠٦ ثم في الهند نفسها ابتداء من عام ١٩٠٧. وهي بحسب وصف غاندي «تسعى إلى تصفية العداوات وليس المتعادين أنفسهم» [المترجم].

إن موضوع التصعيد العنيف هو موضوع مركزي بالنسبة إلى تفكير كلاوزفيتز، وهو موضوع بارز فيها يُعرف بشكل واسع بأنه آخر أفكاره بشأن الحرب في الجزء الأول من كتاب (في الحرب)، ومع ذلك فالعلاقة الوثيقة بين التصعيد والمقدرة على المقاومة لم تُعالج بشكل كامل حتى من جانب قُرّاء كلاوزفيتز في مرحلة ما بعد الحرب، وهكذا فإن كل من أرون وجيرار يُغفِل أهمية المقاومة في تعريف الحرب، إلا أن تجربة أرون الخاصة في المقاومة الفرنسية سمحت له أن يدرك أن كلاوزفيتز كان زميلاً مقاوماً:

وبغية التعاطف مع موقف كلاوزفيتز بين عامي ١٨٠٦ و١٩٤٥ فإن على الرجل الفرنسي أن يتذكر فحسب تجاربه الخاصة بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٥، وهذا لا يعني أني أريد أن أُقارن نابليون مع هتلر، إذ لم تكن مقاومة الوطني الألماني للسيطرة الفرنسية على أوروبا أقل قدراً، وبوصفه مقاوماً رفض كلاوزفيتز سلام التخلي عن الحكم بفصاحة حرّكت مشاعر رجال جيلي (١٣ ، ١٩٧٦a).

وفي حين يقر أرون بهذه الصلة، فإنه لا يستطيع أن يقيم بشكل تام الدور الذي أدَّته المقدرة على المقاومة عند كلاوزفيتز، ولم يستطيع أن يرى أنه كان بالإمكان بشكل متساو أن يُطلق عنوان «في المقاومة» على كتاب «في الحرب»، كما أن جيرار أيضاً يقلل من قيمة هذا البعد في تفكير كلاوزفيتز، على الرغم من أنه يبدأ بتطوير موضوع المقدرة على المقاومة السلبية بوصفها أحد المخارج الممكنة من المنطق الكلاوزفيتزي لتصعيد العنف. ففي بحثه عن مثل هذا المخرج يتحول إلى باسكال Pascal والعداوة بين الحقيقة والعنف وإلى مثال يسوع المسيح Jesus Christ بل حتى إلى المؤرخ المقاوم مارك بلوخ Marc Bloch الذي دعا إلى عدالة من دون انتقام، عدالة تكبح تصعيد العداوة بدلاً من تكثيفها.

إن الحرب - في تعريف كلاوزفيتز الواضح، والذي لا لبس فيه - تُكرّس للتغلب على مقدرة العدو على المقاومة والعكس صحيح، فالحرب هي أيضاً حفاظ على المقدرة نفسها وإذكاء لها ضد هجهات العدو، إذ إن منطق العنف - التصعيد - يتعلق أساساً بالعملية التي يطلقها هجوم كل متخاصم على مقدرة الآخر على المقاومة والدفاع في الوقت نفسه عن مقدرته الخاصة. إن حركة الدفاع والهجوم هذه تُطلق العنان لإمكانية تصعيد العنف.

يصف كلاوزفيتز تصعيد العنف بأنه نتيجة لثلاثة أعمال متبادلة؛ ينشأ الأول من تعريف الحرب بأنها «عمل عنف مدفوع إلى أقصى حده، فمع فرض طرفِ القانون على الطرف الآخر يبرز نوع من الفعل المتبادل الذي يجب - منطقياً - أن يقود إلى حدٍّ أقصى. هذا هو الفعل التبادلي الأول والحد الأقصى الأول الذي نصادفه» (Clausewitz 19۸۲, 10۳)، ففي الحرب يولَّد كل تصعيد للعنف ردة فعل مصّعدة توّلد بدورها تصعيداً إضافياً. إن المقاومة تبدو إذن مُتورطة تماماً في منطق التصعيد؛ الهجوم على مقدرة العدو وعلى المقاومة، مع المحافظة في الوقت نفسه على مقدرة المرء الخاصة على مقاومة هجوم العدو، لكن يوجد هناك أيضاً تلميح لمقاومة أعمق، ألا وهي مقاومة ضد منطق التصعيد نفسه. سوف يُطوَّر ذلك بوصفه مقاومة لنظرية اللاعنف التي مهد لها كفاح غاندي ضد الاستعمار، لكنها أساساً موجودة ضمنياً في كلاوزفيتز. إن الفعل التبادلي الثاني يطوّر هذه الإشارة بشكل أكثر وإنْ كان بشكل تلميحي في هذا التعريف الذي يطوّر في الجزء الرابع من «في الحرب»، فـ «الهدف هو نزع سلاح العدو» (أي تخفيض مقدرة العدو على المقاومة إلى الحد الأدنى) إما من خلال «تجريده من سلاحه فعلياً أو من خلال وضعه في موقع بحيث يصبح مهدداً بذلك» (Clausewitz ۱۹۸۲,

10.٤). وإن من المهم ملاحظة خيارات القوة المادية أو المعنوية، إذ يمكن تجريد العدو من سلاحه إما مادياً بالتدمير الفعلي أو معنوياً بالتدمير الذي يهدد مقدرته على المقاومة.

يتوسع كلاوزفيتز أكثر في هذه الفكرة بإصراره أن ندرك أن الحرب هي دوماً هزة اصطدام جسدين معاديين، وليست فعل قوة حية في كتلة غير حية، لأن حالة اللامقاومة هي نفي للحرب التي هي دوماً رجّة اصطدام قوتين حيّتين» (Clausewitz 1917, 102) الترجمة معدلة)، ولم يحصل استيعاب تام لمدلول هذه الفقرة، فهي تتضمن على أحد المستويات تمييزاً بين الحرب أو اصطدام جسدين معاديين، وتوليداً أو «فعل قوة حية في كتلة غير حية». إن العمل الحربي لا يشبه ممارسة قوة العمل، لكن وفيها يتعدى فصل الإنتاج في الحرب (ومن ثم إسقاط الحرب الطبقية سلفاً) يوجد هناك تلميح إضافي إلى أن اللامقاومة هي عدو الحرب نفسها، إذ يمكن اللامقاومة بوصفها «قوة حية» أن تشكل تهديداً أخلاقياً مدمراً للحرب المادية بجعل مقدرة الخصم الأخلاقية على المقاومة في موضع الريبة. يشير كلاوزفيتز إلى هذا الاحتمال ثم ينتقل بسرعة إلى إعلان رسمى للفعل المتبادل الثاني الذي يذكى تصعيد العنف: «طالما أن العدو لم يُهزم فهو قد يهزمني، وبعدها لن أعود سيد نفسي وسوف يَفرض القانون عليّ كما فعلت بحقه. هذا هو الفعل المتبادل الثاني، وهو فعل يقود إلى حدِّ أقصى ثانٍ» (Clausewitz ۱۹۸۲, ۱۰٤). إن هذا يتوقع تقريباً قراءة كوجيف Kojéve لدياليكتيك العبد/ السيد: فالعبد يرفض الصراع حتى الموت ويتحول إلى الإنتاج وبقيامه بذلك يُطيح بالسيد، الذي يضمحل من دون مقاومة. إن سيناريو الحرب مستمر، لكن الرد الإستراتيجي عليه يتضمن أيضاً الخيار الفعّال للمقاومة اللاعنفية. إن الخيار المتبادل الثالث يتطلب منا «أن نناسب جهودنا مع قوة مقاومة [العدو]» ومرة أخرى يجري فهم الأخيرة على أساس «عاملين لا يمكن فصلهما هما تحديداً مجموع الوسائل المتوافرة وقوة الإرادة» (Clausewitz 1917, 102) أي القوة المادية والمعنوية، فالفعل المتبادل الثالث هو فعل مهم للغاية، لأنه يؤكد الدور الذي يؤديه الوعى في الحرب، والموجود هنا في هيئة التقديرات المتبادلة لقوة العدو، إذ إن على أن أُصبح واعياً لقوة عدوي المادية والمعنوية ومن ثم «أُراجع وسائلي الخاصة»، لكن وفي حين أقوم بذلك، أي في أثناء وضعى عدوي تحت الرصد، فإن العدو يقوم بالشيء نفسه تجاهي: «إنها الخصم يقوم بالشيء نفسه ولهذا هناك إذكاء متبادل جديد يجب بمقتضى المفهوم الخالص أن يولّد جهداً جديداً باتجاه الحد الأقصى» (Clausewitz ۱۹۸۲, ۱۰۵). لم يتقصَّ كلاوزفيتز منهجياً احتمال الخداع هنا - «النمور الورقية لدى ماو». إنه في هذه المرحلة مهتم قبل كل شيء في كيف يمكن لهذا العمل «والعملين الآخرين المتبادلين» تصعيد الاختلاف إلى درجة التدمير الذاتي، وهذا منطق قيامي، جَهد أرون من أجل احتوائه على مستوى الفعل المتبادل الثالث بوساطة تقوية التواصل وتبادل المعلومات، أي من خلال السياسة والدبلوماسية، ويحاول أرون أن يوّسع الفتحة أمام الوعى في الفعل المتبادل الثالث بالتدليل على أنه يمكن بوساطته احتواء تصعيد التبادلين الأولين. يرفض جيرار في نقده الحاد لـ أرون هذا الاحتمال ويبيّن أننا نصبح عندئذٍ منهمكين كلية - وبشكل لا يقبل النقض - في منطق تصعيد قياميّ. إن الاختلافات بين هذين الموقفين وبين كليهما وبين تأكيدنا على المقدرة على المقاومة - يصبح جلياً تماماً في نقاش «ثالوث» الحرب الذي يعرضه كلاوزفيتز في نهاية المجلد الأول، وهو الجزء الذي قد يكون أكثر إثارة للجدل في نص كلاوزفيتز وتركته.

في ابتعاد عن المقولة المشهورة في الجزء الأول- القسم الرابع والعشرين من كتاب «*في الحرب»،* ألا وهي أن «الحرب ليست عملاً سياسياً محضاً وحسب، بل هي أيضاً أداة سياسية حقيقية واستمرار للتجارة السياسية وتنفيذ للشيء نفسه بوسائل أخرى» (Clausewitz ۱۹۸۲, ۱۱۹) يصل كلاوزفيتز إلى «النتيجة» الآتية بالنسبة إلى نظرية الحرب: تتألف الحرب من ثلاثة عناصر: عنصر جهنمي أو - بالنسبة إلى كلاوزفيتز - «ثالوث عجيب يتألف من العنف الأصلى لعناصره وهي: الكره والعداوة اللذان يمكن النظر إليها بوصفها غريزة عمياء، ومن التفاعل بين الاحتمالات والحظ اللذين يجعلانه نشاطاً حراً للروح، ومن الطبيعة التابعة للوسيلة السياسية التي من خلالها تنتمي كليةً إلى عالم العقل» (Clausewitz 1917, 171)، ثم يرسم خريطة هذه العناصر الثلاثة المتناظرة بشكل تقريبي مع الحساسية والفهم والعقل الكانطيّين في ثلاث ذاتيات: «الشعب» و «الجنرال وجيشه» و «الحكومة»، وتتحدد كل منها على التوالي «بالأهواء» وبالإستراتيجية أو «مجال الاحتمالات والحظ» وبالمنطق السياسي. إن على نظرية الحرب أن «توازن نفسها بطريقة ما، بين الميول الثلاثة مثل التوازن بين ثلاث نقاط جذب» (Clausewitz 19۸۲, 1۲۳)، وعليها أن تعي أن تماسك هذه الميول الداخلية غير مستقر وقد يثير تصعيداً يميل نحو التدمير المتبادل، كما يجب عليها أن تبقى مرتابة من أي محاولة لفرض منطق إلغاء Aufhebung أو حل دياليكتيكي على منطق التصعيد هذا.

ما يزال هذا التعادل أو التوازن بين العناصر والموضوعات والميول الثلاثة يشكّل تحدياً للفلسفة المعاصرة، فقد أعطى أرون أهمية إضافية إلى العنصر الثالث أي المنطق السياسي والحكومة، وأقام حلفاً بين الشعب

والحكومة في نظام حكم ديمقراطي يضمن التحكم بالقوات المسلحة، فعلى الحكومة أن تحترم أهواء الشعب في الوقت الذي تتحكم فيه بالجنرالات والجيش. وفي تعارض متعمد يؤكد جيرار هيمنة العنصر الثاني، ويجادل بأن قواعد القوات المسلحة الآن تتحكم بأهواء الناس الذين خُدعوا، بل إنها تتحكم بالحكومة أيضاً التي ما هي إلا قناعٌ لتأمين الموارد لتصعيد العنف العسكري، لكن ماذا يحصل لهذا الثالوث إذا حاولنا الحفاظ على التعادل بين العناصر وحاولنا التفكير بهذا التعادل بلغة المقاومة؟

هذا هو تماماً ما يحاول كلاوزفيتز القيام به في الفصل الثاني. ينظر كلاوزفيتز الي حملة «نزع سلاح دولة»، وهدفها، أي تقويض مقدرتها على المقاومة ويبيّن أن على الحملة العسكرية أن تهاجم ليس السلطة العسكرية والحكومة فحسب، بل إرادة العدو أيضاً. إن الهدفين الأولين – إخماد المقاومة المادية للقوات المسلحة والمقاومة التنظيمية للحكومة – قابلان للتحقيق، في حين أن إخضاع إرادة الشعب ليس هدفاً واقعياً للحرب، فالمقاومة المعنوية يمكن دوماً أن تعاود الظهور وإنْ في الهزيمة «حيّد العدد الأكبر أنفسهم بشكل كامل عن طريق المقاومة» (Clausewitz المؤدمة «حيّد العدد الأكبر أنفسهم بشكل كامل عن طريق المقاومة» (١٩٨٢ ، ١٢٣). وتتحول دراسة كلاوزفيتز عند هذه النقطة إلى الافتراض القائل: إن «نزع سلاح العدو نادراً ما يتحقق فعلاً» كها تتحول الأطروحة في الحرب إلى أطروحة عن المقاومة أي عن صونها وتطويعها. وكيف يمكن أن تُخمَد «ومضات» المقاومة في شعب أو أن تبقى وتتعزز؟ وإلا فإنها قد تخبو بهدوء أو من «ومضات» المقاومة في شعب أو أن تبقى وتتعزز؟ وإلا فإنها قد تخبو بهدوء أو من

إن كتاب «في الحرب» بوصفه أُطروحة في المقاومة يطوّر بعض فرضيات غير عادية. فالفرضية الإشكالية التي يطرحها في الجزء السادس الفصل السادس

والعشرين، عن تسليح الشعب، تتعلق باحتكار الحكومة للعنف، ويعرض النقاش موضوع الذاتية المقاومة - ذاتية المناصر - وتطوير الفكرة التي نوقشت سابقاً، والقائلة: إن الإستراتيجية العسكرية المناسبة للذات المقاومة هي إستراتيجية متبخّرة في مقابل حركة الكتل الصلبة والسائلة المميزة للذاتية العسكرية، ويكتب كلاوزفيتز بعبارات رأينا أنها تتوقع بعض مواقف روزا لوكسومبورغ في «الإضراب الشامل» Mass Strike وتلك التي تعود إلى تي. إي. لورانس في علم حرب العصابات قائلاً: «إن الحرب الشعبية بوصفها شيئاً متبخّراً يجب ألّا تتركز أبداً في جسم صلب لأن العدو سوف يرسل قوة مناسبة ضدها ويحطمها» (Clausewitz ۲۰۱۰, IV, ۲۶). إن إستراتيجية المقاومة تُضخم عمل الحظ والاحتمال كي تكسب الوقت من أجل الحفاظ على المقدرة على المقاومة وتعزيزها، وعلى قيادة جيش المناصرين أن تكثف دور الحظ والاحتمال في عملها من خلال المرونة وتنمية خيال مقاوم، إذ إن كلا العدوين خاضعان للحظ، لكن في حين أن الجيش النظامي يحاول أن يقلل من دوره قدر الإمكان، فإن جيش العصابات يكثفه ويستعد لاقتناص الفرص التي يقدمها. وعلى حد تعبير كلاوزفيتز: إن على الجيش أن يُدير حرب زمان وليس حرب مكان أو أرض، عليه «أن يُبعثر نفسه ويتبع الدفاع من خلال هجمات مباغته بدلاً من تركيز نفسه والمجازفة في الانحصار ضمن ملاذ ضيق في وضعية دفاعية تقليدية» .(Clausewitz Y • \ • , IV, Y ٦)

إن ما يكون هذه المقدرة على القتال عبر الزمن هي إستراتيجية الظهور غير المتوقع، إذ من الضروري بالنسبة إلى المقاوم أن يظهر ويختفي بشكل غير متوقع، أن يخرج من عمق مكون الشعب، ومن ثم يختفي بالعودة إليه، وإذا كان الشعب لا يزال يحافظ على المقدرة على المقاومة فإن بإمكانهم عندئذ أن يدعموا جيشاً

مناصراً، يظهر ويختفي مستفزاً عدوه من دون أن يبقى مرئياً أبداً مدّةً تطول بها يكفى أن يصبح عرضة لقواعد الحرب الإقليمية، ولا يستطيع كل من أرون وجيرار أن يريا أن التحالف بين الشعب والنوع الجديد من الجيش - ذاتية مقاومة وتعبيرها المسلح - هو بالضبط التحالف الذي اتبعه كلاوزفيتز، إذ إن التحالف بين الجيش والدولة الذي يتضمن منطق عنف متصاعد هو الذي يهمه بدرجة أقل مما يهمه احتمال مقاومة هذا المنطق عبر تحالف الشعب مع نوع جديد من الجيش الذي يقاتل في الزمن ومن أجله، وهو تحالف يؤكد الحظُّ بدلاً من تقليصه إلى أدني حد، تحالف قد يعزز المقدرة الراهنة على المقاومة. إنه مثالٌ من الحرب والمقاومة يؤكد الخيال والاستجابة المبدعة للحظ أكثر من تأكيد مزيج القوة والوعى الذي يميّز الوضعية العسكرية للدولة الأمة. إنه تحالف يرفض الدخول في منطق التصعيد ونزعته نحو جعل كلا العدوين موجودَين كل منهما للآخر من أجل «الضربة الحاسمة» أو المعركة النهائية القيامية. إنه تحالف يدير الحرب بتحاشي التصعيد في الوقت الذي ينتقص فيه من مقدرة العدو على المقاومة في حرب طويلة في الزمن ومن أجله. لقد قام ماوتسي تونغ وغاندي لاحقاً بالتفصيل في أهم التعبيرات النظرية عن هذا الشكل من حرب المقاومة المكرسة قبل كل شيء من أجل الحفاظ على المقدرة على المقاومة وتعزيزها، وذلك في سياق النضالات المطوّلة المناهضة للاستعمار ضد عدو متفوق مادياً وتنظيمياً.

٢-٢ «حرب المقاومة طويلة الأمد»:

إن غاية الحرب هي - على وجه التحديد - «الحفاظ على النفس وتدمير العدو» (إن تدمير العدو يعني نزع سلاحه أو «حرمانه من القدرة على المقاومة»، ولا يعني تدميراً جسدياً لكل عنصر من قواته).

(ماو، الحرب الشعبية):

إن أهمية كلاوزفيتز بالنسبة إلى ماركس وإنجلز ولينين تمتد أيضاً إلى أحد أهم منظري القرن العشرين الثوريين والعسكريين، وهو ماو تسي تونغ الذي يُشير إليه بأنه «خبير أجنبي» محترم هاز إن ماو يمثل بمعنى ما تطوير تفسير خاص له كلاوزفيتز، أكد إخضاع السياسة إلى العمل العسكري وفهم هذا العمل على أساس الحرب العنيفة من أجل الزمن، ففي «الكتاب الأحمر الصغير» ذي التأثير الهائل (أكثر من بليون نسخة نُشرت في أثناء الثورة الثقافية فحسب) يصوغ ماو أفكاره عن الإستراتيجية الثورية استناداً إلى اقتباس وتعليق مباشرين على فرضيات مستقاة من كتاب «في الحرب».

غثل الاقتباسات المجموعة في كل من الأجزاء الآتية: الخامس والثامن والتاسع من «الكتاب الأحمر الصغير» التي تحمل العناوين «الحرب والسلام» و«الحرب الشعبية» و«الجيش الشعبي» تعاملاً مستمراً مع فكر كلاوزفيتز الإستراتيجي، إذ يبدأ الجزء الخامس بتعليق على صيغة «الحرب هي استمرار للسياسة» ويقدم تعليقاً جافاً بشكل نحيف: «منذ العصور القديمة لم يكن هناك أبداً حربٌ من دون طبيعة سياسية... ويمكن القول إذن إن السياسة هي حرب من دون سفك دماء، في حين أن الحرب هي سياسة مع سفك الدماء» (Mao 1977, 1۸). إن هذا التعليق هو إعادة سياسة مع سفك الدماء» (Mao 1977, ۱۸).

⁽٨) إن مقالة «ماو وكلاوزفيتز» لـ سيباستين هافنر المحاولات القليلة التي حللت علاقة ماو مع كلاوزفيتز، لكنها لسوء هي واحدة من المحاولات القليلة التي حللت علاقة ماو مع كلاوزفيتز، لكنها لسوء الحظ لا تُبدي اهتهاماً كافياً بالمصادر الصينية لنظرية ماو في حرب العصابات وممارسته لها، وتحديداً لـ سون وو تزو Sun Wu Tzn الذي هو بالنسبة إلى ماو «الخبير العسكري العظيم للصين القديمة» (انظر ٢٥٢-٥٢).

صياغة لاقتباس من نص إستراتيجي مهم عام ١٩٣٨ يحمل عنوان «الحرب طويلة الأمد» وهو تعليق كئيب بها يكفي، لكن إدراكه القاتم لمعضلة العنف يتعقّد باستعارة مفاهيم التطهير الطبية الحيوية التي من خلالها يكوّن العنف ذاتية ثورية: «فالحرب الثورية هي مضاد للتسمم لا يزيل سم العدو وحسب، بل إنه يطهّرنا أيضاً من وسخنا الخاص» (١٩٦٦, ١٨). إذ إن السمة التنفسية للعنف تصبح غاية ثورية في حد ذاتها في بعض تطورات تطورات الماوية، وذلك بتطهيرها للذات العنيفة من تاريخها المريب.

تشتد قسوة تعليق ماو على كلاوزفيتز عبر عدد من الرؤى الأخرى، ولا سيا في انغماسه في الماركسية – اللينينية والتزامه بالحرب الطبقية العالمية، بل عبر ولعه بقصص قطاع الطريق أيضاً مثل «حافة المياه» وفوق كل شيء بنص وكذلك من خلال معرفته بالتقاليد الصينية الكلاسيكية وفوق كل شيء بنص قديم لـ سن تزو Sun Tzu عن الإستراتيجية يحمل عنوان «فن الحرب» "The "

⁽۱) إن كتاب "في الحرب الطويلة الأمد" ليس سوى سلسلة من المحاضرات أُلقيت في جمعية دراسة حرب المقاومة ضد اليابان Association for the Study of the War of Resistance Against حرب المقاومة ضد اليابان المعاضرات التكتيكية «التكتيكات Japan في أيّار/مايو عام ١٩٣٨ وجرى استكهالها بالمحاضرات التكتيكية «التكتيكات الأساسية» التي أُلقيت في السنة نفسها في الجامعة السياسية العسكرية المضادة لليابان Japanese Military Political University

⁽۲) أصبحت السمة التنفيسية للعنف الثوري واضحة في الثورة الثقافية Cultural Revolution وكذلك في بعض الأعمال النغز لاتي Naxalites المزعومة في الهند، وفي التطهير الاستئصالي لدى الخمير الحمر Khmer Rouge في كمبوديا. كان موقف ماو ملتبساً، إذ إنه عدَّ العنف غاية في حد ذاتها وضرورياً من أجل التحول الاجتماعي، «فكل حرب ثورية ذات قوة عادلة هائلة يمكنها تغيير كثير من الأمور أو يمكنها أن تمهد الطريق من أجل تغييرها» (Мао 1977, ۱۸).

⁽٣) من أجل وصف يؤكد فحسب تأثر كلاوزفيتز بالنظرية الماوية لحرب العصابات، انظر Heuser pp. ١٤١-٣.

بقصص المغامرات والأعمال الخيالية المتأثرة بكتاب «فن الحرب»، فهذه التأثيرات النظرية إضافة إلى عمل ماو كقائد حرب عصابات في أثناء الحرب الأهلية الصينية وتأسيسه جمهورية الصين الشعبية قد كوَّنت إسهاماً مهاً وقوياً في نظرية المقاومة، وهو إسهام مهم للغاية، نظراً لاهتمامه بالبعد العسكري التعنيف للمقاومة وجداله من أجل الاستمرارية بين المقاومة والثورة، إذ إن التركيز العسكري لنظرية المقاومة لديه يميزها من نظرية المقاومة لدى غاندي، لكن المقاومين كليها يتشاركان في الرؤية المتعلقة بالتحول من المقاومة إلى الثورة في النضال ضد الاستعار، فالنظرية العسكرية لـ«حرب المقاومة» لدى ماو وعلى الرغم من أنها ناجحة جزئياً فحسب، (إذ إن الانسحاب الياباني من الصين كان بسبب «النمر الورقي» paper tiger للهجمتين الذريتين اللتين قامت الصين كان بسبب «النمر الورقي» وبشكل أقل نجاحاً في البيرو وفي إيرلندا مثالاً طُبِّق بنجاح تام في فيتنام، وبشكل أقل نجاحاً في البيرو وفي إيرلندا الشهالية، وهي حالياً ذات أهمية متعاظمة بشكلها المعدل في النيبال وفي الهند.

من المكن أن نرى تفكير ماو إضافة إلى تفكير غاندي بمنزلة دخول عناصر غير «فلسفية» وغير غربية «بمعنى أنها غير مستقاة من التقاليد الإغريقية» إلى نظرية المقاومة، فبدلاً من تأكيدها الوعي أو القوة، فإن النضالات ضد الاستعار جلبت إلى دراسة الإستراتيجية مفهومات مختلفة جداً للعلاقة بين الزمان والمكان والمقاومة، وبدلاً من الحدس الأساسي لمسرح القوى المتعارضة الفاعلة والارتكاسية التي تؤثر في نظرية المقاومة لدى كلاوزفيتز وأتباعه، نجد في ماو حدساً لأشكال متحركة ضمن مشهد طبيعي، أي ضمن بيئة حرب ومقاومة يُعبَّر عنها بلغة استعارات الرصد

الجوي التي تغيب عن الخطاب الغربي من مثل العبارة المشهورة في الجزء الخامس من «الكتاب الأحمر الصغير»، وهي «إن الريح الشرقية تطغى على الريح الغربية». إن هذا ليس مجازاً بأي حال من الأحوال.

كما يمكن إيجاد مدخل مفيد وشائق لما هو مختلف بشأن تفكير ماو الإستراتيجي وتطبيقه له كلاوزفيتز في عمل فرنسوا جولين وتطبيقه له كلاوزفيتز في عمل فرنسوا جولين ٢٠٠٥ عنوان «مؤتمر حول الفعالية» (١٠٥ الذي يحمل عنوان «مؤتمر حول الفعالية» (١٠٤ الذي يحمل عنوان «مؤتمر حول الفعالية» (١٠٤ الذي يتصدى جولين مباشرة لمنهجين مختلفين من التفكير الإستراتيجي: الأول ناشئ عن مكيافيلي وكلاوزفيتز والثاني عن سن تزو Sun-Tsu ومنسيوس وماو. إنه يبنى التعارض على الاختلاف بين المخطط والتقييم:

وهكذا فإن فن الحرب هذا لا يبدأ بها سيصبح شكلاً من التخطيط، لكنه يبدأ بتقييم، هو تقييم إمكانية الوضع (بالمناسبة ترجم المترجم أميوت Amiot ذلك تحت عنوان «عن التقييم» عام ١٧٧٧) (١٧٧٨).

في مقابل مخطط المعركة المركزي بالنسبة إلى فن الحرب الغربي الذي يتألف من محاولة رسم اتجاه القوات المتعارضة وفقاً لمخطط مثالي فإن جولين يرى بأن الإستراتيجي الصيني يقيّم إمكانية الوضع، أي إنه يقيّم بيئة الحرب برمتها، وبالنسبة إلى جولين فإن كلاوزفيتز - وانسجاماً مع الميتافيزيقيا الغربية

⁽١) يمكن الحصول على ذلك في المجلد الذي يلخص عنوانه مشروع جولين Jullien الأوسع «فلسفة قلقة من الفكر الصيني» La philosophie inequitée par pensée chinoise

⁽٢) الإشارة هنا إلى نيكولو ماكيافيلي (١٤٦٩-١٤٦٩) Niccolò Machiavelli، وهو مفكر وفيلسوف سياسي إيطالي في عصر النهضة، ومؤلف كتاب/لأمير [المترجم].

⁽٣) الإشارة هنا إلى منسيوس (٣٧٢-٢٨٩ ق.م) Mencius، وهو فيلسوف صيني كونفوشي. كان يوصف بأنه «الحكيم الثاني» بعد كونفوشيوس نفسه [المترجم].

الأفلاطونية التي يدين لها تفكيره - يقارن المخطط أو «الفكرة» مع الظروف، فالفكرة أو المخطط يتحقق بشكل منتقص فحسب، بسبب «الاحتكاك» أو عوائق أخرى، وكما يحقق صانع أفلاطون فكرة الطاولة بوساطة فنه، يعارض صانع الحرب الطاولة المثلى مع «الظروف»، ويرى العلاقة بين الاثنتين على أساس مخطط يتأثر بتخريب الحظ و «الاحتكاك». وبالمقابل لا يواجه الإستراتيجي الصيني، وهو يغادر مشهد الحرب والمقاومة مشكلة المشاركة أو ترجمة الفكرة إلى واقع، فالإستراتيجي يهتم أكثر بالكامن في المشهد، أي في تكيف الشكل مع المشهد. يصف جولين هذا الكامن وفقاً لـ «لإمكانية الوضع»:

كان الموقف بالنسبة إلى كلاوزفيتز هو ذاك الذي يتسبب بحرف مسار الحرب، ويضع ستاراً بين النمذجة وتطبيقها، كما كان مصدر «الاحتكاك» في المناورة، أما الآن فيقول سن تزو العكس تماماً، فالحرب، أي النصر فيها، لا ينحرف، لأن النصر هو على الدوام نتيجة المتوقع من الوضع الذي جدد نفسه في مسار العمليات، فالذي يحصل في كل لحظة ليس بالضرورة حصيلة علاقة ضمنية للقوى، لأن التحليل هنا قوي ولا يدع مجالاً للمصادفة، والحرب في كل مرحلة هي نتاج إمكانية الوضع بالنسبة إلى المرء الذي يعلم كيف يراها بكل جوانبها وفي تطورها (٢٠٠٩, ٣٠).

إن رؤية إمكانية الوضع هذه الجوهرية بالنسبة إلى سن تزو ثم بالنسبة إلى التاوية (Taoism تؤثر في كثيرٍ من القصص العسكرية وفي قصص قطاع الطرق

⁽٤) نسبة إلى تاو، وهي إحدى العقائد الصينية القديمة التي تعالج علاقة الإنسان بالحياة والوجود بكل أبعادهما وبطريقة الوصول إلى التاو، وهو في اللغة الصينية الانسجام الكلي، أي حالة التناغم الكلي في داخل الإنسان وفي خارجه. مؤسس هذه العقيدة هو لاو تسي Lao-tze، وهو من مواطني مملكة تشو في أواخر عصر الربيع والخريف (٧٧٠-٤٧٦ ق.م) [المترجم].

التي كان ماو قارئاً نهاً لها، ومن ثم أثرت في تنظيره الخاص بـ «حرب المقاومة»، إذ إن العديد من شعارات ماو وإبداعاته التكتيكية هي – ومن ثم – مستقاة بشكل مباشر وغير مباشر من سن تسو، على الرغم من أنها توضع أحياناً في مواجهة أقوال سن تسو المأثورة، وعند تنظيره للحرب الشعبية وتكتيكاتها في الحركة وحرب العصابات (Yundong Zhan and Youji Zhan) فإنه يستشهد بشكل متكرر بالحكمة الآتية:

حينها قال سن وو تزو في معرض نقاشه للعلم العسكري: «اعرف عدوك واعرف نفسك، فتستطيع أن تقاتل في مئة معركة من دون المخاطرة بالفشل» كان يُشير إلى طرفين في المعركة (٥٥).

يؤكد هذا القول المأثور واحداً من الاختلافات البارزة بين التقاليد الإغريقية الغربية والتقاليد الصينية، إذ يجب لرسالة أبولو Apollo «اعرف نفسك» التي تبناها سقراط أن تُتمم في العرف الصيني بمعرفة عدو المرء، وقد يكون سقراط لقي حتفه تماماً، لأنه لم يعرف سوى نفسه، ولأنه لم يعرف عدوه كفاية، لكن الذي عناه سن تسو بـ «المعرفة» ليس الوعي الديكاري لشيء ممتد، بل إنه وعي للشكل؛ لشكل في حالة حركة مستمرة وتغيير عبر الزمن قادر على تقمص أشكال وهمية، إذ إنه من المهم بالنسبة إلى سن تسو بخصوص شكله الخاص – فالمهم بمثل أهمية معرفة العدو هو ضمان أن يُسوَّى تعرف المرء. إن الحرب تصبح مسرحية، فالعدو سوف يستخدم النمور الورقية» التي يجب أن تُعرف كما هي، كما أن التغيرات المستمرة في الشكل ترتبط بالقوة (chi) أيضاً، لكن ليس بالمعنى النيوتوني Newtonian للقوى المتعارضة الذي تبناه كلاوزفيتز والعرف الغربي. إن ماو يصر على أن القوى المتعارضة الذي تبناه كلاوزفيتز والعرف الغربي. إن ماو يصر على أن

المقاومة المؤثرة تتضمن تضليل العدو بشأن تدبير القوات وفي «التكتيكات الأساسية» يستشهد بسن تزو بهذا المعنى:

بالتأكيد إن القوة العظيمة لوحدة العصابات لا تعتمد حصرياً على قوتها العددية الخاصة، بل على استخدامها للهجهات المفاجئة والكهائن بحيث إنها «تتسبب بهيجان في الشرق وتضرب في الغرب»، كما أنها تظهر مرة هنا ومرة هناك، وتستخدم رايات زائفة وتقوم بمظاهرات فارغة، وتنشر الإشاعات بشأن قوتها الخاصة إلخ...، بغية تحطيم معنويات العدو وتوليد رعب لا متناه لديه (١٩٦٦ه ١٩٦٦م).

تدخل هذه التعليات من أجل الخداع والمسرح - تغيير الشكل - إلى نظرية حرب العصابات، وهي منسجمة تماماً مع بديهيات فن الحرب لدى سن تزو، وهو ربح الحروب بوساطة تجنب المعارك، إذ إن الحرب بالنسبة إلى سن تزو تكون خاسرة إذا وجب حصول معركة، فبدلاً من تأكيد المواجهة وتركيز الزمن في «ضربة حاسمة»، ينصح سن تزو ماو بالمراوغة والخداع وتكتيك إثارة سخط العدو و همله على ارتكاب الخطأ، وبذلك يقوم ماو بإظهار ما كان باقياً في هوامش نص كلاوزفيتز.

إن وجوب معرفة المرء المتبادلة لنفسه ولعدوه يكوِّن إستراتيجية الحرب المتنقلة وحرب العصابات لدى ماو، حيث إن مفهوم ماو للحرب المتنقلة متضمن في الشعارات «١- عندما يتقدم العدو ننسحب»! «٢- عندما ينسحب العدو نطارد». «٣- عندما يتوقف العدو نتحرش به». (١٩٦٦a Mao ١٩٦٦a القسم ١٦: «مواجهة عدو متفوق» ٥-١٦) ففي كل من هذه الشعارات

⁽٥) في نسخ أخرى يُضاف إلى هذه الشعارات التكتيكية الثلاثة شعار رابع، وهو «عندما يسعى العدو لتجنب المعركة نهاجم!».

يكمن سر المقاومة في رفض الإقرار بأي مبادرة للعدو، إن الأمر الأساس بالنسبة إلى هذه الرؤية للمقاومة هو تجنب المواجهة، أي تجنب تام لأي عمل ارتكاسي، فمن الضروري عدم التخلي أبداً عن المبادرة، حتى إنه بالفعل يُنصح إستراتيجياً بإعطاء العدو الوهم بأنه هو الذي يملك المبادرة. هذه هي الحال قبل كل شيء مع حرب العصابات التي أيدها ماو، ففي إرشاداته لشن حرب العصابات في كتابي «الحرب الطويلة الأمد» و «التكتيكات الأساسية» يؤكد ماو أنَّ الليونة والمرونة أكثر أهمية من جمع القوات المتنقلة، وهو الأمر المركزي بالنسبة إلى العقيدة النابليونية. مرة أخرى إن الأمر الجوهري تماماً هو القدرة على أخذ زمام المبادرة المفهومة على أساس الفعل الإيجابي وليس على أساس الفعل الارتكاسي، لكن مع ميزة المرونة الطاوية المبادرة، والمرونة، والتخطيط» الذي تبناه لينين، ففي القسم عن «المبادرة، والمرونة، والتخطيط» الذي يتبع تحليل ماو الكلاوزفيتزي «اللإستراتيجية الخاصة بحرب المقاومة ضد اليابان» توضع المبادرة بوصفها توكيداً في مقابل الخمود الارتكاسي:

لا تنفصل المبادرة عن التفوّق في المقدرة على شن الحرب، في حين أن السلبية لا تنفصل عن الدونية في المقدرة على شن الحرب، وإن مثل هذا التفوق أو السلبية لا تنفصل عن الدونية هو الأساس الموضوعي للمبادرة أو السلبية... كما أن الاحتفاظ بالمبادرة على الدوام وفي كل مكان، أي امتلاك المبادرة المطلقة ممكن فحسب حينها يوجد تفوق مطلق، يوازيه دونية مطلقة (١٩٦٧, Vol. ١١. ١٦٣).

حتى إن كانت «المبادرة المطلقة» أو التوكيد الخالص، مستحيلاً، فمن الضروري الحيلولة دون الانحدار نحو وضعية ارتكاسية، فهذا يعني إظهار الضعف والساح للعدو بمعرفة شكل المرء، حيث إن مرونة الشكل أي

المقدرة على التغير السريع والتخفي هي قبل كل شيء مسألة توقيت مناسب أو قدرة على صنع المفاجأة عبر الخداع:

إن الخلق المتعمد للأوهام لدى العدو ومن ثم الاندفاع بهجهات مفاجئة عليه، هما طريقتان – وسيلتان مهمتان حقّاً – لتحقيق التفوق وامتلاك زمام المبادرة. فها الأوهام؟ «إن رؤية كل دغل أو شجرة على جبل باكونغ Mount بوصفه جنديّاً معادياً» هي مثال جيد على الوهم... وهذا غالباً ما يصبح ممكناً عبر الحيل المختلفة النجاح في استدراج العدو إلى مستنقع من الأحكام والأفعال الخاطئة، بحيث يفقد تفوقه ومبادرته (١٩٦٧).

إن التوقيت والخداع المنسقين والمنسجمين مع بيئة القوات، إضافة إلى الإمكانية التي يوفرها المشهد (تلك الإمكانية غير المحسوسة التي يتبعها رسم المشهد الصيني) هما الحدس الإستراتيجي المركزي في نظرية المقاومة لدى ماو، وهما مفتاح تأكيدها المبادرة وتحقيق النصر بوساطتها.

بمعنى ما إن التركيز الكلي على المبادرة والسعي وراء العمل التوكيدي بدلاً من الارتكاسي، ينقل تركيز المقاومة من القرار وأنموذج المبارزة أو المعركة الحاسمة الكلاوزفيتزي إلى تأجيل المعركة وتطويل الحرب؛ إذ إن المقاومة تتضمن رفض مبادرات العدو وقبل كل شيء مبادرة تحديد: متى وأين ستبدأ الحرب وتنتهي؟ فقد جرى التعبير بوضوح عن هذا الموقف وسياسته الجديدة الخاصة بالزمن في تنظير ماو في أواخر الثلاثينيات لـ «حرب المقاومة طويلة الأمد». قد يبدو ماو عند هذه النقطة وكأنه يخالف سن تزو الذي أوصى بتجنب الخرب طويلة الأمد» بأي ثمن، «إذ لا يو جد أبداً حالة من الحرب طويلة الأمد

انتفعت منها أي مملكة»، لكن ذلك يغفل أن سن تزوكان منهمكاً في الحفاظ على المملكة واقترح إستراتيجية على حاكم يرغب في الإبقاء على حكمه، لكن ماو سعى إلى الإطاحة بالمملكة، وفي دعوته إلى حرب مقاومة مديدة كان تحديداً يحاول استدراج العدو إلى السيناريو الذي لا يمكن كسبه، والذي أدركه سن تزو، ففي دعوته العملياتية عام ١٩٣٧ إلى «حرب مقاومة» ضد الاحتلال الياباني أجزاء من الصين في «عن مبادئ الجيش الأهر العملياتية» شدد ماو قائلاً: إن «علينا أن نقوم بحرب عصابات مستقلة ومنتشرة تعتمد على النفس وليس حرباً موضعية، ويجب ألّا نركز قواتنا في حملة» (٢٠٠٤، ١٩٥٥) – أي التكتيكات التي تفضي إلى حرب طويلة الأمد، إلا أن هذه التوصية الإستراتيجية تضمنت أيضاً أهدافاً سياسية أشمل، إذ أراد ماو أن ينتقل من حرب المقاومة إلى الحرب الثورية – وهو انتقال كها رأينا ليس بأي حال من الأحوال آلياً أو واضحاً.

نواجه هنا – كما في أي مكان تقريباً من تفكير ماو – معضلة الذاتية المقاومة، وهذه لا تُفهم باللغة الديكارتية بأنها حاملة وعي طبقي واضح ومميز كما هي الحال مع لينين، ولا وفقاً للغة الوعي التاريخي الناشئ عند لوكسمبورغ، ومن المفيد هنا العودة إلى فكرة «الشكل» في مشهد خاضع لعملية تحوّل غيمة على سبيل المثال، ففي تفكير ماو الإستراتيجي هناك دراما من الجمود والحركة، أي بين ثبات الشكل وحركيته، وفي كلتا الحالين فإن القوة هي الحاسمة في تكوين الشكل النهائي للأشياء. إن تجربة حرب المقاومة ضد الاستعمار ترسم مخططاً لذاتية ثورية كامنة في بيئة حرب طبقية عالمية، ففي أثناء

العشرينيات تبع ماو بداية ومن ثم حسب ألف حساب لفرضية الدكومينتيرن وصالحة العشرينيات تبع ماو بداية ومن ثم حسب ألف حساب لفرضية الدكومينتيرن مساعدتها بوساطة تكملة عسكرية، وفي الثلاثينيات تبع بدلاً من ذلك الفكرة القائلة: إن الذاتية تتكون بالمقاومة، مع تقوية المقاومة المتحركة لنفسها تدريجياً لتصبح ذاتية ثورية، ومع اكتساب الأراضي، ومن ثم تولّد الظروف من أجل توسيع الذات الثورية وتكثيفها. جرى وصف هذه الحركة من تعزيز المقدرة على المقاومة إلى تأكيد الحرب الثورية في النص المهم الآتي: «ناضل من أجل تأسيس نقطة ارتكاز إستراتيجية بغية الانشغال بحرب مقاومة طويلة الأمد». تبع تأسيس نقاط ارتكاز ثلاث مراحل هي: تشكيل قاعدة ثورية وبدء إصلاح زراعي وأخيراً إحاطة المدن، حيث تنتقل المقاومة إلى فجوات في شكل العدو، فتنمو تجزىء قوات الخصم وتشتت مخططاته، وتعيد تنظيم الأرض التي فتنمو تجزىء قوات الخصم وتشتت مخططاته، وتعيد تنظيم الأرض التي كُسبت من العدو بتلك الطريقة.

لم تكن رؤية ماو للمقاومة التي صاغها في سنوات الحرب ضد الاستعمار في الثلاثينيات إستراتيجية فعّالة من أجل ثورة يقودها الفلاحون فحسب. بالتأكيد لقد جرى تبنيها هكذا من جانب كثير من الحركات الآسيوية الثورية، كما أن الحركة الماوية المعاصرة في الهند هي من نواح كثيرة (غالباً) نسخة حرفية عن العقيدة الإستراتيجية لدى ماو، وتتبع مساراً من المقاومة الأهلية ضد الهيمنة متعددة الجنسيات وضد الدولة الهندية مروراً بالسيطرة الإقليمية ومناطق القاعدة الثورية، إلى الثورة العالمية في المقام الأخير. لكن جرى أيضاً في الثورة العالمية في المقام الأخير. لكن جرى أيضاً في الثورة الثقافية

⁽٦) الدولية الثالثة الشيوعية السوفيتية الثالثة أو الحزب الشيوعي السوفيتي الثالث الذي حُلَّ عام ١٩٤٣ [المترجم].

توسيعها نحو أرضية نضال أوسع، وهنا أصبحت بيروقراطية الدولة الثورية نفسها هي العدو - جمهورية الصين الشعبية، فقد أُدخلت في الثلاثينيات إستراتيجية حرب العصابات والحرب المتنقلة وتكتيكاتها إلى مؤسسات الدولة الشيوعية التي خلقتها. هنا نواجه فكرة المقاومة ضد البيروقراطية التي ثبت أنها مغرية جداً بالنسبة إلى التفكير الراديكالي في الغرب، ولا سيها في فرنسا في أواخر الستينيات، لكنها لم تكن حقًّا حركة سياسية مثلها كانت تبدو، فقد أثبتت بطرائق كثيرة نظرة جيرار إلى كلاوزفيتز بأنه منظّر القمع العسكري للسياسة. إن ماو القائد العسكري على الدوام وليس دائماً رجل الدولة أو السياسي استخدم نفوذه في جيش التحرير الشعبي من أجل خلق مجموعات شبه عسكرية يسيطر عليها الجيش - الحرس الأحمر - التي هاجمت البيروقراطية وفكرة السياسة بحد ذاتها، فحينها أخذت القوات التي أطلق لها العنان منحيَّ ثورياً لم تتوقعه القوات المسلحة أو ماو - كما في استشهاد شينغاهي بـ كوميونة باريس - تحرك ماو لإيقافها بكل الوسائل، وبقيت قواعد المقاومة العسكرية والحرب الثورية الطريقة الوحيدة التي استطاع من خلالها تصوّر التغيير السياسي، كما كان لأفضلية العمل العسكري وللمغزى التطهيري تقريباً المعطى للعنف نتائج مدمرة في ثورات أخرى كما في الصين. هدد أنموذج المقاومة العنيفة والحرب الثورية بتقويض تشكيل المقدرة على المقاومة بحد ذاتها وتعزيزها، وهذا هو ما يميز نظرية المقاومة لدى ماو عن تلك لدى غاندي التي تستند إلى عقيدة الأهيمسا «ahimsa والتي نبذت العنف عن وعى ذاتى وركزت على تقوية المقدرة الكلية على المقاومة.

⁽٧) كلمة باللغة السنسكريتية تُترجم أحياناً بـ «اللاعنف» لكنها تعني حرفياً «اللامؤذي» أو «عدم الأذى»، وهذا يعني الامتناع عن أذى أي مخلوق سواء كان كائناً حياً أم جماداً [المترجم].

٢-٣- المقاومة الغاندية: الأهيمسا والساتياغراها:

إن نظرية المقاومة لدى ماو جمعت بين كلاوزفيتز والماركسية اللينينية و «فن الحرب» لـ سن تزو، فالحرب والسياسة لا ينفصلان، لكن الحرب تُفهم بناءً على توصيفات سن تزو بأنها حرب مكرسة لمتابعة هدف النصر الخالص، نصر لا يتحقق بوساطة معركة أمامية وبذل القوة والعنف، بل بوساطة الخداع وإطالة المدة وتحاشى المعركة، فكي تعرف نفسك يجب أولاً أن تعرف عدوك، بل يجب أيضاً أن تضمن ألّا يعرفك عدوك، إذ من المهم إستراتيجياً ومن المسموح به أخلاقياً أن يُخدع العدو باسم النصر وأن تُخلق الأوهام والمقاومة بشكل غير مباشر وخفى. وقد تمكن ماو مستعيناً بـ سن تزو من تقديم إسهام مهم لنظرية المقاومة وممارستها، وهو إسهام طوّر جوانب من تفكير كلاوزفيتز ما كانت لتظهر لولا ذلك ناهيك عن تقييمها، فقد أولى أهمية كبرى للمحافظة على المبادرة حتى إنْ تضمن ذلك إعطاء العدو وهماً بأنه هو الذي يمتلك زمام المبادرة، وقد اتَّسق هذا التصور للمقاومة غير المباشرة اتَّساقاً تاماً مع العنف ومع الرؤية التنفيسية للعنف التي بموجبها أصبح سفك الدماء ضرورياً من أجل تكوين ذاتية مقاومة، وفي تكثيف للعنصر الكلاوزفيتزي في تفكير ماو الإستراتيجي أصبحت معرفة النفس وطبيعة معنويات المرء الثورية غير منفصلة عن البطش بالعدو.

يبدو أن التشديد على النصر ومعه إباحة خداع العدو يطعن في تشديد الفلسفة الإغريقية على قيم الحقيقية والعدالة والخير، لكن ماو وسن تزو أخضعا هذا التصور الذاتي للفلسفة الغربية لمزيد من التفحص النقدي، كما أن الدراسة الحديثة بشأن القيم الجوهرية في الفلسفة الإغريقية ابتداءً من

عمل المقاوم جان بير فيرنان Jean-Pierre Vernan أظهرت مركزية الصراع والمكر والحرب والنصر ليس في الثقافة الإغريقية فحسب، بل في فلسفتها أيضاً (انظر أيضاً ٢٠٠٢). سبق له نيتشه أن فهم أن قيم الحقيقة والخير والعدالة التي جرى تتبعها ظاهرياً في الفلسفة الإغريقية بأنها يمكن أن تصبح أسلحة مصطنعة مكرسة كي تضمن النصر في الجدال أو «الدياليكتيك»؛ ومع ذلك كان تفضيل الحقيقة على النصر مركزياً بالنسبة إلى نظرية النضال الهندي وممارسته من أجل الاستقلال عن الحكم الاستعاري البريطاني وبالنسبة إلى الدور الذي لعبته النظريات وأنموذج غاندى فيه (١٠٠٠).

إن رؤى غاندي بشأن المقاومة اللاعنفية تصبح غاية في الوضوح عند مقارنتها مع المقاومة العنيفة لدى معاصره ماو، ولدى مقارنتها مع بعضها تصبح أوجه التشابه والاختلاف بين نظريتي المقاومة المناهضة للاستعار مدهشة جداً، ففي حين ركّز ماو على العنف، حاول غاندي التنظير للمقاومة اللاعنفية، وفي حين اقتفى ماو أثر سن تزو في رفضه لاعتبارات مثل الحقيقة والانسجام الأخلاقي طلباً للنصر فقد أصر غاندي على أن «الحقيقة» هي القيمة السياسية العليا وأن الانسجام الأخلاقي يُفضّل على النصر العسكري، وفي حين كرّس ماو جهوده لبناء قوة عسكرية ذات مقدرة على القيام بالعنف العسكري باسم المقاومة والثورة، رفض غاندي العنف العسكري، وبالفعل رفض أي ممارسة للعنف. وأخيراً، فإن كلاً من ماو وغاندي أدخل إلى نظرية المقاومة الغربية – كلاوزفيتز

N. Venugopalan و إن. فينوغوبالان Udaya Kumar و إن. فينوغوبالان Blossom Bookshop و المحادثة التي أجريت في متجر بلوسوم لبيع الكتب في بانغالور Bangalore، والتي تحدت كثيراً من فرضياتي حول تفكير غاندي ودور هذا التفكير في حرب الاستقلال الهندية.

بالنسبة إلى ماو، والمسيح وتولستوي "بالنسبة إلى غاندي – رؤى ثاقبة وبديهات وبنى تفكير غير غربية: سن تزو والطاوية بالنسبة إلى ماو والرامايانا" والبهاغافد غيتا" بالنسبة إلى غاندي. كان غاندي مُعجَباً بصورة خاصة بموعظة المسيح على الجبل، لإعلانها مبدأ اللامقاومة والنصح بإدارة الخد الآخر، لكنه أُعجب أيضاً بالكتابات التي كانت مستوحاة من هذا العرف المسيحي مثل كتابات تولستوي ورسكين "، وقد أكسبه هذا الانفتاح ازدراء المفكرين المحافظين مثل بلانشو الذي واصل هجوماً مستمراً وشخصياً تقريباً على غاندي في بداية الثلاثينيات، لكنه أيضاً أربك الإمبرياليين المسيحين الذين تمت مقاومتهم باسم دينهم الخاص وبجعل عظة المسيح عن اللاعنف راديكالية "".

⁽٩) الإشارة هنا إلى ليو تولستوي (١٨٢٨-١٩١٠) Leo Tolstoy، وهو أحد أهم الروائيين الروس في القرن التاسع عشر، وكان أيضاً مصلحاً اجتماعياً وداعية سلام ومفكراً أخلاقياً [المترجم].

⁽۱۰) هي ملحمة شعرية هندية قديمة باللغة السنسكريتية تُنسب إلى الشاعر ڤالميكي Valmiki وهي من التراث الهندي، وتحظى بمكانة مقدسة [المترجم].

⁽١١) الأصل من اللغة السنسكريتية، وهو باللغة الإنكليزية Bhagavad Gita ويعني الكتاب المقدس في الديانة الهندية [المترجم].

⁽۱۲) الإشارة هنا إلى جون رُسكين (۱۸۱۹-۱۹۰۰) John Ruskin، وهو كاتب وشاعر وناقد فني ومصلح اجتهاعي إنكليزي، تناولت كتاباته الارتباطات بين القضايا الاجتهاعية والأخلاقية والثقافية [المترجم].

⁽١٣) وفي كلام جانبي مدهش في «الساتياغراها في جنوب إفريقيا» يشك غاندي فيها إذا كانت أوروبا المسيحية مسيحية إلى ذلك الحد، وفي معرض تفكيره حول البويريين الجنوب إفريقيين كتب غاندي: «لقد قلت أعلاه إن البويريين مسيحيون متدينون، ولكن لا يمكن القول: إنهم يؤمنون به العهد الجديد. في واقع الأمر لا تؤمن أوروبا به، ومع ذلك إنهم يدعون أنهم يحترمونه، على الرغم من أن قلة منهم يلتزمون دين السلام لدى المسيح» (Ghandi 1974, 1۷).

هناك عوائق عديدة تحول دون نقاش فلسفى لنظرية المقاومة لدى غاندي، تنبع من حقيقة مؤداها: أنه هو وإرثه لم يثمّنا دور النظرية المتجردة، وفي حين أنَّ ماو ورث احترام النظرية عن التقليد الماركسي، فإن غاندي أظهر طموحات نظرية متواضعة، وكان تفكيره متوجهاً أكثر نحو ممارسة المقاومة - وهي ممارسة مستمدة نظرياً، لكنها لم تدعُ إلى تأمل ثابت ومجرّد ولا إلى مسوِّغ فلسفى وقد بدأت هذه المارسة للمقاومة في أثناء عمله في جنوب إفريقيا بعد عام ١٨٩٣ ضد التمييز الاستعماري المتطرف والعنيف على أساس «العرق». لقد أخذت مقاومته أشكالاً متعددة، وركزت على الدفاع عن الحقوق القانونية للهنود في جنوب إفريقيا، وعن المقاومة ضد التشريع والمارسات التمييزية، وقد قامت تجربة الاضطهاد في جنوب إفريقيا بوظيفة المخبر بهدف ابتداع تكتيكات للمقاومة واختبارها وتراوحت بين المقاومة في المحاكم على أساس المشروعية ونشر الجرائد (إنديان أوبينيون ۱۹۰۳ (Indian Opinion) عام ۱۹۰۳) وتأسيس منظمة سياسية (الكونغرس الهندى في ناتال Natal Indian Congress في عام ١٨٩٤ اعتماداً على أنموذج الكونغرس الهندي)، وتطوير المسرح السياسي، مثل القسم العلني بالصوم والطهارة والدعوة في عام ١٩٠٦ إلى حملة للعصيان المدني ضد التشريع العنصري، ويمكننا أن نرى في عمل غاندى حتى ذلك الوقت محاولة لتكوين ذاتية مقاومة، ليس بوساطة العنف كما هي الحال مع ماو، بل بوساطة المعلومات والمثال والتحريض واللاعنف.

وفي عام ١٩٠٨ أُعطيت المارسات المتعددة للمقاومة التي اتبعها غاندي وحلفاؤه اسم «الساتياغراها» التي تعني الثبات في الالتزام بالحقيقة. إنها تجمع

⁽١٤) أي «الرأي الهندي» [المترجم].

أخلاقية الحقيقة مع الالتزام بالسعي الصارم وراءها، ومع ذلك وبعيداً جداً عن ماو وسن تزو أصبحت الساتياغراها إستراتيجية فعالة للمقاومة ضد الاستعهار، وارتبطت منذ البداية مع قيمة ومصطلح آخر هو الأهمسا Ahimsa الاستعهار، وأرتبطت منذ البداية مع قيمة ومصطلح آخر هو الأهمسا الوالمعنف، وأصبحت الصلة بين الحقيقة واللاعنف بديهية بالنسبة إلى غاندي ووجهت ممارسته للمقاومة أولاً في جنوب إفريقيا ومن ثم في الهند، فكان الحرق الجماعي لبطاقات الهوية الشخصية (عام ١٩٠٨) وقبول السجن الجماعي عملاً مبكراً للساتياغراها، وفي سياق هذين العملين ألف غاندي أول تأمل نظري ثابت له: وهو «سواراج الهند» (١٩٠٥ الذي المناعرة في أثناء رحلة له من لندن إلى جنوب إفريقيا، ويقدم مُسبقاً مصطلحاً آخر شائعاً في النقاشات بشأن التكتيكيات من أجل الاستقلال الهندي، ألا وهو سواراج أو «الحكم الذاتي، الحكومة الذاتية». وفيه تُعرَّف القيمة الأخلاقية والسياسية للسواراج على أساس سلامة الضمير، وإعطاء أهمية للنفس ومعرفة النفس بعيداً جداً عن رؤية سن تزو وماو القائلة: إنه لا يمكن معرفة النفس بمعزل عن معرفة العدو وإن العداوة عنصر أساسي في الهوية.

وبدأ غاندي – بعد إعلانه إستراتيجية الساتياغراها عام ١٩٠٨ استكشاف عدد من الأبعاد الإضافية للمقاومة، أحدها كان الانسحاب من المواجهة المباشرة مع الظالم، من خلال تأسيس مجتمعات مثل مزرعة تولستوي Tolstoy Farm بالقرب من جوهانسبيرغ التي تأسست عام ١٩١٠ وأشرامز Ashrams التي تأسست لاحقاً في الهند، كما أنه طوّر تكتيك «الزحف الكبير» الذي لم يحشد الناس في رتل عسكري كما في الزحف الطويل لدى ماو، بل في

⁽١٥) تعنى الحكم الذاتي أو استقلال الهند [المترجم].

احتجاج تظاهري سلمي، وقد فكرّ غاندي ملياً بتجربته في جنوب إفريقيا عبر نصين نُشرا بعد عودته إلى الهند عام ١٩١٥، وبعد عشر سنوات صعبة من المقاومة صدرت السيرة الذاتية «قصة تجارب مع الحقيقة» Story of My Experiments with Truth في جزأين عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و الساتياغراها في جنوب إفريقيا» Satyagraha in South Africa عام ١٩٢٨، إذ يشرع غاندي في كلا النصين في توضيح أسس نظريته في المقاومة وممارستها، التي كانت موجودة قبلاً بحلول ١٩١٥ حينها جرى تطبيقها في الكفاح من أجل الاستقلال عن حكم الاستعمار البريطاني. طبّق غاندي تكتيك الساتياغراها عامى ١٩١٧ و١٩١٨ بغية تسوية النزاعات الزراعية والصناعية، ومن ثم وسّعها بهدف مقاومة الأعمال القمعية للتشريع الاستعماري، لكنه انسحب باستمرار من المواجهة عندما أفضى الاحتجاج السلمي إلى العنف، سواءً من جانب سلطة الاحتلال أم من جانب المقاومة، ومن ثم رفض التورط في أي تصعيد للعنف، وقد وُضع غاندي في السجن مراراً ورفض الدفاع عن نفسه ضد تهم التحريض، كما قاد لاحقاً المسيرات مثل مسيرة الملح عام ١٩٣٠ وحضر المفاوضات مع السلطة الإمبريالية كما أطلق حركة اخرجوا من الهند Quit India Movement في ١٩٤٢. تدلل كل هذه الأعمال على الأرضية المهمة المشتركة بين ماو وغاندى بخصوص إستراتيجية الكفاح المطوّل أو الإطالة التي استخدمت المدة الطويلة longue durée للمقاومة بغية إضعاف معنويات الظالم أو مقدرته على المقاومة، ومن ثم بخصوص أهمية تكوين الذاتية المقاومة سواء ذلك بالتحدى العنيف أم اللاعنيف، كما أنهم تشاركا في الالتزام العنيد بالنضال المدفوع في حالة ماو بالسعى وراء النصر وفي حالة غاندى باليقين المعنوى في القضية العادلة التي تدعمها الحقيقة.

تظهر نظرية المقاومة وممارستها لدى غاندى في أثناء سرد سيرته الذاتية، وفي «الساتياغراها في جنوب إفريقيا» اللتين سوف نتحدث عنها في الفصل الآتي، لكن «سواراج الهند» هو النص الأساس في فهم الإستراتيجية السياسية للمقاومة اللاعنفية وفي تسويغ نبذ القوة المادية، وبالفعل قام غاندى بإعادة نشره عام ١٩١٩ كدعوة للمقاومة، وأعلن طموحاته من أجل استقلال الهند، كما وضع إستراتيجيته وتكتيكاته من أجل تحقيق ذلك، لقد كُتب الكتاب بصيغة الحوار، ومن ثم فهو سقراطي Socratic في التزامه بالسعى وراء الحقيقة عبر النقاش، ويبدأ «سواراج الهند» بوضع نفسه في خضم حدث مهم في تاريخ استعمار الهند وتشكيل الذاتية المقاومة، لقد حيكت التجزئة البريطانية للبنغال بعناية، بغية إضعاف الحركة الوطنية من خلال شطر المسلمين والهندوس، فأثارت حركة مقاومة هي الحركة السواديشية Swadeshi التي حرّكت أشكالاً مختلفة من المقاومة بما فيها استخدام التكتيكات الإرهابية من اغتيال وعنف (١١)، وبالنتيجة قسمت المقاومة السواديشية الكونغرس إلى جماعتين: جماعة معتدلة وجماعة متطرفة، مما أدى إلى انهيار مفتعل للوحدة بين صفوف المقاومة ضد الاستعمار.

رد غاندي على الاختلافات السياسية والتكتيكية التي كشفتها الحركة السواديشية بتحليل نوع الاستقلال الذي رغب في رؤيته للهند، وتحليل الإستراتيجية والتكتيكات الضرورية من أجل تحقيقه، شرح ماذا يقصد بسواراج عبر ما يبدو أنه تأمل تقليدي في أهداف الحياة. رتّب هذا الجزء من النقاش حول التقسيم التقليدي لأهداف الحياة الأربعة أو بوراشاتراز والمعاردة وموكشا وموكشا وموكشا purashatras: دهارما، آرثا، كارما، وموكشا purashatras

⁽١٦) انظر إلى تشتندرا Chandra وآخرين.

يُعطى كل واحد منها بدرجات مختلفة تصريفاً حديثاً يمتد من دراهما أو الواجب إلى المفهوم الغربي للحقوق والمسؤوليات، والآرثا تعني الثروة أو السلطة التي يعتقد غاندي أنه جرى الإخلال بتوازنها بوساطة «الحضارة» أو المجتمعات مثل تلك الخاصة بالغرب، والتي تركزت بين أيدي القلة، في حين يهتم الدكارما بالمتعة، والد موكشا بالخلاص، ويؤمن غاندي أن الد سواراج يتكون من التوازن التام بين هذه الأهداف الأربعة للحياة، وعدم الساح لأي منها بالسيطرة على بقية الأهداف.

ولا تنفصل مسألة الاهتمام الفلسفي بطبيعة السواراج عن طريقة تحقيقه، ويعرض غاندي بتأنِّ رؤيته للتكتيك المناسب للمقاومة في الفصول ١٥ و١٦ و١٧ من كتابه. يُكرس الفصل الأول رقم ١٥ لمثال حروب التوحيد القومي الإيطالية التي يفسرها غاندي بأنها صراع نخبة لم يحرّك بقية الشعب. لاحقاً رد غرامشي Gramsci تحية هذا التحليل في دراسته لـ الهند في «مذكرات السجن» Prison Notebooks الذي يضع شكل المقاومة اللاعنفية لدى غاندى ضمن سياق أوسع من أشكال المقاومة العنيفة وحرب العصابات التي بالنسبة إليه ميّزت الكفاح الهندي الأشمل ضد الاستعار، لكن غاندي يحرص كثيراً في هذا الفصل وطوال «سواراج الهند» أن يُبعد نفسه قطعياً عن أشكال المقاومة العنيفة، فجلُّ النقاش المتعلق بإيطاليا ينصب على الشك في ضرورة العنف والقتل السياسي وقيمته، إذ إن صوت غاندي يلح في هذا الحوار على أن أي حرية يُحصل عليها بالعنف ستكون بالتأكيد منتقصة، وأن «أولئك الذين يرتقون إلى السلطة عبر القتل، بالتأكيد لن يجلبوا السعادة إلى البلد» (Gandhi 199V, VV)، ويُفصَّل هذا الموقف في الفصل السادس عشر عن «القوة العمياء» التي تتخذ من تمرد عام النقاش في تلك المرحلة، لكن غاندي يتأمل فيه بغية تطوير نقده للعنف، وليبرهن أن الرد على القوة الاستعارية بوساطة القوة يعني أنه «يمكننا أن وليبرهن أن الرد على القوة الاستعارية بوساطة القوة يعني أنه «يمكننا أن نحصل فحسب على الشيء نفسه الذي لديهم» (Gandhi, 1997, A1)، لأن المقاومة العنيفة يمكن أن تؤدي فحسب إلى نتيجة تحققت بالعنف، توّلد في أثنائها ذاتيات عنيفة غير قادرة على العيش بسلام بعد ختام الصراع، كما أنه يضيف الفكرة الكلاوزفيتزية العملية المتضمنة: أن تكتيك الإرهاب الفردي الذي نظّر له ومارسه الشباب البنغاليون سوف يتبيّن بأنه ليس نداً في أي صراع قوى مع سلطة استعارية ذات تسليح جيد، بل سيُرحّب به من جانبها كمسوّغ من أجل إضعاف المقدرة المعنوية والمادية على المقاومة لدى الحركة.

ينتقل غاندي في الفصل السابع عشر من الحديث عن «المقاومة السلبية» إلى إعلان إستراتيجية المقاومة وتكتيكاتها، إذ إن مؤيد العنف في الحوار - «القارئ» - يزعم أنه ليس هناك من دليل على «نهوض أي أمة بقوة الروح» وبالحب وقوة الحقيقة. فيجيب صوت غاندى:

إن الآلاف، بل عشرات الآلاف يعتمدون في وجودهم على العمل الفعّال جدا هذه القوة، وإن المشاجرات الصغيرة لملايين العائلات في حياتهم اليومية تختفي أمام ممارستهم لتلك القوة، كها أن المئات من الدول ستعيش في سلام، والتاريخ لا يأخذ علماً بهذه الحقيقة ولا يستطيع ملاحظتها، فالتاريخ هو بالفعل سجل لكل توقف عن العمل السوي لقوة الحب أو قوة الروح (Gandhi 199۷, 9۰).

يُلاحظ أنطوني جي. بارل Anthony J. Parel في طبعته لـ "سواراج الهند" أن غاندي في الأصل الغوجاراتي (١٠٠٠) للنص يصف هذه «المارسة للقوة» بأنها ساتياغراها، وبعد إثبات الحالة الطبيعية للسلام – الذي يصر غاندي على أنه «طبيعي وليس متجذراً في التاريخ» ينتقل النقاش إلى معالجة نظرية المقاومة السلبية. يكتب غاندي:

إن المقاومة السلبية هي طريقة لنيل الحقوق عبر المعاناة: إنها عكس المقاومة بالسلاح. عندما أرفض فعل شيء مؤذِ لضميري فإنني أستعمل قوة روحي (Gandhi 199V, 9۰).

مرة أخرى يشير **غاندي** في النسخة الغوجاراتية إلى الساتياغراها ويذيّلها بتعليق:

إن الساتياغراها أو قوة الروح تُدعى باللغة الإنكليزية المقاومة السلبية، تلك الكلمة تنطبق على الطريقة التي بوساطتها ينال الناس الذين يتحملون الألم حقوقهم، وهدفها هو عكس هدف استخدام قوة السلاح (labaidal). حينها لا يكون شيء ما مقبولاً لديّ فإنني لا أقوم بذلك العمل، وبفعلي ذلك أكون أستخدم الساتياغراها أو قوة الروح (٩٠, ٩٧, ٩٠).

إن المديونية إلى ثورو (١٠٠٠) Thoreau واضحة هنا، «فالمقاومة السلبية» ليست هي الترجمة المفضلة للساتياغراها فحسب، بل إن صياغة إستراتيجية

⁽١٧) اللغة السائدة في إقليم غوجارات في الهند والباكستان وبنغلادش [المترجم].

⁽١٨) الإشارة هنا إلى الكاتب والشاعر والفيلسوف والمثالي الأمريكي ديفيد هنري ثورو (١٨) الإشارة هنا إلى الكاتب David Henry Thoreau (١٨٦٢–١٨١٧) المدني ضد الحكومة في مواجهة الضرائب وغيرها من المظالم، وهذا ما يظهر في مقالته «عن

الساتياغراها المقاومة عينها كانت إلى حدٍّ ما متأثرة بقراءة غاندي لـ «عن العصيان المدنى» (١٩٠٦).

ويعطي غاندي مثالاً عن الساتياغراها ذات الروحية والصياغة القريبة للوهلة الأولى من مقالة ثورو «عن العصيان المدني» لكنها سرعان ما تصبح شيئاً مختلفاً:

سنت الحكومة قانوناً ينطبق عليّ. إنني لا أحبه، وإذا كنت باستخدام العنف أُجبر الحكومة على إلغاء القانون، فإنني أستخدم ما يمكن تسميته بقوة الجسد، وإن لم أطع القانون وأقبل عقوبة خرقه، فإنني أستخدم قوة الروح (الساتياغراها). إنها تتضمن التضحية بالنفس (١٩٩٧،).

يقلب غاندي على هذا الأساس كثيراً من مسلمات النظرية السياسية الغربية التي تكون فيها ذات الفاعل السياسي هي الموقع الرئيس للفعل وسببه: «إن المعنى الحقيقي لهذا التصريح القائل: إننا بلد ملتزم بالقانون هو أننا مقاومون سلبيون، فحينها لا نحب بعض القوانين لا نكسر رؤوس المشرّعين، بل نتحمّل ولا نستسلم للقوانين» (٩١ ,٩٩٧). وهنا يصل غاندي إلى اكتشاف مهم، وهو أن الشرعية متلازمة مع المقاومة، ويتخيّل تكوين ذاتية لن «يستعبدها استبداد أي إنسان»، وذلك برفض «الانصياع لقوانين غير عادلة».

العصيان المدني» On Civil Disobedience المشار إليها أعلاه التي نُشرت في البداية تحت عنوان «المقاومة ضد الحكومة المدنية» Resistance to Civil Government عام ١٨٤٩ [المترجم].

⁽١٩) نهى غاندي صراحة عن أي تضخيم لدور فكرة ثورو عن العصيان المدني، وذلك في شرحه لإستراتيجية الساتياغراها.

في هذه اللحظة يطور غاندي نقداً لمنطق تصعيد العنف الكلاوزفيتزي الذي يستبق الموقف، والذي دافع عنه مؤخراً رينيه جيرار، ألا وهو أن العنف يتصاعد دوماً إلى حافة الكارثة:

إن استخدام القوة العمياء... يتناقض مع المقاومة السلبية، لأنه يعني أننا نريد من عدوّنا أن يفعل بالقوة ما نرغب فيه نحن ولا يرغب فيه هو، وإذا كان مثل هذا الاستخدام للقوة مُسوّغاً فبالتأكيد نحن نجيز له القيام بالمثل، ومن ثمَّ فلن نتفق أبداً... إن [هذا] سيقود إلى الكارثة حتماً (Gandhi 1997, 97).

إن المقاومة السلبية كما سنرى في الفصل الآتي تولّد ذاتيةً جبّارةً، ذاتية «حرة مثل ملك الغابة، إذ إن نظرته بحد ذاتها تصعق العدو» (Gandhi ١٩٩٧, ٩٤)، فالذات المقاومة التي يصفها غاندي في «سواراج الهند» («بعد كثير من التجربة») هي ذات تلتزم «الطهارة التامة وتتبنى الفقر وتتبع الحقيقية وتنمّى الشجاعة» (Gandhi 199V, 97). هذه هي القائمة الأولى من القوائم المتعددة للساتياغراهي التي سطَّرها غاندي في العقود اللاحقة، وهنا تعود نظرية الساتياغراها لتدخل في نظرية المقاومة الأوسع، إذ يجب أن تكون الذاتية المقاومة مركّزة وعليها التحكّم في رغبتها والابتعاد عن الوله بالثروة، كما يجب أن تتفاني في الالتزام المطلق بالحقيقة وفي نهاية المطاف عليها امتلاك ميزة الشجاعة: «هؤ لاء فحسب يستطيعون اتباع طريق المقاومة السلبية، فهم المتحررون من الخوف بخصوص ممتلكاتهم والجاه الزائف وأقاربهم والحكومة والإصابات الجسدية والموت» (Gandhi 199V, 9A). إن صرامة هذه الرؤية للذاتية المناضلة والمقاومة تتعدى حتى تلك العائدة للثوري اللينيني المحترف، كما أن تأكيدها حياة مقاومة حتمية ومؤكدة، لا يكون فيها للحاجات والرغبات الفردية أي صلة، يقرّ مها من ذاتية ماو الثورية. اقترنت رؤية غاندي الثاقبة للنتيجة الكارثية لتصعيد العنف مع النظرة المعادلة في راديكاليتها القائلة: إن العنف مهم صغر يميل بطبيعته نحو التصعيد، كما أنه لم يرَ أي مكان أو أي إمكانية لاستخدام مضبوط للعنف، وقد آمن أيضاً أن ممارسة العنف أفسدت الذاتية المقاومة التي أصبحت من خلال هذه المارسة عرضة مادياً ومعنوياً للمشاركة في عنف الخصم، لكن يجب أن نتذكر أن إستراتيجية اللاعنف لدى غاندى، وإنْ كانت أيضاً فلسفة وطريقة حياة، فهي أيضاً كانت في الأساس خياراً إستراتيجياً في حرب مقاومة ضد الاستعمار، وقد تبين أن هذا الفهم للحرب اللاعنيفة صعب الاستيعاب بالنسبة إلى المفكرين الأوروبيين الذين تأسيا بكلاوزفيتز كانت الحرب على الدوام بالنسبة إليهم عنيفة، لكن الدبلوماسية والسياسة لم تكونا بالضرورة كذلك، ففي نظر القراء الغربيين إن اللاعنف بوصفه إستراتيجية مناهضة للاستعمار تحوّل بسرعة إلى موقف أخلاقي مجرّد يعارض الحرب والصراع على المستوى العالمي، وأصبح شكلاً من نبذ غير مبال للسعى وراء أهداف سياسية، وقد ابتعد ذلك كثيراً عن نظرة غاندي إلى حرب المقاومة اللاعنيفة وممارسته لها. إن هذا التقليل الغريب من قيمة جسارة المقاومة اللاعنيفة قد قاد حتى إلى بعض التشويهات التي تتميز بمزيد من الغرابة في الاستقبال الأوروبي لها، وطوّر من جهة رؤية تقول: إن العنف قيامي، ومن جهة أخرى رؤية تقول: إن اللاعنف هو في أحسن الأحوال مو قف أخلاقي فر دي، ذو مضامين ضئيلة، بالنسبة إلى المقاومة السياسية المنظمة.

٢-٤- مقاومة القيامة:

انبثقت شهرة موضوع العنف في التفكير الفرنسي ما بعد الحرب من المنبت التاريخي للمقاومة، وقد تضمن ذلك تجربة المقاومة الفرنسية ضد

الاحتلال النازى والتواطؤ البيتاني Petainist وحربي التحرير ضد الحكم الاستعماري الفرنسى في فيتنام وفي الجزائر، وكذلك من الإمكانية القيامية للعنف المطلق الذي أطلقت له العنان الهجمتان الذريتان على هيروشيها وناكازاكي عام ١٩٤٥، فبحسب المصطلحات الكلاوزفيتزية إن الهجمتين الذريتين حطمتا المقدرة اليابانية المعنوية والمادية على المقاومة، وقد أسهمتا بشكل غير مباشر أيضاً مع ما تبعها من انسحاب ياباني من الصين في انتصار الصينيين في حربهم المحلية المقاومة. لقد اختُتمت حرب المقاومة الطويلة لدى ماو بتصعيد العنف من جانب الولايات المتحدة، فعلى النقيض من غاندي لم يكسب ماو حرب المقاومة ضد الاستعمار نتيجة لمبادرته الإستراتيجية والسياسية الخاصة، بل إن «النمر الورقى» لأسلحة الولايات المتحدة الذرية هو الذي أكسبه الحرب، ففي أحسن الأحول كان ماو هو المنتصر في الحرب الأهلية التي تلت انسحاب سلطة الاحتلال الياباني. ومع التسلَّح الذرى لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية عام ١٩٤٩ أخذت الحرب الباردة تُدار وفقاً للمبارزة الكلاوزفيتزية مع أخذ كل من الخصمين وضعية على حافة تصعيد قيامي حقيقي، إن إمكانية المقاومة المحلية أو المحدودة ضمن مثل هذا السيناريو، وكذلك خطر التصعيد المطلق للعنف المحلى والمدنى المناهض للاستعمار إلى حدٍّ قيامي، كانا أحد الانشغالات الرئيسة للفلسفة الفرنسية ما بعد الحرب.

أصبحت العودة إلى كلاوزفيتز ودراسة معضلاته واحدة من الطرائق الرئيسة في استقصاء الصلة الكامنة بين العنف المقاوم والعنف المطلق المتصاعد، فقد وفّرت الفرصة لإعادة التفكير بالعنف وعلاقته مع حرب المقاومة وسياستها، كما أن شخصية كلاوزفيتز الظليلية لطّفت ضمنياً

الوجود القوي له هيغل في فرنسا ما بعد الحرب، الذي حفّزه تعليق ألكساندر كوجيف Alexandre Kojéve المؤثر والغريب على كتاب «فينومينولوجيا الروح» في الثلاثينيات، والذي نشره ريموند كوينين المتنومينولوجيا الروح» في الثلاثينيات، والذي نشره ريموند كوينين Raymond Quenean تحت عنوان «مقدمة لقراءة هيغل» العرفيتز أدى وظيفة الترياق النسبة إلى النزعة الدولتية statist، إن لم تكن الإمبريالية لقراءة كوجيف لـ بالنسبة إلى النزعة الدولتية موقعه اللائق كمنظّر للمقاومة.

قد يكون رأي كوجيف في تأييد هيغل الفلسفي للإمبراطورية النابليونية هو الجانب الأكثر عرضة للتساؤل في تعليقه العاطفي، إذ إن هيغل يُوصف بأنه مؤيد له الإمبريالية الثورية، بل مؤيد حتى لضميرها الفلسفي، ويمضي كوجيف بعيداً بحيث إنه يبرز رؤية هيغل المسيحانية (المحتومة) وما هو مدهش على بأنه التجسيد الواقعي للدولة أو الإمبراطورية العمومية، وما هو مدهش على نحو مساو في هذه الاعتذارية الفلسفية تجاه الإمبراطورية هو طمس موضوع العنف وغياب كلاوزفيتز معاصر هيغل، إذ إن كوجيف لا يُقصر المغامرات العسكرية للإمبراطورية على مستوى (النزاع) و (العمل) وحسب، مما يغفل مركزية العنف المطلق في المشروع الإمبريالي، بل إنه يستثني أيضاً كلاوزفيتز من نقاشه لخصوم نابليون الألمانيين، كما يفضل هيغل في مقارنته معهم، فيقول: (الا يعمل أعداء نابليون ضده و لا يدمرونه، ومن ثم فإن حكمهم هو مجرّد بهرجة، مجرّد ثرثرة) (Kojéve, ۱۵۳). إن كلاوزفيتز هو الاستثناء الكبير الأول لهذا الحكم، ومع ذلك لا يدع كوجيف ذلك يشوش على رؤيته التي تفيد أن (هيغل اكتشف نابليون وشرحه لـ ألمانيا، لقد فكر بإنقاذ ألمانيا (بوساطة علم الظواهر اكتشف نابليون وشرحه لـ ألمانيا، لقد فكر بإنقاذ ألمانيا (بوساطة علم الظواهر اكتشف نابليون وشرحه لـ ألمانيا، لقد فكر بإنقاذ ألمانيا (بوساطة علم الظواهر اكتشف نابليون وشرحه لـ ألمانيا، لقد فكر بإنقاذ ألمانيا (بوساطة علم الظواهر اكتشف نابليون وشرحه لـ ألمانيا، لقد فكر بإنقاذ ألمانيا (بوساطة علم الظواهر التشف نابليون وشرحه لـ ألمانيا، لقد فكر بإنقاذ ألمانيا (بوساطة علم الظواهر المنتزية المنتزية المنتزية المسلم المؤون وشرحه للهنور وشرونه وسلم المنتزية المنتز

⁽٢٠) تركز على الطبيعة الإلهية - الإنسانية ليسوع المسيح [المترجم].

وبحفظها بشكل متسام (aufgehoben) ضمن وبحفظها بشكل متسام (aufgehoben) ضمن «الإمبراطورية النابليونية» (Које́ve, ۱۵۳). إن نابليون في هذه القراءة هو «الرجل «المثالي»... فإذا كان نابليون هو الإله المشخص (الإله الظاهر) فإن هيغل هو الذي أظهره» (Које́ve, ۱۵۳). تترافق هذه الإمبريالية المسيحانية في هيغل التي أثارها كوجيف مع تقليل الدور الذي أدَّاه العنف في التاريخ الإمبريالي في مرحلته الافتتاحية، والتي مهدت لفترة السلام الإمبريالي والفلسفي الدائمين.

إن هيغل بالنسبة إلى كوجيف هو فيلسوف العمل وتبعاً لذلك فإن السياسة - حتى السياسة النابليونية الإمبريالية - تُفهم وفقاً للعمل، وبالتأكيد ليس وفقاً للعنف كما هي الحال مع كلاوزفيتز، إذ إن قراءة كوجيف لدياليكتيك السيد/ العبد في «فينومينولوجيا الروح» تُصاغ وفقاً لمعركة جينا أو «أعمالها»، فكوجيف يفهم الدياليكتيك على أساس حركة بين الصراع والعمل ينتج عنها تاريخٌ: «إنه في الوقت نفسه تاريخ صراع وتاريخ عمل يصل في النهاية إلى الحروب النابليونية وإلى الطاولة التي يكتب عليها هيغل الـ «فينومينولوجيا» بغية فهم تلك الحروب وتلك الطاولة» (Kpjéve ۱۷۱). وينتقل كوجيف بين كلمات الصراع والعمل والهيمنة والحرية، وهو يتحاشى طوال الوقت كلمة «العنف». إلا أن إستراتيجية العبد في صراعه من أجل الاعتراف أي صراع الانسلاخ الذي ينتقل من الصراع إلى العمل تتضمن نبذ أي مقدرة على المقاومة، فالعبد لا يقاوم السيد/ العدو، بل إنه يغيّر الاتجاه ويكرس نفسه للعمل، وإذا كان كوجيف يجعل هيغل يكرس العبيد لعمل سلمي تغييري في الإمراطورية الجديدة ولمصلحتها، فإن كلاوزفيتزيري أن الخاضعين يطورون إمكانات وإستراتيجيات جديدة للمقاومة السياسية العنيفة ضد الهيمنة الإمبريالية نفسها، فيصبح المهزومون بالنسبة إلى هيغل لدى كوجيف رقيقاً وعبيداً، في حين أنهم رجال عصابات ومناصرون بالنسبة إلى كلاوزفيتز، ولا يمكن تجنب التشابهات بين رؤية كوجيف لإمبراطورية العمل وبين معاصرتها اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، وربيا لهذا السبب فإن رؤيته الغريبة للعلاقة بين الفيلسوف والدكتاتور العسكري الإمبريالي المُصاغة على أساس فهم للتاريخ بأنه عملية عمل – أثارت ردة فعل سلبية لدى بعض مستمعيه في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا ولعكل جيد جداً، بعض مستمعيه في الثلاثينيات الذين فهموا التشابه المعاصر بشكل جيد جداً، وقد رد إريك ويل الثلاثينيات الذين فهموا التشابه المعاصر بشكل جيد جداً، التاريخ هذه بمحاولة متواصلة لإحياء تفكير العنف – وفي حالة ويل على الأقل – لعقلتنه.

كان تفكير كلاوزفيتز محورياً في تفكير ويل وأرون في العنف والسيطرة عليه، في السنوات التي تلت الحرب مباشرة وفي بداية الحرب الباردة، وقد تأثر نقدهما له كوجيف ونظرته إلى النهاية الإمبريالية للتاريخ (۱۲) بالرؤية الكلاوزفيتزية الثاقبة، المتضمنة أن العنف يتملص من أي منطق جدلي يفتح مجالات من المجازفة والخطر والحظ، بدت منتهية عبر تجسيد نابليون وعبر السلام الدائم لإمبراطورية العالم الشاملة وتحويل الحرب إلى عمل. في مقابل هذا النهاية درّس كلاوزفيتز المجازفات والمخاطر التي ترافق ممارسة العنف وارتباط العنف والسياسة والتقلّب الداخلي للعنف ونزعته نحو التصعيد، ومع

Quoi qu'il(Kojeve, ۱٥٤) «على أي حال، إن التاريخ قد انتهى» (٢١) كما لاحظ كوجيف: «على أي حال، إن التاريخ قد انتهى» (١٩٨٩ وانتقدها جيرار en soit – l'Histoire est terminée? من بين آخرين في «أطياف ماركس» Spectres of Marx.

ذلك فإن ويل وأرون في تأملاتها ما بعد الكوجيفية عقب الحرب في كلاوزفيتز يعالجان مسألة إمكانية السيطرة على العنف، وإن وجهة نظرهما المتعارضة تماماً مع وجهة نظر غاندي هي أنه يمكن التحكم بالعنف في حين أن جيرار – الذي أتى بعدهما – يخالفها جذرياً وذلك من خلال تطويره قراءة قيامية لكلاوزفيتز، ترى أن العنف كارثي ليس على مستقبل السياسة فحسب، بل بشكل أعم على مستقبل العالم. إن موضع الخلاف في مقاومة القيامة أو الاستسلام لها هو المجال المتاح لتطوير المقدرة على المقاومة، فقد بدا أن كوجيف مقترح لا يتضمن فحسب انكباب المهزومين على عملهم وقيامهم به بشكل عفوي بوساطة مكر التاريخ بالمقاومة وخلق عالم من العمل، لكنه يتضمن أيضاً اعترافاً بالهروب من العنف.

إن إحدى إطلالات كلاوزفيتز الأولى في الفلسفة الفرنسة ما بعد الحرب، تحصل بعد عشر سنوات من انتهائها، وذلك في مقالة لـ إيريك ويل ترافقت مع محاولته مراجعة قراءة السياسة الهيغيلة في كتاب «هيغل والدولة» (١٩٩٨) محاولته مراجعة قراءة السياسة الهيغيلة في كتاب «هيغل والدولة» (١٩٩٨) (المحرب والسياسة وفقاً لـ كلاوزفيتز» Hegel and the State وفي كتاب «المحرب والسياسة وفقاً لـ كلاوزفيتز إلى جمهور جديد، وارضاً مواقفه الأساسية، بطريقة تؤكد مكانته كمفكر مقاومة وأيضاً كمفكر عساس تجاه المخاطر الكامنة في اللجوء إلى العنف. إن مهمة منظر الحرب تنحصر في مساعدة رجل السياسة على فهم «ظروف الاستخدام الجيد للوسيلة السياسية ألا وهي الحرب» (١٩٥٥, ٢٩٧). لكن ويل يصبح مباشرة حساساً تجاه التفاوت بين الغايتين اللتين تسعى وراءهما السياسة والحرب: «إن الحرب بحد ذاتها هي عنف خالص وهدفها الأساس هو تحطيم العدو، في حين أن السياسة تجد مجال عملها في تجارة الدول» (٢٧٩ (١٩٥٥, ٢٧٩))، ويلاحظ

ويل أن هناك «تناقضاً صارخاً» وجلياً بين رؤية الحرب: بأنها وسيلة للسياسة تقتصر على أهداف سياسية محددة، وبأنها «عنف تدميري بشكل مطلق كلي وغير محدود» (Weil 1900, ۲۹۷)؛ لكن اقتباسه لتعريف هدف الحرب بأنه تقويض للمقدرة على المقاومة يضع هذا التناقض في سياقه، ففي حاشية سفلية متمعّنة لهذا الاقتباس يلاحظ ويل أن التعريف «يُظهر أن كلاوزفيتز لم يفكر في التدمير المادي لقوات العدو، بل كان يهدف إلى كسر إرادة المقاومة لديه، ومن ثمَّ فإنه أدخل الفكرة السياسية إلى تعريف هدف الحرب في حد ذاته» (,١٩٥٥ المقاومة، ٢٩٧)، ولسوء الحظ فإنه لا يتابع مسألة التكوين السياسي للمقدرة على المقاومة، وكيف يمكن إضعافها، لكن بقية مقالته تبقى حساسة تجاه التهديد المتضمن أن الحرب قد تقوض إمكانية السياسة نفسها إضافة إلى تقويضها المقدرة على المقاومة.

إن السياسة بالنسبة إلى ويل هي المجال الذي تصبح فيه ممارسة العقل العملي ممكنة على الأقل، فالعقل يحتل موقعه ضمن السياسة كأداة للتغلب على العنف أو على الأقل تحاشي اللجوء إليه، لكن يمكن أحياناً للسياسة أن تحرر نفسها من العقل وتطلق العنان لعنف داخلي موجه خارجياً، مثلها هي الحال مع الثورة الفرنسية، بل الثورات عموماً، وفي مقطع ختامي طويل يلخص ويل قراءته له كلاوزفيتز بالزعم أن:

... درجة عنف (الحرب) ستكون بالنتيجة وظيفة للتوترات داخل الدول من جهة والتوترات العالمية من جهة أخرى، إضافة إلى ذلك فإن التوترات العالمية بين الدول هي بشكل طبيعي وظائف للتوترات الثورية ضمن المجتمعات المختلفة... (Weil ۱۹٥٥, ۳۱۳).

فالحرب ليست نتيجة لتقدّم العقل عبر التاريخ، بل نتيجة لانهيار التحالف بين العقل والسياسة: «وهكذا سوف يُطلق العنان للعنف الصرف فحسب، في لحظات يصبح عندها سقوط السياسة الكامنة (السياسة الداخلية) كبراً إلى درجة كافية بين الدول» (Weil 1900, ٣1٤). فالأرجحية تُعطى لأسبقية السياسة الداخلية أو إدارة العنف ضمن الدولة، إذ يمكن في لحظة الثورة أن يتصاعد الاستخدام الذرائعي المضبوط للعنف إلى عنف مطلق، يوّلد عن غير قصد مغامرات إمبريالية مثل مغامرات نابليون. إن المغزى واضح: إن ويل ينتقص من قراءة كوجييف للعقل الهيغيلي في التاريخ الإمبريالي بعدِّه الإمبريالية نتيجةً لانهيار السياسة والعقل، لا تتويجاً لهما في دولة شاملة، إذ إن ويل يعيد في هذه المرحلة تعريف العقل (أو السياسة «السليمة») من خلال تصنيفه ضمن مستوى التحكم الديمقراطي في تصعيد العنف، ففي مراحل الحرب اللاثورية، حينها «لا يكون [وجود الدولة] في خطر، لا يستطيع قادة الدول ولا شعوبها أن يقبلوا تحت هذه الظروف التضحية القصوى، ألا وهي نشر العنف المطلق وتحمّله» (Weil 1900, ٣١٤)، وعلى الرغم من ذلك، وبناءً على تجربة الثورات الديمقراطية، يستنتج ويل أن «العقل وليس العنف، هو الذي يحكم في نهاية المطاف، وأن على العنف الذي يتذرع بأنه ثوري أن يسوّغ نفسه أمام محكمة [العقل]» (Weil ١٩٥٥, ٣١٤).

يخالف أرون رواية ويل الشكلانية لمنطق الحرب والسياسة لدى كلاوزفيتز ويبقى غير مقتنع بأن معادلة الإرادة الديمقراطية والعقل قادرة على الحكم على العنف أو احتوائه. إن مواجهة أرون للعقل والعنف عبر قراءته الدقيقة له كلاوزفتز في كتاب «تصوّر الحرب» Penser la Guerre تواجه تجربة المقاومة مع معضلة الحرب الذرية، فقد مكّنته تجربته بوصفه مقاوماً من قراءة

كلاوزفيتز، (ليس بوصفه منظراً للمقاومة، أي عدواً حاقداً على الإمبراطورية النابليونية، ومنظراً لحرب العصابات وحسب)، بل بوصف كلاوزفيتز مدافعاً يدشن المشروع الأكبر من حرب المقاومة طويلة الأمد، كها أن نقاشاته له لينين وله ماركس في المجلد الثاني من «تصوّر الحرب»، إضافة إلى مقالات أقصر وأكثر وضوحاً مثل «كلاوزفيتز استراتيجي ووطني» والمانقة إلى مقالات أقدم ولا سيها «كلاوزفيتز والحرب الشعبية» (Clausewitz, stratége et patriote وصفاً متهاسكاً له كلاوزفيتز بوصفه فيلسوف حرب المقاومة العالمية، إلا أن هذه الرؤية ربها تقبع بشكل غير مريح إلى جانب الحافز الرئيس لقراءته، ألا وهو مشكلة التحكم بالعنف التي تثيرها معضلة الحرب الذرية.

إن أرون بوصفه مفكر الحرب الباردة يجد في التحكم السياسي في تصعيد العنف «تأكيداً وإكهالاً» للتفكير الكلاوزفيتزي، ولكن تحليله يتم على مستوى أقل تجريداً من معادلة الديمقراطية والعقل لدى ويل، ف أرون يركّز على التوتر بين التحكم السياسي بوسائل العنف ونزعة العنف الكامنة نحو تصعيد يتجاوز ذلك التحكم، ففي مقالة عام ١٩٧٥ التي تحمل عنوان «مجتمع الدولة والحرب» يلخص أرون محاولته تكييف كلاوزفيتز مع من كتاب «تصوّر الحرب» يلخص أرون محاولته تكييف كلاوزفيتز مع أحوال أواخر القرن العشرين. إن السياق السياسي الآن هو سياق عالمي كها أن وجود الأسلحة الذرية لم يعد يجعل من العنف المطلق حالة افتراضية تُصوى، بل إنه هدف عسكرى معقول. في هذه الحال:

⁽۲۲) جَمُع فِي ۲۵-۷۶ and ۲۲-۵۲ فِي ۲۲)

إذا دل التصعيد في حقبتنا على تصعيد نحو الحرب الذرية، فإن معنى الحركتين الكلاوزفتزيتين يتغير جذرياً، إذ يقود التصعيد إما إلى معركة إفناء أو بمعنى أعم إلى قرار، فالعدو المهزوم يوافق على النقاش ويقبل شروط المنتصر... [إن وجود الأسلحة الذرية] يفرض خياراً بين المبدأين الكلاوزفتزيين: الهلاك والقرار من جهة، وهيمنة السياسي من الجهة الأخرى (Aron Y . . 0, 1 . 7).

إن وجود الأسلحة الذرية بالنسبة إلى أرون يكمل بطرائق عديدة تفكير كلاوزفيتز، عبر إقامة تحالف بين تهديد فعلي بالتصعيد مع أرجحية متجددة للسياسة، فالتهديد بالدمار المتبادل:

[...] دعني أصوغ ذلك هكذا: يملأ فجوة كانت مفاهيمية كلاوزفيتز واعية لها، لكنها تُركت فارغة بسبب قيود التجربة التاريخية، أي بسبب الاستخدام الدبلوماسي للأسلحة، وبالنظر إلى الحظر الفعّال على استخدامها، فإن الإستراتيجية المسهاة ردعاً يمكن تعريفها بدقة أنها استخدام للتهديد الذري نظراً إلى تجنّب وضعه موضع التطبيق (٢٠٠٥, ١٠٦).

وفي اهتهامه بالثالوث الكلاوزفيتزي، يقلل أرون من دور الشعب والقائد بالنسبة إلى مصلحة السياسي والدبلوماسي، فعلى النقيض من ويل فإن أرون غير مقتنع تماماً أنه يمكن التحكم بالتصعيد باستخدام العقل الدبلوماسي من جانب الشعب، أو أنه يمكن الركون إلى اجتهاد القائد العسكري. إنه يرى أن السياسة تكون في قمة تأثيرها حينها تمارس على مستوى الدبلوماسية ووفقاً «للتحالف غير المكتوب ضد الحرب الشاملة لدى القوتين العُظمين» (للتحالف غير المكتوب ضد الحرب الشاملة لدى القوتين العُظمين بين السياسي والعسكري، وجرى الاتفاق على عقد غير مكتوب فيها يتعلق بين السياسي والعسكري، وجرى الاتفاق على عقد غير مكتوب فيها يتعلق بين السياسي والعسكري، وجرى الاتفاق على عقد غير مكتوب فيها يتعلق

بأرجحية المُسيّس، ومن ثم فإن العقل الدبلوماسي هو الآن الذي يحدد السياسة والحرب العالميتين. إن أرون يعي جيداً أن الحروب الصغيرة تجازف بإثارة التصعيد، لكنه يعمل كثيراً بغية إظهار كيف أن كل أطراف الحرب تنتبه الآن إلى هذا التهديد، إذ ليست القوتان العُظميان بميثاقها غير المكتوب لتجنبه هما المنتبهتان إليه فحسب، بل حتى الأنصار الذين يخضعون لمبدأ سياسي وأيديولوجي ينتبهون إلى إمكانية التصعيد.

ومع ذلك هناك توتر بين رؤية أرون للعقل الدبلوماسي الذي يعمل لمنع التصعيد إلى نقطة تتقلص فيها كل مقدرة على المقاومة إلى حدها الأدني، ورؤيته الخاصة بنشوب حروب مقاومة صغيرة قادرة على استدراج تصعيد، فإلى جانب المجتمع العالمي والسلاح الذري يرى أرون تغيراً ثالثاً منذ عصر كلاوزفيتز، ألا وهو ظهور تشكيل الشعب المسلح المستعد لشن حروب عصابات مقاومة، ووفقاً لـ كلاوزفيتز في حين «برز تسليح الشعب في أثناء حروب الإمبراطورية كواحد من آخر الوسائل لدى الشعب المضطهد، وجرى عدّه من بين محاسن الحرب الدفاعية عسكرياً وسياسياً» (Aron ۲۰۰٥, ۱۱۸)، فقد جرى متابعته باهتهام لأن المنتقصين من قيمته خافوا أن يولّد «إمكانية ثورية» بين الشعب، ويعلق آرون قائلاً: إنهم في التحليل الأخير لم ينخدعوا، لكنه ينتقل بسرعة لاحتواء التهديد الذي تمثله حركات المقاومة المسلحة تجاه تصعيد العنف. لقد تصور كلاوزفيتز الشعب البروسي المسلح بأنه ملحق بالجيش النظامي، يلتقط أرون ذلك، كي يجادل بأن حركات المقاومة المسلحة المعاصرة في الصين، وكوبا، وفيتنام هي نتاجات خليط من جيش نظامي، وجيش شعبي، أو جمع للشعب المسلح تحت نظام عسكري: «فالمناصر هو بالأساس شبه نظامي بقدر ما يخضع نفسه إلى القيادة الإلزامية لضباط أو صف ضباط بعيدين» (.Aron ۲۰۰٥ 119)، كما أن انضباط المناصر إضافة إلى العقل الدبلوماسي للدولة يقوم بوظيفة كبح أي تصعيد للعنف، وبالنسبة إلى أرون فإنه يؤشر إلى إتمام تفكير كلاوزفيتز في الحرب التي تبدأ في بداية المرحلة الثورية، وبالنتيجة كيّف أرون قواعد الحرب لدى كلاوزفيتز مع أطروحة نهاية التاريخ التي اقترحها معلمه كوجيف.

خالف رينيه جيرار رؤى التحكم السياسي والدبلوماسي بالتصعيد لدى أرون، إذ إن عنوان نقاشه المطوّل مع بينوي شانتر Beniot Chantre المحال كلاوزفيتز Achever Clausewitz (***) كلاوزفيتز الله يكمل كلاوزفيتز أو أنه يكمل كلاوزفيتز أو أنه يرى إكماله في العقل الدبلوماسي كان زعماً سابقاً لأوانه، وعوضاً عن ذلك فإن نقاشه له كلاوزفيتز ينكَبُّ على الفرضية القائلة: إن التصعيد القيامي للعنف ليس ممكناً وحسب، بل إنه على المسار الصحيح أساساً. إنها قراءة موجهة مباشرة إلى أرون وضد مواقف النصور الحرب، نفي مقالته الختامية الملحقة يصف تشانتر كيف توصّل إلى نقاشاته مع جيرار وهو الممتلئ بالتطمين الأروني تشانتر كيف توصّل إلى نقاشاته مع جيرار وهو الممتلئ بالتطمين الأسباب للبقاء مؤمناً بالسياسة» (Girard ۲۰۱۱, ۳۷٤)، وهذه ثقة اهتزت بسرعة عبر قراءة جيرار القيامية لكتاب الهي الحرب، لأن جيرار يؤمن أن التصعيد قائم أساساً، وأن التقليل بشكل مميت وغير قابل للنقض من أي مقدرة على مقاومته، قد حصل مسبقاً.

يكتشف جيرار في «إكهال كلاوزفيتز» منطقاً قيامياً في التصعيد بعيداً جداً عن معتقدات ويل وأرون، أي إنه كان من الممكن سياسياً احتواء تصعيد

Battling to «تقاتل حتى النهاية» Mary Barker التي تحمل عنوان «تقاتل حتى النهاية» (۲۳) ترجمته ميري باركر the End, Michigan State University Press, East Lansing ۲۰۱۰

العنف، فموقف جيرار ينبع من تأملاته السابقة في كبش الفداء والمحاكاة ونظرته المعقدة للمغزى التاريخي والمعاصر للمسيحية، إذ إن المسيح برفضه مقاومة العنف بالعنف وبإدارته الخد الآخر و «سياحه لنفسه أن يُصلب» يُبرز ما هو بالنسبة إلى جيرار أساس للمجتمع الإنساني، فالصلب يزيل «تستر» العنف عبر التضحية والطقوس، بالتزامن مع إزالة الحدود «التي حمت المجتمعات الإنسانية من عنفها الخاص» (Girard ۲۰۱۱, ۱٦)، وبالنسبة إلى جيرار فإن موت الإله وندرة «الأعياد الجديدة» التي يندبها مجنون نيتشه في «العلم البهيج» The Gay Science «الأعياد الجديدة» التي يندبها مجنون نيتشه في «العلم البهيج» يبدأان منطق عنف متصاعد مدفوع بمحاكاة تتضح في المواقف المعادية للخصوم التي حللها كلاوزفيتز في الجزء الأول من كتاب «في الحرب». إن جيرار يتخيل استجابتين ممكنتين لمعضلة التصعيد التي – في رأيه – أطلق الوحي المسيحي لها العنان. تشير الاستجابة الأولى إلى الجذور المسيحية للمهمسا الغاندية، وتشير الثانية إلى الثقة في القوة التي أيدها أرون.

يمكن في الحالة الأولى احتواء تصعيد العنف من خلات نبذ المقاومة العنيفة، فعلى حد تعبير جيرار: «بغية جعل الوحي جيداً تماماً وغير مُهدِّدٍ أبداً، يكفي للبشر أن يتبنوا السلوك الذي أوصى به المسيح، وهو الامتناع التام عن الأعمال الانتقامية؛ أي نبذ التصعيد» (Girard Y · 1 1, 1 ۸). إن هذه الاستجابة لخطر التصعيد تقتضي في التحليل النهائي نبذاً للمقاومة، بدلاً من استمرارها بوسائل أخرى غير عنيفة، كما أن افتقار جيرار لقراءة مستدامة له غاندي تقود إلى الحط من قيمة قوة المقاومة اللاعنفية، ف جيرار يرى التهديد المحدق والحاضر «بفناء كل الحياة على الكوكب»، دون أن يتبنى لا – مقاومة مسيحية (١٩ ، ١١ ، ١ ٢)، كما أنه لا يستطيع قبول أمل أرون في حل سياسي للقيامة التي يستجلبها تصعيد العنف:

إن هذه هي الإمكانية التي رآها ريمون أرون عند قراءته كلاوزفيتز، وقد كتب ملخصاً قوياً من أجل تطهير الروح من منطق قيامي وإقناع نفسه بأي ثمن أنه سوف يُتجنَّب الأسوأ وأن «الردع» سوف ينتصر دوماً (٢٠١١).

وفي حين أن جيرار يعارض «إكمال كلاوزفيتز» مع آمال أرون بعقل سياسي ودبلوماسي في «تصوّر الحرب»، فإنه على الرغم من ذلك يقدم «إكمال كلاوزفيتز» الذي يقوم «بجعل إيهاءة أرون متطرفة» (٢٠١١, ٥٠٥)، إذ إن أرون هو «أول من حصل على امتياز إخراج (كلاوزفيتز) من السياق العسكري الضيق. إن دورة العنف المتفاقمة هي التي عليه أن يكون قادراً على نبذها، تلك العودة الأبدية للمقدس الذي يتضاءل احتواؤه في الطقوس، والذي – الآن – يشوش نفسه بالعنف» (٢٠١١, ٦٥). إن إيهان أرون بالعقل السياسي والدبلوماسي يفترض وجود دياليكتيك للعنف، ومن جهة أخرى يقيم جيرار الحجة أن قواعد العنف التي حددها كلاوزفيتز في التصعيد نحو الحرب المطلقة لا تترك نتيجة دياليكتيكية، بل تستهلك نفسها في النهاية.

إن قراءة أرون وجيرار لـ كلاوزفيتز تنطلق من هوس مشترك بمسألة العنف عموماً كما عند جيرار في عدد من الكتب مثل:

العنف والمقدس» (۱۹۷۲) Violence et le sacré (۱۹۷۲) إلى «عن الأشياء العنف والمقدس» Violence et le sacré (۱۹۷۲) إلى «عن الأشياء المخيفة منذ تأسيس العالم» Des choses cachées depuis la foundation du وإلى «من العنف إلى اللاهوت» Monde (۱۹۷۸) وإلى «من العنف إلى اللاهوت» Monde (۱۹۷۸) وعند أرون في عدد أكبر من الإسهامات أكثرها شهرة (۲۰۰۷) Paix et Guerre entre les Nations هي «السلام والحرب بين الدول»

(١٩٦٢) و (الجدال الكبر، مدخل إلى الإستراتيجية النووية) Le grand Débat, Initiation à la stratégie atomique (۱۹۶۳) «دياليكتيكاً متسامياً» للحرب المطلقة ولتلك القراءات التي انبثقت عن المقاومة وفرنسا الحرة مثل «من الهدنة إلى التمرّد الوطني» De l'Armistice à l'Insurrection nationale (١٩٤٥). قاد الانجذاب المشترك نحو العنف إلى اهتمام مشترك بإمكانية إدارته، وعند هذه النقطة تماماً يفترق طريقا أرون وجيرار بشكل واضح جداً، إذ إن أرون مقتنع بأنه يمكن أن يكون للعنف المحدود معنى سياسيٌّ، أي يمكن أن يصبح للعنف، للحرب خاتمة دياليكتيكية إيجابية، فحتى الحرب الذرية أو التهديد بها يمكن أن ترهن أنها تحريضٌ للسياسة في الحقيقة، ويمكن فعلاً أن يُدار العنف سياسياً. إن هذه القناعة المتضمنة أن للعنف نتيجة سياسية إيجابية تبرهن على هيغيلية أرون، ومرة أخرى على أنه وريث **كوجيف**. يمتلك **جيرار** من جهة أخرى فهماً للعنف قيامياً تماماً، وبالنسبة إليه إن نهاية العالم، أي تدميره الذاتي، قائم أساساً: فالعنف لا يستهلك السياسة وحسب، بل إنه في النهاية سوف يستنفد ذاته في الحرب المطلقة.

إن «إكهال كلاوزفيتز» باتخاذه مسافة من أرون، يبعد نفسه أيضاً عن هيغل، وعن القراءة الكوجيفية Kojèvian لـ هيغل غير البعيدة أبداً عن تفكير أرون، إذ إن إحدى السهات البنيوية لكتاب جيرار هي تأكيده البعد الهائل بين هيغل وكلاوزفيتز، فهما من الأزواج القليلة في عمله اللذان لا يدخلان في علاقة محاكاة. إن جيرار في قراءات متأنية لكتابات هيغل عن المسيحية وعن نابليون – وهي

أرضية كوجيف المفضلة تحديداً "" - يُظهر أن هيغل غير قادر على التفكير قيامياً، أي لا يمكنه التفكير بالتصعيد: "إن الذي لا يستطيع هيغل رؤيته هو أن تأرجح المواقف المتعارضة التي أصبحت متساوية يمكن أيضاً أن يتصاعد... " (Girard) فتفكير هيغل هو في أفضل حال تفكير تراجيدي، وهو في أسوأ حال لاهوت إمبريالي، لكن بالنسبة إلى جيرار، فإن طموح هيغل إلى التفكير بالمطلق أفقده أهلية التفكير بالقيامة:

إن للتفكير الهيغيلي سهاته التراجيدية، لكنه ليس تفكيراً كارثياً، فالتفكير يَعْبر بثقة من الدياليكتك إلى المصالحة، من التبادلية إلى العلاقة، ويعطي الانطباع فعلاً أنه نسي من أين أتى (٢٠١١, ٧٠).

وفي كلام لاحق له في الكتاب، حيث يضع هيغل بجانب دانتي، بوصفه واحداً من مفكرين عظيمَين للإمبراطورية يلاحظ جيرار أن هيغل «افتقد الوضوح بشأن النتائج المدمرة للعنف» (Girard ۲۰۱۱, ۳٤٦). ومن جهة أخرى لم يكن لدى كلاوزفيتز أي أوهام حول الإمبراطورية، أو حول كوارث الحرب، إذ لم يكن هناك للدياليكتيك مكان في رؤيته القاتمة للنتائج المروعة لتصعيد العنف.

⁽٢٤) يستشهد جيرار بـ كوجييف وتأثيره المحتوم مع ابتعاده المتزامن عن هذه القراءة لـ هيغل، انظر من ص ٤ إلى ص٧١. ويشير بشكل معبّر إلى سياسة ما بعد الحرب - «فكرة الإمبراطورية» بالنسبة إليه، وإلى الدور الذي لعبه كوجييف بوصفه «ملهاً للسياسة الديغولية بعد ١٩٤٥» (Girard ٢٠١١,٧٤)، ومن ثم، فإن علاقة أرون المعقدة مع الأخير توضع في إطار كوجييف والنتائج السياسية المحافظة لقراءته لـ هيغل.

قام جيرار بتقديم كلاوزفيتز كمفكر قيامي قادر على تنظير الكارثة، لكنه في الوقت نفسه يعدّه واقعياً، واقتناعاً منه بأن القيامة على الطريق، فإنه لا يرى أي مفارقة في هذه المواقف؛ فالأوهام المريحة للنتائج والحلول الدياليكتيكية عند هيغل إضافة إلى الآخروية عنده لإمبراطورية سلام فلسفية آتية، تتناقض مع كلاوزفيتز «الذي يلاحظ بوضوح دقيق حركة التاريخ المتسارعة، ذلك التاريخ الذي يفقد العقل فيصبح مجنوناً» (Girard ۲۰۱۱, ۸٤)، لكن جيرار مع ذلك وبعد تمييزه بين هيغل وكلاوزفيتز وإلحاحه على هذا التمييز، يقر أنه يجب قراءتها معاً، إذ إن غياب الوضوح في أسباب العنف ونتائجه، أي «غياب مفهوم جذري للعنف» هو الذي يجعل من تفكير هيغل «خطراً» (Girard ۲۰۱۱, ۷٥)، وإنه لمن الضروري قراءة كل من هيغل وكلاوزفيتز ليس بهدف التقريب بينهما، بل بغية جعل الفرق بينهما صارخاً وغير قابل للتفاوض: «إن المرء يرى مباشرة أن وحدة الواقعي والمفاهيمي تقود إلى السلام عند هيغل وإلى التصعيد عند كلاوزفيتز» (Girard ۲ • ۱ ۱, ۷۵). فالتصعيد لا يمتلك وسيلة إيقاف داخلية كما أن إمكانية مقاومته تبدو ملطفة جداً، وفي النهاية حينها يصبح الواقعي عقلانياً بالتأكيد، فلن يكون هناك محرٌّ سهلٌ منه إلى حكم سلام دائم ما بعد تاريخي.

ويتابع جيرار مسألة «الحرب الأيديولوجية»، أو الحرب التي تتنصل من عنفها الخاص باسم غايات مطلقة من خلال مثال اللينينية، إذ إنه يتبنى وصف أرون لللينينية بأنها «هيغيلية عسكرية» كما يصفها بأنها تشن حرباً مطلقة ضد أعدائها الطبقيين، ولا يقدم فيها العقل أي مساعدة: «ونظراً لأن العقل غير قادر على مقاومة القوة، فإنه يفتح عوضاً عن ذلك طريقاً لها ويسوغها» (Girard) قادر على مقاومة القوة، فإنه يفتح عوضاً عن ذلك طريقاً لها ويسوغها العقل

على مقاومة القوة بلغة المجاز المستقى من باريس عند هاوسهان ضد العنف، وأيقونات كوميونة باريس، فالعقل لا يمتلك أي متاريس ينصبها ضد العنف، ولهذا فإنه يفتح عوضاً عن ذلك الطريق له ويحتفى به، ويبدو أننا وصلنا مع الحرب الأيديولوجية إلى نهاية المقاومة، لكننا سنرى أن وجهات نظر جيرار حول مسألة المقاومة هي وجهات نظر أكثر تعقيداً وإقلاقاً، فالثورات العسكرية والأيديولوجية تحقق «معنى التاريخ» بوساطة أفعالها العنيفة، لكن الحرب تتصاعد مع العدو الطبقي بدلاً من أن تصل إلى نتيجة هيغيلية لمجتمع اشتراكي عالمي «فتحل الحرب الأهلية محل الحروب الوطنية. إن هذا الانعطاف في تعريف الحرب الذي أنجزته اللينينية يسهم في انتشار الحرب فتصبح الحرب الأهلية بسرعة حرباً أوروبية ثم حرباً عالمية» (Girard ۲۰۱۱, ۸٦) ويُنهي جيرار دراسته الدقيقة له كلاوزفيتز والتاريخ الأوروبي منذ الثورة الفرنسية بالإشارة إلى التصعيد المتواصل للعنف وبإبداء هواجسه من أن العنف الآن وصل إلى مستوى قيامي، ويختم بهذه الكلهات التي تكرر اختلافاته مع أرون:

يدلل كلاوزفيتز بطريقة أكثر واقعية من هيغل على عجز السياسة الأساسي عن احتواء التصعيد، وبالنتيجة فإن الحروب الأيديولوجية، أي مسوغات العنف الفظيعة حملت الإنسانية إلى مكان يتعدى الحرب التي نحن فيها اليوم، وسوف يستنزف الغرب نفسه في صراع مع الإرهاب الإسلامي الذي أشعله بنفسه من دون منازع. كانت الصراعات ضمن الدولة في القرن التاسع عشر هي التي رأى كلاوزفيتز فيها صعوداً للعنف، فقد كانت الدول

⁽٢٥) يرى جيرار استمراريةً بين لينين وماو والقاعدة بوصفهم مؤيدين لتصعيد العنف إلى مستوى عالمي (انظر ٢٠١١, ٣٦١).

موجودة كي تحتوي العدوى الثورية، إن مؤتمر فينا عام ١٨١٥ أنهى الحملة الفرنسية، والآن اكتملت تلك الحقبة في لحظة لا يعرف فيها العنف أدنى قيد، ويمكن القول من وجهة النظر تلك: إن القيامة قد بدأت (٢٠١١,).

ومع الإعلان عن تصعيد قيامي للعنف لم يعد بالمستطاع احتواؤه سياسياً، حتى إن الد كاتيشون catechon أو الرادع غادر يائساً ف جيرار يعود إلى المصادر اللاهوتية لتفكيره. إن ازدواجية المسيحية المشار إليها أعلاه أي إطلاقها عنفاً فوضوياً وغير مخفي إضافة إلى ترياقه يُعاد تأكيدها في الأسطر الأخيرة، ولا سيها في الزعم المروّع غير المتوقع والقائل: "إن الشيطان هو الاسم الآخر للتصعيد» (Girard ۲۰۱۱,۳۲۲). إن "الإكهال» المؤمل له كلاوزفيتز يتكون من إظهاره أن "في الحرب» (مثل كتابه السابق "مذكرة اعتراف» من إظهاره أن "في الحرب» (مثل كتابه السابق المذكرة اعتراف» الترياق بالنسبة إلى جيرار يشتمل على اللامقاومة وعلى قبول العنف ولا يبدو أن هناك مكاناً محتملاً يمكن أن تنطلق منه مقاومة ضد التصعيد، لكن مع هذا الاختيار بين الأسوأ - نهاية الحياة عبر تصعيد العنف - والدعوة إلى إيقاظ الضائر النائمة نصل إلى السؤال عن المدى الذي أدى فيه الغياب الظاهري للمقاومة في إكهال جيرار له كلاوزفيتز إلى نهاية قيامية لتفكيره.

لا تظهر كلمة «مقاومة» في الفهرس الكامل والمفصل بشكل ممتاز الخاص بكتاب «إكمال كلاوزفيتز»، ولكنْ هناك تفكير موسع، وإن كان ضمنياً في المقاومة، يسري خلال النص، فنقد جيرار للثورة والحرب الأيديولوجية هو نقد واضح تماماً، لكن موقفه بخصوص المقاومة هو موقف أكثر تملصاً، ويصعب فهمه، فقد رأينا أن السياسة بالنسبة إلى جيرار غير قادرة

على مقاومة التصعيد وأن العنف يكثفه فحسب، في حين أن العقل ينبذ صراحة أي إمكانية لإعاقة انتقاله إلى الحد الأقصى. أين إذن يمكن أن يتحدد موقع مقاومة التصعيد؟ لقد حدد جيرار موقع المقاومة - دون أن يسميها في مثال لا انتقامية المسيح ونبذه العنف في الموعظة على الجبل التي كانت إحدى مصادر إستراتيجية الساتيغراها لدى غاندي. مع ذلك - وإن لم يتم التطرق إلى المقاومة صراحة - فإن التفكير فيها يسلك طريقاً متعرجاً عبر أسطر النص يتكثف أحياناً، لكنه لا يصل أبداً إلى مستوى التعبير الخالص.

وفي إحدى اللحظات وجه بينيو شانتر السؤال البسيط بل المدمر إلى جيرار: «وهكذا فإن قانون التصعيد حتمي»؟ فهم جيرار مباشرة أن ذلك السؤال لم يكن سؤالاً موجهاً نحو حتمية قانون التصعيد، بقدر ما كان موجهاً نحو إمكانية مقاومته، إذ يبدأ بتكرار الأهمية المعاصرة له كلاوزفيتز والفروق بين قراءته الخاصة وقراءة أرون الهيغيلية وأهمية العلاقة مع المسيحية، ويلاحظ جيرار بشكل حسن جداً أن «مستقبل العالم يفلت منا على الرغم من أنه بين أيدينا»، ويتحول شخصياً و«افتتانه» بـ«المقاومة السلبية الجبارة التي تواجهها هذه الرسالة...» ولا سيا في أعقاب الهيغيلية. هذه هي «الرؤية» التي يتحوّل إليها، وهي رؤية قريبة من المقاومة السلبية التي «تشي بأن المصالحة ليست في باطن حركة التاريخ» (٢٠١١,١٠٢)، على عني بالنسبة إليه أن باسكال وليس هيغل هو معاصرنا، لكن وعلى الرغم من أن هذه الرؤية هي رؤية مركزية – ومعها بطريقة ما «المقاومة السلبية» – فإنها تبقى غامضة، ومع ذلك يعود موضوع المقاومة ليظهر في كلام جانبي آخر، إذ يتبيّن أنه كلام جوهري هذه المرة في نهاية القسم «عن المبارزة والتبادلية»، وهو يتمعن كلام جوهري هذه المرة في نهاية القسم «عن المبارزة والتبادلية»، وهو يتمعن

بأنموذج دريفوس "Dreyfus والدريفوسوريين Dreyfus. يصف جيرار القضية بأنها «كلاوزفيتزية بشكل أنموذجي» من حيث إن الحاجات المتصوّرة للقيادة العسكرية أخذت أولوية على الحاجات السياسية وحاجات الدولة، فهو يؤيد معارضة الدريفسوريون للظلم الفاضح، ويستعمل اسم المقاومة، كأنه لا يزال يجيب على سؤال شانتر السابق:

لقد قاوم الدريفوسوريون، فهم لم يعتقدوا أن الإدانة كانت نهاية الأمر، وأنهم كانوا ملتزمين بحتمية وجب أن تأخذ مسارها حتى النهاية، وأن إعادة تأهيل النقيب سوف تحصل في وقتها المناسب، ولأنني قيامي فأنا أرفض كل أشكال العناية الربانية providentialism. إن من الضروري للمرء أن يقاتل إلى النهاية، وإن اعتقد أنه يعمل دون جدوى (٢٠١١).

إن هذا الرفض لقبول العناية الربانية أو أي حل هيغيلي يصحُّ أيضاً بالنسبة إلى التصعيد الشيطاني، إذ تجب مقاومته حتى النهاية، لكن مرة أخرى يُعتّم على الموضوع بحد ذاته، حتى بعد هذا الاعتناق الحماسي للمقاومة.

⁽٢٦) إشارة إلى قضية ألفريد دريفورس Alfred Dreyfus، وهو ضابط يهودي برتبة نقيب في الجيش الفرنسي، اتُهم بالخيانة والتجسس لمصلحة ألمانيا وأُلقي القبض عليه في ١٥ تشرين ١٨٩٤ على الرغم من إصراره على براءته. وفي عام ١٨٩٦ اكتُشفت وثائق تثبت براءته لكن جرت محاوله لطمسها، فحصل انقسام في المجتمع بين المؤيدين له المقتنعين ببراءته (الدريفوسيين) والمعارضين له المعتقدين بإدانته، وبعد تبني قضيته من جانب بعض الكتاب مثل إميل زولا ومرسيل بروست أُعيدت المحاكمة عدة مرات وانتهى الأمر بالإفراج عنه وإعادته إلى الجيش العامل. ثم رُقِّي دريفوس إلى رتبة مقدم في الجيش الفرنسي عام ١٩١٨ ومنح وسام الشرف، وحينها اندلعت الحرب العالمية الأولى كان قائداً لأحد الحصون الدفاعية لمدينة باريس [المترجم].

إن المقاومة تعود فتطفو على السطح، وللمرة الأخيرة في عدد من الصفحات القوية عن تجربة المقاومة الفرنسية في الجزء عن «فرنسا وألمانيا»، يسأل شانتر مرة أخرى سؤالاً ثاقباً يزداد قوة بالنظر إلى سياق المقاومة الفرنسية ضد ألمانيا الاشتراكية القومية:

ألا تجد أن استدلالك المنطقي لجهة «الجماهير العظيمة» التي من خلالها يمكنك تصور التاريخ على أساس مدة طويلة ومن منظور قيامي يقلل من أخلاقية المقاومة، التي كانت ضرورية بالنسبة إلى إنعاش الفكرة الأوروبية؟ (Girard ۲۰۱۱, ۳۲۱).

إن جواب جيرار المرتجل جواب مباشر، ومراوغ قي الوقت نفسه، إذ بدأ بشخصية ديغول وإعجابه «بتجنب الجنرال بشكل جيد روح الاستكانة» (Girard ۲۰۱۱,۳۲۲)، ومع ذلك تبين أن جيرار لا يشير بروح الإذعان إلى فرنسا في بداية الأربعينيات، بل إلى فرنسا في أثناء الثلاثينيات؛ أي إلى «قوة الخمود» التي أسهمت في عودة العنف بدلاً من أن تشكّل طاقةً لمقاومته، وذلك مع النظرة الانهزامية المتضمنة أن «الفرنسيين عرفوا أنهم لا يستطيعون مقاومة الهجوم الألماني» (Girard ۲۰۱۱,۳۲۰)، لكن جيرار ينقل عن ديغول قوله: «إن فرنسا لم تكن قد اتبعت المقاومة، أو إن المقاومة لم تستطع جمع الفرنسيين بعضهم مع بعض » (Girard ۲۰۱۱,۳۲۲). إن هذا التقليل الظاهر من دور المقاومة تبعة استطراد حول جاك ماريتيان Girard باشرة بعد ذلك إلى الجنرال «لهذا السبب إنني لا أقلل أبداً إلى الحد الأدنى من ذلك الذي تدعوه أخلاقية المقاومة» (Girard ۲۰۱۱,۳۲۳)، لكن بدعوته الذي «لم يخلق أي أوهام حول المقاومة» (Girard ۲۰۱۱,۳۲۳)، لكن بدعوته الذي «لم يخلق أنه يضع المُسيّس فوق العسكري مما استدعى الملاحظة الحذرة من

جيرار وهي «أن هذا هو الذي يولد طوباوية المقاومة التي لا أرغب أبداً في التقليل من عظمتها» (Girard ۲۰۱۱, ۳۲٤)، وبعد استشهاده به بلوخ Bloch وكافيل من عظمتها» (Cavaillès يصل جيرار أخيراً إلى تعريف المقاومة بوساطة اقتباس من باسكال: «لأنهم لم يكونوا قادرين على تحصين العدالة فإنهم سوّغوا القوة». إن أول ملحوظة له جيرار هي أن «السلاح يجب أن يكون وسيلة فحسب «لتحصين العدالة» ضد أولئك الذين يسوغون القوة» (۲۰۱۱, وهذه وجهة نظر تبدو كأنها تسوّغ المقاومة المسلحة. ويتبع ذلك قطعة محيرة:

لاحظ أننا نجد مرة أخرى أن هناك تكثيفاً متبادلاً للعنف والحقيقة؛ حقيقة تعزز عنفاً لا يمكنه بالمقارنة أن يفعل شيئاً ضد الحقيقية، وفي رأي أنه ليس هناك أي تعريف آخر للمقاومة يصح اليوم بالنسبة إلينا جميعاً (Girard ۲۰۱۱, ۳۲٦).

إن هذا التعريف للمقاومة القريب من تعريف غاندي، وذلك في تأكيده مقدرة الحقيقة على توقيف دورة التصعيد، يبقى مع ذلك تعريفاً أولياً وناقصاً، وينتهي النقاش بمثال عن أولئك الذين جازفوا بحيواتهم وبأطفالهم بغية إنقاذ اليهود المضطهدين، لكنه مثال يُقدَّم بوصفه نقداً لأي فكرة مقاومة خالصة. «إن التفكير وفقاً للمقاومة والتواطؤ هو بقاء في الإطار الأسطوري، وهو تمسك بالاختلافات التي كانت أكثر مرونة مما قد يعتقد المرء» (Girard Y · 11, TYV). إن جيرار يبدو كأنه يؤمن أن المنصفين الذين أنقذوا اليهود في الوقت الذي كانوا فيه يعملون استناداً إلى الحقيقية والضمير، لم يكونوا بالضرورة يقاومون، ويجب ألا نرى أعالهم بأنها قد تكون مقاومة ضد التواطؤ.

إن النتيجة التي تبدو حتمية هي أن جيرار يرى أن هناك مكاناً صغيراً للمقاومة في إكمال كلاوزفيتز، فتصعيد العنف لا يبدو أنه تصعيد ترك أي

موارد للمقاومة، كما أن النهاية القيامية لأي مقدرة على المقاومة هي نصر للشيطان، مع أمل ضئيل في إنعاش مسيحي للضمير، لكن حتى ذلك ليس لزاماً أن يُعد مقاومة، فكما سنرى تبنى تشاموري Chamouray الاستهلاك العنيف لأي مقدرة على المقاومة، وذلك في كتابه اله (ما بعد) كلاوزفيتزي بوضوح، المُعنون بـ (المطاردة) The Manhunt لكن ذلك يتجاهل التجربة التاريخية للمقاومة اللاعنفية، ولا سيما مقاومة غاندي ونقاشها، إذ إن غاندي يبقى حضوراً بسيطاً في عمل جيرار، كما أن القرب الخانق للقيامة في تفكيره ناتج عن غياب مبدأ بنّاء لمقاومة لاعنفية، أو ربما لأي نظرة متطورة لما يقصده كلاوزفيتز بالمقدرة على المقاومة.

٢-٥- اللاعنف والمقدرة على المقاومة:

إن وجود الحرب يقود إلى السلام أيضاً، لكن سلام الإمبراطورية يقود إلى الكلية. ليفيناس (Levinas).

في مقالة عن المقاوم جيكوب غوردن Jacob Gordin أيُرِتُ في «الحرية الصعبة» Difficult Freedom أكد ليفيناس بثقة أن «عصرنا لم يعد بالتأكيد بحاجة إلى الاقتناع بقيمة اللاعنف» (Levinas 1990, 1911). هذا ما استدعى جواباً من جان ماري مولر Jean-Marie Muller قائلاً: على العكس «يبدو أنه لا يزال لدينا كثيرٌ ثما ينبغي أن نتعلمه عن اللاعنف» (Muller, 08). إن عمل مولير حول فلسفة السلام الذي يحمل عنوان «مبدأ اللاعنف، رحلة فلسفية» مولير حول فلسفة السلام الذي يحمل عنوان «مبدأ اللاعنف، رحلة فلسفية» كثيراً على غاندي، وهو إضافة إلى تحليلات جاك سيميلين Jacque Semelin يعتمد التاريخية والنظرية لـ«المقاومة المدنية» يطرح فلسفة بناءة لللاعنف، إن كليها التاريخية والنظرية لـ«المقاومة المدنية» يطرح فلسفة بناءة لللاعنف، إن كليها

مقتنعٌ أنه من الضروري استبدال مواجهة العنف بعنف مضاد بواحدة قوامها مواجهة العنف باللاعنف، ليس كي تُتحاشى معضلة التصعيد التي وصفها كلاوزفيتز فحسب، بل أيضاً بسبب الأولوية الأخلاقية للأخلاقية والذاتية اللاعنيفتين، ففي حين أن مولر يرى ظهوراً محتملاً لـ«مَدَنِية اللاعنف» خلف القيامة العنيفة لدى جيرار (٣٠٥, Muller, ٣٠٥)، إن سميلين يصف مقاومة مزدوجة ذات قطب سلبي متحدً يرفض العبودية، ويصف «مقاومة ثقافية» توكيدية «مبنية على هوية وشرعية نختلفتين عها لدى الخصم» (Semelin, ٤١)، ومع ذلك فإن هذه التأكيدات لمبدأ وثقافة مقاومة لاعنيفة تُحدد عبر التناقض مع كلاوزفيتز وجيرار لا تدرك بشكل كامل قوة تأمل ليفيناس في المقاومة العنيفة واللاعنيفة، أي إنها لا تدرك تحذيره من «الانخداع بالأخلاق» وإصراره على تأملنا في الخطورة الشديدة لما يعنيه أن يصبح المرء موضوع مقاومة سن».

إن توكيد ليفيناس بخصوص قيمة اللاعنف كان جزءاً من نقد أوسع له "أنموذج إنساني» لدى التاريخ والفلسفة الغربيين بسبب «تجاهلهما للمهزومين، أي للضحايا، والمضطهدين، كما لو أنهم عديمو الأهمية» (١٩٩٠). إنه يعد دعوات اللاعنف الصادرة على أساس هذه الإنسانية نكراناً «للعنف الذي مع ذلك تحقق التاريخ من خلاله»، ومن ثم فهي مثال على لاعنف «المنتصرين» الذي كان دوماً مرغوباً في اليوم التالي للنصر كما زعم كلاوزفيتز. وبخصوص مثل هذا اللاعنف المسالم يتابع ليفيناس بعناد:

⁽٢٧) إن سهات أفكاره هذه، ولا سيها اهتهامه الثابت بالعنف والحرب، هي التي تجعل من ليفيناس مركز نقاش مستمر بين جيرار وتشانتر في «إكهال كلاوزفيتز».

إن شجب العنف يجازف بالتحول إلى تأسيس للعنف والغرور: إلى تغريب، إلى ستالينية. إن الحرب ضد الحرب تديم الحرب من خلال تخليص نفسها من كل الضمير السيئ (Levinas, 1990, 171).

وفي حين أن تجربة القرن العشرين تُظهر «قيمة اللاعنف» يجب أن تُناقش الأخيرة بشكل أكثر عمقاً، وأن تُستكمل بـ «تأمل جديد في السلبية» والعذاب، ومن دون ذلك تكون فلسفة المقاومة اللاعنيفة عرضة لأن تصبح أخلاقية، تنفي بشكل سطحي أعراض العنف من دون معرفة كيف أن لاعنفها بقي متورطاً في العنف والحرب، وبوصفها كذلك، فإنها سوف تبقى دائماً عرضة لمقولات قيامية مثل مقولات جيرار، أو للعودة إلى عنف أعظم من ويمة اللاعنف بالنسبة إلى ليفيناس يجب أن تُثبت في مقابل أقوى دعوات الحرب.

كان ليفيناس نفسه قد بدأ هذا المشروع في كتاب «الكلية واللانهاية» كان ليفيناس نفسه قد بدأ هذا المشروع في كتاب «الكلية واللانهاية» عجربة الكاتب بوصفه سجين حرب. يبدأ الكتاب بتحذير من «الانخداع بالأخلاق» وينشد الوضوح بخصوص هذا الأمر وأي شأن آخر في «انفتاح العقل على الحقيقة»، أو في «رؤية إمكانية دائمة للحرب» (Levinas, ۲۱). إن نقطة افتراق ليفيناس في

Violence and «العنف والميتافيزيقيا» في «العنف والميتافيزيقيا» Metaphysics (٢٨) كما حذّر جيرار بشأن مقترح ليفيناس في سمت بما يُحدَّد ويُحمى عبر عنف الكلام، وبما أن الكلام لا يقول شيئاً غير أفق هذا السلام الصامت الذي من خلاله استُدعى هو نفسه، وبما أن مهمته هي حماية الكلام وتحضيره، يبقى الكلام صامتاً إلى أجل غير مسمى. إن المرء لا يستطيع الهروب من اقتصاد الحرب» (Derrida ۲۰۰۹, ۱۸۵). كان ديريدا واحداً من قراء ليفيناس القلائل الذين أقروا بدور «اقتصاد الحرب» في أخلاقياته.

الكلية واللانهاية هي نقطة كلاوزفيتزية: فالحرب «تُعلّق الأخلاق» و«تحرم المؤسسات والواجبات الدائمة من ديمومتها»، كما تنزع الضرورة عن «الأوامر غير المشروطة»، ومن خلال جعله كلاوزفيتز متطرفاً بطريقة تستبق فوكو، يعرِّف ليفيناس السياسة بأنها «فن التنبؤ بالحرب وكسبها بأي وسيلة» (إن الحرب هي إظهار كما يتابع بإصرار في الصفحة الأولى من «الكلية واللانهاية»: (إن الحرب هي إظهار للكينونة، أي إنها حقيقة الواقعي، فهي تمزّق الرياء، وتحرق لفائف الوهم، كما أنها تحرّك قسراً كائنات كانت حتى الآن ثابتة في هويتها). (Levinas, ۲۱).

إن عنف الحرب الذي يصفه ليفيناس لا يتكون من [...] أذية أشخاص وهلاكهم بقدر ما أنه يعطل استمراريتهم، ويجعلهم يؤدُّون أدواراً لم يعودوا يعرفون أنفسهم فيها، إنه يجعلهم يحنثون ليس بالتزاماتهم فحسب، بل بجوهرهم أيضاً، كما يجعلهم يقومون بأعمال سوف تدمر كل إمكانية للعمل (Levinas, ۲۱).

إن الحرب تستمر حتى عندما يبدو أن هناك سلماً «فسلام الإمبراطوريات الناتج في الحرب يعتمد على الحرب» (Levinas, ۲۲)، وهذا يُبقي العنف في لب اللاعنف المسالم، فاللاعنف من هذا المنظور هو المسالمة الإمبريالية، أي إنه مجال «الروح الجميلة» الهيغيلية التي لا تريد الاعتراف بأن استمتاعها بالسلام في اللاعنف هو استمتاع متورط تماماً في عنف قائم وسابق.

ومع ذلك، فإن ليفيناس لا يُشير إلى خارج الحرب، ففي زعمه أن وجه الحرب هو الكلية، فهو يطرح في مقابل هذه الكلية «آخروية تنبؤية»، وهي ليست قيامة التصعيد كما هي الحال لدى جيرار، بل إنها انقطاع «مع كلية الحروب والإمبراطوريات التي لا يتحدث المرء ضمنها» (Levinas, ۲۳)،

وهذه المقاومة الصامتة ليست مقاومة «ذاتانية subjectivism عاجزة منفصلة عن الوجود» (الروح الجميلة)، بل إنها لا نهائية، وبذلك تبدو مقدمة «الكلية واللانهاية» كأنها تفتح نفسها على إمكانية نهاية الحرب بوساطة اللاعنف، الذي يُعبَّر عنه بلغة (الغيرية) وحلول الآخر، لكن ذلك مجرّد تسكين مؤقت لأن (الغيرية) واللانهاية نفسيها تصبحان لاحقاً في النص، ولا سيها في قسم «العلاقة الأخلاقية والزمن» متورطتين في حرب تتميز هي الأخرى بأنها تفترض «كائنات تتشكل بشكل مختلف عن أجراء كلية» (دياللانهاية»، إذ إنها تعود إلى القسم الأخير هو أحد أقدم المقطوعات في «الكلية واللانهاية»، إذ إنها تعود إلى موضوعات عولجت في مذكرات سجين الحرب الخاصة به ليفيناس تحت عنوان «دياليكتيك العنف»، ومن ثم يمكن تمييزه بأنه واحد من أصول عنوان «دياليكتيك العنف»، ومن ثم يمكن تمييزه بأنه واحد من أصول الأخلاق الليفيانسية Levinasian أو بالأحرى إنه «إستراتيجية».

إن الجزء الأول الموسوم بـ «الذاتية والتعددية» من «العلاقة الأخلاقية والزمن» في «الكلية واللانهائية» يقدم وصفاً دقيقاً للذاتية المقاومة انطلاقاً من الافتراض الكلاوزفيتزي الخاص بأولوية العدو، وإن هدف ليفيناس هو السلام الآخروي eschatological وليس المسالمة الإمبريالية للكلية لأن «الكائنات القادرة على الحرب هي فحسب تلك الكائنات التي تستطيع أن ترتقي إلى السلام، فالحرب مثل السلام تفترض كائنات مبنية من أجزاء غير أجراء الكلية» (Levinas ۲۲۳)، ومن ثم فإن الحرب والعنف تتميزان من «المحدودية» أو التنافس على موارد كلية نادرة أو حتى عن «المعارضة المنطقية للواحد مع الآخر التي بوساطتها يُعرَّف كلاهما ضمن كلية منفتحة على الرؤية البانورامية التي تدين لها معارضتهما» (Levinas, ۲۲۲)، وعلى النقيض من هذا

الفهم للحرب والعنف المتضمن، فإنه يُمكن في النهاية احتواؤُهما مثل احتواء التفاوض في العلاقة ضمن الكلية.

يعلن ليفيناس التزاماً واضحاً بمفهوم كلاوزفيتز للحرب المطلقة، أي بمفهوم حرب تتجاوز الكلية الإمبريالية وسلامها، بل تتوجه ضدها:

في الحرب ترفض الكائنات أن تنتمي إلى الكلية، ترفض الجماعة وترفض القانون، كما لا تحول أي حدود بين كائن وآخر ولا تعرّفه. إن الكائنات تثبت أنفسها بتجاوز الكلية، فكلَّ كائن يُعرّف نفسه بنفسه وليس عبر موقعه ضمن الكل (Levinas, ۲۲۲).

إن القراءات الأخلاقية لـ ليفيناس تنتقل في هذه المرحلة بسرعة إلى نقد الذات باسم لا نهائية وجه الآخر، كما يبدو أن ليفيناس أيضاً يجيز عبوراً سريعاً جداً إلى الأخلاق، لكنه في النهاية يعتمد على الافتراض الكلاوزفيتزي المحيّر المتضمن أن الآخر هو العدو، ويتتبع ليفيناس فكرة (الغيرية) بوصفها عداوة إلى حد تكوين رؤية متصلّبة للذاتية المقاومة، فالذات التي تثبت نفسها، يمكن لها أن تقوم بذلك فحسب في مواجهة عدو، وقد عبّر ليفيناس عن هذه الرؤية في الفكرة القائلة: إن «الحرب تفترض تجاوز الخصم» (۲۲۲, Levinas, ۲۲۲)، في العدو هو «وجود يأتي دوماً من مكان آخر، هو كائن يظهر في المقابل. ليس فالعدو هو «وجود يأتي دوماً من مكان آخر، هو كائن يظهر في المقابل. ليس ذلك بمطاردة ولا هو بصراع مع عنصر طبيعة» (۲۲۲) (النسبة إلى ليفيناس كلاوزفيتز فالمواجهة مع العدو تتميز بالحظ والمجازفة، وبالنسبة إلى ليفيناس

⁽٢٩) إن فصل الصراع مع العدو عن المطاردة أو الصراع مع عناصر الطبيعة يظهر بإلحاح شديد في «مذكرات السجن»، فالإصرار على العدو هو علامة على استثمار ليفيناس في كلاوزفيتز، وهو ما قد يختلف عن نظرية المطاردة ما بعد الكلاوزفيتزية أو المناهضة لها عند تشامايو Chamayou التي تُناقش في الفصل الرابع أدناه.

فإن «الإخلال بالكلية» يحصل بسبب «الإمكانية التي يمتلكها الخصم على إبطال مفعول أفضل الحسابات الموضوعة... فالحرب لا تتقرر بالحسابات التي تجعل من الممكن تحديد نتيجة عمل القوات ضمن كلية » (٢٢٣). إن إثبات الذات خارج الشروط التي توفرها الكلية يعتمد على العدو، ولهذا السبب «فإن الخصوم يبحثون عن بعضهم» (٢٢٣, (Levinas, ٢٢٣)، كما أن إمكانية الحرب خارج الكلية هي أيضاً إمكانية سلام، لكنه سلام يعتمد على فهم مختلف جداً للجهاعة والذاتية وللعلاقة بدلاً من التبادلات بين الأرواح الجميلة المسابلة لدى الكلية الإمريالية.

إن مثل هذه الرؤية للسلام تستلزم فهماً مختلفاً للحرية، ربطاً بمثل هذه الذاتيات، إذ يبدأ ليفيناس بإظهار التناقض الذاتي في مفهوم الحرية كاستقلال، تلك «الحرية» التي طرحها روسو Rousseau وكانط Kant، والتي تمنح فيها الحرية لنفسها قانوناً – أي تأسيس كلية – ثم تُخضع نفسها له بحرية. فليفيناس، يرفض المشاركة في التدريب على مآزق الاستقلال فيها يصفه به «الدراما العظيمة للتفكير المعاصر» ((Levinas, ۲۲۳)، بها أن مثل هذا المفهوم للحرية – وهنا مجدداً يقترب من كلاوزفيتز – «الا يمكنه أن يصف كائنات في العلاقة التي الا تكوّن كلية، أي كائنات في حالة حرب» (۲۲٤). إنه الحجة التي يقدمها شكل أخذ إذن متجهم من هيدغير ونظرته للحرية المتضمنة المجادة التي يقدمها شكل أخذ إذن متجهم من هيدغير ونظرته للحرية المتضمنة أنها حرية من أجل الموت وذلك في الفصل الثاني – القسم الثاني من كتاب الكشوفة لعدوها هو «كائن مستقل عن الآخر ومع ذلك فهو في الوقت نفسه مكشوف عليه... فهو كائن زماني يقابل حتمية عنف الموت مع زمانه، وهذا في مكشوف عليه... فهو كائن زماني يقابل حتمية عنف الموت مع زمانه، وهذا في مكشوف عليه... فهو كائن زماني يقابل حتمية عنف الموت مع زمانه، وهذا في مكشوف عليه... فهو كائن زماني يقابل حتمية عنف الموت مع زمانه، وهذا في مكشوف عليه... فهو كائن زماني يقابل حتمية عنف الموت مع زمانه، وهذا في مكشوف عليه... فهو كائن زماني يقابل حتمية عنف الموت مع زمانه، وهذا في

حد ذاته بمنزلة تأجيل» (Levinas, YYE). إذ إن الذات المقاومة تخضع دوماً للموت على يد العدو، وبمعنى آخر فإنها قُتِلت سلفاً على يد العدو، ومن ثم فإن أي وقت تتمتع به هو وقت كسبته من العدو في حرب من أجل الزمان:

إن الزمان هو بالضبط الحقيقة المتضمِّنة أن كل وجود الكائن الفاني - المعرِّض للعنف - ليس وجوداً من أجل الموت، بل هو وجود الـ «ليس بعد»، الذي هو طريقة وجود ضد الموت أي إنه انسحاب أمام الموت في مواجهة دنوه الذي لا مناص منه (Levinas, ۲۲٤).

وهكذا فإن الوجود الهيدغيري Heideggerian من أجل الموت هو عاطفية محضة بالنسبة إلى ليفيناس، فالمطلوب هو وجود من أجل الحياة في مواجهة الموت المحدق والحتمي على يد العدو، فالعداوة والحرب هما اللتان تكوّنان ذاتيةً مقاومة وتضمنان عدم انخداعها بالأخلاق:

في الحرب يأتي الموت إلى الذي يتحرك نحو الخلف، إلى ما هو في اللوقت الحاضر موجود بشكل كامل، ومن ثمَّ تُدرك في الحرب حقيقة الزمن الذي يفصل كائناً عن موته، حقيقة كائن يأخذ موقفاً تجاه الموت أي حقيقة كائن واع وباطنيته (Levinas, ۲۲٤).

إن الحرب تمزق الستائر وتكشف أن الحياة ليست هبة، بل إنها اكتُسِبت، ويجب صونها باستمرار تحت ظروف الخطر والعداوة، ولا يمكن التسليم جدلاً بالسلام والأمان - ترف «الرجل» Das Mann لدى هيدغير، إذ يجب توقع العدو على الدوام، وينبغي على الذات كي تبقى على قيد الحياة أن تقوم بحرب عصابات دائمة:

إن مهارة الخصم التي لا يمكن اختصارها بالقوّات يجب أن تُؤخذ في الحسبان، لكن كيف تُؤخذ في الحسبان؟ إن مهاري تؤجل المحتوم، فكي تُصيب الصفعة يجب أن تُوجّه حيث غيّب العدو نفسه، وكي أتفادى الصفعة عليّ أن أنسحب من النقطة التي يلمسني العدو فيها. إن الحيلة والكمين – أي دهاء يوليسيز Ulysses – يشكلان جوهر الحرب (Levinas, ۲۲٤-٥)، وكما مع القائد المقاوم فيرنان (Vernant، فالحياة بوصفها مقاومة تتضمن الحيلة والهجوم، أي إنها تتضمن براعة كلاوزفيتز ومرونة ماو اللتين تعادلها «ليونة» الجسد والخطاب لدى ليفيناس.

إن المفهوم المُستَجِد للحرية المقاوِمة لدى ليفيناس – والذي لا يزال أولياً حيضمن علاقة معقدة ومتباينة نحو العنف، إذ إن الكائن الذي يعيش من خلال مقاومة أعدائه يصبح «عرضة للعنف، لكنه أيضاً يعارض العنف، فالعنف لا يباغته مثلها يُباغت الحادث حرية مستقلة» (Leveinas, ۲۲٤)، إذ إن العنف لا يحصل بمحض المصادفة ضد كائن حر مُصان بقوانينه الخاصة، ولكنه بالنسبة إلى ليفيناس هو «الحقيقة الأصلية». إن للعنف «سيطرةً» على هذا الكائن، فهو ورطته، وما الحرية نفسها سوى «إرجاء له من خلال الزمان» ملغاة بالأصل، أي إنها مُنحت إلى الآخر بوساطة الموت، لكن الزمان ينهض من خلالها بوصفه انفراجاً... إنه انفراج أو امتداد – أي تأجيل – إذ لم يعد منالك من وجود بفضله لأي شيء قطعي، أي ليس هناك شيء مكتمل، فهو مهارة تجد لنفسها حيّزاً في ملاذ حيث يصبح الحتمي داهماً (Levinas, ۲۲٤)

⁽٣٠) الإشارة هنا إلى جان بيير فيرنان (١٩١٤-٢٠٠٧) Jean-Pierre Vernant، وهو فيلسوف يساري فرنسي قاوم النازية [المترجم].

على الرغم من ذلك فإن التعرّض للعنف هو أيضاً تصدِّ للعنف، ومن ثمَّ فهو تلميح إلى سلام أو إلى «لاعنف» يتعدى المسالمة، وأمنها الخلبي، ويُنهى ليفاناس هذا القسم الأساس من «الكلية واللانهاية» بمزيد من التأمل في التعرّض للعنف ومناهضته، ويقوم بذلك بوساطة تغيير وجهة شر وط الذات والعدو متأمّلاً بحقيقة المقولة الآتية: إني العدو لذات عدوى، وإن كل ما يمثله عدوى بالنسبة إلى أمثله أنا بالنسبة إليه، وفي النتيجة: «إن الحرب يمكن أن تنشب فحسب عندما يتعرض للعنف كائن يؤجل موته» (Levinas, ۲۲۵). إن هذه ذريعة للاستهداف المتبادل: إنني بوصفى نفسى وبوصفى عدو عدوي أنضم إلى العدو الذي تصبح ذاته عدوتي في ورطة مشتركة من العنف، إضافة إلى ذلك فإن هذه الوضعية مفتوحة على التصعيد أو على حد تعبير ليفيناس فإنها مفتوحة على «النفى غير المحدد» أو على التدمير المتبادل، وحتى عندما يصبح العدو «في مجال سلطاتي» فإن ذلك قد يكون حيلة، ومن ثمَّ فإن خطر الاستهداف يصبح كبيراً، ولهذا: إن العدو يُعدّ مطلقاً، وعليه «يمكن للعنف أن يُصوّب فحسب على الوجه» (Levinas, ۲۳٥). إن هذا هو المأزق الذي بالنسبة إلى ليفيناس يصبح نقطة الفصل المناسبة للتفكير بالسلام واللاعنف، ثم ينتقل ليفيناس بسرعة كبيرة لتأكيد أن التجاوز السلبي للعدو ما هو إلا سمة من التجاوز للآخر بشكل عام، وهو تجاوز له أُنموذج إيجابي في «مقاومة الوجه الأخلاقي ضد عنف الجريمة» (Levinas, ۲۲٥). إن هذه المقاومة اللاعنيفة يُنظر إليها بأنها «تواجه الحرب» بوصفها مقاومة ضد العنف على شكل «علاقة غير متهاثلة مع الآخر الذي بوصفه غير نهائيّ، يفتح الزمان ويتجاوز الذاتية ويسيطر عليها»، وهو بفعله ذلك «يستدعى استجابةً» (Levinas, ۲۲٥) يجب ألا تكون بالضم ورة حرباً.

سعى عمل ليفيناس اللاحق لملء حدس علاقة اللاعنف هذه مع الآخر، لكن من المهم التذكر بداية أنه متشابه مع مأزق المقاومة سواء بالنسبة إلى الآخر بوصفه عدواً أم بالنسبة إلى المأزق الذي يبدو فيه الآخر أنه عدو "". إن الذي ينبثق هو وصف متصلّب للذاتية المقاومة، ذاتية لا تتمتع بالحرية بوصفها استقلالاً، بل ذاتية تجد نفسها في مأزق البقاء. إن مثل هذه الذاتية معلّقة بين العنف واللاعنف، وتعيش حياة زمان غير آمن وغير مضمون، إنها جرى كسبه مسبقاً أو أُمِّن ضد الحظ والبلوى.

(٣١) إن ملاحظات ليفيناس الشهيرة في حديث إذاعي عن جرائم صبرا وشاتيلا هي ملاحظات متسقة تماماً مع فهم الغيرية في «الكلية واللانهائية» (Emanuel Levinas) أنت فيلسوف «شلومو مالكي Schlomo Malki: إيهانيويل ليفيناس Emanuel Levinas، أنت فيلسوف «الآخر». أليس التاريخ هو، أليست السياسة هي موقع التلاقي عينه مع «الآخر» وبالنسبة إلى (إسرائيل)، أليس «الآخر» هو قبل كل شيء الفلسطيني؟

[&]quot;إيمانيويل ليفيناس: إن تعريفي للآخر هو تعريف مختلف تماماً، فالآخر هو الجار الذي ليس بالضرورة أن يكون قريباً بالدم، إنها يمكن أن يكون كذلك، وبهذا المعنى إذا كنت مؤيداً للآخر فأنت مؤيد للجار، لكن إذا هاجم جارك جاراً آخر أو عامله بظلم، ماذا يمكنك أن تفعل؟ عندها تأخذ الغيربة طابعاً آخر، ففي الغيرية يمكننا أن نجد عدواً واحداً على الأقل، وعندها نواجه مشكلة معرفة من هو على صواب؟ ومن على خطأ؟ من هو عادل ومن هو ظالم؟ هناك أناس على خطأ» (Levinas 19۸۹).

الفصل الثالث

الذاتيات المقاومة

٣-١- أساليب المقاومة:

إن الذات المقاومة لا تتمتع بالحرية، بل إنها – على العكس من ذلك – تجد نفسها في مأزق لا يفسح المجال أمام ترف الاحتهال، وبهذا المعنى – وكها بين لنا ليفيناس – إن الذاتيات المقاومة تنحرف عن المغامرة الحديثة والثورية في السعي وراء الحرية عبر الاستقلال الذي دشنه روسو وكانط، إذ يمكن لمقاومتها أن تُطعِّم الاحتهال الثوري، لكن المقاومة وطلب الحرية لا ينعهان بانسجام أزلي، فالحركة العهالية ما هي إلا تاريخ واحد من هذا التطعيم الصعب، وسوف نرى أنه كان هناك حركات أخرى، إذ إن المقاومة أقرب إلى عقيدة الفضائل ما قبل الحديثة منها إلى قيمة الحرية الحديثة، وهي تستجيب لمطالبة حثيثة من أجل العدالة، وهي ذات أعهال تتميز بالجلد أو بالمقدرة على الاحتفاظ بالشجاعة مدّةً طويلة من الزمن، من دون أي يقين بالنتيجة، إلى جانب تعقلها باختيار الوسيلة المحدودة واستخدامها.

كان لدى كلاوزفيتز قليلٌ من الصبر تجاه خطاب الحرية، الذي رأى صحته تتحقق في الإمبراطورية النابليونية، فقراءته له كانط لم تفضّل مقولة الاحتهال ومعها حرية الذات بشأن جملة المظاهر، بل إنها فضلت مقولة الفعلية. لقد كانت علاقة الذات المقاومة مع المظاهر علاقة متحدية يحكمها الحظ

والعداوة، كما كانت مكرسة لتحقيق المقدرة على المقاومة في مواجهة هذا المأزق، وقد يحصل مثل هذا التحقيق تحت يافطة الاحتمال كتحقيق ثوري للحرية، لكنه يمكن أن يلجأ أيضاً إلى المقولة الثالثة الموجهة للضرورة التي ليس فيها أي خيار سوى المقاومة، فالذات المقاومة التي تواجه الحظ والعنف وتكابد «مقاليع الدهر اللئيم وسهامه» هي ذات محرومة من ترف الخيار بين نتيجتين محتملتين، فإذا كان الزمن مضطرباً حينئذ يصبح «الحقد الملعون» هو الذي يجب على الذات المقاومة أن تضبطه، وأما الشكلان المناسبان «لضبطه» فهما: الفعلية والضرورة كما تعلم هاملت (٢٠٠٠) Hamlet في بلواه.

إذن، فالذاتيات المقاومة لا تتمتع بحرية الاحتمال، بل إنها تتمتع فحسب بالمقدرة الصرفة على مقاومة العداوة والحظ، وإن المقولة الشرطية الفعلية تتطابق مع هذه المقدرة كما يجري التعبير عنها وفقاً لامتداد الحدث، فالمقدرة على المقاومة لا تملأ حاضراً منتظاً، بل إنها تمتد بين الماضي والمستقبل، والذات المقاومة بمعنى ما ذات ميتة أساساً، أي إنها ذاتية تعقب الموت، استحضرها باكوينين Bakunin في «التعليم الثوري» Revolutionary Catechism وردد صداه ليفين الثائر في الإعلان أمام محكمة عسكرية بأن الشيوعيين هم موتى في إجازة (١٠٠٠٠٠٠٠) والله عليهم أن يعيشوا كما لو أن العدو قد أصدر سلفاً الحكم عليهم بالموت، فليس عليهم أن يعيشوا كما لو أن العدو قد أصدر سلفاً الحكم عليهم بالموت، فليس

⁽٣٢) الإشارة هنا إلى بطل المسرحية التي تحمل الاسم نفسه، للكاتب المسرحي الإنكليزي الشهير ويليام شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦) William Shakespeare (١٦١٦ - ١٥٦٤).

⁽٣٣) «نحن الشيوعيين جميعاً أناس أموات في إجازة. إنني أعي ذلك تماماً، ولا أعلم إن كنتَ سوف تمددُ إجازتي، أم إن كان عليّ الانضام إلى كارل ليبكنيخت Karl Liebknecht وروزا لوكسمبورغ Rosa Luxemburg. على كل حال إنني أنتظر حكمك برباطة جأش وطمأنينة داخلية، لأننى أعلم أنه لا يمكن إيقاف الأحداث أياً يكن حكمك» (Newton, ۳).

لهم الحق بالحياة وبقاؤهم هو مسألة حظ^(۱۳). إن الضرورة الصرف للمقاومة هي التي تكثّف مقدرتهم على المقاومة. إن ماو وفانون والزاباتيستا يحتلون هذا الحاضر الميت بدرجات متفاوتة من التوكيد، إذ إن مقاومتهم هي الذاتية المقاومة التي يصفها كلاوزفيتز على أساس فعل aktus المقاومة.

إن المقدرة على المقاومة تشغل ذاتاً عليها أن تقاوم، وإن القَسَم الغاندي Gandhian هو التعبير المشهور عن المقاومة الضرورية، وهو قَسَمٌ صِيغ في نضالات الساتياغراها في جنوب إفريقيا التي جرى التعبير عنها بشكل أولي في «سواراج الهند»، وتوسَّعت كثيراً طويلاً في كتابات السجن منتصف العشرينيات، ولا سيها في الكتابين المرتبطين «الساتياغراها في جنوب إفريقيا» و «سيرة ذاتية أو قصة تجاربي مع الحقيقة». إن ازدراء غاندي للاحتمال هو السمة المذهلة المشتركة لكل تعاليم القواعد المتنوعة لديه من أجل الساتياغراهي أو المقاوم اللاعنيف، فالذات المقاومة تستجيب في فعل aktus المقاومة لمغضلة الضرورة عبر تحقيق الضرورة في ذاتيتها، إذ إن الظروف المقاومة للأعلق تُثير استجابة تفترق إلى غير رجعة عن تلك الظروف، لكن هذا الافتراق يتخذ أشكالاً متنوعة ارتكاسية و/أو إثباتية يعبَّر عنها بالفعل العنيف أو بالانتقام أو بالقسم وابتداع جماعة «٠٠».

⁽٣٤) قام هيوي بي. نيوتن Huey P. Newton مقاوم الفهود السود بالتنظير لهذه الورطة واصفاً إياها: بأنها «انتحار ثوري»، فصادق بذلك على قول باكونين Bakunin وغيفارا .Guevara «إن الدرس الأول الذي على الثائر تعلمه هو أنه رجل محتوم، وإنْ لم يفهم ذلك، فهو لا يفهم المعنى الجوهري لحياته» (Newton, ۳).

⁽٣٥) إن الجزء الثاني من رباعية جورجيو أغامبين Giorgio Agamben الذي يحمل عنوان الجزء الثاني من رباعية القسم كشكل سياسي لاهوي.

إن بناء المقدرة على المقاومة في الذات يمكن أن يحصل بسبل متنوعة، سواء عبر أعمال متايزة، أي عبر النقاش والتواصل، أم عبر تشكيل مؤسسات عسكرية ومدنية، وقد تنشأ المقدرة على المقاومة ارتكاسياً استجابة لورطة استبداد كما أنها يمكن أن تتجلى في أعمال عنف تلقائية تتحدى ظروفاً لا تُطاق، لكن العدو يبقى يتحكم بالذاتية المحددة الخاصة بالمقاوم العنيف، التي تندفع مهاجمة الاستبداد، وهي أصلاً مقاومة حقد، سوف نرى كيف حلل فانون هذه الذاتية في «معذبو الأرض»، لكن هذه اللحظة من المقاومة الارتكاسية هي لحظة متقلبة وهشة تحتاج بشكل ما إلى التحوّل إلى مقاومة إثباتية إبداعية، لا تستجيب لورطة لا تُطاق، بل إنها تحوّل نفسها وظرفها عبر عمل المقاومة، أي عبر تحقيق المقدرة على المقاومة (١٠٠٠). فالخروج من منطق الحقد وابتداع أشكال جديدة من الذاتية المقاومة، يتحقق في العرف الماركسي عبر الوعي، لكن توجد هناك أيضاً أشكال أخرى ممكنة. إن أحد هذه الأشكال هو تبجيل العنف، أي خلق ذاتيات عبر المارسة المفرطة للعنف، وهو سبيل محفوف بخطر الوقوع في الحقد والدخول في تصعيد للعنف مثبّط للذات، أما الشكل الآخر فهو ابتداع أشكال جديدة من التضامن والذاتية، أي صياغة مقدرات جديدة على المقاومة، عبر محاولات تحاشى منطق معارض وفخ التصعيد وفقاً لشروط العدو. إن هذه الذاتيات الإثباتية المقاومة تتميز بمخارج عن مسار الأمور عبر حلف الأيمان والجماعات، وعبر ابتداع مقدرات وموضوعات جديدة.

⁽٣٦) من هنا تأتي أهمية الكتابة المتعلقة بالسيرة الذاتية بغية الإفصاح عن ظهور حياة مقاوِمة إثباتية بارزة في حالة المقاومين الأمريكيين من أصول أفريقية في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات عبر السيرتين الذاتيتين له مالكولم إكس Malcolm X وهيوي بي. نيوتن. كما تقدم إعادة كارسون Carson صياغة السيرة الذاتية له مارتن لوثر كينغ الصغير Martin Luther خدمة مماثلة، إذ إنها تضع حياة الدكتور كينغ بجانب حيوات معاصريه.

يبدأ هذا الفصل بتحليل وجود العنف في الذاتية المقاومة التي تتشكل في أثناء الكفاح العنيف ضد الاستعمار، ويركز على عمل فرانز فانون، وسوف نحلل العودة إلى الصيغ الكلاوزفيتزية للذات المقاومة التي طرحها شميت Schmitt ويونغير Jünger في شخصية المناصر، وبعد ذلك سوف ندرس بدائل المقاومة الضرورية اللاعنيفة التي كان غاندي رائدها، إحداها تعتمد على قَسَم الذات التي تكرس نفسها له الساتياغراها، والأخرى هي مقاومة النساء الإثباتية ضد منطق الحرب ومؤسساته عبر احتلال غيرنهام كومون Greenham الإثباتية ضد منطق الحرب ومؤسساته عبر احتلال غيرنهام كومون Common الزاباتيستا Zapatista الأصلية شخصية والعرقي والعسكري.

٣-٢- المقاومة ضد الاستعمار:

يُعَد عمل فرانز فانون (٢١-١٩٢٥) أحد أعقد وأشجع تحليلات تشكيل الذاتية المقاومة العنيفة، فقد كان مقاتلاً فاعلاً في قوات فرنسا الحرة تشكيل الذاتية المقاومة العنيفة، فقد كان مقاتلاً فاعلاً في قوات فرنسا الحرب Forces Françaises libres بعد عام ١٩٤٣ وتقلّد وسام صليب الحرب درمن لديه أوهام حول «الأيديولوجية الزائفة» التي كان يقاتل من أجلها. لقد تركت لديه تجربته في الحرب ما وصفه ماغالي بيسون Magali Bessone بشكل موفق بأنه «إحساس بموت مؤجّل» بيسون الدي يميز كثيراً من تعبيرات الذاتية المقاومة. إن دراساته الطبية الإمكان – الذي يميز كثيراً من تعبيرات الذاتية المقاومة. إن دراساته الطبية

⁽٣٧) نسبة إلى السكان الأصليين في البلاد [المترجم].

والفلسفية أهّلته لأن يصبح طبيباً نفسياً بأطروحة أصبحت كتاباً عنوانه: «بشرة سوداء، أقنعة بيضاء» Black Skin, White Masks أقنعة بيضاء» Black Skin, White Masks أقنعة بيضاء» François Tosquelles أشر عام ١٩٥٧ حينها كان يعمل في مستشفى القديس ألبان تحت إشراف فرانسوا توسكيل أطروحات مرموقة في كانت أطروحته هي الأطروحة الأخيرة من بين ثلاث أطروحات مرموقة في الطب قُدمت في وسط القديس ألبان وأخذت مكانها إلى جانب أطروحة توسكيل لعام ١٩٤٧ تحت عنوان «التجربة المعيشة لنهاية العالم» The Lived بجانب «مقالة عن الدلالة الجهالية» ويحانب «مقالة عن الدلالة الجهالية» Experience of the End of the World عام ١٩٥٠، كها المهمت معها في نظرية الطب النفسي المقاوم وممارسته.

إن أطروحة توسكيل عرضت أسباب الهُواس في «التجربة المعيشة لنهاية العالم» ورأت أن المرض العقلي هو في الوقت نفسه مقاومة لهذه التجربة، وبدايات خلاص بوساطة إعادة بناء العالم، وفي حين ركّز أوري في أطروحته على الإبداع وإعادة البناء، فإن فانون تابع استقصاء المقاومة العنيفة في نهاية العالم، والصعوبات التي تواجهها الذات المقاومة قبل الوصول إلى «موقع» أو «فسحة» يصبح فيها الإبداع ممكناً. كان فانون مقتنعاً مع توسكيل وأوري أن «الغربة» العقلية لا تنفصل عن الغربة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وقد بدأ بهذه الرؤية الثاقبة استقصاءً لأمراض الذاتية الاستعمارية، التي بلغت أوجها في «معذبو الأرض» (١٩٦١). وبعد ثلاثة أعوام من الخدمة رئيساً للأطباء في مستشفى بليده - جونفيل في الجزائر استقال فانون عام ١٩٥٦، ليصبح ناشطاً في المقاومة الجزائرية ضد الحكم الاستعماري الفرنسي.

إن تشخيص فانون للالتجاء إلى استخدام العنف بأنه تعبير ارتكاسي عن المقدرة على المقاومة، قد فُهم خطأً على نحو واسع بأنه دعوة إلى العنف، كما أن مقدمة سارتر لـ «معلبو الأرض» هي نسخة ذكية لهذا الاتجاه من التفسير، الذي يضع العنف ضمن سياق العصاب الاستعماري. إن العنف علاجي بالنسبة إلى سارتر كما أنه يقوم بوظيفة «إعادة تركيب» الذاتية المصابة، فهو شكل من الإبداع يتميز بوضوح (باسم فانون) من أي «اهتياج عبثي، أي من أي انبعاث لغرائز بدائية أو أثر للحقد» (٢٤١ جمس)، كما أنه يُقارن حتى مع «رمح أخيل Achilles الذي يمكن أن يَشفي الجراح التي يحدثها» (٢٤٨ جمس). إن هذه الرؤى تسسق مع تفسير خاص لرؤية توسكيل للهُواس، وإعادة بناء ذاتية مصابة، لكنها ليست منصفة في نظرتها إلى تعقيد تحليل فانون لدور العنف في العُصاب الاستعماري.

إن مصير تفكير فانون يشبه بعدة سبل مصير تفكير كلاوزفيتز، إذ إن تحليل مأزق العنف في كليهما قد فُهم خطأً على أنه دعوة إلي العنف، كما أن التأمل في تعقيد المقاومة جرى تبسيطه ليصبح تعارضاً مانوياً المنطقي الأقصى فالدافع إلى تصعيد العنف الذي حلله كلاوزفيتز هو الحد المنطقي الأقصى للعداوة المجرّدة، لكنه أيضاً مأزق محدد تاريخاً، إن مثل هذا الموقف يؤثر في تحليل فانون القوي للرابطة الاستعمارية في الفصل الذي يحمل عنوان «عن العنف» الذي يستهل كتاب «معذبو الأرض»، فالسيناريو الاستعماري الذي

⁽٣٨) نسبة إلى ماني Mani الذي وُلد في العراق عام ٢١٦ حينها كان هذا البلد لا يزال جزءاً من الإمبراطورية الفارسية. أسس ما يُعرف بالديانة المانوية، وهي خليط من البوذية والمسيحية والزرادشتية، لكن ماني لم ير أن هناك إلها واحداً، بل إنه رأى أن هناك صراعاً مستمراً بين اثنين من الآلهة، أحدهما هو الشر والآخر هو الخير، فالديانة المانوية ترى أن الخير والشر هما توءمان وُجدا معاً ليتصارعا بعضهما مع بعض صراعاً أزلياً [المترجم].

يصفه فانون يبدو منذ البداية بأنه – وبأوجه متعددة – سيناريو كلاوزفيتزي بشكل أنموذجي: إذ إن هناك خصمين – مُستَعمِراً ومُستَعمَراً – ويواجه كل منها الآخر في وضعية تقترب من العداوة المطلقة. إن النضال من أجل التحرر من الاستعمار هو نضال أكثر من حافل بذكريات الحرب المطلقة الكلاوزفيتزية، ففي إعلان يردد بعض صيغ «في الحرب»، بالقدر نفسه من حيث وضوح التعبير والموضوع، كتب فانون:

إن التحرر من الاستعار هو التقاء قوتين متخاصمتين بالفطرة، تستقيان أصالتها تحديداً من نوع التأسيس substantification الذي تفرزه الحالة الاستعارية، فيغذيها. إن مواجهتها الأولى تحصل تحت شعار العنف، ويتم تعايشها ويتعايشان - بصورة أكثر تحديداً يتم استغلال المُستَعْمِر للمُستَعْمِر - تحت غطاء الحِراب والمدافع (٢٥٢).

إن مشاهد الحقد والعنف التي يصفها فانون تحصل وتتفاقم ضمن سيناريو من العداوة الاستعهارية المتصاعدة، ومع ذلك يشدد فانون أيضاً على أن هذا التجريد، هذه «الغربة» – في استعمال المصطلح بالمعنى النفسي المستعمل في «بشرة سوداء، أقنعة بيضاء» – هو نتاج عمليات تاريخية معينة، ويثبت ذلك مراراً وتكراراً في «عن العنف» ربها في أبهى صورة في التعبيرات القائلة: إن «الاستعمارية» هي كها رأينا «ترتيب لعالم مانيوي لعالم مُقسّم» القائلة: إن هذا العالم المانوي الذي خلقه إله مجنون وتتولى حفظ النظام فيه قوى شيطانية، هو مسرح صراع بين النور والظلمة، إنه عالم أظهر جيرار منطقه القيامي لاحقاً في كتاب «في الحرب» له كلاوزفيتز، لكنه بالنسبة إلى فانون عالم غربة (بكل ما للكلمة من معنى) ولده العنف الاستعماري، وهو عنف مجرّد يثير ردوداً تبدأ تصعيداً تدميراً متبادلاً.

إن تحليل فانون لهذه العملية هو تحليل قريب من فهم توكسيل لمسببات الهُواس في «التجربة المعيشة لنهاية العالم»، إذ إن المُستَعْمَر يُعانى العنف الاستعماري بوصفه نهاية للعالم، فتصبح استجابته قيامية، فالعنف الاستعماري هو «العنف السلمي الذي يستحم به العالم المعاصر»، أي إنه ذلك السلام الذي - كما لاحظ كلاوزفيتز بشكل تهكمي - ينشده المنتصر قبل الجميع، لكن المسالمة التي دمرت عالم المُستَعْمَر تثير استجابة عنيفة (١٩٠٠)، ففي عصر النضالات ضد الاستعمار «يُقنَع الـمُستعمَرون أن قَدَرهم هو الآن، فيعيشون في جو نهاية العالم، ويظنون أنه يجب عليهم ألا يفوّتوا شيئاً» (Fanon, ٤٨٥). يصف فانون طرائق كثيرة تم من خلالها تحمّل نهاية عنيفة للعالم (الدين، السحر) قبل تبنّى حل العنف المضاد المباشر. إن الهذيان الذي تثيره نهاية العالم ما قبل الاستعماري يُواجه بالحقيقة التنفيسية للعنف، «فبعد سنوات الزيف، وبعد التمرّغ في أكثر الأوهام غرابة، إذ يواجه المُسْتَعمر أخيراً والبندقية بيده والقوى الوحيدة التي تطعن وجوده هي قوى الاستعمارية» (Fanon ٤٦٨)، إلا أن هذا العنف العلاجي هو نفسه عنف ملتبس لأن العداوة، وكما أظهر كلاوزفيتز تقتات على تصعيد العنف، والاستعمارية هي «عنف عارٍ تماماً لن ينحني إلا أمام عنف أعظم» (Fanon, ٤٧٠)، وهذه وضعية متشددة لا يمكن أن تفضى إلا نحو التصعيد.

⁽٣٩) هنا - كها دوماً في تشابهه مع كلاوزفيتز - يستشهد فانون بمقاومة الإسبان ضد نابليون بأنها الملهمة للكفاح ضد الاستعهار، ويربطها مع المقاومة الأمريكية ضد الاستعهارية البريطانية: «وجها لوجه مع الإمكانات الهائلة للجيش النابليوني، ومدفوعين بحهاس وطني لا يتزعزع، أعاد الإسبان اكتشاف أساليب حرب العصابات المشهورة التي جربتها الميليشيا الأمريكية ضد القوات البريطانية قبل خمسة وعشرين عاماً».

في مقابل التباس العنف - أي طبيعته المُمثلة باستجابة مُحرَّضَة تتنكَّر كاستقلال - يسأل فانون السؤال الآتي: «ما حقيقة هذا العنف؟». يأخذه الجواب نحو تأمّل قوي في تكوين الذاتية المقاومة. إن حقيقة هذا العنف تكمن في حدس الجهاهير المُستَعْمَرة بأنه يجب عليها إنجاز تحررها، وأن باستطاعتها أن تفعل ذلك بالقوة فحسب» (٤٤٠ , Fanon, ٤٤٠). فتحالف الضرورة - «يجب عليهم» - مع المقاومة الفعلية لمعضلة استبداد طاغ، يتجه صوب العنف، إن هذه استجابة يقاربها فانون باستياء واضح، لكنه استياء يمكن أن يُثبت ضعفه وخطره على نفسه، إن هذا فشل محتمل له سابقة في ثورة العبيد الأسبارطية ضد الإمبراطورية الرومانية: «فالمُستَعمَرون أي هؤلاء العبيد للحداثة قليلو الصبر، وهم يعلمون أن هذا الجنون فحسب هو الذي يمكنه أن يُجنبهم البطش الاستعهاري» (٤٨٠ , Fanon)، لكن الخطر في معارضة المقاومة المجنونة ضد البطش الأعمى هو خطر ينم عن خطأ إستراتيجي في الحساب، أي خطر دخول الصراع إلى أرضية العنف، إذ إن الحظ في حال التصعيد سوف يحالف العدو الاستعهاري على الدوام.

إن فانون يحكم على قلة الصبر هذه من دون أن يتبنى الرؤية القائلة: إن المُستَعْمَرين يُريدون المضي بسرعة مفرطة» (Fanon, ٤٨١)، ومع ذلك فإن نصه يحذّر من المخاطر الإستراتيجية لتسليم المبادرة (ومن ثم الزمن) إلى العدو. وهنا كها قبلاً في «بشرة سوداء، أقنعة بيضاء» يقدم فانون «تحليلاً سريرياً» لآثار الغربة على الذاتية. إن تحليله لردة فعل الذات المقاومة «المستاءة» والارتكاسية على ورطة عنيفة بوساطة العنف يفهمها بأنها وسيلة «إعادة بناء للعالم» (Fanon, ۱۲٥)، لكنها إعادة بناء محفوفة بالخطر الإستراتيجي والعلاجي، فهو قبل كل شيء يرى أن الذات المقاومة هي ذات مدفوعة بالضرورة أولاً إلى مقاومة الاحتلال

بكل الوسائل ومن ثم بالسعي إلى مناهضة الاستبداد إستراتيجياً عبر خلق المقدرة الضرورية على المقاومة. إن كتاب «معذبو الأرض» يشرح حقد العنف التوليدي الذي كها شدد نيتشه هو بطريقته الخاصة محاولة لتحقيق مقاومة ضرورية عبر العنف.

وبالقرب من نهاية الفصل «عن العنف» يصف فانون بعبارات كلاوزفيتزية مقدرة الأعداء المتبادلة في سيناريو من العنف المتبادل والمتصاعد:

يحصل التعادل بين عنف النظام الاستعماري والعنف المضاد لدى المُستَعْمَرين، ويستجيبان في تشابه متبادل غريب... إذ إن تطوّر العنف في الشعب المُستعمَر سوف يصبح متناسباً مع العنف المُهارس من جانب النظام الاستعماري الذي يُواجَه (Fanon, ٤٩٢)…

إن المضامين بالنسبة إلى الذاتية المقاومة هي مضامين مزدوجة، فالعنف غير قابل للنقض، أي إنه يولّد الضرورة، وهو تنفيسي في الوقت نفسه، والذات المقاومة لا تكتشف الإمكان والحرية، بل إنها تكتشف ضرورتها الخاصة كي تقاوم. ويصف فانون عملية الاكتشاف هذه بأنها «ممارسةٌ مطلقةٌ»، وهي عملية دخول الذات إلى مجال الضرورة، أي إلى مجال الموتى ويوضح ذلك بوساطة مثال من المقاومة الكينية Kenyan المناهضة للاستعمار:

ضُمن وجود محارب جديد حينها لم يعد بإمكانه العودة إلى النظام الاستعهاري، ويبدو أن هذه الآلية وُجدت في كينيا مع الما ماو (٢٠) الاستعماري،

⁽۱) إنه يعطي الحرب الجزائرية بوصفها مثالاً على ذلك، بقوله: «إن الإرهاب والإرهاب المضاد، إن العنف والعنف المضاد هو ما يُسجله المراقبون بمرارة عندما يصفون دوامة الكره العنيد والواضح جداً في الجزائر».

⁽٢) اسم الانتفاضة أو الثورة التي حصلت في كينيا بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٦٢ ضد الاحتلال الاحتلال البريطاني، وقد سُميت كذلك نسبة إلى اسم القبائل التي قامت بها [المترجم].

الذين طالبوا بأن يقوم كل عضو في الجهاعة بضرب الضحية، ومن ثمَّ يصبح كل واحد مسؤولاً شخصياً عن موت تلك الضحية، وهذا يعني أن تشتغل لموت المُستَعمِر. إن هذه المسؤولية المُتبناة للعنف سمحت دفعة واحدة للمشوشين المُستَثنين من المجموعة أن يعودوا ويجدوا مكانهم في الجهاعة، أي إنها سمحت أن يُعاد دمجهم، وهكذا يُفهم العنف كأنه عفو ملكي، إذ يحرر الرجل المُستَعْمَرُ نفسه بالعنف ومن خلاله (٤٨٩).

إن العنف يستدرج المحارب إلى ضرورة جديدة ويخضعه إلى قانون جديد صلب يُتَحمل (وللمفارقة) بوصفه تحرراً من الضرورة القديمة للاستبداد الاستعاري، فمثل هذا العنف هو عنف تنفيسي، لكنه قد لا يكون عنفاً فعّالاً إستراتيجياً، إذ إنه يجازف بترك نتائج مؤلمة بالنسبة إلى المُحررين الذين قد يصبحون محررين من الماضي الاستعاري، إنها ليس من أجل مستقبل ما بعد استعاري:

إن العنف على المستوى الفردي يُزيل التسمم، فهو يريح المُستَعْمَرين من عقدة الدونية، من مواقفهم التأملية أو اليائسة، كما أنه يكسبهم الشجاعة، ويعيد اعتبارهم في نظر أنفسهم (٤٩٦).

لكن نتائج مثل هذا التحرر العنيف على الحياة بعد المقاومة قد تكون نتائج مدمرةً ومتناقضة، وهذا ما كانت عليه الحال بالنسبة إلى فانون وإلى المقاومة الفرنسية، التي أصبحت هي نفسها شكلاً من أشكال كفاح مناهض للاستعمار، تحوّلُ بسرعة فائقة إلى قمع استعماري شديد، نظراً لأن «النازية ومنذ زمن ليس ببعيد، قلبت أوروبا برمتها إلى مستعمرة حقيقية» (٢٠٥ , Fanon). إن رؤية فانون الثاقبة لمخاطر المقاومة الارتكاسية هي رؤية ناجمة عن هذه التجربة للمقاومة

الفرنسية، وهي رؤية تفسر الدقة التي حلل بها (بكل ما للكلمة من معنى) الذاتية المقاومة، وهذا بعيد البعد كله عن الاحتفاء بالعنف من أجل العنف الذي قرأته آرنت Arendt لاحقاً في عمل فانون، والذي هو بالفعل أقرب إلى وجهة نظرها المتضمنة: أن المقاومة قريبة دوماً من الحقد، وبذلك تصبح قريبة من ذاتية عُرضة لخطر، تبني صفات مُضطهدها، إن تلميح فانون إلى مقاومة إثباتية نيتشية المُعلن عنها بوضوح في نهاية «بشرة سوداء، أقنعة بيضاء» هو ابتداع حياة لم تَعُد محكومة بالرد على مبادرات الاضطهاد وعلى العدو.

٣-٣- شخصية المناصر:

نشر لينين مقالةً عام ١٩٠٦ تحمل عنوان «حرب الأنصار» وهمة و «قسرية» «لا تصف هذا النوع من الحرب مستخدمة مصطلحات موجّهة و «قسرية» «لا يمكن تجنبها»، فالماركسي بالنسبة إليه «يسند نفسه على أرضية الصراع الطبقي وليس على السلام الاجتهاعي» أو بشكل أدق «إن الماركسي تُجبر على تبني موقف الحرب الأهلية» (١٠٠-١٩٦١, ١٩٦٢)، وهكذا فإن الماركسي يضع مقاومة المناصر على المستويين: المحلي والعالمي معاً، فالمناصر يرد على عدو محدد لكن على أساس حرب طبقية عالمية، إن المقاومة الأنصارية لدى لينين تشير إلى طور متوسط بين الكفاح المحلي والثورة العالمية، لقد كان هدف سياسته - كها رأينا أعلاه - هو تحويل المقاومة المحلية الأنصارية إلى ثورة عالمية منظمة عبر الوعي، أو في هذه الحالة تحويل المقاومة المحلية الأنصارية إلى ثورة عالمية عبر الحرب الطبقية الواعية. إن ماو زيدونغ تبنى هذا الموقف وعدّله، لكنه تعرّض للنقد لاحقاً من جانب كارل شميت الذي حاول إثبات نظرية مقاومة عالمية بدلاً من ثورة عالمية وحوّل ما كان بالنسبة إلى لينين شخصية المناصر الوسيط العسكري/ السياسي وحوّل ما كان بالنسبة إلى لينين شخصية المناصر الوسيط العسكري/ السياسي إلى شخصية مبشّر بحقبة تتعدى السيادة.

إن فكرة المقاومة والثورة العالميتين ترتبط مع مصير السيطرة الاستعمارية الأوروبية، لكن شميت وعلى النقيض من آرنت في أصول الشمولية يدرك وبوضوح أهمية المقاومة في التاريخ العالمي المناهض للاستعمارية، ويتجلى ذلك في أبهى صورة في مقابلة أعطاها شميت إلى الماوي Maoist جوشين سيكيل Joachim Schickel عام ١٩٦٨ يضع فيها ماو في إطار المقاومة العالمية أو ما يدعوه حرب الأنصار:

مع ذلك فإن هذا الموضوع يعيدنا بشكل متكرر إلى ماو تسي تونغ اليوم أكثر بكثير منه قبل سبع سنوات، حينها كتبتُ كتابي حول المناصر. لقد تكلمت فيه عن ماو بوصفه نقطة نهاية، وتتويجاً لمسار معيّن يتقدم من كلاوزفيتز إلى ماو عبر لينين، لكني لم أكن في حينه في موقع أتنبأ فيه بأنه سوف يكون له ماو مثل هذه الأهمية بالنسبة إلى العالم كله، وهي أهمية عالمية نظرية وعملية بالقدر نفسه (Schmitt ۲۰۰۷, ۱۱۷).

إن شميت هنا يضع ماو في سلالة النسب المتحدر من كلاوزفيتز عبر لينين كنه يؤكد «الوزن العالمي» لنظرية المقاومة والتطبيق لدى ماو، وفي الحقيقة كان كتاب «نظرية المناصر» كتاباً استشرافياً أكثر مما أقر به شميت، لأنه وصف ماو في الكتاب بأنه «كلاوزفيتز الجديد»، كما باشر بهذه الرؤية الثاقبة في قراءة لـ كلاوزفيتز كمنظر مقاومة تتوجت في مقالة له عام ١٩٦٧،

⁽۱) كما هو مذكور بوضوح في مقالة عام ۱۹٦۷ الموسومة بـ «كلاوزفيتز كمفكر سياسي يلاحظ ويقول» Clausewitz als politischer Denker, Bemerkungen und Hinweise «في هذه الأثناء ارتقى اسمه إلى مصاف الشهرة العالمية، كما وضعه الثوار العالميون أمثال لينين وماو تسي تونغ في أعظم السياقات السياسية العالمية (۲۱۹ (Dill, ٤١٩). ويضيف: «يبقى حياً حتى في نقاشات الأسلحة وأدوات التدمير الذرية...».

فقد وصف أهمية ماو بلغة «قانون جديد للأرض» ورأى بأن نظريته وممارسته قد دشّنتا حقبة المقاومة العالمية، كما أنه عدّه وبسبل متعددة الرادع catechon ضمن الماركسية القادر على وقف تصعيد الثورة العالمية للحرب اللينينية الأهلية/ الطبقية. باختصار إن حقبة ما بعد الحرب بالنسبة إلى شميت لم تعد حقبة سيادة، بل كانت حقبة المقاومة الشاملة.

إن اهتهام شميت بشخصية المناصر ومضامينها على المُسيّس، له مصادره، ليس في كتابات لينين وماو فحسب، بل أيضاً في عمل رولف سكرويرز Rolf Schroers المُستَلهم من إرنست يونغير Ernst Jünger ومن الفهم الجديد الناشئ لعمل كلاوزفيتز الذي أتى في طليعته تفسير وإصدارات هاهلويغ Hahlweg التي تركّز على نظرية حرب العصابات ". إذن يختلف كتاب «نظرية المناصر» عن «حرب العصابات التي شنها الإسبان ضد جيش الغازي الأجنبي بين عامي ١٨٠٨ –١٨١٣ (٢٠٠٧, ٢٠٠٧)، التي كانت حرباً مهمة جداً بالنسبة إلى كلاوزفيتز، فقد رأى شميت أن حرب العصابات الإسبانية قد أنتجت أثراً تاريخياً «أدى استمراره اليوم في النصف الثاني من القرن العشرين إلى تغيير وجه الأرض وسكانها، كما أنه أفضى إلى نظرية حرب وإلى عداوة تتوجت منطقياً في نظرية المناصر» كلاوزفيتز القائلة: إن «الحرب هي استمرار للسياسة» التي هي نفسها كلاوزفيتز القائلة: إن «الحرب هي استمرار للسياسة» التي هي نفسها

⁽٢) يتضح ذلك مرة ثانية في المقالة عن كلاوزفيتز التي تلاحظ نشر هاهلويغ في مقالة عام ١٩٦٦ لقالة كلاوزفيتز «محاضرات في الحرب الصغيرة» vordesungen über den kleinen Krieg ، الحرب الصغيرة وتشير إلى أنه وعلى الرغم من الغرض الوعظي للمحاضرات، فإن «كثيراً من الملاحظات عن مشكلة المناصر هي ملاحظات معاصرة بشكل مذهل» (كال ٤٢١).

إن تكريس القراءة الفلسفية لـ شميت على كتاباته في فترة جمهورية الفايهار Weimar Republic وقبل كل شيء على «اللاهوت السياسي» Political The Concept of the Political شيء على «مفهوم المُسيّس» Political Theology وعلى «مفهوم المُسيّس» في بداية عشرينيات القرن العشرين قد حرف الانتباه عن هذا التغيير الجوهري في موقفه. إذ إننا نجد في الكتابات الأولى أن شميت يستقصي أصول السيادة وتعريفها – أصولها في حروب الدين الأوروبية – وسهات تعريفها للعداوة ولحالة الطوارئ. فقد رأى شمت في تلك الكتابات أن السيادة هي جواب عن سؤال طرحته الحروب الأهلية الدينية الأوروبية في بداية العصر الحديث، ثم عاد لاحقاً ليُعدل تلك النصوص على ضوء تطورات ما بعد الحرب فأنتج «لاهوتاً سياسياً» منقحاً و«مفهوماً للمُسيّس» منقحاً عنوان «نظرية الناصر».

إن الكتاب الأخير يُدوّن التغير الجذري الذي حصل على تفكير شميت منذ نشر نظريته عن النظام العالمي في «قانون الأرض» Der Nomos der Erde، فهو الآن يقترح أن الحرب الأهلية التي هي مصدر السيادة، والتي حددها أصلاً في الحروب الدينية في أوروبا، أصبحت حرباً أهلية عالمية أنهت فترة من السيادة والدولة ذات السيادة، وقد أبصر شميت بدلاً منها حقبة وليدة من المقاومة والمناصرة تظهر بغموض، فكما رأينا في «نظرية المناصر» إن بدايات

هذا التطوّر تحددت في المقاومة الإسبانية ضد نابليون في حين إنها تُحدَّد في القانون الأرض المعانية. هذا الفهم الفانون الأرض المعانية على الله المعانية المعانية المعانية المعانية المعانية وحالة الطوارئ. إن هذه مفهومات مضت لحظتها التاريخية الآن بالنسبة إلى شميت، فعوضاً عن الحرب بين الدول التي يحكمها القانون، والتي تقوم بها جيوش نظامية يهتم شميت بظهور المناصر الذي يتبع هجيناً من حرب أهلية وطبقية مناهضة للاستعمار.

يمكن تقفي أثر كثير من الصرامة المفاهيمية لنقلة شميت بعيداً عن مواقفه في العشرينيات، وذلك في جدال حصل بداية الخمسينيات بين اثنين من معاصريه هما: هيدغر ويونغر بخصوص مسألة العدمية. إن هيدغر تبع بدقة عمل يونغر في أواسط الثلاثينيات وخصص مدارسة seminar لكتابه لعام عمل يونغر في أواسط الثلاثينيات وخصص مدارسة ١٩٥٥ عاد إلى يونغر في مقالة «في الميدان» فأجاب عن مقالة لـ يونغر عام ١٩٥٠ وضمنياً على كتابه الذي يحمل عنوان «الانتقال إلى الغابة» (١٩٥١) موالم وضمنياً على كتابه النص الملتبس جداً عن المقاومة وشخصية المناصر، الذي يشير أيضاً إلى حرب العصابات الإسبانية يتفحص يونغر حدود المقاومة، فالذهاب إلى الغابة يتضمن مقاومة شاملة من وقد تضاعف تأثير كتاب يونغر على شميت عبر كتاب جرى نسيانه ظلماً وكان يونغير مُلهمه إضافة إلى سيلان وتشار، ألا وهو كتاب رولف سكروير الموسوم بـ «المناصر: إسهام في الإناسة السياسية» كتاب رولف سكروير الموسوم بـ «المناصر: إسهام في الإناسة السياسية» كتاب رولف سكروير الموسوم بـ «المناصر: إسهام في الإناسة السياسية» كتاب رولف سكروير الموسوم بـ «المناصر: إسهام في الإناسة السياسية» كتاب رولف مكروير الموسوم بـ «المناصر: إسهام في الإناسة السياسية» كتاب رولف مكروير الموسوم بـ «المناصر: إسهام في الإناسة السياسية» كتاب رولف مكروير الموسوم بـ «المناصر: إسهام في الإناسة السياسية» كتاب رولف مكروير الموسوم بـ «المناصر: إسهام في الإناسة السياسية» كتاب رولف مكروير الموسوم بـ «المناصر: إسهام في الإناسة السياسية» كتاب رولف مكروير الموسوم بـ «المناصرة المناصرة المناصرة المناسمة المناس

⁽٣) سلك ليفيناس أيضاً طريقاً حراجياً في أثناء عمله عاملاً قسرياً أسيراً، كما أن مقالته «اسم الكلب» تسجل كيف أن كل مسار كان مصحوباً بالخوف من الإعدام.

يشير شميت إليه باستمرار ويصفه بأنه «كتاب مهم جداً». ويرى سكروير في المقاومة وفي شخصية المناصر/ المقاوم شخصية الدفاع والمدافع عن الإنسانية في مواجهة التأثيرات الفادحة للتكنولوجيا، وفي حين أن شميت يلتزم بتعريف سكروير للمناصر بأنه «مقاتل المقاومة عموماً»، ويقبل رأي الأخير القائل: إن «مقاتل المقاومة والناشط السري غير القانونيين هما الأنموذج الأصل للمناصر» (Schmitt ۲۰۰۷, ۱۲۸)، فإنه لا يتفق مع افتراض سكروير القائل: إن وضعية المناصر هي أساساً وضعية دفاعية وارتكاسية منفصلة عن القوات العسكرية التقليدية.

إن المصدر الآخر المُهم – لكن المُستهان به – بالنسبة إلى مراجعة شميت للمفهومات الراهنة بخصوص المُسيّس، انبثق عن العقيدة العسكرية السويسرية، فقد كان شميت مُعجباً بكتاب هانس فون داخ Hans Von Dach المُعنون به المقاومة الشاملة (المقاومة الشاملة) وهو دليل أُعِد لصف الضباط السويسريين ويصفه بأنه (وثيقة رائعة عن إرادة المقاومة الشاملة)، وليس عن الإرادة فحسب، بل أيضاً عن تعليهات مفصّلة لتنفيذ ملموس لهذه الإرادة (أ). إن

⁽٤) العنوان الفرعي هو «دليل كل رجل لحرب العصابات». ترجمه إلى الإنكليزية هانز لينهارد Hans Lienhard من «دائرة لغة الحرب الخاصة»، وهو دليل يحتوي توصيات عملياتية للقيام بحرب عصابات معاصرة. إن هذا «الدليل الميداني» الذي كُتب لأفراد الجيش السويسري. يبدأ بسيناريو احتلال سويسرا واحتهال «الإبادة» على يد العدو، ويعتقد المؤلفون أنه «من الأفضل المقاومة حتى النهاية»، وفي حين أنهم يرون أن هذه المقاومة هي مسؤولية الجيش، فإنهم يريدون «أن يظهروا لشعبنا طريقة مقاومة في حال انتشار أجزاء من الجيش أو انقسامه أو محاصرته». يبدأ النص بنصيحة تنظيمية وإستراتيجية وهي مهاجمة الجنود المنفردين وموقع الحراسة الصغيرة، ثم ينتقل ليعطي تعليات عن كيفية صناعة القنابل محلية الصنع من أواني اللبن، وكيف تُخرّب الطرقات تعليات عن كيفية صناعة القنابل محلية الصنع من أواني اللبن، وكيف تُخرّب الطرقات

سويسرا بوصفها حالة استثناء من عقيدة السيادة الحديثة، أصبحت دولة مهمة بالنسبة إلى شميت كوسيلة لفهم التطورات العالمية التي تتجاوز السيادة، إن كُتيّب فون داخ هو في الوقت نفسه استخلاص للتجربة التاريخية لحرب العصابات ولتطبيقها على عقيدة «المقاومة الشاملة» الدفاعية السويسرية، وإن شميت محق في شكه بمحاولة هذا الكُتيّب تحديد «المقاومة حتى النهاية التامة» عبر الإشارة إلى اتفاقيات جينيف. أما الأمر الذي كان جوهرياً بالنسبة إلى شميت في تطوير مفهوماته الجديدة عن المُسيّس، التي يتم فيها استبدال السيادة بالمقاومة، فهو عمل ماو واكتشاف لينين وإعجاب ماو به كلاوزفيتز.

إن شميت ينتقل في كتاب «نظرية المناصر» بين السلالة الفكرية لـ كلاوزفيتز ولينين وماو وحروب القرن العشرين ابتداءً من الصراع بين اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية وألمانيا النازية (٠٠٠). كما أنه ومن خلال

والقطارات وأسلاك الهاتف والكهرباء، وكذلك عن كيفيه تدمير مستودعات الوقود= والطائرات النفاثة. ويصف كيفية تجنيد المناصرين وإنشاء مناطق آمنة «وتحييد المخبرين»، وكيفية التصرف في أثناء التحقيقات، وكيفية متابعة مقاومة سلبية فعّالة، وعلى نحوٍ مفيد يحتوى النص على مخططات عن كيفية تخفي رجال العصابات وشن هجوم، وعلى وصف تفصيلي لكيفية التخلص من الحراس من دون أي ضجة، وهو على نحو خاص ما أدهش شميت، فقد أُعجبَ أيضاً بالصرامة الشديدة للكاتب كها في الملاحظات الختامية: «إذا تقاتل عَدُوّان بعضهها مع بعض حتى النهاية، وهذه هي الحال على الدوام عندما تكون الأيديولوجية ذات صلة (والدين جزء منها) – فحتاً سوف تندلع حرب العصابات والمقاومة المدنية في المرحلة الأخبرة» (٧٥٣ لمحمد).

⁽٥) في سياق هذا الصراع يُغفل شميت ذكر «أمر المفوضين» Kommissarbefehl المشين الذي أصدره هتلر، الذي قام عملياً في أثناء الغزو النازي للاتحاد السوفييتي بتجريم الجيش

تلميح إلى «الحرب والسلام» War and Peace لـ (تولستوي) Tolstoy يصف ظهور أُسطورة الحرب الأنصارية القومية الروسية التي حرّكها ستالين لاحقاً بقوله:

في أثناء الحرب العالمية الثانية عدّل ستالين هذه الأسطورة الخاصة بالمناصر القومي الأصلي ضد ألمانيا، ووضعها بشكل ملموس جداً في خدمة سياسته الشيوعية العالمية، وقد شكّل ذلك من حيث الجوهر مرحلة جديدة من حرب الأنصار، وهي مرحلة نجد في بداياتها اسم ماو تسي تونغ (Schmitt ۲۰۰۷, ۸).

يضع شميت حرب ستالين الوطنية العظمى ضمن الشكل الناشئ لحرب الأنصار العالمية التي يُرجع بداياتها إلى عام ١٩٢٧ وبدايات حملات العصابات لدى ماو في الصين. إنه يقدم قائمة طويلة من المنظرين المناهضين للاستعمار ومؤيدي حرب الأنصار تمتد من هو تشي مينه Ho Chi Minh للاستعمار ومؤيدي حرب الأنصار تمتد من هو تشي مينه Guevara وغيفارا Suguyen Giap وفيغوين جياب وكل ذلك كان بهدف إظهار الامتداد العالمي لحرب الأنصار، في كوبا، وكل ذلك كان بهدف إظهار الامتداد العالمي لحرب الأنصار، وبوصفه طالباً من طلاب فيبر يتابع شميت رسم أنموذج مثالي للمناصر فيقترح أربعة معايير لوصف ظاهرة هذه الشخصية السياسية العسكرية الجديدة. المعيار الأول: هو عدم الانتظام، فالمناصرون لا يحترمون الحقوق ولا يتمتعون بحماية قواعد الحرب التي أقرتها الدول ذات السيادة. إنهم يعملون

السوفييتي والسكان المدنيين (عملياً المدنيين اليهود)، قبل الجميع، وعرّفهم عملياً بشكل مسبق بأنهم مناصرون وفريسة.

خارج الخطوط والشرعية التي أسستها قوانين الحرب بين الدول مهوا الثاني: هو الدرجة العالية من الحركية لدى المناصر التي يفهمها شميت وفقاً للمصطلحات الماوية بأنها هجهات وتحركات غير متوقعة، في حين أن المعيار الثالث هو: الدرجة العالية من الاشتباك والتحريض، فالمناصر يقاتل باسم أيديولوجية سواء أكانت أيديولوجية الأمة أم الطبقة أم الثورة، وأخيراً فإن المناصر «أرضي» telluric، الذي يقصده شميت هنا هو أن المناصر متجذر في الأرض، ولا يفهم شميت بأنها الأرض حرفياً، بل إنها أيضاً أراضٍ مثل البحر والجو، وقد يكون بإمكاننا الآن أن نضيف إليها البيئة الرقمية للإنترنت. إن هذه العناصر الأربعة تجتمع في نوع جديد من الحرب وفي نوع جديد من السياسة قريب بشكل مذهل من رؤية ماو المُسيّسة لحرب العصابات.

بالنسبة إلى شميت فإن نضال ماو ضد الاستعمار جمع كل عناصر حرب الأنصار الأربعة، وفي الوقت الذي تبنّى فيه سمات التوسع الماركسي اللينيني للحرب الطبقية لتصبح حرباً أهلية عالمية، فإنه أيضاً حدَّ من مجال هذا التوسّع، إذ يقوم شميت بالمقارنة بين لينين وماو ويعدّ لينين منظّر الحرب الطبقية الأهلية العالمية، كما أنه يعدّ ملاحظاته حول كلاوزفيتز (الذي يرى فيه الآن منظّر المقاومة قبل كل شيء) أحد أهم نصوص النظرية السياسية في القرن العشرين "،ويتتبع

⁽٦) على الرغم من أن كليهم غير نظامي فإن شميت حريص عموماً أن يميز حرب المناصرة من الحرب الإرهابية، إذ إنه يرى أن المناصر مقاوم يختلف عن الإرهابي.

⁽٧) إن شميت لا يحصر أهمية ملاحظات لينين في القرن العشرين، فقد «كان لينين خبيراً كبيراً في كلاوزفيتز ومعجباً به، وقد درس كتاب «في الحرب» بشكل مركّز في أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩٤٥) ونسخ في مذكراته أقوالاً باللغة الألمانية، كما كتب ملاحظات

شميت «الشرارة» التي أشعلها رجال العصابات الإسبان عبر كلاوزفيتز إلى ماركس وإنجلز وأخيراً إلى لينين. كان لينين بالنسبة إليه «أول من تصوّر عن وعي المناصر بوصفه شخصية حرب أهلية وطنية وعالمية مهمة، وحاول جعله أداةً فعّالة في القيادة المركزية للحزب الشيوعي» (Schmitt ۲۰۷, ۳٤). ويُشير شميت إلى مقالة لينين الموسومة به «عن نضال الأنصار» ويلاحظ ارتباطها بكاتب «ما العمل؟»، لكنه أساء فهم لينين من خلال مطابقته المناصر، بها أنه قرأ المحترف، وسوف يتبيّن لاحقاً أن ذلك هو التباس في فهمه للمناصر، بها أنه قرأ لينين، ولا سيها الملاحظات عن كلاوزفيتز التي تدعي أن «الحرب الثورية وحدها هي الحرب الحقيقية بالنسبة إلى لينين لأنها تنتج عن العداوة المطلقة، وكل شيء آخر هو لعبة اعتيادية» (Schmitt ۲۰۷,۳۵)، كما أن مطابقة المناصر مع الثوري تضعف الصلة بين حرب الأنصار والحرب الدفاعية أو المقاومة وتجهّز الأرضية تضعف الصلة بين حرب الأنصار والحرب الدفاعية أو المقاومة وتجهّز الأرضية عند كلاوزفيتز نتج عنه المناصر/ الثوري الهجين الذي يتذكره التاريخ تحت الاسم عند كلاوزفيتز نتج عنه المناصر/ الثوري الهجين الذي يتذكره التاريخ تحت الاسم المستعار لهستالين الذي بالنسبة إلى شميت:

[...] قد نجح في ربط الإمكانية القوية للمقاومة القومية والوطنية - أي قوة الدفاع عن النفس الأرضية والدفاعية في الجوهر ضد غازٍ أجنبي -مع الطبيعة العدوانية للثورة العالمية الشيوعية الأممية، إذ إن ربط هاتين الحركتين المختلفتين يهيمن على كفاح الأنصار حول العالم اليوم (Schmitt ۲۰۰۷, ۳۸).

باللغة الروسية مع تأكيدات وعلامات تعجب، وبهذه الطريقة يكون قد خلق وثيقة من أهم وثائق التاريخ العالمي والتاريخ الفكري» (Schmitt ۲۰۰۷, ۳۵).

إن قراءة دمج ستالين للدفاع الوطني مع الحرب الطبقية العالمية، هيّأت شمیت کی یقدر ماو الذی تختلف رؤیته للمناصر بدهاء عن رؤیة کل من لینین وستالين، «وباختصار» إنه يجادل بأن «الثورة الماوية هي في الجوهر ثورة أكثر أرضية من ثورة لينين» (Schmitt ۲۰۰۷, ٤٠)، وهي تؤكّد تكثيف حرب ستالين الأرضية في عقيدة ماو، وفي حين أن لينين وستالين ينتقلان من عدو طبقى وطنى إلى دولى، فإن ماو وفقاً لقراءة شميت تحرك في الاتجاه المعاكس وربط «عدواً عالمياً كونياً شاملاً ومطلقاً ينقصه الامتداد الأرضى - العدو الطبقى الماركسي - مع عدو حقيقى ذي أرض محددة ممثلاً بالدفاع الصينى الآسيوى ضد الاستعارية الرأسالية» (Schmitt ۲۰۰۷, ٤١). إن هذا العكس للاتجاه تضمّن كبحاً داخلياً لامتداد الحرب الطبقية العالمية القيامية، فقد كان ماو بالنسبة إلى شميت هو الرادع catechon الماركسي، أي إنه كان «تعارض عالم واحد، تعارض الوحدة السياسية للأرض وإنسانيتها مع تعددية غرف كبيرة Grossräumen متوازنة داخلياً بشكل عقلاني وفي علاقتها بعضها مع بعض» (Schmitt ۲۰۰۷, ٤١). ووفقاً لـ شميت فإن ماو بوصفه منظَّراً إستراتيجياً لحرب الأنصار الطبقية «قد رسم صورةً تعدديةً لناموس nomos جديد للأرض» (Schmitt ۲۰۰۱۷, ٥٩) يمكنه أن يلجم القيامة الخاصة بحرب أهلية عالمية (لا يزال جيرار يخشاها كما رأينا)، ومن ثم فإنه يقوم في

⁽٨) يختم شميت بالقول: «كان ماو متقدماً على لينين بعدة سنوات، وفي وعيه النظري أيضاً أخذ ماو الصيغة القائلة السياسية إن هي استمرار للحرب إلى مدى أبعد مما فعل لينين». (Schmitt ۲۰۰۷, ٤١)، بمعنى أن ماو حافظ على الاستمرارية بين الحرب والسياسة، بدلاً من تحوّل السياسة إلى حرب طبقية عالمية.

الوقت نفسه بوظيفة الرادع لنظام عالمي جديد والمشرّع له، ف ماو بالنسبة إلى شميت ينقذ السياسة من تهديد الحرب القيامية الطبقية العالمية، إذ إنه هو من كان بالنسبة إلى شميت الوريث الحقيقي لـ كلاوزفيتز وليس لينين.

إن العنصر الأخير في رؤية شميت لحرب الأنصار العالمية الذي يتكرر في كتاب «نظرية المناصر» هو الطبيعة التكنولوجية لهذه الحرب، كما يصبح ذلك موضوعاً موازياً للتضاد بين لينين/ ستالين وماو الذي يتخلل تأمله، فهو يعتمد على السؤال الحاضر طوال «نظرية المناصر»، فيما إذا كانت التكنولوجيا سوف تُنجز تحوّل حرب الأنصار من المقاومة إلى الإرهاب الذي رأى شميت آنئذٍ أن لينين قد حضّر له سياسياً وأن ستالين قد نفّذه، كما أن شميت يتقبل في بداية نقاشة إمكانية التحول التكنولوجي للمناصر إلى إرهابي:

حتى إن المناصر الأهلي ذا الأصل الزراعي ينجرُّ إلى مجال قوة التقدم الصناعي التكنولوجي الذي لا يُقاوم، إذ إن قابليته للتحرك تزداد كثيراً بوساطة التجهيز بالآليات حتى إنه يجازف فيها بالتشرد التام... إن المناصر المُؤلل يفقد طبيعته الأرضية وكل ما يبقى هو سنُّ قابل للنقل والتبديل في عجلة آلة سياسية عالمية تزجّه في حرب علنية وسرية، وتعطله حسبها يتطلب الموقف (١٤ ٢٠٠٧, ١٤).

إن الأمر الجوهري في الانتقال من المناصر إلى الإرهابي هو تحوّل العدو الفعلي المحسوس إلى عدو مجرّد ومطلق (٠٠)، فالعداوة المطلقة تُثير حرب

⁽٩) إن هذا الرعب متجذر في العداوة المطلقة، ومما يُثير الانتباه أن شميت استعان بالحرب الجزائرية وبالجنرال المنشق سالان Salan كي يوضح هذا المرض: إن العداوة المطلقة تمتد

إبادة يُستَبعد فيها أي سلام سياسي تفاوضي، نظراً لأن العداوة المطلقة وحربها المتلازمة المطلقة تستلزم تحوّل السياسة إلى حرب.

وفي تعليقاته الختامية في الكتاب يتأمل شميت في دور المناصر فيها يخص التكنولوجيا الكونية، إن أحد السيناريوهات غير العائد لـ شميت يرى المناصر متوارياً أو باقياً إنها كـ «مهيّج». أما السيناريو الآخر فهو ظهور ما يدعوه شميت «المناصر الصناعي التكنولوجي» (Schmitt ۲۰۰۷, ٥٦)، وأما الذي يبقى موضع تساؤل هنا، فهو ما إذا كان هذا التحوّل سوف يقود إلى إرهاب عدواني يدمّر الأرض، (وتتبعه حرب أنصار منخفضة التكنولوجية بين الناجين)، أو إلى ظهور مناصر جديد تكنولوجي منكب على المقاومة، أي شخصية يسميها شميت من دون مزاح البتّة بشخصية «القراصنة الكونيين أو حتى المناصرين الكونيين» (Schmitt ۲۰۰۷, ٦٧) الذين يقاتلون من قاعدة عالمية ضد القانون الجديد للأرض، وهو بذلك يكون قد توقّع شخصية قرصان شبكة الشابكة. ويُحدد شميت الحرب الذرية كمثال عن الأول - «فمثل أسلحة الدمار الشامل المطلقة تلك تستلزم عدواً مطلقاً» (Schmitt ۲۰۰۷, ٦٦) - مع ما يتضمنه ذلك من أن معارضي الحرب الذرية يمكن أن يصبحوا مناصرين عالمين، ويختم شميت بنداء من أجل الإقرار بالعداوة الحقيقية والتراجع عن العداوة المطلقة. إن ذلك يستلزم دفاعاً عن المناصر، وفي النهاية عن المقاومة العالمية بوصفها

من العدو المحسوس، وهو في حالة سالان المناصر الجزائري و «حكومته وقائده العام ورفاقه، إذ إنه يرى فجأة عدواً جديداً في رفاق الأمس» (Schmitt ۲۰۰۷, ٤٤).

دفاعاً عن السياسة والأمل به «ناموس جديد للأرض» (Schmitt ۲۰۰۷,) هاعاً عن السياسة والأمل به «ناموس جديد للأرض» (٩٥) بدا وَعْدُه مجسّداً في شخصية ماوتسي تونغ وفكره.

٣-٤ - القَسَم الغاندي

بين السجن والعمل السياسي المكثف في العشرينيات كرّس غاندي نفسه لعمل يخص الذاكرة والتأمل الإستراتيجي، إذ بدأت قصة حياته كر تجربة مع الحقيقية» بـ «يوميات السجن» وتطورت إلى سلسلة أسبوعية من المقالات نُشِرت دورياً ما بين عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٨ و جُمِعت في المجلدين المتممين «الساتياغراها في جنوب إفريقيا» (١٩٢٨ وجُمِعت في المجلدين المتممين «الساتياغراها في جنوب إفريقيا» (Gujarat ١٩٢٤-٥; English ١٩٢٨) وفي «سيرة ذاتية أو قصة تجاربي مع الحقيقة» Africa .Story of My Experiments with Truth (Gujarat ١٩٢٧-٩; English ١٩٢٨-٩) يُشكل هذان العملان مع بعضها تأملاً أنموذجياً في صياغة ذاتية مقاومة لاعنيفة، ففكرة القسَم أو الالتزام بطريقة حياة بعيدة عن مسار العالم، أي عن إهمساه satyagrahist وعنفه وأي حل وسط معه، هي فكرة تقع في صلب وصف غاندي للذات المقاومة اللاعنيفة أو للساتيغراهي Satyagrahist.

وعلى الرغم من أن غاندي قدم سابقة في وصفه لابتداع إستراتيجية مقاومة الساتياغراها في أثناء النضالات في جنوب إفريقيا، فإنه من الواضح أن ذلك لم يكن منفصلاً عن الرواية المتعلقة بسيرته الذاتية وكيف أصبح ساتياغراهي، ففي تصديره لكتاب «الساتيغراها في جنوب أفريقيا» يقدم نفسه كـ«جنرال» يعرض تقريراً عن مسار حملة، وهو تقرير «ابتدع ووظف» لأول مرة إستراتيجية الساتياغراها في «السياسة على نطاق واسع» (۲۸,۲۸)،

ومن ثم فإن السرد هو في الوقت نفسه تقرير علمي حول تجربة – ابتداع شكل جديد من المقاومة – وتقييم إستراتيجي لأدائها، أي إنه تقرير عسكري عن فعالية التكتيك الجديد. إن اعتقاد غاندي أن الساتياغراها سوف تُثبت أنها استراتيجية فعّالة في النضال ضد الاستعار في الهند هو الذي ولّد الحاجة الملحة التي تُحيط بكتابة التقرير، إضافة إلى ذلك كان عليه أن ينهي التوتر عنده بين الساتياغراها المُفهومة بأنها تقنية مقاومة واعتقاده بأنها شكل من الحياة أو من الذاتية المقاومة التي تكتنف كل جوانب الوجود المكافح.

إن كتاب «الساتياغراها في جنوب إفريقيا» هو أيضاً تسويغ للأطروحات التي قُدمت في «سواراج الهند» وهو نص عدّه كثيرون من معاصريه في الهند نصاطوباوياً وغير واقعي (۱۰۰۰)، ويتابع غاندي تصديره بأمثلة من التطبيق الناجح لتكتيك الساتياغراها على نضالات المقاومة في الهند، لكن مع إبداء الشكوك بشأن «نقاء» الكفاح. إنه يدرك فعالية «اللاعنف في العمل» كتكتيك لكنه قلق من أن يصبح «اللاعنف السطحي» متقلباً وعُرضة للاستفزاز، فهو يُصر أن اللاعنف يجب أن يُصبح المبدأ المكون للذاتية المقاومة ويقترح أن يُوضّح بالأمثلة كيف يصبح ذلك مكناً من خلال وصف لأصول الساتياغراها في المقاومة الأولية ضد الحكم والتشريع الاستعماريين (۱۰۰۰) وتطورها الناجح في التنبؤ بشكل حياة متحررة:

⁽۱۰) «وجد تيلاك Tilak أن العمل (عديم الجدوى)»إذ إن غوخيل Gokhale الذي كان منذ مدة طويلة مهتماً به غاندي قد خاب أمله وأعلنه «عملاً معتوهاً»، كما تنبأ بأن سنة واحدة فحسب في الهند سوف تكفى له كي ينبذه» (۸۲ Attali, ۱۵۸).

⁽١١) يصف غاندي الخطوات الأولى نحو الساتيغراها بلغة المقاومة إذ إن إجراءات التحكم بمنح الرُّخص بمجرة العمالة ذات العقود طويلة الأجل من الهند إلى جنوب آسيا والتحكم بمنح الرُّخص لأصحاب الدكاكين وأخيراً مقترح حرمان الهنود من الحقوق الشرعية أوصلت الهنود إلى

إن هدفي من كتابة المجلد الحاضر هو أن الأمة قد تعلم كيف نشأت الساتياغراها التي أعيش من أجلها، ومن أجلها أرغب في العيش، ومن أجلها أيضاً أنا مستعد للموت، وكيف ابتدأت وجرى تطبيقها على نطاق واسع، وإذا عرفت الأمة ذلك، فقد تفهمها وتطبقها إلى المدى الذي ترغب فيه وتكون قادرة عليه (Gandhi 1970, ۸۰).

نوقش في الفصل الثاني التزام مقاومة غاندي بقيمة الحقيقة وبفهم الساتياغراها بناءً على صمود الحقيقية، أما التركيز هنا فينصب على مفهوم «الصمود» وتشكيل نوع من الذات تكون قادرة على أن تصبح «صامدة»، ففي الفصل الاستثنائي رقم ١١ من «الساتياغراها في جنوب إفريقيا» الذي يحمل عنوان «ثواب اللطافة – العمل الأسود» يصف غاندي كيف أن نشر «مسودة قانون تعديل المرسوم الآسيوي» Draft Asiatic Amendment ومع قادم مقاومة الزولو (١٠٠٠) وكلا المرسوم الآسيوي» المنود مهمة الزولو السنعارية، فقد تولى المرضون الهنود مهمة الاعتناء بالجرحي الزولو، لأن المرضين الطبيين الأوروبيين رفضوا هذه المهمة. هذا هو السياق الذي بدأ فيه غاندي بصياغة خصائص الساتياغراها، أو الذاتية المقاومة التي شغلته طوال بقية حياته: «عندما كنت أعمل مع الهيئة، ثبت بإحكام الفكرتان كانتا تطوفان فيه لزمن طويل» (١٩٢٨, ٨٤). هاتان الفكرتان هما خاصتا العفة والفقر البارزتان في طبيعة الساتياغراها، واللتان

[«]مقاومة هذا الإجراء» (Gandhi ۱۹۲۸, ۲۸) وأوصلت غاندي إلى أن يوصي بالمقاومة: «اقترحتُ أن على الهنود أن يقاوموا بنشاط هذا الهجوم على حقوقهم» (,Gandhi ۱۹۲۸).

⁽١٢) اسم مجموعة من القبائل الإفريقية، اشتهرت بخصائصها القتالية الباسلة وولعها بالحرب: يسكن معظمها في جنوب إفريقيا [المترجم].

وُضع قبلاً مخطط لهما في «سوراج الهند». إن هذا الاكتشاف لخصائص ضرورية من أجل نشوء الذات المقاومة اعترضته قراءة غاندي للقانون الذي لم يرَ فيه سوى الكره للهنود» (Gandhi ۱۹۲۸, ۸٤). ونظراً لأنه شاهد نتائج مثل ذلك الكره عبر حرمان الجرحي الزولو من العناية الطبية، لم يكن لديه أوهام حول نتائج ذلك القانون. إن القانون طرح مسألة الحياة أو الموت بالنسبة إلى الجالية الهندية.

أدى القانون وظيفة المحفّز لابتداع الساتياغراها، فإذا كانت تكتيكات المقاومة المستخدمة إلى الآن قد فشلت – كالحفلات التذكارية والاعتراضات والعرائض – إذن، على «الجالية ألّا تقف مكتوفة الأيدي لأن الموت أفضل من الحضوع لهذا القانون، لكن كيف لنا أن نموت؟ لماذا يجب علينا أن نتحدى ونعمل بحيث لا يكون أمامنا سوى خيار النصر أو الموت؟» (Gandhi 197۸)، وهنا يصف غاندي الضرورة الموجهة للمقاومة: يجب على الجماعة ألّا تذعن لهذا القانون، لكن كي لا تستسلم وكي تقاوم "". كان من الضروري عليها ليس مواجهة خيار الحياة أو الموت الذي يعني البقاء ضمن مجال الاحتمال فحسب، بل كان عليها أيضاً قبول خيار فاك الموت الذي ينتظر المقاوم، فالحيار ليس بالسؤال هل علينا أن نموت؟ بل كيف يجب أن نموت؟ إن الصمود الذي يُكتَسب بالفقر والعفة يتقوى بالاقتناع في الموت الضروري بحقيقة أن المرء ميتٌ أساساً، إن المسألة بالنسبة إلى المقاوم، أو الساتياغراهي هي: ما نوع الموت؟ هل سيكون «موتاً عبثياً»؟ باستخدام مصطلح الزاباتستيين ما نوع الموت؟ هل سيكون «موتاً عبثياً»؟ باستخدام مصطلح الزاباتستيين

⁽١٣) يستخدم غاندي مصطلح المقاومة صراحة في تلك اللحظة ويذكر «إجراءات المقاومة» و«المشاق التي سوف تجلبها تلك المقاومة في أعقابها» (Gandhi ١٩٢٨, ٨٤).

Zapatistas أو «الموت الرجعي» الذي وصفه هيوي نيوتن Huey Newton أو الموت المقاوم؟

إن اللحظة الحاسمة في العبور نحو الذاتية المقاومة تحصل في المصادقة على «القرار الرابع» في اجتماع ١١ أيلول/سبتمبر ١٩٠٦ في «المسرح اليهودي» الذي يصفه غاندي بأنه «حلول الساتياغراها»، وبها يتناسب مع لحظة إبداع سياسي لاحظ غاندي: «عليّ أن أعترف أنه حتى أنا نفسى لم أفهم عندئذٍ مضامين القرارات كلها التي كنت قد ساعدت في صياغتها ولم أسبر كل النتائج الممكنة التي يمكن أن تفضي إليها» (Gandhi ۱۹۲۸, ۸۷). إن النتيجة غير المتوقعة لتمرير القرار الرابع - «عدم الخضوع للقانون في حال أصبح قانوناً على الرغم من الاعتراض، وتحمّل كل العقوبات المترتبة على مثل عدم الخضوع هذا» (Gandhi ۱۹۲۸, ۸۷) - كانت ابتداع الساتياغراها نفسها، ففي تأييد حماسي للقرار «ذهب» شيث حجى حبيب Sheth Haji Habib الذي كان «شديد التأثر... بعيداً إلى حد القول: إن علينا أن نقر هذا القرار، والله هو الشاهد علينا»، وأعلن - باسم الله - «أنه لن يخضع أبداً لذلك القانون ونصح كل الحضور أن يحذوا حذوه» (Gandhi ۱۹۲۸, ۸۷). مباشرة أحس **غاندي،** وهو مندهشٌ وعلى أُهبة الاستعداد بأن الفرق بين القرار والقَسَم أو اليمين كان فرقاً هائلاً، ولكن من جهة أخرى «فإن الحيرة أفسحت المجال أمام الحماس»، كما تكلّم غاندي على الآثار المترتبة على حلف يمين من أجل المقاومة، وفي أفضل تفسير يقول غاندى: [...] إذا قطعت أغلبية من الهنود عهداً على نفسها بالمقاومة، وإذا صدق كل من تعهدوا مع أنفسهم، فقد لا يُمرر القانون، وإذا مُرر فيمكن نقضه بسرعة... [لكن] ليس من المُستَبعد أبداً بأنه قد يكون لزاماً علينا أن نتجشّم كل عناء يمكن أن نتخيله، والحكمة تكمن في أخذ العهد على أنفسنا، على أساس أننا سوف نتحمل كل ذلك، بل الأسوأ منه (٩٠ ، ٢٩٨٨).

كان ذلك تعهداً بالموت، «الموت ولا الاستسلام للقانون» (,A۱ Gandhi ۱۹۲۸) و بذلك عرف غاندي أن «مبدأً ما جديداً قد وُلِد»، وفي حين أنه قام بداية باستخدام مصطلح ثورو Thoreau وهو «المقاومة السلبية»، فقد تبنى لاحقاً مصطلح الساتياغراها بعد مسابقة في «الرأى الهندى» Indian Opinion:

إن الحقيقة (ساتيا) satya تتضمن الحب، وإن الحزم (غراها) agraha إن الحقيقة (ساتيا) satya تتضمن الحب، وإن الحزم (غراها) يولّد القوة، ومن ثمَّ فهو يشكّل مرادفاً لها، وهكذا لقد بدأتُ بدعوة الحركة الهندية «الساتياغراها» أي القوة التي تُولد من الحقيقة والحب أو اللاعنف، وأقلعتُ عن استخدام عبارة «المقاومة السلبية» فيها يتعلق بها... (Gandhi)...

وفي مواجهة التفسيرات حسنة النية للساتياغراها بوصفها «مقاومة سلبية» بدأ غاندي بتوضيح ما ميّز ممارسته من ثورو، إنها تتميز من «المقاومة المسلحة» بلاعنفها، مثلها تتميز من المقاومة السلبية أو «سلاح الفقراء» بفضل تكوينها لذاتية مقاومة، ويقول غاندي: «إذا واظبنا على رؤية أنفسنا بأننا ضُعفاء وتركنا الآخرين يروننا كذلك، ومن ثم نقاوم مقاومة سلبية، فإن مقاومتنا لن تجعلنا أقوياء أبداً، وسوف نتخلى عن المقاومة السلبية في أول فرصة بوصفها سلاح الضعفاء» (Gandhi 191۸, 97). إن

الساتياغراها تُسهم في تشكيل ذاتية مقاومة قوية تعزز مقدرتها الخاصة على المقاومة بوساطة أعمال مقاومة:

بتعزيزنا فكرة القوة فإننا نزداد قوة يوماً بعد يوم. ومع الزيادة في قوتنا تصبح الساتياغراها العائدة لنا أكثر فاعلية أيضاً ولن نبحث عن فرصة من أجل الإعراض عنها (Gandhi ۱۹۲۸, ۹٦).

إن الساتياغراها بوصفها توسُّعية وإثباتية، فإنها تؤكد الحب، تتجنب الكره، كما أنها ثابتة في التزامها باللاعنف: «وفي حين يوجد هناك متسع لاستخدام السلاح في المقاومة السلبية عندما تأتي الفرصة المناسبة، فإن القوة المادية ممنوعة في الساتياغراها...» (٧-٩٦ ـ ٩٦٨). إن المقاومة السلبية لا تزال تعمل ضمن مفهوم كلاوزفيتزي للمعركة ولفكرة «التحرش بالطرف الآخر... في حين لا يوجد في الساتياغراها أدنى تفكير بإيذاء الخصم» (Gandhi الآخر... وكما رأى غاندي في حلف اليمين فإن الساتياغراهي وضع ذاتيته عينها على المحك، وبهذا الاعتقاد فإنه بدأ اهتمامه المطوّل في التعامل مع «سمات الساتياغراهيين كما يجب أن تكون» (٩٨ ـ ١٩٢٨). إن الفرق الرئيس يتكون من الهوة بين التكتيك السياسي أو «سلاح الضعفاء» وتشكيل ذات مقاومة عبر القَسَم في فالقَسَم يمكن أن يُستخدم لاختبار قوة المقاومة وطبيعتها،

⁽١٤) هذا لا يُقلل من فعالية المقاومة السلبية (كتكتيك) في بعض الظروف، كما في هذا المثال من مقاومة كريتان Cretan في أثناء الحرب العالمية الثانية المُستقى من تقرير مدير العمليات الخاصة SOP عن الحملة في كريت Crete. ففي وصفه لعمل في قرى كوروتز وأبودولو وبلانتانوس ليلة ٧-١ كانون الأوّل / ديسمبر عام ١٩٤٢ يسرد التقرير كيف أن «الألمان أتوا جاهزين إلى المقاومة بالبنادق الآلية والهاونات وبقطار للذخائر والخدمة

وكما وصف غاندي لاحقاً: «لقد تبيّن أنه من الضروري إعادة حلف يمين المقاومة من أجل الأمان في حد ذاته فحسب بغية تعزيز يقظة المجتمع وسبر مدى ضعفه إن وجد» (Gandhi 1974, 110). ومتوقعاً تلاعب القائد الأدنى ماركوس "Subcomandante Marcos" لاحقاً بمصطلح «المقاومة السلبية» يتابع غاندي قائلاً: «نحن شجعان وأحرار طالما أن لدينا سلاح الساتياغراها بين أيدينا» (Gandhi 1974, 1975)، ومرة أخرى فإن هذه الشجاعة ناتجة عن أيدينا» (Gandhi 1974, 1975)، ومرة أخرى فإن هذه الشجاعة ناتجة عن الإيهان بالموت، كما يصفه غاندي لاحقاً: «لقد منحتُ موافقة عقلية لعدة سنوات للاقتراح القائل: إن الموت ليس أكثر من مجرّد تغيير كبير في الحياة، ويجب الترحيب به عند قدومه» (Gandhi 1974, 100). إن قوة الذات المقاومة تنبع من الشجاعة الناتجة عن القسم بالموت، فالساتياغراهي أو الذات المقاومة ميّت بالنسبة إلى العالم، لكن بخروج المقاوم من زمانية العالم فإنه يصبح عُرضة لمدة مطوّلة من الكفاح: «فمع إطالة صراء الساتياغراها، أي من جانب الخصم، فإن

الطبية ومع احتياطيات ضخمة جاهزة للدعم، وقد انسحبوا دون أن يصبحوا أكثر حكمة مما كانوا عليه عندما بدؤوا كما مالوا نحو الشك بمعلومات عملائهم الخاصين. كان ذلك نصراً مبيناً للمقاومة السلبية لدى سكان أماري Amari الذين انفتحوا مثل بوّابة تحكم وسمحوا للألمان بأن يتدفقوا عبر قراهم ثم أوصدوا الفيضان خلفهم بغية الاستمرار بوظائفهم غير القانونية» (Kokonas, ۲۰۰٤, ۵۳).

⁽١٥) هذا هو الاسم الحركي للمنظر والناطق الرسمي باسم جيش الزاباتيستا للتحرير الوطني Zapatista Army of National Liberation، وهي حركة تمرد مكسيكية تقاتل من أجل حقوق السكان الأصليين في المكسيك. تدّعي الحكومة المكسيكية أن الاسم الحقيقي لماركوس هو رافاييل سيباستين غولين فيسنتي Rafael Sebastián Guillén Vicente لماركوس هو رافاييل سيباستين غولين فيسنتي Tamaulipas Tampico لأبوين وقد ولد في ١٩٥٧ خزيران ١٩٥٧ في تامبكو تاميوليباس ١٩٥٧ المراسمالية [المترجم].

الخصم يصبح هو الخاسر من وجهة نظره الخاصة والساتياغراهي هو الذي سيربح» (Gandhi 197۸, 1۷٤). إن قَسَم الساتياغراهي يحرر المقاوم من الزمن ويسمح له بمتابعة كفاح طويل وصابر ضد عدو محدود وفاقد الصبر.

وفي «سيرة ذاتية» يضع غاندي الأهمية الاستثنائية التي يضفيها على القسم ضمن ابتداع الساتياغراها في إطار قسم العفة والتحصين الشخصي الذي «أمكن إيجاد حل نهائي له فحسب في وقت متأخر من عام ١٩٠٦، إذ لم تكن عندها الساتياغراها قد بدأت، ولم يكن لديّ أي تصوّر عن قدومها» (١٩٢٨, المسلوعية عن ذاتيته الجنسية والبدنية والروحية سبق بقليل الحظة ابتداع الساتياغراها في المسرح اليهودي وأدى إليها. لاحظ غاندي معلقاً:

كها لو أني لم أكن أعلم فإن قسم البرهماكاريا brahmacharya قد حضّرني من أجلها. فالساتياغراها لم تكن مشروعاً متصوراً مسبقاً، وقد جاءت بشكل عفوي من دون أن أكون قد اخترتها (۲۰۱۰,).

إنها تكوّنت من تطبيق قوة القَسَم أو «التحكم بالأحاسيس عبر التفكير والكلمة والعمل» في مقاومة القوانين الجائرة، ومع ذلك لم يكن بالإمكان تحقيق هذا الالتقاء للقسم الزاهد التنازلي مع الذاتية المقاومة دفعة واحدة، بل إنه كان نتيجة التجربة والإبداع، فقد كان التقاءً عزز نفسه بالمهارسة، وأصبح أنموذجاً يُقتدى به، وحينها مارسه الآخرون شكّل في النهاية مقدرة ضخمة على المقاومة. وفي نهاية «سيرة ذاتية» يتأمل غاندي في العلاقة بين التنازل الفردي والسياسة لجهة التطهير، «ولأن التطهير مُعدٍ جداً،

⁽١٦) تعنى تكريس النفس لـ براهما أو أتباعه في الديانة الهندوسية [المترجم].

فإن تطهير المرء لنفسه يقود بالضرورة إلى تطهير محيطه» (٢٠١٠)، فعندما يُنقَل مبدأ الذاتية الزاهدة – «أي أن يصبح المرء خالياً تماماً من العاطفة في التفكير والكلام والعمل» – إلى السياسة (٢٠١٠,٣٧٢)، فإنه يتحوّل إلى مبدأ الساتياغراها أو تشكيل الذاتية المقاومة.

٣-٥- «قاومي العسكر»:

"قاومي العسكر" كانت دعوة للمقاومة صدرت عن نحيم السلام يلو غيت "Oreenham Common Women's غيت" الخاص للنساء في غرينهام كومون Peace Camp Yellow Gate المناتو Peace Camp Yellow Gate في الذكرى السنوية العاشرة لقرار الناتو Peace Camp Yellow Gate نصب صواريخ كروز في أوروبا أن إنها دعوة تستخلص تجربة عقد تقريباً من المقاومة اللاعنفية ضد عنف الدولة والعسكر، وعلى الرغم من أن مقاومة نحيم السلام للنساء كانت موجهة تحديداً ضد نشر صواريخ كروز الذرية في قاعدة سلاح الجو الأمريكية USAF في غرينهام كومون، فقد كان هدفها الأوسع هو مقاومة منطق العنف العسكري نفسه، وبوصفها وثيقة مقاومة ضد عقيدة الردع الذري الكلاوزفيتزية الجديدة، فإن "قاومي العسكر" تشهد على صياغة المقدرة الذري الكلاوزفيتزية الجديدة، فإن "قاومي العسكر" تشهد على صياغة المقدرة

⁽١٧) فضّلنا استيراد الكلمتين Yellow Gate لأنها تُستخدمان للتعبير عن اسم مكان، على الرغم من أن ترجمتها الحرفية إلى اللغة العربية قد تجعل المعنى أكثر وضوحاً أي «البوابة الصفراء»، فالنساء المحتجات فضلّن تسمية بوابات القاعدة الجوية التي أقمن معسكراتهن أمامها بأسماء ألوان قوس القزح كما يرد لاحقاً في النص [المترجم].

⁽١٨) «تدعو نساء يلو غيت النساء كي يأتين إلى مخيم سلام نساء يلو غيت في غرينهام كومون» كي «يقاومن العسكر» في يومي السبت والأحد التاسع والعاشر من كانون الأوّل / ديسمبر ١٩٨٩ الذكرى السنوية العاشرة لقرار نصب صواريخ كروز في أوروبا (the Military, ١٠). إن كل الإحالات إلى هذا العمل وكل ما يتعلق بمجموع كتابات غرينهام ثم شير إلى محفوظات غرينهام في مكتبة النساء في لندن.

اللاعنيفة للمقاومة في وجه النشاطات العسكرية للدول الملتزمة بالحرب المطلقة. إنها دعوة للمقاومة، تجمع التأمل الفلسفي في الإبادة الجهاعية، واللاعنف مع التأمل الإستراتيجي، بهدف إنهاء العنف العسكري، وهي دعوة مصحوبة بنصيحة تكتيكية للمقاومات عن كيفية تحقيق هذه الغاية، فالأمر المركزي في هذه الوثيقة هو فكرة الذاتية المقاومة التي تمتلك المقدرة على القيام بمقاومة لاعنيفة وطويلة الأمد ضد خصم قمعي في هذه الحالة مدة عشرين سنة تقريباً (١٠٠٠)، وهي مهمة أيضاً نظراً لتحسينها تكتيك الاحتلال وتقديمها عدداً من الدروس المهمة التي يبدو أن الاحتلالات الحديثة وحركة احتل لم تنتبه إليها.

أسهمت عناصر كثيرة في صياغة ذاتية مقاومة قادرة على تحمّل معارضة طويلة الأجل ضد عنف الدولة في غيرنهام كومون، وتظهر هذه العناصر في النص الجهاعي الأول الموسوم به «غرينهام كومون: النساء على العناصر في النص الجهاعي الأول الموسوم به «غرينهام كومون: النساء على السياج» (Greenham Common: Women at the Wire (19At) الذي نُشِر في مرحلة من المقاومة ثبت أنها كانت لا تزال مبكّرة، لكنها مرحلة كان من الواضح فيها مُسبقاً أن هدف الاحتلال لم يكن عمل مقاومة منعزلاً وحسب، بل إنه كان أيضاً جزءاً من تطوير مقدرة أشمل على المقاومة:

كان الهدف الأولي للمعسكر هو الاحتجاج ضد الكروز، لكن سرعان ما توسّع دوره ليشمل تحضير النساء للتسبب بمثل هذه التغييرات. الآن انتقل التركيز إلى مدى أبعد باتجاه تحضير النساء وتسيسهن، ومن الأصح أن يُوصَف غرينهام بأنه «معسكر مقاومة النساء» (Harford and Hopkins, ٦).

⁽١٩) لمزيد من المعلومات عن كلاوزفيتز الذري انظر إلى الجدال بين كاهن ورابابورت في الأرام) لمن كتاب «في pp. ٧١٩-٣٧، وانظر أيضاً إلى مقدمة رابابورت لنسخة بينغوين (١٩٨٢) من كتاب «في الحرب».

كان من بين العناصر التي أسهمت في ابتداع ذاتية مقاومة في غرينهام هو تشكيل مقدرة على المقاومة أُنثوية تحديداً أن واتصالاً بذلك الوضوح الاستراتيجي الشديد بشأن ممارسة المقاومة اللاعنفية ومكانتها ضمن السياسة النسوية، فقد وُضع على مستوى استراتيجي تكتيك الاحتلال وتطويق المعسكر العسكر العسكري ضمن ابتداع شبكة أوسع من المقاومة وتنميتها، إذ إن الاحتلال أصبح معسكراً مضاداً يقابل «معسكر التجمّع الذري» في الجهة الأخرى من السياج الحديدي، لكنه لا يعكس صورته ولا يرتبط مع بيروقراطية الدولة الإضافية السياسية والعسكرية والقضائية، بل إنه يرتبط مع شبكة واسعة وغير رسمية من المقاومين المدنيين.

إن حشد نسيج أو شبكة ذات صورة موجودة في كل مكان في أدب غرينهام وفي الثقافة والمهارسة المرئية على السياج، قد سبق زمنيا استخدام الشبكات التكنولوجية الحيوية بالنسبة إلى حركات المقاومة في القرن الحادي والعشرين ""، فالشبكة المنتظمة في شريط عبر معسكرات متعددة مثبتة أمام البوابات التي تحيط بقاعدة القوات الجوية الأمريكية في غرينهام كومون –

⁽٢٠) أعلنت رسالة يلو غيت الإخبارية لعام ١٩٩٨ أن نحيم السلام لنساء غيرنهام كومون أمضى في الخامس من أيلول/سبتمبر ١٩٩٨ سبع عشرة سنة متواصلة من المقاومة اللاعنيفة». وأخيراً أوقف المخيم مقاومته عام ٢٠٠٠.

⁽٢١) بالالتفات إلى الماضي يبدو أن الخلاف الذي أثاره قرار حصر المشاركة الكاملة في المعسكر بالنساء صعب الفهم، لكن التركيز يبدو معقولاً تكتيكياً (وكان بالفعل عندها مسوّغاً= =تكتيكياً) إضافة إلى أنه منسجم نظرياً مع هدف مقاومة الذكورية المسلحة وفتح المجال أمام ابتداع مقدرة أنثوية غير مسبوقة على «مقاومة العسكر»، وعلى حد قول إحدى المشاركات: إن القرار «أصبح ملزماً فجأة، وبدا واضحاً أن القيام به كان أمراً سليماً» (Harford and Hopkins, ٣٢).

والتي أُعيد تسمية كل منها بألوان قوس القزح - انطلق شعاعها من المخيم نحو شبكة غرينهام وطنية وعالمية تضمنت مؤسسات الحركة العمالية وتقاليدها وحملة نزع السلاح النووى CND، وأهم من كل ما تقدم أنها تضمنت المجموعات السلامية النسائية في المملكة المتحدة وفي الخارج. قام المعسكر بوظيفة بؤرة لشبكة افتراضية أعم وهي مرة ثانية تستبق الربط بين الاحتلالات والشبكات الرقمية التي تميّز المقدرة الناشئة والمعاصرة على المقاومة، وقد وفّرت هذه الشبكة الضعيفة والمرنة أيضاً «مقدرة» افتراضية «على المقاومة» يمكن تنشيطها في أي لحظة، كما جرى طوال حياة احتلال غرينهام إحياءً مميزاً للذكري السنوية لقرار الناتو نشر الأسلحة الذرية، بغية إظهار قوة هذه المقدرة على المقاومة للخصم العسكري وسكان العالم، وقد كانت ممارسة التأمل التاريخي المستمر جزءاً مهماً من هذه الصياغة للمقدرة على المقاومة، إذ جرى تأريخ تجربة السنوات الأولى من الاحتلال في «غرينهام كومون: النساء على السياج» Greenham Common: Women at the Wire وتمتّ متابعته (مع تركيز على يلو غيت) في «مخيم السلام على يلو غيت الخاص بنساء غرينهام كومون: تاريخ مقاومة لا عنفية الله Greenham Common Women's Peace Camp: A ١٩٩٥ – ١٩٨٤ المقاومة لا عنفية الله عنفي History of Non-Violent Resistance (ed. Beth Junor) واستُكمل في رواية سيرا هيبرسون Sarah Hipperson للسنوات الختامية للاحتلال في «غرينهام: النساء اللاعنفات - ضِد - الصلاحية الملكية (٢٢٠) Greeham: Non-violent Women اللاعنفات - ضِد .the Crown Prerogative

⁽٢٢) في حين مهدت مقاومة غرينهام لابتداع مقدرة على المقاومة تنتظم على أساس شبكة أو نسيج فإنها سبقت وجود شبكات الاتصالات التكنولوجية، وعلى خلاف الشابكة الكلاوزفيتزي الجديد كانت شبكة غرينهام خلطة من شبكات المجتمع المدني الموجودة بها

لقد كانت «قاومي العسكر» واحدة من سلسلة دعوات للمقاومة، حققت وظيفة للشبكة الافتراضية التي دعمت مقدرة غرينهام على المقاومة، وانسجاماً مع هذا الأسلوب من «الدعوات إلى المقاومة» التي ستُحلّل أدناه في الفصل الخامس، فإن «قاومي العسكر» عبّرت عن الذاتية المقاومة للنساء على يلو غيت ضمن شبكة افتراضية أوسع. لقد صدرت الدعوة من يلو غيت إلى الشبكة الأوسع التي سعت في الوقت نفسه إلى تكوينها وتقويتها: «إن مخيم السلام يلو غيت الخاص بنساء غرينهام كومون يدعو النساء أن يقاومن العسكر بشكل لا عنفي». إن هذه الدعوة تُبرز الاحتلال الجاري إضافة إلى دعوتها الجماعة الأوسع عنفي». إن هذه الدعوة تُبرز الاحتلال الجاري إضافة إلى دعوتها الجماعة الأوسع

فيها حركة النساء وحملة نزع السلاح النووي والحركة العمالية، فقد جرى التعبير عن مقدرة شبكة غرينهام على المقاومة من خلال أعمال انشقاق في الجيش وفي وسائل الإعلام والمنتديات القانونية. إن أول مقاومة لاستغلال مصادر تكنولوجيا الاتصالات الجديدة كانت المقاومة لمحاولة الانقلاب العسكري في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في كانت المقاومة لمحاولة الانقلاب العسكري القاومتين مهمتين بوصفها تصوّرين مقدّمين لشبكات المقاومة الرقمية الخاصة بنهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين. أعلِن عبر نشرة غرينهام لعام ١٩٩٨ دمج شبكة غرينهام الحقيقية مع الشبكة الرقمية بتأسيس موقع غرينهام، فقد ألهمت المقاومة الشاملة للانقلاب في موسكو التي نُظِم عبر أساليب مقاومة تقليدية في توزيع المنشورات، إنها أيضاً عبر استخدام البث الإذاعي وسائل الإعلام الجديدة التي ألهمت بشكل مباشر (الربيع العربي) من خلال العمل النظري له جين شارب وبروس جينكينز. إن «ضد الانقلاب» العائد لهما، والذي أشار إليه المقاومون العرب يستقي الدروس النظرية والإستراتيجية من التحييد الناجح للانقلاب الروسي عبر التحدى الشعبي اللاعنيف وحرمان الانقلابين من الشرعية والتعاون.

Versus من استخدام الحرف V في النص الأصلي كمختصر لكلمة Versus التي تعني ضد أو في مقابل، ووضعه بين معترضتين هو أيضاً بمنزلة تجسيد لإشارة النصر، وكأن العنوان يقول: إن النساء اللاعنيفات ينتصرن على صلاحية الملكة [المترجم].

كي تُظهر نفسها في هذه المناسبة، غير أن النص ليس مجرّد إعلان عمل، بل هو إسهام إستراتيجي في نضال أعم، إذ إنه يصف نفسه بأنه «دليل المقاومة غير العنيفة من جانب نساء يلو غيت» كها جرى نشره بوصفه جزءاً من العمل في غرينهام كومون في التاسع والعاشر من كانون الأوّل / ديسمبر ١٩٨٩، إحياءً لـ«الذكرى السنوية العاشرة لقرار نصب صواريخ كروز التي تُطلق من الأرض في أوروبا». إن هذه الدعوة تجمع بين التأمل في تاريخ الاحتلال وفلسفة اللاعنف، وهي نصيحة عملية للمقاومات (المسافرات كيف يلبسنَ للعمل وكيف يتعاملنَ مع المسائل القانونية المتعلقة بالاعتقال والكفالة والالتهاس والسجن). كها أن مزيجاً من التأمل الفلسفي والنصيحة القانونية التكتيكية هو ما يميّز سلسلة كُتيبات زوكوتي بارك (٢٠٠٣) التي ميرّز سلسلة كُتيبات زوكوتي بارك (٢٠٠٣) التي المقاومين للاعتقال وفي أثنائه وبعده.

تستعرض «قاومي العسكر» عدداً من السبل المختلفة التي يمكن بوساطتها أن تتشكل المقدرة على المقاومة وتتعزز، فالقسم الأول من الأقسام الأحد عشر من الدعوة، يقدم تاريخاً كتبته كاترينا هاوز Katrina Howse عن المقدرة الناشئة على المقاومة في غرينهام كومون، يبدأ باحتلال القاعدة في نهاية

⁽٢٤) الترجمة الحرفية هي حديقة زوكوي، وهي حديقة تقع في حي وول ستريت المالي في مدينة نيويورك، حيث بدأت فيها بتاريخ ١٧ أيلول / سبتمبر ٢٠١١ حركة احتل وول ستريت Occupy Wall Street Movement [المترجم].

مسيرة سلام خرجت من ويلز Wales ثم بظهور «نحيم المقاومة» عند القاعدة في الأمر المركزي في هذا التاريخ هو ظهور الذاتية الأنثوية المقاومة الذي كان «نحيم المقاومة» مركزها، فهذا التاريخ يضع «قاومي العسكر» ضمن سلسلة من الدعوات التي تلحظ قرار الناتو وتتراوح من الاحتلال نفسه في ٥ أيلول / سبتمبر ١٩٨١ إلى العمل الرائع «احضني القاعدة» عام ١٩٨٨، وتبعه عام ١٩٨٨ «عشرة ملايين من النساء لعشرة أيام»، وفي عام ١٩٨٥ «وسّعي الشبكة»، وفي عام ١٩٨٦ «لنسترد حياتنا»، الذي كان «الموضوع فيه هو استرداد حيواتنا وأرضنا من الاغتصاب والحرب»، و«قومي بعمل ضد العنصرية» عام ١٩٨٧، وأخيراً في عام ١٩٨٨ «إعادة تعريف الحرب» الذي «كان الموضوع فيه هو تسمية النساء والأطفال والرجال من كل الأعراق الذين قاوموا الإبادة والإمبريالية...»، وقد شدد هذا الوصف لتكوين الذاتية المقاومة على دور الاحتلال بوصفه محفزاً لشبكة أوسع إضافة إلى إقراره بالتوترات بين «البوابات» المختلفة التي ظهرت في أثناء الثمانينيات «"

تبع هذا التأريخ للمقدرة الناشئة على المقاومة إعلاناً مهماً من سارا هيبرسون عن طبيعة المقاومة اللاعنيفة، إذ تتبع هيبرسون تاريخاً مستمراً من «إنكار للحقوق والقمع وفقدان الحرية... إلخ». يشهد وفقاً لها على وجود شر سياسي وأيديولوجي يقتضي الواجب الأدبي بل الديني أيضاً مقاومته، ويبدأ التاريخ الحديث للشر مع

⁽٢٥) تُستكمل التأملات المعاصرة في ابتداع مقاومة غرينهام عبر وصف آن بيتيت Anne ومن الاحتلال أي عبر «السير إلى غرينهام» Petit وهو سيرة مدروسة وصاخبة تؤكد دور المصادفة والارتجال في وقت مبكر من تاريخ غرينهام.

⁽٢٦) وصفت بيتيت كيف أن تكتيك المسيرة التقليدي لـ حملة نزع السلاح النووي قد حوّل نفسه بشكل عفوي إلى احتلال ثم اكتسب زخمه الخاص.

"الحوادث المربعة لمعسكرات الاعتقال" ثم ينتقل إلى "إلقاء القنابل الذرية على هيروشيها وناكازاكي فقوانين التمييز العنصري apartheid اللإنسانية في جنوب إفريقيا، وفصل السكان السود في الولايات المتحدة، والحرب الفيتنامية، والحرب الراهنة في إيرلندا، (والقائمة لا تنتهي...» (£ Resist the Military). إن الإقرار بوجود رابط بين مخيات الاعتقال النازية واستخدام الأسلحة الذرية ضد اليابان هو الصفة المميزة لأدب غرينهام مثلها هو الاعتقاد القائل: إن مقاومة القوات العسكرية المسلحة ذرياً في الثمانينيات هي استمرار للمقاومة ضد النازية في أثناء الحرب العالمية الثانية (أن عشر مباشرة ومن دون أي مواربة بأقوال مثل: "إن النساء اللواتي يعشن على يلو غيت يخترن قوة اللاعنف لمجابهة قوة الشر المتولّدة من داخل القاعدة العسكرية بوساطة الأسلحة الذرية المبيدة جماعياً المتولّدة من داخل القاعدة العسكرية بوساطة الأسلحة الذرية المبيدة جماعياً (٤-٥) اعتقال ذري، إذ يتم فيها يومياً القيام بالتحضيرات من أجل الجريمة الجماعية» (6 Resist the Military ويتم التصدي لوضعية تصعيد الردع الحكلوز فيتزية الجديدة التي يدعمها آرون في فرنسا وكاهن في الولايات

⁽۲۷) يمكن استكمال تأريخ كاترينا هاوس بتاريخ هارفورد وهوبكينز بالنسبة إلى السنوات الأولى من الاحتلال وكذلك بالكتاب الذي كتبته وأعدته بيث جونور بالنسبة إلى العقد ١٩٨٤-٩٥ يركز الأخير كما ينبغي على المقاومة الرائعة على يلو غيت، لكن يمكن أن يُضاف إليه عمل ساشا روزنيل Sasha Roseneil الذي يقدم رؤى البوابات الأخرى، والذي يؤكد على استنباط أشكال جديدة من الذاتية الأنثوية. كما أن تاريخ سيرا هيبرسون الرثائي الذي يحمل عنوان «غرينهام: النساء اللاعنيفات - ضد - الصلاحية الملكية» يُتمم تأريخ المقاومة المتواصلة على اله (يلو غيت). ويقدم فيرهول (٢٠٠٠) ويرى دوره التاريخي بأنه استمرار للمقاومة ضد النازية.

المتحدة الأمريكية عبر مقاومة لاعنيفة لكنها قوية الإرادة: "إن اللاعنف ليس خياراً سهلاً ولا هو لين، بل إنه طريق مواجهة مع الدولة والعسكر اختير بوضوح» (Resist the Military 0)، وجرى إغفال أهميته من جانبها، وبالفعل لاحقاً من جانب جيرار، وفي تأملها اللاحق في "اللاعنف في المهارسة» اعترفت هيبرسون بالسوابق الممثلة بالساتياغراها لدى غاندي أو بالأحرى "بالناس في مقاومة غاندي والنساء اللاعينفات اللواتي كافحن من أجل حق الاقتراع وحركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة وكفاح النساء في إيرلندا الشهالية»، ورأت في تلك النضالات مصادر مقدرة أوسع على المقاومة أو جزءاً منها "ظهرت مجدداً في هذا الوقت في غرينهام كومون» (Resist the Military 0).

لقد وجهت مقاومة غرينهام نفسها بوضوح ضد الوضعية ثنائية القطب للعقيدة الذرية الكلاوزفيتزية الجديدة، وحشدت مقدرة على المقاومة أصبحت قادرة على معارضة القوات المسلحة من دون الدخول معها في حرب متصاعدة وهزيمة للذات، فالمقدرة على المقاومة تتحقق كها عند كلاوزفيتز عبر الطاقة، لكن ليس عبر الطاقة التدميرية المنطلقة من الأسلحة الذرية. إنها طاقة قادرة على إيقاف المسار الشرير للعالم، مع تصوّر للمقاومة بأنها انقطاعات مُمكِنة ولاعنفيفة لروتينيات الشريات الشر

إن اللاعنف هو طاقة تعطيكِ قوة للتغلب على الضعف، فأيّاً يكن الحدث فإنكِ تعلمين بأن هناك عمل ما تستطيعين القيام به بغية قطعه أو عرقلته أو إيقافه، بحيث لا يعمل «الحدث» وفقاً لما قُصِد منه. إن الشر يعتمد على أنه شامل وفعّال، أما الفعل اللاعنفي فيُبطِل مفعوله في حينه يعتمد على أنه شامل وفعّال، أما الفعل اللاعنفي فيُبطِل مفعوله في حينه (Resist the Military 1).

يقوم الانقطاع بإبراز تفاهة الشر، فيظهره كها هو بالنسبة إلى أدواته وإلى الجمهور المتواطئ معاً ويوفّر «فرصة لتغيير التفكير الكامن خلف الأفكار التي تفضي إلى جرائم ضد الإنسانية» (٦ Resist the Military). لقد نبع جزء من قوة غرينهام من هذا اللاهوت السياسي للحياة المناهض للشر والموت، والذي باشر مقاومة غير قيامية لا تزال تتحدى فرضيات جيرار والمنظرين القياميين الآخرين.

إن تصوّر الذاتية المقاومة التي تُوصَف في هذا النص، وفي نصوص أخرى من غرينهام، يشدد بشكل مميز على الحياة في مقابل الموت مباشرة، وهذا ما يُكمل ويردد صدى، بل يتعارض أيضاً مع صيغ للذات المقاومة أكثر إفناءً من الناحية السياسية، وتؤكّد الحياة بوساطة ما يدعوه هيوي بي. نيوتون Huey P. Newton التابع لـ الفهود السود (١٠٠٠ الفهود السود النتحاراً سياسياً». وفي مواجهة هاجس الإبادة الجهاعية أيضاً رأى نيوتن أن «المقاومة فحسب هي التي تستطيع تحطيم القيود التي تتسبب بالانتحار الرجعي» فحسب هي التي تستطيع تحطيم القيود التي تتسبب بالانتحار الرجعي» موت»، بل إنه كان رغبة في العيش التام قبل الموت، وإذا كان ولا بد، فقد موت»، بل إنه كان رغبة في العيش التام قبل الموت، وإذا كان ولا بد، فقد

⁽٢٨) هناك من يُترجم الاسم بال النمور السود وهناك من يستورد الكلمة، وهي حركة تشكلت في كليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٦ ولعبت دوراً هاماً في حركات الحقوق المدنية لكن لفترة قصيرة. إذ إن الحركة رأت أن الحركة اللاعنيفة التي بدأها مارتن لوثر كينغ (١٩٢٩ –١٩٦٨) Martin Luther King على الحقوق بالطريقة التي دعا إليها كينغ ستأخذ وقتاً طويلاً، وبالتالي تبنت حركة الفهود السود العنف الثوري سبيلاً لتحقيق أهدافها، وقد كان نيوتن (١٩٤٢ –١٩٨٩) أحد المؤسسين لهذه الحركة العنفية، أما المؤسس الآخر فهو بوبي سيل (تولد ١٩٣٦) Bobby Seale [المترجم].

كان رغبة في الموت العنيف على يد العدو. أما في غيرنهام فلم تأخذ المقاومة شكل سياسة الموت الحيوية thanatopolitics، لكنها فُهِمت بأنها تحقق مقدرة حيوية، كانت النساء - لأسباب تاريخية - أقرب إليها من الرجال على حد قول هيبرسون:

أعتقد أن اللاعنف هو طاقة روحية وهو استجابة بدائية لمقاومة أحداث وظروفٍ نشعر أنها لا تُطاق. إنها مصدر نفيس وذو حياة لا متناهية إذا ما جرى التعامل معها باحترام. أعتقد أن النساء بشكل خاص مناسبات ليكنّ بمنزلة قنوات تتدفق من خلالها هذه الطاقة، فمعظم النساء يعشن من دون التوقعات التي تتطلبها الدولة من مواطنيها الذكور، إذ إننا لسنا مجبرات مباشرة على القيام برواجبنا» في الدفاع عن الملكة والدولة... وعليه فإننا ومن دون دور «الواجب» المتوقع ضمن سلطة الدولة نستطيع أن نطوّر حيواتنا وننظمها في مقاومة هذه السلطة وتجاوزاتها من خلال الساح لطاقة اللاعنف هذه أن تُوجّه أعمالنا ضد الدولة والعسكر (Resist the Military, V).

كانت ضرورة المقاومة مختلفة عن ضرورة الدولة، أي إنها كانت تحقيقاً للمقدرة على الحياة بدلاً من الموت، لكن نساء غرينهام كومون والفهود السود يشتركون في معارضتهم للموت في الحياة، الخاص «بالانتحار الرجعي»، الذي تصفه هيبرسون وفقاً لشر الدولة وفسادها وللحياة اليومية المخيفة تحت عنف عسكري كلي الانتشار بالقول:

إن اللاعنف في أصله العميق هو مقاومة لا هوادة فيها للفساد بكل أشكاله، تنبت فيها قوة تحمّل للنتائج التي ستترتب على تحدي الدولة بوساطة وسائل عمل مباشرة لاعنفية. لقد بقيت روح المقاومة حية عبر التاريخ بوساطة الناس العاديين

جداً الذين يرفضون الإذعان للفساد الذي تفرضه الدولة، وعلينا أن نُبقي هذه المقاومة حية إذا أردنا ألّا نتحول إلى ميّتات تمشين، وإلى عبيدات مدعوات للمصادقة على أي شر قد تفرضه الدولة علينا (Resist the Military, V-۸).

إن فضيلة الشجاعة أو الإقدام التي وجدها فانون وليفين ونيوتن والقائد الأدنى ماركوس بوضعهم أنفسهم خارج نطاق الموت أساساً – ما وراء الموت في الحياة الخاص «بالانتحار الرجعي» – تُوضع هنا في خانة قوة الحياة ضد العنف والانحراف المُميت (١٠٠٠).

إن المتطلبات المُلقاة على عاتق المقاوم اللاعنيف هي متطلبات عظيمة، بمثل عظمة تلك المتطلبات التي تأخذها على عاتقها المقاوَمة العنيفة، أو الستياغراهي الغاندي، فقد استلزمت عملاً وحضوراً مستمرَّين في المعسكر من جانب «مجموعة صغيرة من النساء اللواتي كنّ جاهزات للبقاء، كُنّ ملتزمات بمتابعة هذا

⁽۲۹) إن أثر التقارير حول معسكرات الاعتقال النازية وصورها يتكرر في تأملات السير الذاتية للنساء في مساراتهن نحو الذاتية المقاومة، إذ إن سارا هيبرسون تصف كيف «أمضت كثيراً من وقت راحتها خلال سنوات الحرب في الصور المتحركة (السينيا)، فتقول: كانت أخبار باتي(نسبة إلى تشارلز (١٨٩٤-١٩٥٧) الذي أسس أخبار باتي التي كانت مؤسسة تقدم نشرات إخبارية ومجلات وأعهالاً وثائقية في المملكة المتحدة ما بين ١٩١٠-١٩٧٠ وكانت رائدةً للصور المتحركة في الحقبة الصامتة [المترجم]) Pathé news على الدوام فيلماً قصيراً مهماً يسبق الفيلم الرئيس، وعندما بدأت القوات بتحرير معسكرات الاعتقال بدأنا برؤية صور من معسكرات الاعتقال أول مرة، ولم نكن قد رأينا أياً منها في أثناء الحرب. لقد صُدمتُ بتلك الصور وقد لازمتني... كان ذلك بمنزلة فقدان لبراءتي، ويمكنني الآن أن أرى بداية وعمي السياسي الذي كان عملية طويلة وممدودة» (٩-٨ (Hipperson, ٨-٩). تنسج آن بيتيت في مذكراتها الماضي النازي مع الحاضر المناهض للأسلحة الذرية في تاريخ عائلي موضوعاً ضمن إطار المقاومة ضد النازية.

العمل مهما كانت الظروف أو النتائج» (Resist the Military, 1). إذ إن قياس جودة الذاتية المقاومة يتم في «قاومي العسكر» على أساسِ التزام هو: «إننا نعمل بكل ما أُوتينا من قوة - نمضي إلى أقصى حد» وعلى أساس الزمن:

إن النساء اللواتي يعشن على يلو غيت لديهن سجل من المقاومة كأفراد، يمتد لسبع سنوات مضت أو ست سنوات أو ثلاث سنوات من المقاومة طوال الوقت على يلو غيت، كها أن بعض النساء لديهن مقاومة لبضع سنوات وبعضهن الآخر لشهور عديدة (Katrina Howse, Resist the Military, ١٦). ومثلها هي الحال مع غاندي تُعاش حياة الحقيقة في مواجهة حياة الفساد ضمن الظروف الصعبة للمخيم، وهي حياة غير سهلة تستلزم وضعية ثابتة وصارمة تجاه سلطة الدولة ووكالاتها، وعلى حد قول أبيغيل أدامز Abigail Adams في إشارتها إلى الشرطة المحلية وتأكيدها مرة أخرى دور الطاقة في تحقيق مقدرة أوسع على المقاومة، ومن ثم في تقوية الذاتية المقاومة:

إننا نمقت ذلك العمل الذي يقوم به أولئك الأفراد من الشرطة في هماية الأسلحة الذرية... يجب أن تُصب كل طاقتنا في عملنا، وإنه لتناقض كبير أن تُدعَم الشرطة عبر اتصال غير ضروري أو عاطفي يتجاهل ما تفعله. يجب ألّا نعطى الشرطة أي طاقة (١٦) (Resist the Military, ١٦).

تصرّفي كما لو أن مبدأ عملكِ يعظّم المقدرة على المقاومة إلى الحد الأقصى، وكما لو أنه التزام قطعي بهذه الذاتية: «وضعي طاقتكِ قيد العمل – فالذي يحدث في المخيم، والذي يحصل في الفعل ليسا منفصلين» – أو بكلمات أخرى تذكري أن «الطاقة التي تُوضع قيد الاستخدام من جانب كل امرأة في المعسكر تُساعد في إنجاح ذلك العمل» (Resist the Military, 1V). إذ إن تنشيط المقدرة على

المقاومة كما في الساتياغراها يستلزم تركيزاً واهتماماً صادقاً بهدف مقاومة العسك.

إن الأجزاء الأخيرة حول براغهاتية العمل اللاعنيف التي تسترشد بالالتزام القطعي بالعمل وفقاً للمبدأ الذي يُعظّم مقدرتكِ على المقاومة، تعطي تعليهات بشأن سلوك المقاومة. يتضمن الجزء الأول الانضباط الذاتي: "إن العمل المباشر اللاعنيف يبدأ دائماً بإعداد نفسك» (Resist the Military, 19)، ومن الضروري تجنّب التورط في المنطق المتصاعد للعنف حتى في أثناء القيام بأعهال تخريب أو تعدّن "لا تدخلي أبداً في أعهال شبه مسلّحة مع الشرطة العسكرية لأنكِ عندها ستكونين الخاسرة مباشرة» (٢٠) (Janet Tavner, Resist the Military, ٢٠). إن المقاومة تتطلب أيضاً تجهيزات من قبيل اللباس والطعام والشموع، كها تتطلب استعداداً للقمع الذي سوف تستجلبه، وكها هي الحال لدى غاندي لم تسع مقاومة غرينهام إلى التفاوض مع الدولة عند التعرّض للتوقيف أو للسجن، يبدو ذلك جلياً في قول جين هاتشينسون Jean Hutchinson: إن قبول القمع هو جزء من المقاومة:

إن الأعمال اللاعنيفة والدعاوى القضائية كما جرى وصفها أعلاه هي جزء من العملية التي نقاوم من خلالها الدولة المُعَسكرة. إنها الجزء المهم والأساس في تنفيذ مقاومتنا اللاعنيفة، أى إنها وظيفة يلو غيت (Resist the Military, YA).

إن محاولة تحاشي النتائج التي تترتب على الأعمال، أو إن العمل بخوف من تلك النتائج «يُخفض المقاومة ضد العسكر» ويُقر ضمناً بشرعية الدولة، فعلى المقاومة ألا تُقدم أي تنازل «يُخفض من مستوى مقاومتكِ»، بل يجب الإبقاء على وضعية منضبطة، لكن متحدية، تستعمل المؤسسات القانونية والجزائية منصاتٍ ومناسبات للنقاش العام، بحيث يؤكّد «أن المقاومة

ستصل إلى قمتها ومن ثم تمضي وتدخل تجربة السجن» (Resist the Military, ٣٤).

إن شهادات غرينهام كومون تؤرخ لحملة متواصلة من عنف الدولة وظلمها ضد المقاومات بوساطة السلطات العسكرية والبوليسية والمدنية، فلقد تمت مواجهة القمع المستمر بوساطة التحمّل والخيال، فالمقاومات واجهن أعمال الطرد المتكررة والاستفزازات والظلم عبر مقدرة استثنائية على المقاومة. إن المقاومة القوية التي تضع نفسها عن وعي ذاتي ضمن تاريخ من المقاومة تبقى المصدر غير الملحوظ لتكتيكات المقدرة المعاصرة على المقاومة وإستراتيجياتها مثل التعبير عن احتلال بارز من خلال شبكة افتراضية. فالكاتبات والنصوص الصادرة عن مقاومة غرينهام كومون تشهد على لحظة مهمة، لكنها لحظة لا تزال غير مقدّرة تماماً في فلسفة المقاومة وفي تكوين المقدرة المعاصرة على المقاومة على حد سواء.

٣-٦- الأموات المقاومون:

قد تكون حركة الزاباتيستا Zapatista في منتصف التسعينيات هي حركة المقاومة الأكثر بروزاً على المستوى الدولي بعد نهاية الحرب الباردة والإتمام الناجح لاعتصام غرينهام، ومن الواضح أن الحركة تعلمت من غرينهام واستفادت من التطورات في تكنولوجيا الاتصالات التي لم تكن متاحة لمقاومة الثمانينيات. إن البيانات الصادرة من ولاية تشياباس Chiapas في جنوب شرق المكسيك بعد تمرد يوم رأس السنة الجديدة عام ١٩٩٤

الذي قام به جيش الزاباتيستا للتحرير الوطني (٣٠٠) ضد إعلان منطقة التجارة الحرة لشيال أمريكا North American Free Trade Area وفّرت مصدراً رئيساً من الإلهام لمقاومة عالمية ضد الليبرالية الجديدة العالمية، ولمدة ست سنوات تقريباً وإلى حين زحف الزاباتيستا إلى مدينة مكسيكو عام ولمدة ست سنوات تقريباً وإلى حين زحف الزاباتيستا إلى مدينة مكسيكو عام الصادرة على الشابكة بوظيفة بوتقة تدمج بين مقاومة شعوب أصلية والميانات ومقاومة عالمية. إذ إن إعلانات وتأملات اللجنة الثورية السرية – القيادة العامة لا جيش الزاباتيستا للتحرير الوطني والمتحدث باسمهم القائد الأدنى ماركوس ابتدعت شخصية جديدة للذاتية المقاومة وفهاً جديداً للمقدرة على المقاومة، ووسائل الإعلام العالمية إضافة إلى التقاليد المحلية للمقاومة الأصيلة (٣٠٠).

إن المعالم المحددة للنضال في ولاية تشيابس التي نتج عنها تمرد عام ١٩٩٤ هي معالم معقدة، ويصعب تتبعها. تُوصف خيوط الصراع الرئيسة التي نتجت عنها مقاومة الثمانينيات في وثيقة داخلية جُهزِّت عام ١٩٩٢ ونُشرت بعد التمرد، فـ «عاصفة ونبوءة: جنوب شرق تشياباس بين ريحين» تصف تصدير الثروة الطبيعية للإقليم المؤلفة من: البترول والطاقة الكهرومائية

⁽٣٠) نسبة إلى إيمليانو زاباتا (١٨٧٩-)١٩١٩ Emiliano Zapata ١٩١٩ - ١٨٧٩)، وهو أحد قادة الثورة اللكسيكية عام ١٩١٠ والقائد الرئيس لثورة الفلاحين في ولاية موريلوس Morelos، كما أنه الملهم للحركة الزراعية المسهاة زاباتيزمو Zapatismo [المترجم].

⁽٣١) من أجل استحضار خيالي قوي للعبور من حياة «الميّت السائر» إلى الذات المقاومة الأنثوية: انظر رواية «جيش كارهولين» لـ سارا هول Sara Hall, The Carhullan Army.

والمواشى والمنتجات الزراعية. لم يستفد السكان الأصليون من هذه الثروة وردوا على ذلك بمقدرة على المقاومة متجذرة محلياً. إن تشديد الاستبداد إضافة إلى الخطر الماثل بأن النافتان NAFTA اللبر البة الجديدة سوف تزيده تشدداً، قد أدى إلى انتشار مقاومة تبنّت أشكال الكنيسة أو لا وتحالفت لاحقاً مع مجموعة من الثوريين من شمال شرق المكسيك- هي قوات التحرر الوطني Forces of the National Liberation- (FNL) - ممن حفزّتهم نظريات الثورة الزراعية الماوية والغيفارية. إن الأُطروحات الثورية الزراعية التي أثرت في ممارسة قوات التحرر الوطنى - وهي الكفاح المسلح وتأسيس مناطق انطلاق أو مراكز لتوسيع العمل الثوري - تحوّلت عبر التلاقي مع المقاومة الأصلية إلى نظرية مقاومة عالمية مَدينة كثيراً إلى التقاليد الأصلية، بل أيضاً إلى تثمين الإمكانات التكنولوجية لمواجهة الاستبداد العالمي مع تكوين مقدرة عالمية على المقاومة، فقد استخدم جيش زاباتيستا للتحرر الوطني مصادر وسائل الإعلام والشابكة ونظُّم تمرداً محلياً وفرض على الحكومة توقيع اتفاقات سان أندريس San Andrés Accords عام ١٩٩٦، كما أنه استضاف اجتماعاً في صيف عام ١٩٩٦ لمناقشة دور المجتمع المدني العالمي في مقاومة الليبرالية الجديدة.

أرفق الزاباتيستيون هذه الحملة الإستراتيجية بـ «استشارات» سياسية تخص مسائل مثل الالتزام بـ اتفاقات سان أندريس ونفّذوا كامل الحملة عبر كوى اقتراع وعبر تنظيمهم الانتخابي الخاص وزعموا إحراز ما يزيد على ثلاثة ملايين صوت. وفي عام ٢٠٠١ بعد الهزيمة التاريخية لله الحزب

⁽٣٢) الاسم المختصر الذي تُعرف به منطقة (إتفاقية) التجارة الحرة لشمال أمريكا [المترجم].

الثوري المؤسسي (۱۹۹۳ زحف الزاباتسيتيون إلى مدينة مكسيكو وادّعوا أنهم حققوا الأهداف الإستراتيجية التي سعوا إليها منذ عام ١٩٩٣ وإن الذي يظهر في كل ذلك هو ذكاء إستراتيجي بارع، ذكاء مرتبط بإستراتيجيي حركة تشياباس الذين أصبح المقنّع القائد الأدنى ماركوس ممثلهم الرمز. ويعمل ماركوس من خلال عدد من الأجناس: القصص والبيانات والعرائض والنكات التي تقلّص هرمية قيادة العدو العسكرية وصرامته الخبيثة.

إن البيانات الصادرة بين عامي ١٩٩٤ و٢٠٠١ أعطت رواية محلية لتكوين ذاتية مقاومة وجهت نفسها بصورة متزايدة بناءً على تكوين مقدرة عالمية على المقاومة، سوف نركز هنا على الأولى وننتقل لدراسة الثانية في الفصل الخامس، وإن الذاتية المقاومة للزباتيستين تستجيب لأصوات الموتى: إن المقاومين الزاباتيستيون كها هي الحال مع ليفين في الثورة الألمانية وإن بشكل أكثر وضوحاً بكثير يعدون أنفسهم أساساً بين صفوف الأموات المقاومين. هذا هو ما يميز مقاومتهم عن مقاومة عرينهام كومون التي كانت متجذرة في إثبات الحياة وفي مجموعة افتراضية من النساء. لقد سبق أن ظهرت فكرة المقاومة المستمرة الممتدة من الماضي عبر الحاضر نحو المستقبل في أول عمل لما أصبح المتوبر بجيش زاباتبستا للتحرر الوطني. ففي الثاني عشر من تشرين الأوّل / أكتوبر ١٩٩٢ أحيا أربعة آلاف من الرجال والنساء من السكان الأصليين الماضود، ٥٠٠ سنة من المقاومة» بتدمير نصب تذكاري للمؤسس

Partido Revolucionario Institucional :هو للكلمات الآتية باللغة الإسبانية PRI الاختصار PRI هو للكلمات الآتية باللغة الإنكليزية Institutional Revolutionary Party أي الحزب الثوري المؤسسي [المترجم].

الاستعماري الإسباني لمدينة سان كريستوبيل دي لاس كاساس الاستعماري الإسباني لمدينة سان كريستوبيل دي لاس كاساس حرب مقاومة Cristobel de las Casas ، كما أن تكوين ذاتية مقاومة على أساس حرب مقاومة بمفعول رجعي أصبح مزيّة حركة الزاباتيستا وبياناتها.

إن الدعوة إلى ذاتية المقاومة لا تظهر في أول إعلانات غابة لاكاندون في كانون الثّاني / يناير ١٩٩٤ بعد التمرد الناجح يوم رأس السنة، إذ إن الدعوة هنا تؤدي دور الإيهاءة المؤسسية الثورية كلاسيكيا، التي تدعي أنها الممثل الشرعي للثورة والدستور المكسيكيين وتعلن الحرب رسمياً على الدولة المكسيكية المُغتَصِبة وغير الشرعية عبر جيش يعترف به باتفاقيات جنيف بخصوص التعامل في الحرب. ولا يوجد أي ذكر للمقاومة في هذا الإعلان الموجه إلى شعب المكسيك من قوة تزعم أنها جيشهم الشرعي الثوري، إلا أن ذلك تغيّر جذرياً مع الإعلان الثاني في ١٢ حزيران / يونيو ١٩٩٤ الذي لم غاطب حينئذ شعب المكسيك فحسب، بل إنه خاطب «شعوب العالم وحكوماته». إن الإعلان الثاني الذي تلا القمع الوحشي للتمرد والطلب من وحكوماته». إن الإعلان الثاني الذي تلا القمع الوحشي للتمرد والطلب من «المجتمع المدني» أن يُنهي الأعمال العدائية العسكرية هو بالفعل إعلان مكوّن

⁽٣٤) يقدم جيمز سي. سكوت (١٩٩٧ و ١٩٨٠) James C. Scot (١٩٩٠ و ١٩٨٠) لا تُقدر بثمن للسمة البارعة لذاك النوع من المقاومة الفلاحية التي ضمنت تأسيس مقدرة شبكية عالمية على المقاومة في تشاياباس، ومع ذلك فإنه ينتقد فكرة الذاتية المقاومة عينها ويفضّل التركيز على أشكال وفضاءات من المقاومة المتبادلة. «وإذا كنا سنفهم العملية التي بوساطتها تتطور المقاومة وتُشفّر، فإن تحليل إقامة فضاءات اجتهاعية مخفية يصبح مهمة أساسية. إذ يمكن الانتقال من الذات الفردية المقاومة وفضاءات الفردية المقاومة بوساطة خيال مجرّد إلى تنشئة اجتهاعية لمهارسات وخطب مقاومة» (١١٨ ، ١٩٩٠) فحسب عبر تحديد كيف تُقام هذه الفضاءات وكيف يُدافع عنها، ومع ذلك فإن كلتا المقاربتين تتهان بعضهها فيها يخص مفهوم المقدرة على المقاومة.

من إعلانين مغايرين يبقى أحدهما قريباً من اللغة المؤسساتية للإعلان الأول، والآخر يعدّلها لتصبح دعوة صريحة إلى مقاومة دائمة.

إن الجزء الثاني من الوثيقة ينتقل من لغة التكتيكات الثورية إلى التأمل في المقاومة والدعوة إليها. وفي قطيعة مع المشروع الثوري تزعم الوثيقة أن جيش زاباتيستا للتحرر الوطني لا يريد «فرض مشروعه على المستقبل»، لكنه يقترح النضال من أجل الديمقراطية والكرامة والعدالة، وبذلك فهو ينتقل من نظرية الحرب الثورية إلى نظرية مقاومة طويلة ضد السلطة غير الشرعية للدولة المكسيكية. ففي الاستعال الأول لكلمة «مقاومة» في الإعلان يزعم جيش زاباتيستا للتحرر الوطني تتأكد عبر استحضار دعوة إن المقاومة المقاومة: «إننا نعرف كيف نقاوم حتى النهاية» (٩٥ Ponce de León, ٤٨).

يقول أمواتنا: «كل شيء للجميع»: «وإلى أن يصبح ذلك صحيحاً لن يكون أي شيء لنا».

ابحثوا في قلوبكم عن أصوات أولئك الذين نقاتل من أجلهم، وجهوا لهم الدعوة كي يسلكوا الطريق الكريمة لأولئك الذين ليس لهم وجوه، ناشِدوهم أن يقاوموا وليرفض كل واحد أن يتلقى أي شيء من أولئك الذين يحكمون. اطلبوا منهم رفض صدقات الأقوياء. كل الناس الطيبين في هذه الأرض مدعوون كي ينتظموا بكرامة، دعوهم يقاوموا ولا يستسلموا».

«لا تستكينوا! قاوموا! قاوموا بشرف في أراضي النساء والرجال الحقيقيين! دعوا الجبال تأوي ألم شعوب هذه الأرض. لا تستكينوا! قاوموا! لا تستسلموا! قاوموا!» (٠٠ Ponce de León, ٥٠).

إن هذه الدعوة للمقاومة هي بمنزلة إيعاز من الأموات إلى الأحياء كي يقاوموا بشرف، وهي دعوة صادرة باسم كل فرد حي أو ميت، أو لم يُولد بعد. إنها تبدأ بالجزء الأول من صيغة المقاومة الزاباتية التي ظهرت عام ١٩٩٤: «كل شيء للجميع» والجزء الثاني من هذه الصيغة: «ولا شيء لنا» يمثّل الخطوة التالية التي لم تُعلن صراحة في الإعلان الثاني، ألا وهي الفهم أن الذات المقاومة ميتة سلفاً، ولا يمكنها أن تفترض أنها ستستمتع بثار مقاومتها. إن وجهة المقاومة هي وجهة محتومة مع مناشدة الأموات المقاومين للموتى سلفاً، كي يقاوموا باسم الجميع مقاومة حتمية وشاملة. يدرك الزاباتيستيون أن «كلهات أمواتنا صالحة وأن هناك حقيقة فيها يقولون وجلالاً في مجلسهم» (٥٠ ، Ponce de León)، كما أنهم يدعون كل إخوانهم المكسيكيين كي «يقاوموا معنا». فالمقدرة على المقاومة تتضمن المكسيكيين الأموات والأحياء، وهي لم تمتد بعد إلى العالم برمته، لكن إدراك شمولية الدعوة إلى المقاومة لن يتأخر طويلاً.

إن الدعوة من الأموات المقاومين هي موضوع متكرر في بيانات الزاباتيستا، وهذا يقترن مع الفكرة الإضافية القائلة: إنه وفي حين أن الأموات المقاومين يعيشون ويتكلمون: «في الجبال يعيش الأموات، يعيش أمواتنا» (Ponce de León, ۱۰۲)، فإن المقاومين الأحياء يجب أن يعيشوا كما لو أنهم أمواتنا سلفاً. إن الذات المقاومة ليست ذاتاً حرة في اختيار حياة المقاومة، بل هي ميّة أساساً وبالتالي عليها أن تقاوم. لقد بدأت هذه الفكرة بالظهور مباشرة بعد تمرّد الأول من كانون الثاني / يناير وأصبحت لاحقاً مركزيةً بالنسبة إلى رؤية

الزاباتيستا في المقاومة العالمية والمطلقة. إنها تظهر أولاً في بيان صدر باسم ماركوس مباشرة بعد التمرد (٦ كانون الثّاني / يناير):

"الموت لنحيا" يعبّر "كفاية" عن حياة الموت - الموت من الأمراض القابلة للشفاء - من الفقر، والقبول بدلاً منه بموت المقاوم في الحياة: "إذا متنا الآن فلن يكون موتاً بهوان، بل إنه موت بكرامة مثل أسلافنا. نحن مستعدون للموت ١٥٠٠٠ ميتة إضافية إذا اقتضى الأمر، بحيث إن شعبنا قد يستفيق من حلم الخداع هذا الذي يحتجزنا رهائن" (Ponce de León, ۱۷).

إن إحساس المقاوم بأنه لم يعد رهينة للحياة يحرره من الموت السلبي في الحياة، أو من «الانتحار الرجعي» لدى العبد الهيغيلي المهزوم، لكن من دون العودة إلى دخول صراع الحياة والموت بين العبد والسيد، أي من دون الإقرار للسيد بأي اعتراف أو شرعية، فالمقاوم ميت أساساً وبوصفه كذلك يكون قد ربح الكرامة والشجاعة سلفاً.

ظهرت مضامين هذه الرؤية للعيان بسرعة في بيانات ربيع ١٩٩٤، ففي ١ آذار / مارس ١٩٩٤ يتذكر ماركوس نساء التمرد القائدات والمقاتلات: «اثنتا عشرة امرأة في السنة الثانية عشرة: لحظة الحرب» ويتذكر تحديداً كيف أن قائد الزاباتيستا رامونا Zapatista Comandante Ramona قد أعلن في أثناء مؤتمر صحفي في كاتدرائية سان كريستوبل: «بكل الأحوال كنا أمواتاً أساساً. لم نكن بالمطلق نعني شيئاً» (Ponce de León, V). أصبح هذا الإعلان يعني أمرين: مأزق الموت العبثي في الحياة أي ألم غياب الذاتية، لكنه أيضاً أصبح يعني توكيداً فاعلاً لموت المقاوم في الحياة، فبوساطة توكيد الموت بالقول «كفاية»، لم

يعد المقاوم رهينة للموت العبثي في الحياة، كما أنه ينال شرف حياة مقاومة من دون الخوف من الموت.

إن البيان الصادر باسم اللجنة الثورية السرية - القيادة العامة (CIRC-CG) في العاشر من نيسان / أبريل ١٩٩٤ الذي يُحيي ذكرى اغتيال زاباتيستا «فوتان زاباتا إحياء خمسمئة عام من التاريخ» يقترح تصوّراً لافتاً لجمع من المقاومين الميتين، ويبدأ باستحضار مجلس أولئك الذين عانوا ويعانون من «الموت العبثي» طوال ٢٠٠٥ عام من البؤس والنسيان تحت العكمين الإسباني والمكسيكي. إنهم هم من عانوا بوصفهم «مجهولين» من نزع أسائهم عنهم وبوصفهم رهائن عاشوا وماتوا من أجل «مستقبل شخص آخر» (٩١ , Ponce de León, ١٩). إنهم متحدون في اجتماع أمام عَلَم عليه نسر يلتهم ثعباناً، اجتماع يتضمن الأموات والأحياء والذين اجتماع أمام عَلَم عليه نسر يلتهم ثعباناً، اجتماع يتضمن الأرض والسهاء اللتين تضطهدانه اليوم» (٩١ , Ponce de León, ١٩). إن العَلَم الذي يرفرف بين الأرض والسهاء، والذي بناء على وجوده عليه يلتهم نحلوق السهاء مخلوق الأرض يمنح الأمل المُختلف في أرض جديدة وسهاء جديدة، وفي علاقة جديدة بينهها – فالنسر الخطير الذي يصادق حيّة بلدية هو واحد من تلميحات كثيرة إلى «هكذا تكلم زاردشت» لدنيتشه التي تتخلل البيان.

إن اجتماع محجوبي الوجه، ومجهولي الهوية، يتضمن أولئك الذين الآن يتبنون هذا المصير، إنهم كل واحد ولا أحد أو الزاباتيستيون المقنعون ومجهولو الهوية، إنهم يصفون أنفسهم بقولهم:

[...] نحن الذين بلا وجه ولا اسم، نحن الذين يدعون أنفسهم بد «محترفي الأمل»، نحن الأكثر عرضة للموت بين الجميع الـ «منتهِكين للظلم»،

نحن الذين هم الجبل، نحن ذوو المشي الليلي الذين ليس لهم صوت داخل القصور، نحن الأجانب فوق أرضنا الخاصة، الموتى تماماً، نحن محرومو التاريخ، نحن أولئك الذين لا وطن لهم ولا غد، ذوو الغضب الحنون، والحقيقة المكشوفة القناع، وذوو ليل الازدراء الطويل، نحن الرجال والنساء الحقيقيون... نحن أصغر الناس... الأكرمون... الأخيرون... الأفضلون (Ponce de León, 19).

إن الالتزام بقول الحقيقة والحصول على مكان يمكن فيه فعل ذلك - فيما وراء الحياة - أصبح يميز ذاتية الزاباتيستا المقاومة، فحرمان الذات أو أن يصبح المرء ميتاً كلية هو تخلِّ عن الأمل في الحرية باسم الكرامة، إن المقاوم هو لا أحد والجميع، حي لكنه ميت سلفاً، ميت لكنه ما يزال حياً، ثم يكشف البيان «من هو خلفنا، من يُرشد كلماتنا، من يحكم فؤادنا، من يُرشد كلماتنا، من يحيا بموتنا؟» (Ponce de León, ۱۹). إن الاسم الذي أعلنه «أكثر أجدادنا بعداً» في «هذا الليل الطويل من موتنا» هو المقاوم الأزلي - مايان فوتان وولد من جديد في زاباتا وفي كل مقاومي التاريخ المكسيكي، والذي مات وولد من جديد من الزباتيستين، فقد جاءت كلمة المقاومة منه عبر «أفواه أمواتنا، من أفواه أكثر أسلافنا القدماء علماً» (Ponce de León, ۲۰). (Ponce de León, ۲۰). جرى تبني فوتان أو اسم المقاومة من جانب اجتماع المقاومين بمن فيهم جيش جيش التحرر الوطني:

⁽٣٥) الإشارة إلى البطل الثقافي لجماعات المايا الذي ارتبطت أعماله الأسطورية مع التقاليد القديمة لأسطورة الأزتك Aztec والمايا Maya [المترجم].

تسليح الغضب الحنون، اسم مجهول، سلام ظالم تحوّل إلى حرب. موت يُولد. حزن يتحول إلى أمل، ألم يبتسم، صراخ صامت، حاضر شخصي لمستقبل غريب، كل شيء للجميع، ولا شيء لنا، نحن مجهولو الاسم، الأموات دوماً. نحن جيش زاباتيستا للتحرر الوطنى (٢٠).

ينتهي البيان بالحقيقة القائلة: إن المقاوم يحيا في «موت مُميت» وإن سير المقاوم الذي «كان ولم يكن من هذه الأراضي»، والذي استرشد بالنجم النيتشي الراقص يصبح رقص الجَمعية، إنه الحياة الإثباتية للمقاومة، للحقيقة التي يستقبلها «القلب الراقص».

-v-v الذاتية المقاومة لدى جينيه:

رفض جان جينيه الدعوة لتوقيع «بيان الـ ١٢١» وبقي ثابتاً على هذا الموقف حتى النهاية: «إن موقفي هو موقف المتشرّد، وليس موقف الثوري» (Genet ٢٠٠٤, ٤٣) (Genet ٢٠٠٤, ٤٣) (الفض جينيه أيضاً توقيع التهاس يدعم الفهود السود، وفضّل السفر بشكل غير شرعي إلى الولايات المتحدة الأمريكية للمشاركة في حياتهم المقاومة، ولاحقاً – ولأسباب مماثلة – عاش مع الفدائيين المنكوبين، وأرّخ بتأن كسوفهم. لقد رأى نفسه مقاوماً أولاً وقبل كل شيء، وليس ثائراً، شخصاً عاش حياة مقاومة في مواجهة خطاب غش النفس من طرف الدولة وخصومها الثوريين على حدّ سواء.

ماذا كان هدف مقاومة جينيه؟ لقد رأى نفسه أولاً، وقبل كل شيء مقاوماً للوحشية، ومن ناحية أخرى ومباشرة تقريباً - وكجزء من الحركة نفسها - رأى

⁽٣٦) انظر إلى مقالة آن كاريغان An Carrigan «تشياباس، أول ثورة ما بعد حديثة» في Ponce (٣٦) انظر إلى مقالة آن كاريغان de León, ٤١٩

نفسه بأنه يقاوم توحش المقاومة نفسها. وإذا أردنا أن نسأل باسم منْ قاوم؟ فقد يكون الجواب باسم كِياسة البدايات. ويتضح أثر مقاومة جينيه للوحشية ولتوحش المقاومة في كل المواقف الإشكالية التي تبناها إلى جانب الفهود السود والفلسطينيين وجماعة الجيش الأحمر Red Army Faction في ألمانيا الغربية. شدد جينيه على الدوام أنه وقف إلى جانب تلك الحركات وليس ضمنها أبداً. فقد اقتضت مقاومته أن يقول: «أينها أكنْ سأظل دوماً أشعر أنني مرتبط مع أي حركة تؤدي إلى تحرر الناس، الآن وهنا إنني مرتبط مع حزب الفهود السود وأنا هنا بجانبهم لأنني إلى جانبهم» (Genet ۲۰۰٤, ۲۹). إنه مرتبط بالحركات التي تحضّ على التحرر ولا تتعهد بإنجازه (الحركات المُتحدية). إنه يقف بجانب الصفوف لكنه لا ينضم إليها، وهو يفعل ذلك فقط من أجل الآن وهنا وليس للأبد أبداً. فهو يقف في كل واحدة من تلك الحالات إلى جانب السجناء، إلى جانب الفهود السود المسجونين في الولايات المتحدة الأمريكية والفلسطينيين المحاصرين في الضفة الغربية بعد أيلول / سبتمبر الأسود، وإلى جانب أعضاء جماعة الجيش الأحمر المسجونين في سجن ستامهايم Stammheim ذي الحراسة المشددة.

إن مقاومة جينيه المثيرة للإعجاب ضد الوحشية بكل أشكالها توجد ضمناً في كل رواياته عن السجن، لكنها تُعلن صراحة في مواقفه السياسية اللاحقة، فهو يقوم بالتعبير عنها بأشد الوضوح وبشكل جدالي في مقالته في اللوموند Le Monde التي تحمل عنوان «العنف والوحشية»، إذ تصبح «الإيهاءة الوحشية هي تلك التي توقف عملاً حراً وتكبته» (١٧١، ٢٠٠٤). إن الوحشية تكبت البدايات وتحطم المستقبل وتحشر ضحاياها في حاضر حبيس الوحشية تكبت البدايات وتحطم المستقبل وتحشر ضحاياها في حاضر حبيس الأ أمل في الهروب منه سوى عبر التحدي، ففي المقدمة التي كتبها لكتاب

جورج جاكسون George Jackson الذي يحمل عنوان الإخوة سوليداد (٣٧٥) The Soledad Brothers يصف جينيه العنصرية في سجون الولايات المتحدة الأمريكية بناءً على الوحشية. هناك تظهر الوحشية كما هي:

إنها موجودة هناك فهي سرية، وليست بتلك السرية، وهي غبية وأكثر تعقيداً من عين النمر، إنها فقدان للحياة ومصدر ألم، وهي كتلة هامدة وشحنة مشعة، إنها مكشوفة للجميع ومع ذلك فهي مُخبأة. ويمكننا القول: إن العنصرية موجودة هنا في حالتها الصرف، إنها حذرة بشدة، وهي وقادة وجاهزة للوثب (Genet ۲۰۰٤, ۵۲).

تُتَحمَّل في السجن الوحشية بوصفها سراً معروفاً جداً وضاراً. إنها غبية وفظة، لكنها أيضاً قادرة على الحسابات المعقدة الفتاكة «مثل عين النمر». إنها فقدان للحياة ومصدر ألم، وهي مشعة، لكنها لا تكبر بالضوء في ظروف السجن. إن العنصرية سواء في السجن أم في خارجه هي بالنسبة إلى جينيه واحدة من أبشع المظاهر التي تتخذها الوحشية. إنها متصلبة وكلية الانتشار في مؤسسات الدولة، وكان يجب مقاومتها بأي ثمن.

رأى جينيه الوحشية أيضاً في اضطهاد الفلسطينيين بشكله الأكثر إيلاماً في إفادته عن مجزرة المدنيين الفلسطينيين في مخيات اللاجئين في بيروت بين ١٦ و١٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢ تحت عنوان «أربع ساعات في

⁽٣٧) هو كتاب رسائل من السجن كتبها جورج جاكسون (١٩٤١-١٩٧١) الكاتب الماركسي والناشط اليساري الأمريكي من أصل إفريقي. إضافة إلى جاكسون فقد ضم سجن مدينة سوليداد في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية كلاً من فليتا درمغول Fleeta Drumgoole وجون كلاتشيت John Clutchette وهم جميعهم من حزب الفهود السود وقد اتُّهموا بقتل سجين أبيض اسمه جون فينسينت ميلز John كانون الثاني ١٩٧٠ [المترجم].

شاتيلا». يصف بالكلمات الآتية دخول القوّات (الإسرائيلية) إلى بيروت الغربية بعد انسحاب منظمة التحرير الفلسطينية بوساطة دولية: «إن همجيتهم سبقتهم»، وقارن أفراد الجنود المضطجعين وأرجلهم ممتدة أمامهم مع «الأفاعي المفترسة» (Genet ۲۰۰٤, ۲۱۲)، إنهم يبدون بالنسبة إليه كأنهم صيادون وصلوا إلى بيروت الغربية بحثاً عن فريسة، ويضع جينيه الأحداث في شاتيلا ضمن تاريخ من العنف المتوحش ضد الفلسطينين.

منذ البداية مساء الخميس أرهفت الآذان (الإسرائيلية) السمع إلى مخيم شاتيلا المضاء بالشعلات الضوئية (الإسرائيلية)، يا له من ابتهاج! يا لها من عربدة تلك التي حصلت هناك! لقد بدا أن الموت يشترك في لهو الجنود السكارى من الخمر، السكارى من البغض، والسكارى من دون شك من سرور إرضاء الجيش (الإسرائيلي)، وهو يسمعهم ويشاهدهم، وهو يشجعهم ويحرضهم. لم أرّ الجيش (الإسرائيلي) يستمع ويشاهد. لقد رأيت ما ترك خلفه (٢٠٠٤, ٢٢١) (Genet ٢٠٠٤,

عد جينيه الهجوم الوحشي على اللاجئين الفلسطينيين بعد مغادرة الفلسطينيين السُلحين بأنه متواصل مع رفض قبول إنسانية الفلسطينيين، وفي لحظة ما وكأنه يحاول الهروب من ذاكرة الموتى والنساء العاجزات المنتهكات اللواتي رآهن في شاتيلا، يستطرد – عبر تذكره بسرور – النساء اللواتي اجتمع بهن في جبل الحسين، وهو اجتهاع استحضره جينيه أيضاً في «سجين الحب» بهن في جبل الحسين، وهو اجتهاع استحضره العجائز إلى الثورة ولا إلى المقاومة الفلسطينية، وكانت بشاشتهن بشاشة توقفت عن الأمل» (٢١٠٤). ثم يقطع هذا الذاكرة الحلوة بعودة سريعة إلى حاضره الوحشي:

⁽٣٨) إن أحد أعمال ديريدا الأخيرة هو دراسة (الأزعر voyou) التي يُعلن جينيه نفسه مناصرتها.

إذا ما صادف أن جندياً أردنياً مر بهن فسوف يبتهج وسوف يسمع في إيقاع كلماتهن إيقاع الرقصات البدوية، وفيها لو رأى جندي (إسرائيلي) تلك فسوف يُفرغ بندقيته الآلية في جماجمهن من دون أي كلمات (٢١٠٤).

إن الهدف من هذه المقارنة هو إظهار أن كلا الجنديين: (الإسرائيلي) والأردني عدوان لدودان للفلسطينيين، لكن ردة فعل الجندي الأردني أظهرت لباقة، بل لحظة تواطؤ، في حين كانت ردة فعل الجندي (الإسرائيلي) مجرّدة وذات عنف أصم.

وفي مقابلة أُجريت في فينا في ٦-٧ كانون الأوّل / ديسمبر ١٩٨٣ بعد سنة من شاتيلا أكّد جينيه رؤيته للوحشية (الإسرائيلية) تجاه الفلسطينيين بتوضيح الفرق الجدلي بين الوحشية والعنف الذي كان قد طوّره قبلاً في مقالة في اللوموند في ٢ أيلول / سبتمبر ١٩٧٧ عن جماعة الجيش الأحمر (٣٠٠). شدد جينيه على الفرق بين الوحشية والعنف رافضاً مجرد قبول افتراض المقارنة بينها.

أخشى أنك تخلط بين العنف والوحشية، سوف أقوم بدفعك، لا أقصد الإهانة. أنا أتصرف بوحشية... الآن، إذ ما حجزتك مثل هذا لأمنعك من السقوط فإنني عنيف من دون شك، لكنني أمنعك من السقوط. هذا ليس الشيء نفسه ألا تعتقد ذلك؟ (Genet ۲۰۰٤, ۲٤٥)، ثم يتابع:

⁽٣٩) بعد صفحتين يعود جينيه إلى ما بعد العنف الوحشي ضد غير المحاربين ويؤكد «شراسة المجزرة» (Genet ٢٠٠٤, ٢٢٣).

أخشى أنك باختيارك للكلمات تخلط وحشية (الإسرائيليين) على سبيل المثال مع (عنف) الفلسطينيين الجيد في نظري على الأقل (٢٤٠٤).

لكن هذا التفريق ليس تفريقاً مطلقاً، وما هو بإيهاءة رومانسية ساذجة لأن جينيه يعي جيداً إمكانية أن يتحول العنف المقاوم إلى وحشية، إذ إنه يكرّس كتابه «سجين الحب» بالضبط لإظهار هذه الحالة المحددة، ويُظهر كيف أصبحوا عبر مسار نضالهم.

وفي مقالة جريدة «اللوموند» يتنقل جينيه بين مصطلحات العنف / اللاعنف، الوحشية والبلوى والتجربة، ويرى أن الحياة تتألف من حركة العنف واللاعنف:

إذا ما تمعنا في أي ظاهرة أساسية حتى بمعناها البيولوجي الأضيق نستطيع أن نفهم بأن العنف والحياة مترادفان عملياً. فبذرة القمح التي تنبت وتخترق الأرض المتجلّدة، ومنقار فرخ الدجاج الذي يشق قشرة البيضة، وإخصاب المرأة، وولادة طفل: كل هذه الظواهر يمكن أن تُعد عنيفة (Genet ۲۰۰٤, ۱۷۱).

إن هذه الظاهرة الحيوية الخاصة بنشوء حياة جديدة؛ أي هذا الانفصال الجنيني مع ما كان والبدء بشيء جديد عندما يُخضِع إلى قانون ويُوضع تحت الاختبار، فإن مثل هذا العنف يتخذ شكلاً جديداً، شكلاً متوحشاً: "فالجميع يعرف بشكل غامض نوعاً ما أن هاتين الكلمتين:

التجربة والعنف تخبئان كلمة ثالثة ألا وهي: الوحشية» ، ١٤، ١٤٠ كي ١٧١. لكن الوحشية هي عنف مناقض لنفسه، هي عنف يتدخل كي يعارض العنف أو يحكم عليه. «مرة ثانية إنني أقصد بذلك ديناميكية غير متقطعة، ألا وهي الحياة نفسها» (٢٠٠٤, ١٧٢) (Genet ٢٠٠٤) وعندما يُخضع العنف للمحاكمة أي عندما يُستخدم من أجل هدف فإنه يجازف بفقدان براءة صيرورته من خلال وحشنة نفسه ووحشنة عدوه.

يبدأ جينيه بتسجيل قائمة من «الأشكال غير المتوقعة» التي تتخذها الوحشية وهي: الطراز المعاري والعنصرية والاستعارية... فحسب كي يستنتج أن أشكال الوحشية تلك هي جوقة - بل أكثر من ذلك إنها ذاتية المتدمير - «إنها وحشية سوف تدمّر نفسها عبر تجاوزاتها الخاصة، كما أنها تمسح نفسها وتزيلها في نهاية المطاف عندما تُواجَه بالعنف» (٢٠٠٤, ١٧٢). إن الوحشية تستدعي المقاومة العنيفة للحياة: «إنها عنف تفتح البرعم، عنف يحرّك فينا المشاعر ضد كل التوقعات وكل العوائق» (٢٠٠٤, ١٧٢). كما يزعم جينيه أن جماعة الجيش الأحمر «لم يسمحوا أبداً لعنفهم أن يتحوّل إلى وحشية خالصة، لأنهم يعرفون أنهم سوف يتحولون مباشرة إلى العدو الذي يقاتلونه» (Genet ٢٠٠٤, ١٧٣). لكن جينيه يعي جيداً أن العنف يمكن أن يتحوّل بسهولة إلى وحشية، وأنه دوماً على وشك فعل ذلك، وقد وجد جينيه أن تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية يؤكد هذا التحوّل.

⁽٤٠) كُتبت كتصدير لمجموعة نصوص سلاح الجو الملكي الموسومة بـ "نصوص "جماعة الجيش الأحمر" والحروف الأخيرة من أولريك ماينهوف" Armée Rouge" et dernières letters d'Ulrike Meinhof, Maspero Paris ۱۹۷۸

إن جينيه يقف إلى جانب أولئك الذين يقاومون، لكنه بالمقابل سوف يقاومهم عندما يذعنون للوحشية، عندما يفقدون لطافتهم تجاه عدوهم وتجاه أنفسهم. إنها حركة يراها تتحقق في تحويل التمرد أو المقاومة إلى ثورة منظمة. وباختصار إن جينيه معاد للثوري، فهو مقاوم يستمر في مقاومة الثورة التي أثارها بنفسه، وهو صريح كل الصراحة في مقابلته مع هيربيرت فيخته Herbert Fichte:

أنا لستُ بكل ذاك الشوق لحصول الثورة... ولو كان هناك من ثورة حقيقية قد لا أقدر أن أقف ضدها، وسوف تحصل موالاة، وأنا لست من ذاك الصنف من الرجال: أنا لستُ رجل موالاة، بل إني رجل تمرّد (Genet ۲۰۰٤, ۱۳۲).

جاء هذا الاعتراف عقب نقاشه للفرق بين الثورة الشعرية أو الفنية والثورة السياسية الذي وضّح موضوع «الثورة المزدوجة» وهو موضوع كان مركزياً بالنسبة إلى التلاقي بين جينيه وحزب الفهود السود. في ذلك السياق وفي «الرسالة إلى المفكرين الأمريكيين» دعا جينيه إلى «مفردات وتراكيب جديدة قادرة على جعل كل فرد واعياً للنضال المزدوج الشعري والثوري معاً، والخاص بالحركات البيضاء الماثلة للفهود السود» (٢٠٠٤, وصراع داخلي بين ٢٣). إن النضال المزدوج الثورية، وهو بالنسبة إليه صراع موجود في ماو والفهود معاً، لكنه صراع يتعرّض بشكل دائم لخطر الانضباط الثوري الذي يولده، أي إنه يتعرّض لخطر تحوّل كياسة البدايات إلى وحشية المحاكمة يولده، أي إنه يتعرّض لخطر تحوّل كياسة البدايات إلى وحشية المحاكمة

والحكم، أو تحوّل «الوعي الثوري المبكر» إلى وحشية الثورة الثقافية كما هي الحال مع ماو في عشرينيات القرن العشرين.

إن عمل جينيه الأخير «سجين الحب» هو استحضار بارع، بل رثائي لتحول المقاومة الفلسطينية. ويكشف جينيه في آخر الكتاب دافعه لكتابته، ألا وهو البحث عن أسباب «انهيار المقاومة الفلسطينية» (Genet ۲۰۰٤, ٤٢٥). لم يكن ذلك الانهيار هو فشلها العسكري، فقد وصل جينيه إلى الأردن عندما كان ذلك أمراً واقعاً، بل هو توحشن المقاومة الذي تلا الانهيار، ومن المفارقة أن ذلك لم يتضمن أيّ تصعيد للعنف، بل إنه تضمن تغيراً في طبيعته، فالقتل جرى بناءً على تعليهات «عبر تحكم من بعد»، أي إنه كان مجرّد «قيام بالواجب» (Genet ۲۰۰۸, ٤٢٦)، ففي حين كان البدو يعدّون الفلسطينيين أعداءهم، لم يرد الفلسطينيون التحية بمثلها، وقد بدوا بالنسبة إلى جينيه وكأنهم يصطادون خصومهم كما لو أنهم كانوا فريسة. باختصار إن الفلسطينيين «لم يعدّوا البدو أعداءهم أبداً» (Genet ۲۰۰۸, ٤٢٦). إن رواية المخصصات المعلّبة من اللحم المحفوظ الذي استهلكه الفدائيون، والذي كان نتاج الذبح الصناعي البعيد لـ «ثور جرى قتله في لا بلاتان La Plata (ثور جرى قتله في لا بلاتان Genet ۲۰۰۸, ٤٢٦) وصف للطبيعة الوحشية المتزايدة التي اتخذها الكفاح الفلسطيني.

وفي روايته للزمن الذي أمضاه مع الفدائيين - أي الوقت الذي أمضاه مع السجناء «المحبوسين ضمن مساحة بطول ستين كيلومتراً وعرض أربعين»

⁽٤١) عاصمة إقليم بونيس أيريس Buenos Aires في الأرجنتين [المترجم].

وتكراراً إلى تحوّل المقاومة والتمرد إلى ثورة، ويتأمل في إحدى اللحظات قائلاً: وتكراراً إلى تحوّل المقاومة والتمرد إلى ثورة، ويتأمل في إحدى اللحظات قائلاً: «إنني قد لا أعرف أبداً فيها إذا كان عليّ أن أدعوها المقاومة الفلسطينية أو الثورة الفلسطينية» (Genet ۲۰۰۸, ۱۲٤). كان هذا مأزقاً مشتركاً، مأزقاً أصبح جينيه مرتاباً منه على نحو متزايد، ولاحقاً في «سجين الحب» يتملك جينيه كلاً من الشعور بالإعجاب بوجود أبي قاسم والشك في الوقت نفسه أنه «كان هدية لي من جانب القادة»، هدية «يُفترض أن تقنعني بجدية المقاومة. (وفي ذلك الوقت لم نستطع أن نقرر أي كلمة نستخدم: التحرر الفلسطيني أو المقاومة أو الثورة الفلسطينية)» (Genet ۲۰۰۸, ۲٥۸). بل إن الفدائيين أنفسهم لم يكونوا متأكدين فيها إذا كانوا مقاومين أو ثوريين، لكن الفرق كان أساسياً بالنسبة إلى متأكدين فيها إذا كانوا مقاومين أو ثوريين، لكن الفرق كان أساسياً بالنسبة إلى

اهتم جينيه برؤية مدى الخيانة الذي تعرّضت له المقاومة، أو مدى خيانتها لنفسها، وإلى أي مدى تمتّ وحشنتها، لتصبح ثورة تُدار من الأعلى، فلقد كان واعياً للسوابق، إذ إنه ذكر بشكل غامض في لحظة ما: «أن هناك حفريات لمقاومة أصبحت ثورةً في الثلاثينيات» (٢٣٠، ٢٣٠) وقد سبق له أن أوجز واحدة منها في تأمل آخر في الكفاح الفلسطيني في أثناء ثلاثينيات القرن العشرين:

تحوّل التنافس بين العائلات الرئيسة إلى حب للوطن فقد أصبح أعضاؤها الكبار أمراء حرب، وقد عدّتهم كل من إنكلترا وفرنسا زعاء خارجين عن القانون، وبعد عام ١٩٣٣ خدماً عند هتلر في الشرق الأوسط. لقد بدأت انطلاقة المقاومة الفلسطينية (١٠٩٨,١٠٩).

إن «سجين الحب» يمثل حيرة جينيه، فهل هو ينمّي بدايات المقاومة الفلسطينية؟ أو إنه يندب نهايتها وهي تتحول إلى الثورة الفلسطينية؟ «ما القصد من الحديث عن هذه الثورة؟» إنها أيضاً مثل جنازة تستمر مدّة طويلة، وأنا أنضم إلى الموكب بين الفينة والأخرى (Genet Y · · A, Y 19). يذكّر جينيه نفسه طوال الوقت بالفرق بين المقاوم السوقي resistant voyou و «حارس القانون والنظام» الذي قد يتحوّل إليه إذا ما انضم إلى الثورة. يجب أن يبقى متأهباً ويذكّر نفسه باستمرار «بالجهاد الذي يجب القيام به... ضد كل مغريات الثورات التي يخفي شعارها الظاهر مناشدات مخفية للانصياع» (Genet Y · · · A, ٣٣٦).

ليس هناك من شك أن جينيه يعدُّ تحوّل المقاومة الفلسطينية إلى ثورة تحوّلاً يجب عليه مقاومته، ولكنها مقاومة مختلفة بعض الشيء وموجهة ضد قادة الفلسطينيين والعائلات الثرية وممثليها، فقد حاول الحفاظ على التضامن مع الفدائيين وإنْ أصبح بصورة متزايدة يعدهم متواطئين، أي سجناء أنفسهم، ثمّة مثال مروّع وإنْ كان مرحاً على هذه الرؤية الثاقبة في مشهد من في «الشرفة» (١٤) المحدير بإدراجه هنا. فبعد تشريح لوحشية تسلية مصطنعة لدى مفكر فلسطيني في وصف الفدائيين لقطع رأس «وأعمال» أخرى «هو نفسه عدها وحشية وإجرامية» يبيّن جينيه أن ذاك الرجل «قد غرق سلفاً في الثورة» (Genet ۲۰۰۸, ۲٦۷). وكمثال على ذاك الرجل «قد غرق سلفاً في الثورة» (Genet ۲۰۰۸, ۲۹۷). وكمثال على توحّش المقاومة يصف جينيه ما رآه بأنه عادة فظة.

وقف مثله مثل قادة آخرين ليس أكثر وليس أقل، وقفة تباهٍ لحظة مجيء فدائي إلى مكتب عرفات. إن مثل هذا التكريم الجنائزي البارز كان بمنزلة

⁽٤٢) عنوان مسرحية من تأليف جان جينيه [المترجم].

بهرجة تجميلية، أو عملٍ سريع يخفي إحراجاً، فقد كان لزاماً على المقاتل الذي يجلب برقية أو فنجاناً من القهوة أو علبة لفائف تبغ أن يعلم القصد من ذلك: أي أنت بطل ولهذا فإنك في حكم الميت، ومن ثمَّ فإننا نقدم لك مظاهر الحفاوة التي يستحقها الشهيد ونبكي عليك مقدماً. إن لدينا نوابض تحت مقاعدنا تقذفنا نحو الحداد لحظة دخول البطل (Genet ۲۰۰۸, ۲٦۷).

إن هذه الإيهاءة المرائية والآلية بالنسبة إلى جينيه ترمز إلى تحوّل العنف المقاوم والذاتية المقاومة إلى وحشية تراتبية منظّمة تخدم نفسها، ولم يكن التعامل مع شخص ما كما لو أنه ميت، هو الأمر المتوحش (٢٠٠ فحسب، بل إن ما كان متوحشاً أيضاً هو الإحساس بأن ذلك كان حكم موت مصحوباً بتهنئة النفس لدى من أصدروه، وليس لديهم النية في طلب الشهادة بأنفسهم. إن الضحية أو «الرجل الميّت الذي يجلب الجريدة سيرى قيره الخاص المفتوح وذلك مع المسؤولين الواقفين حول القبر يقودونه نحو الآخرة ويفخرون بالبطل وبأنفسهم معاً» (Genet ۲۰۰۸, ۲٦۷). إن هذه هي بالنسبة إلى جينيه «عظمة القبر»، فقد شرح في جملة اعتراضية «إنني كتبت «الشاهدة» بداية، ثم شطبتها نظراً لوجود كلمات محفورة على شاهدة الغرانيت أو الرخام ولأن القبر الذي أتحدث عنه عميقاً، وهو غير موجود ولا يحمل تاريخاً أو اسماً» (Genet ۲۰۰۸,) ٢٦٧). إن هذه الجملة الاعتراضية المقاومة تسمح بإمكانية موت يحِمل اسماً، يُمحى في الوقت نفسه، مما يجعله موتاً وحشياً باسم شيء آخر: لقد كانت الثورة تحتفل باستغنائها عن ثوّارها الخاصين محاكية عبر تلك الإيماءة الاتهام الموجه إلى (إسرائيل) في «أربع ساعات في شاتيلا»: «بأنها تقتل الناس وتقتل الموتى».

⁽٤٣) وصف ولتر بينجامين سابقاً في مقالته «نقد العنف» (وهي نص مهم بالنسبة إلى أعضاء سلاح الجو الملكي) العنف الذي وحشنه الحُكم بأنه «عنف يحفظ القانون».

تستمر وضعية جينيه المقاومة عبر الكياسة واللباقة، فهي تُوصَف عبر المجازات النباتية نفسها التي ألهمت لوكسمبورغ، والتي خصص لها ديريدا قراءة متواصلة في «قرعة الناقوس» Glas. إن الشقوق في واجهة الوحشية المتصاعدة هي التي رأى جينيه فيها أيضاً أغصان بدايات جديدة وبراعمها، ففى تأمل متعلق بسيرته الذاتية مع نهاية «سجين الحب» تظهر سلسلة سردية رائعة تواجه المنطق العسكري والنباتي. ويستحضر جينيه زيارته الأولى إلى الشرق الأوسط كجندي استعماري فرنسي في دمشق، إضافة إلى دخوله الأول والوحيد إلى البنيان العسكري (برج إطلاق النار) الذي انهار في أول تجربة له. كانت الشقوق في إسمنت تلك «الكارثة الصغيرة الغريبة، إنها الضخمة [هي] التي هيأتني كي أصبح صديقاً للفلسطينيين» (Genet ۲۰۰۸, ۳۸٦)، كما يصف جينيه كيف رأى في سجونه بأن تلك «البذرة الواحدة، ذلك الشعاع الواحد من أشعة الشمس أو النصل من العشب يكفى لتحريك الغرانيت. لقد تم الأمر وتحطم السجن» (Genet ۲۰۰۸, ۲۸٦)، فقد تحوّل برج الإطلاق المشؤوم إلى فرنسا في أثناء الغزو الألماني، حيث «ظهرت الطحالب والإشنيات وأحياناً اللطف، بل أمور أغرب من ذلك، إنه نوع من الخليط المُستبشِر الطبيعي واللاطبقي» (Genet ۲۰۰۸, ۳۸۷). لقد أصبحت مقاومته وفاءً للبدايات المرهفة وللبراعم بدلاً من السيوف، وهرباً من الوحشية فإن عمله يقاوم باسم البدايات المرهفة، باسم تلك الأعمال الافتتاحية التي كما وصفها في خطاب الأول من أيّار / مايو «ذات طراوة تشبه بداية العالم» (Genet ۲۰۰٤, ۳۷). إن مقاربة تلك البدايات بعنف يعنى وحشنتها، وعوضاً عن ذلك يؤكد جينيه-وهو يتحدث آنذاك إلى الراديكاليين البيض بين مستمعيه - أنه: «من المهم جداً - إذن - أن يتصر ف الراديكاليون البيض بصدق ويبقين، لكن بلطف أيضاً

عندما يتعلق الأمر بعلاقتهم مع السود» (Genet ۲۰۰٤, ٣٦). إن الذات المقاومة تتخذ موقفاً ضد الوحشية جنباً إلى جنب مع البدايات الغضة والضعيفة، كما تُبقى الزمن الذي وُعِدت وتَعِد فيه تلك البداية مفتوحاً، وهو الزمن المقدس» الذي اعترف جينيه في مقابلته مع أنطوان بورزيلير Anotoine الزمن المقدس» الذي اعترف جينيه في مقابلته مع أنطوان بورزيلير Genet ۲۰۰٤, ۱۸۹). إن تقصير ذاك الزمن يعد بمنزلة وحشية، في حين أن العبور بعنف بين أعمدة «جرس الناقوس» العائد لديريدا، التي تفصل الشبق النباتي لد جينيه عن فلسفة الروح المناقوس» العائد لديريدا، التي تفصل الشبق النباتي للجينيه عن فلسفة الروح المناقوس المنوح «واستثاره بلمح البصر تقريباً، وليل نهار تقريباً» وليل نهار تقريباً»

الفصل الرابع السيطرة الشاملة والمقدرة على المقاومة

خضعت نظرية المقاومة لأقسى امتحان لها تحت السيطرة الشاملة لـ الرايخ "الثالث الاشتراكي القومي القومية وحلفائها النازيين حالةً قصوى بالنسبة إلى تحدي مقاومة الاشتراكية القومية وحلفائها النازيين حالةً قصوى بالنسبة إلى نظرية المقاومة، وأثار مسألة كيفية المقاومة في مواجهة التقويض المتعمّد لأي مقدرة متبقية على المقاومة. إن مسألة كيفية مقاومة السيطرة الشاملة أو كيفية الحفاظ على المقدرة على المقاومة في مواجهة هجوم متعمّد عليها عديم الرحمة ومستمر كانت مسألة عملية وفلسفية في آن واحد. فقد أدرك مقاومو الجيل ومنظروه المناهضون للنازية أن خطورة الهجوم ومضامينه لم تكن على الفعل السياسي فحسب، بل إنها كانت أيضاً على المتوحى من أن المرء كائن بشري، كما أنها خلّفت إرثاً فلسفياً بقى بعد هزيمة الاشتراكية القومية التاريخية.

إن معادلة السيطرة الشاملة وتدمير أي مقدرة على المقاومة أصبحت واضحة بفظاظة مع الاشتراكية القومية، إذ إن التجربة التاريخية للسيطرة الشاملة تُجسّد القانون المقلوب الذي يحكم المقدرة على المقاومة، ألا وهو: بقدر ما يزداد

⁽٤٤) الرايخ هو اسم ألمانيا أو الإمبراطورية الألمانية المقدَّسة. إن الرايخ الأول يمتد من تاريخ تأسيس الإمبراطورية الرومانية المقدَّسة عام ٩٦٢ حتى انحلالها عام ١٨٠٦ والرايخ الثاني هو الإمبراطورية الألمانية منذ ١٨٧١ وحتى ١٩١٨ أما الرايخ الثالث فهو الدولة النازية من ١٩٣٥ حتى ١٩٤٥ أي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية واندحار النازية [المترجم].

طرف بقدر ما ينقص الآخر، لكن حدة هذه الحالة القصوى أظهرت أن هذا القانون المعكوس كان على الدوام وما يزال سارياً بحياء في جميع سياقات ما وصفه ماكس فيبر Max Weber بالسيطرة «الشرعية» – سواء أكانت تقليدية أم متعلقة بالموهبة أم قانونية – منطقية. كما أن إضافة آرنت Arendt «للسيطرة الشاملة» على تصنيف فيبر جددت بشكل واع نظرية السيطرة على ضوء الاشتراكية القومية. لقد توجه بحثها في أصول الشمولية» The Origins of Totalitarianism نحو معالجة مصير المقاومة في مواجهة اختزالها في كثافة قاربت الصفر في ظل السيطرة الشاملة، لكن عملها افتقر إلى مفهوم القدرة على المقاومة المشهور بأنه مقولة «اجتماعية» أكثر عملها افتقر إلى مفهوم القدرة على المقاومة المشهور بأنه مقولة «اجتماعية» أكثر وبإغفالها لمقاومة المستعمرين. إن الاستهانة بالمقدرة على المقاومة هي نقطة ضعف وبإغفالها لمقاومة السياسية، لكنها استهانة شائعة في كثير من محاولات فهم المقاومة تحت السيطرة الشاملة.

يتعلق جزء كبير من المشكلة بتقييم حالة المقدرة على المقاومة، سواء في المجتمعات التي تهيمن عليها الاشتراكية القومية، أم في الحالة المتطرفة لمحاولة إخماد تلك المقدرة عبر نظام معسكر الاعتقال، فقد نجت المقدرة على المقاومة حتى من سطوة القمع الشّرطي والعسكري ووجدت نفسها مُبعدة عن مظاهر المقاومة الرسمية باتجاه تعبيرات شڤيكية(٥٠) Schweikian غير مباشرة، بل مكتومة. إن

⁽٤٥) نسبة إلى أسلوب المقاومة الذي أتبعه بطل رواية الكاتب التشيكي يارُسلاڤ هاتشِك (٤٥) نسبة إلى أسلوب المقاومة الذي أتبعه بطل رواية الكاتب التشيك الطيب شقيك (١٩٢٣–١٨٨٣) Svejk During the ،The Fateful Adventures of the Good Soldier في الحرب العالمية World War وعنوانها باللغة الأصل هو World War وهو أسلوب المقاومة اليومية والسليبة [المترجم].

التركيز على حالة القدرة على المقاومة هو الذي يمكن من خلاله شرح كثير من المعضلات التي تحيط بتعريف المقاومة على أساس النية الواعية، فعلى سبيل المثال إن سؤال بيير لابوري Pierre Laborie فيها إذا كان ممكناً أن تتم «المقاومة من دون الانههاك في مقاومة» هو سؤال في غير موضعه بتاتاً، لأن موضوع الخلاف هنا هو المقدرة التي تشهد عليها تلك الأعهال المنفصلة وليس دافعها، وعلى نحو مشابه فإن ادعاء لابوري أن «أعهال المقاومة هي فحسب تلك الأعهال المنجزة بقصد خدمة هدف مشترك باسم قضية سامية» (Marcot, ٣٥) هو ادعاء يوضح مجموعة صغيرة من الأعهال ويغفل أعهال مقدرة أعم على المقاومة وتعمل على مستويات مقدرة أوسع على المقاومة المتهايزة التي تقوم بها الذات المقاومة تفترض وجود مقدرة أوسع على المقاومة. إن إدراك الاستمرارية بين التكوين اليومي والمخفي مقدرة أوسع على المقاومة الأكثر استعراضية من المقاومة المنظمة «الواعية»، هو أمر ضروري لفهم بقاء المقاومة في ظل السيطرة الشاملة، إذ يتضح ذلك في الدليل التاريخي للمقاومة المباشرة وغير المباشرة ضمن مجتمعات تحت السيطرة التاريخي للمقاومة المباشرة وغير المباشرة ضمن مجتمعات تحت السيطرة التاريخي المقاومة المباشرة وغير المباشرة ضمن مجتمعات تحت السيطرة التاريخي المقاومة المباشرة وغير المباشرة ضمن مجتمعات تحت السيطرة التاريخي المقاومة المباشرة وغير المباشرة ضمن مجتمعات تحت السيطرة التاريخي المقاومة المباشرة وغير المباشرة ضمن مجتمعات تحت السيطرة التاريخي المقاومة المباشرة وغير المباشرة ضمن مجتمعات تحت السيطرة التاركية القومية، بل حتى ضمن المعسكرات نفسهان».

⁽٤٦) هذا هو درس جيمس سي. سكوت James C. Scot الذي طُبِّق في سياق الاشتراكية القومية في دراسة ديتيلف بوكيرت Detlef Peukert لفنون المقاومة التي مارسها الشعب الألماني في أثناء الرايخ الثالث. فاعتهاداً على ملفات الغستابو Gestapo يصف بوكيرت نشوء المقدرة على المقاومة في الحياة اليومية وفي الثقافات الفرعية للشباب، وهي مقدرة يُعبَّر عنها عبر أذواق في الموسيقا والرقص والتأرجح واللباس «وقراصنة إيديلويس يُعبَّر عنها عبر أذواق في الموسيقا والرقص والتأرجح واللباس «وقراصنة ايديلويس للمقاومة الفلاحية في ماليزيا هي تشابهات مدهشة، مع فارق وهو أن السلطات الاشتراكية القومية كانت واعية جداً للتحدي، وقد مسحتها باستمرار وأخضعتها بهوس إلى كبت روتيني لافت.

استشهدت أعمال القمع والمقاومات اللاحقة على نحو متكرر بالتجربة التاريخية للمعسكرات وبالظروف شبه الصفرية للمقاومة، فقد كان الاستشهاد بالقمع الاشتراكي القومي والمقاومة ضده أمراً أساسياً بالنسبة إلى معسكر السلام لنساء غرينهام كومون، إذ أقامت المقاومات صلة مباشرة بين مقاومتهن " الخاصة والمقاومة التاريخية ضد النازية، وذلك من خلال وصف الهجوم الذري بأنه إبادة جماعية، ووصف السياج العسكري بأنه معسكر اعتقال، أما ما هو أكثر إثارة للدهشة، بل من الصعوبة بمكان فهمه، فهو التهاهي الذاتي المستمر لدى الدولة البريطانية وشرطتها مع ذكرى الطاغية الاشتراكي القومي، فعلاوة على خطاب «الاجتثاث» النازى الذي استخدمته رئيسة الوزراء في حينها مارغريت ثاتشر بخصوص نساء غرينهام كومون، وصفت السلطات مخططاتها لإخلاء المقاومات عام ١٩٨٤ بأنها «الحل الأخير» (Junor, ١٥) (١٥٠). إن هذا الاستشهاد بالقومية الاشتراكية مهم كان ساخراً قد هيمن حتى على روتينيات الكبت اليومية في غرينهام، وذلك بإغلاق المنافذ إلى (الكولبة Portakabin) المُستخدمة لحبس المقاومات، مما حفّز الشرطة كي تتندر: «الآن سوف نغلق الباب ونفتح الغاز» (Junor, ١٥١). إذ إن رغبة الشرطة في التماهي مع حراس معسكرات اعتقال الـ S. S مها يكن مستوى السخرية السمجة

Wannsee في مؤتمر وانسي الخل الأخير للمسألة اليهودية في أوروبا» الذي اتُفِق عليه في مؤتمر وانسي Conference هو بمعنى ما اقتباس مناسب بشكل ساخر، وبها أن «الحل الأخير» له غرينهام يبدو أيضاً أنه ظهر في مؤتمر لأطراف رسمية مهتمة بكبت الاحتجاج، وقد أشار عضو البرلمان بوب كلي Bob Clay في البرلمان في ٥ نيسان / أبريل إلي «مؤامرة» بين وزارة الدفاع ووزارة النقل ومجلس منطقة بيركشير والشرطة كي يوقفوا الاحتجاج عبر خطة تعريض الشارع.

⁽٤٨) اختصار لكلمة Schutzstaffel وتعني قوة الحماية التي شكلها هتلر عام ١٩٢٥ كمجموعة من الحرس الشخصي وتطورت لاحقاً مع الحكومة النازية لتصبح دولة ضمن دولة بسبب ضخامتها وقوتها [المترجم].

تؤكد استمرار ذكرى الاشتراكية القومية، ليس في المارسة لدى المقاومة وحسب، بل أيضاً في القمع عبر المقاومة المضادة.

٤ - ١ - نظريات المقاومة ضد الفاشية:

يكتسب التأمل بالمقدرة على المقاومة أهمية خاصة في حالة السيطرة الشاملة، فعند الاقتراب من حد المقاومة الصفرية، من المهم تذكر الخطب المتنوعة للوعي والعنف والإبداع والفضيلة والدواء الحيوي الذي يؤثر في التعبير عن المقدرة على المقاومة، ومن المهم عدم تفضيل أيّ من هذه الخطب مثل الوعي في فهم المقاومة في ظل السيطرة الشاملة، إذ إن المقدرة على المقاومة تتضمن كما رأينا أعمالاً متعددة وهي: العنف وتعطيلات متحدية لمسار العالم عبر الإضرابات والتخريب والتغيير، إضافة إلى المعاناة والتضامن وإشارات دعم خفية، كما أن لها أيضاً صلات متفاوتة مع «أهداف سامية» مثل الثورة والإصلاح والتحرر والقمع يمكنها أن تتحالف معها من دون أن تعتمد عليها، ومن المهم جداً تذكّر هذا الامتداد للمقدرة على المقاومة عند التأمل في غيربة النازية ومناهضتها.

إن أحد الانشغالات الرئيسة للنظرية الماركسية في ثلاثينيات القرن العشرين هو فهم حدود مقاومة النازية والفاشية وإمكاناتها، لكن ذلك كان نسخة من الماركسية سبق أن أبعدت نفسها عن مشكلة الوعي الذي هيمن على التجربة اللينينة، فقد أدى التركيز الحصري على الوعي لدى بعض ماركسيي بداية القرن العشرين إلى التقليل من قيمة مفهوم المقاومة الذي تمت مواجهته عبر نقد الوعي في عمل كل من لوكاش ضمن الماركسية وعمل فرويد خارجها. إن إحدى نتائج ترحيل الوعي إلى هوامش الفعل السياسي هي إعادة خارجها.

ظهور المقاومة بوصفها تعبيراً عن الجديد عن غير المسبوق أو عن المسيحاني - أي هي فهم إيجابي للمقاومة صيغ وفقاً للانقطاع والإبداع بدلاً من الوعي. إن فرقعات المقاومة عند لينين التي كان مصيرها الاختفاء في ظلمة التاريخ ما لم ترتفع إلى ضوء الوعي الثوري أصبحت الملهم لإعادة لوكاش التفكير في التاريخ فيها يتخطى الوعي، كها أن شرارات أو فرقعات المقاومة تعود لتظهر أيضاً في فهم بينجامين Benjamin لـ«شرائح الزمن» المستحضرة في أطروحات أيضاً في فلسفة التاريخ» Benjamin لـ«شرائح الزمن» المستحضرة في أطروحات أيضاً يتأمل فيها إذا كانت النقلة من الوعي نحو القوة وعلى ما يبدو نحو الجديد وغير المسبوق قد سمحت ببروز فكرة مقاومة أكثر ظلمة بوصفها حيلة ضرورية لتقوية القمع. باختصار يتطلب القمع مقاومة.

ليست الصعوبات التي ولدها مفهوم المقاومة هي وحدها ما آمل أنه أحذ يصبح أكثر وضوحاً، بل أيضاً خطورة وتعقيد مسألة كيفية المقاومة. لقد أصبح ذلك بؤرة محددة لتساؤل غرامشي وبينجامين عن كيفية مقاومة الفاشية أولاً، ومن ثم كيفية مقاومة السيطرة الشاملة للنازية. فها هي الإمكانات المتاحة لمقاومة الأنظمة السياسية القمعية التي توظف طاقات هائلة تنظيمية وسجنية في مقاومة المقاومة؟ إن إحدى مقاربات غرامشي وبينجامين المهمة لهذه المسألة تضمنت تحديد العداوة: فمن هو أو ما هو العدو الذي سيتُقاوَم؟ أدرك لوكاش وفرويد أن المقاومة لا تعمل في بيئة من العداوة العلنية: ماذا أو من هو الذي سوف يُقاوم ومن جانب من وبأي طريقة ومتى؟ لم يكن ذلك جلياً مباشرة ولم يكن واضحاً فيها إذا كان العدو والسياسية، أو هو مجتمع التبادل السلعي المتمدي. لقد كان من الضروري

بالنسبة إلى فرويد مقاربة المسألة بطريقة مختلفة: هل نقاوم حدثاً مكبوتاً أو خيالاً، أو أن ذلك ما هو إلا مقاومة تعمل بتواطؤ مع الكبت؟ وباختصار إن أي محاولة للإجابة عن السؤال عن كيفية المقاومة يتضمن رأياً بخصوص ماذا أم من هو الذي سوف يُقاوَم؟ سواء أكان موضوعاً آخر مثل الطبقة البورجوازية أم الحزب الفاشي أو التعبيرات المؤسساتية للسيطرة السياسية والاقتصادية؟ من، وماذا، وأين، ومتى يُقاوم العدو؟

أصبح هذا السؤال مُلحاً للغاية في المقاومات ضد الفاشية والنازية، إذ بلت درجة الكبت القصوى وكأنها توضح ماذا ومن هو الذي سوف يُقاوم. عبر كل من غرامشي وبينجامين وهما يكتبان من السجن عن شكوكها بخصوص هذا الوضوح الظاهر، فصاغ كل منها تأملاته الرئيسة بشأن المقاومة ضد الفاشية والنازية، في حين كانا رهن التوقيف، فقد بدأت «كواديرني» in quaderni غرامشي أو «مذكراته» في السجن عام ١٩٢٩ في حين اكتملت نسخة من أُطروحات عن الفلسفة والتاريخ» لدى بينجامين في معسكر اعتقال فرنسي وجرت قراءتها لزملاء السجن. استعمل كلاهما الصيغة المناسبة للتأمل ضمن ظروف السجن.

إن من بين أكثر سهات تأمل غرامشي إثارة بشأن ظروف إمكان المقاومة، هي تأكيد الإبداع وتثمينه للمنطق العسكري للطاعة والمقاومة وتقويضه البارع لأي تركيز على الوعي. ليس من الواضح كلية إلى أي مدى كان ذلك التركيز على الإبداع يعود إلى مثالية كروتشي (") Croce أو

⁽ ع) الإشارة هنا إلى الفيلسوف والمؤرخ ا**لإيطالي بينيديتو كروتشي (۱۸۶**۹ – ۱۸۹۹ – Benedetto (Croce الإيطالي بينيديتو كروتشي (۱۸۹۹ – ۱۸۹۹).

بيرغسون (١٠٠٠) Bergson وربيا عاد إلى كليهيا، لكن ذلك التركيز قاده إلى التشديد على أهمية الفعل الخلّاق في المقاومة، ويمكن سلفاً رؤية خروجه عن خطب الوعي والقوة باتجاه خطب تخص الإبداع في هذه المقطوعة المبكرة عام ١٩١٥:

إن الدولية International هي عمل الروح، فهي الوعي الذي يمتلكه بروليتاريو العالم أجمع، بحيث يشكّلون وحدة ... حزمة (fascio) من القوى المتحدة في ثورة، على الرغم من أنها ذات تنوع في سلوكياتها القومية وذات هدف مشترك، وهو استبدال عامل الإنتاج في دينامكية التاريخ بعامل الرأسهال أي بالثوران العنيف للطبقة العاملة التي إلى الآن هي دون تاريخ، أو ذات تاريخ كان كامناً وحسب، وهي متحدة في الحركة الضخمة التي تولّد حياة العالم (Gramsci cited in Joll 1974, ۳۳).

إن ذلك قريب من «الثورة الخلاقة» هذه القطعة فهو الحركة عبر «عمل بيرغسون، أما الذي يُنجزه غرامشي في هذه القطعة فهو الحركة عبر «عمل الروح» من وعي قوة يعبّر عنها في الثورة (المقاومة) باستبدال الرأسهال بالبروليتاريا، بوصفها صاحبة المبادرة التاريخية، إن ذاك العمل من الإبدال الخيالي – عبر «الثوران العنيف» الذي حتى ذلك الحين كان من دون تاريخ ويستجيب لمبادرات رأس المال من موقع الحقد – يبدأ بالإثبات التاريخي للطبقة العاملة بوصفها «حياة العالم». إن الأمر الجوهري في هذه القطعة هو فهم الوحدة، أي هل ستتحد «حزمة القوى» تحت محكمة فأس الوعى ذات

⁽٥٠) الإشارة هنا إلى الفيلسوف الفرنسي هينري لوي بيرغسون (١٩٤١-١٩٤١) Louis Bergson

الرأسين، كما في صورة الحزمة (٥٠٠ fasces التي تبنتها الفاشية الإيطالية أو أنها سوف تُجمع بطريقة تحترم اختلافها؟

أخذ غرامشي من بيرغسون فكرة مؤداها: أن إحساسنا بالأجسام المكانية التي تواجهنا في العالم اعتمد على تجربة مُسبقة للزمان أو الديمومة durée فحتى الجسم الأكثر صلابة سوف يظهر بأنه عملية عند النظر إليه ضمن إطار زمني ممتد، مما يستدعي الافتراضات المتضمنة أن (أ) العالم مكوّن من عمليات وليس أشياء و(ب) أن مثل هذه العمليات تظهر على هيئة شيء وحسب، بسبب السرعات المختلفة التي تتحرك فيها نسبة إلى بعضها بعضاً وإلى المراقبين، ومن ثم تبدو الحالة في إطار زمني بوصفها شيئاً وفي إطار آخر بوصفها عملية. إن النتيجة المهمة لهذه الرؤية هي أن المقاومة يمكن أن تُفهم على أنها تدخّل في عملية بدلاً من مواجهة مع شيء. هذا الفهم لـ«حياة العالم» وفقاً لعمليات متقاطعة ومتصارعة تتحرك بسرعات تاريخية مختلفة سمح لـ غرامشي أن يُقدم وصفاً ذكياً للفعل السياسي بأنه حرب حركة ذات خيارات إستراتيجية تتوافق مع سرعات انتشار مختلفة. إن ذلك يظهر في أبهى صورة في تمييزه بين الحركة مع سرعات انتشار مختلفة. إن ذلك يظهر في أبهى صورة في تمييزه بين الحركة مع سرعات انتشار مختلفة. إن ذلك يظهر في أبهى صورة في تمييزه بين الحركة مع سرعات انتشار مختلفة. إن ذلك يظهر في أبهى صورة في تمييزه بين الحركة والخيوية» البطيئة والتغيير «الظرفي» سريع الحركة.

تتضح إعادة صياغة العلاقات الاجتهاعية في علاقات عسكرية طوال «مذكرات السجن»، إذ يزعم غرامشي في مرحلة ما أن: «الدولة هي فقط خندق ظاهري يوجد خلفه نظام قوي من القلاع والحواجز» (Gramsci 19V1, YTA) (وهو ما دعاه ألتوسير لاحقاً أجهزة الدولة القمعية وأجهزة الدولة

⁽١٥) الإشارة هنا إلى الرمز الذي تبنته الفاشية الإيطالية، وهو عبارة عن مجموعة قضبان خشبية ذات بلطة ناتئة في الوسط كانت في العهد الروماني القديم تمثل سلطة القضاء والقضاة [المترجم].

الأيديولوجية). إن إعادة الصياغة هذه هي إعادة مهمة بالنسبة إلى فهم غرامشي للعلاقات الاجتماعية والمؤسسات بوصفها مواقف ديناميكية دفاعية تُتَبَنّى ضمن تشكيل أوسع من القوى، فهذه الرؤية تضع المقاومة في صلب فهمه للعمل السياسي بشكليه التوسعي والقمعي معاً، كما أن استخدام المقارنة العسكرية بغية فهم العلاقات الاجتماعية يسمح لغرامشي أن يُظهر براعة إستراتيجية بخصوص الحرب الطبقية توازي فهم كلاوزفيتز للحرب بين الدول: الأمة الإمبريالية والمقاومة، ويظهر ذلك في توصيفاته لأشكال العمل الحربي/ السياسي المختلفة مثل حرب الحركة أو المناورة المتناسبة مع سرعة التغير الظرفي وحرب المواقع الملائمة لسرعة التغيير العضوي. إن غرامشي يُعيد صياغة التفريق اللينيني بين اتحاد العمال والوعى السياسي عبر فهم أكثر فطنةً وتميزاً للمعارضة، والمقاومة المُتجلية بسرعات تاريخية مختلفة، فالعدو الذي سوف يُقاوم هو كل من الطبقة وأنظمة دفاعها، وبنتيجة ذلك يُفهم أن المقاومة ضد النازية تحصل على مستويات وسرعات متعددة وبدرجات متفاوتة من الكثافة: إن المشترك بين الجميع هو استخدام الإبداع الإستراتيجي ضمن فهم للمقاومة بأنها مقاومة مضادة أساساً.

تؤدي تجربة الاحتلال الاستعماري والمقاومة دوراً مركزياً في فهم غرامشي للعمل السياسي. فإذا جاز القول إن رأس المال استعمر البروليتاريا، فإذن إن لدى مقاومة الطبقة العاملة الأوروبية كثيراً مما تتعلمه من المقاومة ضد الاستعمار. بهذه الروح يقدم غرامشي تأملات ثاقبة بشأن إستراتيجية غاندي المناهضة للاستعمار، ومن ثم يرد على تحية غاندي باهتمامه النقدي الخاص بالتحرر الوطنى الإيطالى:

[تبنى] كفاح الهند السياسي ضد الإنكليز ثلاثة أشكال هي: حرب الحركة، وحرب الموضع، والحرب السرية، فمقاومة غاندي السلبية هي حرب موضع تصبح في بعض الأحيان حرب حركة وأحياناً أخرى حرباً سرية (Gramsci 19V1, YY9).

يفهم غرامشي مقاومة غاندي بأنها مناورة تضليع تكتيكية تتقاطع على مستويات مختلفة وبسرعات متفاوتة تنتقل من أحداث رمزية صغيرة على مستوى الحياة اليومية، إلى التخريب والحصار وإرهاق حركات العدو، فإلى تحركات الجهاهير الإستراتيجية الكبرى في عمل منسق. ومن ثم، فإن السيناريو الغرامشي ومن خلال تطلبه تكوين مقدرة على المقاومة قادرة على تقويض مقدرة العدو يصبح (سيناريو) كلاوزفيتزياً "".

إن غرامشي يرى الاستمرارية بين المقاومة والثورة، ويلاحظ الفرق بينها، وفقاً للزمن والسرعة ومستوى العمل، كما أن تركيزه على الزمن يسمح له بأن يطور فهماً للمقدرة على المقاومة ينشأ بسرعة أقل من سرعة الأحداث المدهشة للمواجهة الثورية، وإن هذه المقاربة تفسح المجال أمام حساسية مهمة تجاه حروب الحركة والأماكن الصغيرة على مستوى المقاومة اليومية في البيت وفي الشارع وفي مكان العمل. هذه هي مقاومة المدة الطويلة longue durée وليست المقاومة التي تسوّى بـ«ضربة حاسمة» في معركة وحيدة، بل إنها مقاومة منهمكة المقاومة الحرب المديدة ثخاض على مستويات عديدة بحنكة وتمعّن في مسار طويل من الحرب المديدة ثخاض على مستويات عديدة بحنكة وتمعّن

⁽٥٢) إن دراسات بول فيريليو Paul Virilio الكلاوزفيتزية الجديدة لأهمية السرعة والسياسة هي تكملة مهمة لتحليلات غرامشي، ولا سيها كتابه الذي يحمل عنوان «بنيان الخندق» Bunker Architecture ومفهوم الدفاع بوصفه توقفاً عن الحركة والمقدرة على المقاومة بوصفها تعبيراً تاريخياً عن خفض السرعة.

إستراتيجيين. إن حركات العمل الثوري السريعة تُدار على خلفية حركات بطيئة ومتبادلة من المقاومة والمقاومة المضادة. وتبعاً لذلك فإن على «الأمير الحديث» أو الحزب السياسي أن يُذكّر أعضاءه على الدوام بأنهم مُحاصَرون ومُحاصِرون معاً، وهم يهارسون مقاومة ارتكاسية وإثباتية في الوقت نفسه:

إن الحصار في السياسة حصار متبادل، على الرغم من كل المظاهر، كما أن مجرّد حقيقة أن على الحاكم أن يحشد موارده تُظهر مدى أخذه لخصمه على عمل الجد (Gramsci 19V1, ۲۳۹).

ومع ذلك يقتبس غرامشي من ماركس ما مفاده: أن المقاومة الممتدة طويلاً يمكن أن تثبط المعنويات، وأن توقيت العمل أمر حاسم، ففي «عن المسألة الشرقية» لعام ١٨٥٥ كتب ماركس:

إن المقاومة المُطوّلة جداً في معسكر محاصر هي مقاومة مُحبِطة بحد ذاتها، فهي تتضمن المعاناة، والإعياء، وفقدان الراحة والمرض والحضور المستمر، ليس للخطر الشديد الذي يُهدئ الأمر، بل للخطر الذي يُدمر (Gramsci 19V1, YTY).

إن المصطلحات الحيوية للمرض الحاد والمزمن المستخدمة هنا لا تعبر فحسب عن زمانيات المقاومة المختلفة، بل إنها تعبر أيضاً عن الرؤية الثاقبة المتضمنة معنى يُفيد: أن المقاومة الارتكاسية يمكن أن تقوض الذات المقاومة، بل تدمرها، في حين أن المقاومة الإثباتية يمكن أن تقوي مقدرتها على المقاومة أو تلطفها.

إن تأملات بينجامين في المقاومة ضد النازية في ألطروحات في فلسفة التاريخ» تأخذ منهجاً مختلفاً تجاه زمانية المقاومة. فبدلاً من أن يركز بينجامين

على الأزمنة والسرعات التاريخية المختلفة وفقاً للإستراتيجيات المناسبة لها ولتقاطعاتها راح يشدد على الانقطاع، والاحتيال المُتاحين في المستقبل، واللذين يمكن أن يوظفا في تنشيط المقدرة على المقاومة في الحاضر، وفي حين يرى غرامشي أن الفاشية حادثة ظرفية ضمن حركة مُستعورة أضخم وأبطأ من الرأسيال والمقاومة، فإن بينجامين يقيم الحجة من أجل خارجية وباطنية المستقبل الذي يُحتبر كانقطاع. إنّ النسخة الأخيرة من المُطروحات عن الفلسفة والتاريخ» تحتوي على ثلاث وعشرين أطروحة وملحقين: أ و بظهرا بجانب عمله عن الثورة في القرن التاسع عشر وعاصمتها باريس في المسروع الممرات» Arcades Project. وقد كان سؤاله الملحّ بشكل متزايد في أمناء ثلاثينيات القرن العشرين هو: كيف أمكن أن تكون فاشية ونازية العشرينيات والثلاثينيات هي النتيجة التاريخية لهذا التاريخ الثوري؟

إن ثلاث مجموعات من الأطروحات تحظى باهتهام خاص بغية فهم رؤى بينجامين حول إمكانية المقاومة: فالمجموعة الأولى: تعالج المستقبل و «القوة المسيحانية الضعيفة»، والثانية: تعالج موضوعات العدو الشميتة Schmittian وحالة الطوارئ، والثالثة: مسألة المسيحاني. إن المجموعة الأولى المكونة من سلسلة الأطروحات ٢ وحتى ٧ تشرح فكرة أننا المستقبل بالنسبة إلى الأجيال الماضية، أي إننا أولئك الذين تاق الماضي لقدومهم. إن هذا التغير في التوجه الزماني بخصوص المستقبل والمسيحاني يخلخل التسلسل أُحادي الاتجاه للهاضي والحاضر والمستقبل الذي يُصر بينجامين أنه أكثر تعقيداً وقابلية للنقاش مما يبدو. ويركز الجيل الحاضر نفسه عبر النظر إلى الخلف وإلى الأمام لنحو الماضي والمستقبل، لكنه يميل نحو نسيان أنه المستقبل بالنسبة إلى الماضي بقدر ما هو الماضي بالنسبة إلى المستقبل، إن هذه المقاومة ضد ما دعاه نيتشه بقدر ما هو الماضي بالنسبة إلى المستقبل، إن هذه المقاومة ضد ما دعاه نيتشه

«الزمن وما كان عليه» هي مقاومة مهمة من أجل فهم رؤية بينجامين لإمكانية المقاومة والمسؤولية عنها. ويُعبّر عن هذه الفكرة في الأطروحة الثانية كها يأتي: «ثم أصبح مجيئنا متوقعاً على الأرض، ثم وُهِبنا مثل كل جيل سبقنا قوة مسيحانية ضعيفة، قوة يحق للهاضي المطالبة بها» (٣٩٠,٣٩٠). هذه هي بداية الفكرة الإضافية الصعبة للأطروحة السابعة القائلة: «ثم يأتي المسيح، ليس فحسب كمخلص، بل يأتي كمنتصر على المسيح الدجال» (Benjamin ۲۰۰۳, ۳۹۱)، أو مرة ثانية لاحقاً كر «منتقم» من ظلم الماضي. وبوصفنا مسيح الأجيال الماضية، فنحن هم من يُتوقع منهم أن يسترجعوا الماضي، ويثأروا لمعاناتهم. إن هذه المخاوف تضع سلسة الأطروحات ضمن مشكلة هامليت التي جرى تحليلها مفصلاً في كتاب سابق يحمل عنوان «أصول المسرح الماساوي الألماني» معن أر لنا، بل يجب أن ندرك أننا نحن المسيح المدعو للانتقام ضد الظلم المُرتكب بحق أولئك الذين انتظرونا في الماضي.

إن بينجامين يتشارك مع غرامشي في الاعتقاد الكلاوزفيتزي القائل: النا نعيش في حالة حرب، حرب ضد ظلم يغطي مسرحاً معركته الماضي والحاضر والمستقبل، إذ إن لدينا تحديدات مختلفة للعدو بدءاً من الأطروحة السادسة إلى الثامنة، تحديدات تمتد من العدو الطبقي إلى الديمقراطية الاجتماعية، لكن المهم في هذه الأطروحات الشميتية Schmittian هو إدراك الخطر المشار إليه سابقاً في الأطروحة السادسة، فالإحساس بالخطر – الذي سبق له ماركس أن أدرك أهميته في تأمله في المقاومة ضد الاستعمار الذي استشهد به غرامشي – يصبح افتراضاً مُسبقاً لمقاومة يُوصف بأنه اعتراف بحالة الاستثناء، فكما يُلاحظ بينجامين في الأطروحة الثامنة:

تُعلّمنا تقاليد المُضطَهدين أن «حالة الاستثناء» التي نعيشها هي القاعدة، ويجب علينا أن نصل إلى مفهوم للتاريخ ينسجم مع هذه الرؤية، وبعدها سوف نرى بوضوح أن مهمتنا هي إنتاج حالة استثناء فعلية، وهذا سوف يُحسّن موقعنا في الكفاح ضد الفاشية (Benjamin ۲۰۰۳, ۳۹۲).

يؤمن بينجامين بالفكرة الثابتة التي مفادها: أن الفاشية سبق أن أعلنت الحرب الأهلية، أي إنها المقاومة المضادة لوعد الشيوعية وبناءً على ذلك يجب متابعة المقاومة ضد الفاشية باستعداد تام. إن الاعتراف بالحالة الحقيقية للاستثناء – أي إننا سلفاً في حالة حرب – هو غاية هذه الأطروحة، وهو اعتراف يطبع الصفة القتالية التي يضفيها بينجامين على المقاومة، وهو إضافة لذلك حرب تنبع جاذبيتها من طبيعتها بوصفها حرب انتقام أهلية لمُضطَهَدي الماضي ومن أجل تحرر أجيال المستقبل.

يعود بينجامين في المجموعة الثالثة من الأطروحات إلى موضوع المسيحاني ومشكلة إثارة حدث مقاوم، إذ إن إيقاف الزمن أو «التوقف المسيحاني للحدوث، أو للتعبير عن ذلك بشكل مختلف، كالقول إن الفرصة الشورية في القتال من أجل ماضٍ مُضطِهد موصوف في الأطروحة ١٧» تجعل من الزمن نفسه مسرحاً للعمل، إذ إن تسلسل الماضي والحاضر والمستقبل يتقطع مرة ثانية. ويفتح الآن إمكانية لظهور شرارات مقاومة، كما أن الحاضر في الأطروحة (١٨ أ) يصبح «زمن الآن» أو الوقت الحاضر المنطلق من خلال شظايا الزمن المسيحاني» (Benjamin ٢٠٠٣, ٣٩٧). هنا يصبح تركيز مقاومة بينجامين منصباً على محاولة إبقاء المستقبل مفتوحاً في مواجهة تركيز مقاومة بينجامين منصباً على محاولة إبقاء المستقبل مفتوحاً في مواجهة ادعاء الاشتراكية القومية أنها تحتكر رؤى ما سيأتي «لأن كل ثانية من الزمن هي

بوابة صغيرة يمكن أن يدخل المسيح عبرها» (Benjamin ۲۰۰۳, ۳۹۷)، فمثل هذا الإلحاح هو في حد ذاته فعل مقاومة ضد توجه نحو سيطرة شاملة مدَّدت بشكلٍ واضح اضطهادها في مستقبل ألفي.

إن الزمن عنصر أساسي في تأملات كلِّ من غرامشي وبينجامين في المقدرة على المقاومة، ولا سيما في كيفية مقاومة الفاشية والنازية، فمن خلال البرهان أن المجتمعات تتحرك بسرعات وأزمان مختلفة أصبح **غرامشي** قادراً على تحديد المقاومة في سياسة السرعة والزمن، أما السرعة والحركة فقد كانتا أقل أهمية بالنسبة إلى مقاومة بينجامين ضد النازية تلك التي اتجهت نحو إعادة توجيه الماضي والحاضر والمستقبل ضمن فكرة: أننا جيل الماضي المسيحاني المدعو بالتضامن مع أجيال المستقبل إلى أن يثأر للمظالم التي عاناها. كما تظهر في كلتا الحالين صعوبة التأمل في مسألة العدو: من وما وأين ومتى العداوة؟ إن المسلّمة الكلاوزفيتزية الخاصة بالاستمرارية بين الحرب والسياسة هي مسلمة مهمة لكلا المفكرين: فهي مهمة في تحليل غرامشى للعلاقات الاجتماعية وفقاً لبنى عسكرية ولإستراتيجيات وتكتيكات مختلفة ملائمة لسرعات مختلفة من التغيير الاجتماعي، وهي كذلك في نظرة بينجامين لفعلية الحرب الأهلية. وكان المشترك في تفكير كل من غرامشي وبينجامين هو الإحساس المتنامي بهشاشة المقاومة، إضافة إلى إدراك أن تقوية المقدرة على المقاومة أمر يختلف عن المشروع الثوري لتحقيق الحرية مع ما يترتب على ذلك من أهمية قصوى للحفاظ عليها تحت ظروف السيطرة الشاملة. إن مصير المقاومة تحت السيطرة الاشتراكية القومية أثبت هذه الرؤية بعدة سبل.

٤-٢- المقاومة الفرنسية:

اكتسبت المقاومة الفرنسية المكانة الخرافية لحركة مقاومة نموذجية وناجحة، ضد الاحتلال الاشتراكي القومي لشمال فرنسا في البداية ضد الكبت الإضافي المتفاوت الذي مارسه فيشي Vichy المتعاون مع العدو، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية اكتسبت المقاومة أهمية معنوية ضمنت الإشارة إليها في لحظات لاحقة من الأزمة في الدولة والمجتمع الفرنسيين: فقد رأينا ذكرها في بيان الـ ١٢١ ضد الحرب الجزائرية «في حق العصيان ...» وفي الآونة الأخيرة من جانب ستيفان هيسيل Stéphane Hessel في «عتبروا عن استنكاركم!» !vous(انظر الفصل الخامس أدناه)، لكن من المهم تذكر أن المقاومة الفرنسية الأسطورية والمتحدة كانت في الواقع حصيلة تاريخ معقد من المقاومات المتنوعة المُنسقة، والمتحدة في مقدرة على المقاومة خطيرة وفريدة. إن «دعوة المقاومة» من جانب ديغول De Gaulle على اله بي. بي. سي. BBC في ١٨ حزيران / يونيو • ١٩٤ قد فهمت المقدرة على المقاومة بأنها لم تكن معارضة عسكرية للغزو الألماني فحسب، بل إنها كانت أيضاً إعادة تكون سياسي وثقافي للأمة والدولة الفرنسية المهزومة، فالرغبة في أن تكون المقاومة تأسيسية، أي أن تستمر في الحياة بعد لحظة المقاومة ضد الغازى، وأن تعيد تأسيس الدولة -الأمة الفرنسية من حيث المقدرة على المقاومة، تبقى بسبل مختلفة حالة فريدة في تاريخ المقاومة (٥٠٠).

⁽٥٣) هناك بالطبع تشابهات مع المقاومتين البولندية والإيطالية، فالأولى: كانت بوعي ذاتي منكبة على إعادة تأسيس الديمقراطية البولندية، والثانية: كانت مدعوة بشكل استرجاعي أن تقوم بوظيفة مصدر القيم الأخلاقية للدستور الإيطالي ما بعد الحرب (انظر إلى Peli)، ومن المفيد مقارنة هاتين الحالتين مع المقاومة اليونانية المنقسمة التي دمرت نفسها في حرب أهلية مريرة ومريعة في الأغلب (انظر ١٩٩٥).

⁽٤٥) يصف مارتن إيفانس Martin Evans في تاريخه الشفهي المثير للتفكير عن المقاومة الفرنسية ضد القمع الاستعهاري للجزائر كيف أن عملية التوحيد هذه امتدت إلى بناء ذاكرة تاريخية أسطورية للمقاومة: "إن صورة المقاومة بوصفها جيشاً نظامياً تتعارض مع صورتها بوصفها قوة غير نظامية وعدوانية منهمكة في نشاط غير قانوني وتخريبي. إن مجرّد التقليل من قيمة هذا الجانب غير القانوني والعدواني للمقاومة، بل حتى طمسه عن قصد هو برهان على عملية "التطبيع" التي بدأت مع التحرر عندما أرسلت القوات المناصرة إلى الجيش النظامي الفرنسي، فقد أدى وضع المناصرين المنشقين تحت سيطرة ضباط محترفين إلى حجب الفعل والثقة المستقلين اللذين ميّزا جُل تجربة المقاومة، فالذي بني هو رؤية متحدة للمقاومة أصبحت فيها المقاومة الداخلية أكثر شبهاً بالجيش النظامي المرتبط بشكل وثيق مع ديغول، والذي يقاتل من أجل صورة وطنية غير معقدة" (Evans, ۱۸٦). ويؤكد إيفانس أيضاً كيف أن هذا التوحيد فرض أيضاً نوعاً من الجونسة gendering للمقاومة والحفاظ عليها.

إن الشخصية الأساس في توحيد المقاومات العسكرية والسياسية والمدنية في المقاومة هو جان مولان Jean Moulin الذي أقنع ديغول أن الحركات والشبكات الناشئة يمكن أن تؤدى دور المكمّل الداخلي للمقاومة العسكرية الخاصة بفرنسا الحرة. ففي مقدمة دراسته الرائعة لـ جان مولان والمقاومة التي تحمل عنوان «جان مولان: جمهورية سراديب الموتى» Jean Moulin: La République des catacombes سأل دانيل كوردييه Daniel Cordier سكرتير مولان هذا السؤال: «ما المقاومة؟» إنه يوضّح أنه في حين كان المصطلح يُستخدم استطرادياً قبل عام ١٩٤٠ في وصف النضالات ضد الفاشية ولا سيها في إسبانيا، فقد جرى استخدامه بشكل رئيس في سياق الصراعات العسكرية بين الدول، وعندما أعلن الجنرال ديغول في البث الأسطوري على اله بي بي سي أنه «يجب ألّا تنطفئ شعلة المقاومة الفرنسية» فإنه كان يقصد أولاً وقبل كل شيء المقاومة العسكرية للغزو، وإن كان قبل ذلك بدأ يعي أهمية المقاومة المدنية. وبالنسبة إلى كوردير ينبغى أن يُفهم إعلان ديغول بأنه بادرة مقاومة ضد اعتراف بيتان Pétain السابق بـ «المقاومة الرائعة» المهزومة للقوات المسلحة الفرنسية في مواجهة التفوق العسكري الألماني، وهي بادرة «حققت واجباتنا تجاه حلفائنا» ولم تعد مُلزمة الآن في الهزيمة(٥٠٠). لقد هيمن منطق المقاومة العسكرية المستدامة على رؤية المقاومة لدى ديغول حتى عندما أصبح منفتحاً بشكل متزايد على المزايا التكتيكية للمقاومة المدنية السرية والسلبية بوصفها عناصر ضمن إطار إستراتيجي أشمل من المقاومة الوطنية المسلحة.

إن كوردير يُوضّح أيضاً أن استخدام «المقاومة» للدلالة على المقاومة المدنية السرية هو استخدام متأخر على نحو مفاجئ: إذ إن «مصطلح المقاومة

(00) Cordier 1999, vol. 1 p. 1V.

تطوّر ببطىء كي يدل على حرب الوطنيين السريين متعددة الأشكال» (Cordier 1999, 1997)، ويضيف قائلاً: «لقد بدأت كلمة المقاومة بحرف كبير بالاقتران مع «الحركات» فحسب في خريف عام 1987 وأخذت تدل على أعال النضال بالمعنى الراهن» (Cordier 199, 19). كما أن التوقيت نفسه يصح على مصطلح «مقاوم»، فهو يؤشر إلى عملية الاندماج وتعريف الذات بين الحركات والشبكات المعارضة للاحتلال وإلى التعاون في تأسيس ذاتية مقاومة جرى إخضاعها بسرعة كبيرة لمنطقين سياسي وعسكري. تنقلت المقاومة في سنواتها الأولى بين مراحل الحالتين الكلاوزفيتزيتين السائلة والمتبخرة قبل اكتسابها شكلاً صلباً وعسكرياً، فقد قام الجيش والمجلس الوطني للمقاومة بتوحيد المقاومات في مقاومة وقد تمكنت من القيام بذلك بناءً على ارتباط تلقائي تُرجم عندها في وحدة سياسية وعسكرية من خلال جهود جان مولان وآخرين.

إن النقلة من مقاومات إلى مقاومة تستحق مزيداً من التمحيص، ولا سيها لأنها بدت وكأنها تُخضع مقدرة عفوية على المقاومة إلى السيطرة السياسية والعسكرية. هل كانت تلك عملية ضرورية وحتمية مع الأخذ في الحسبان اعتبارات إستراتيجية أشمل للحرب؟ وإلى أي مدى يمكنها أو يجب أن تؤدي وظيفة الأنموذج للمقاومات المعاصرة؟ إن المرحلة الأولى من المقاومة غير المسهاة أظهرت تشكيلة هائلة ومتنوعة من الحركات والمهارسات المقاومة المُحنّكة التي تدل على صياغة مقدرة على المقاومة متبخرة ومنتشرة، لكنها حاسمة.

كان لإسهام جان مولان في الثورة الفرنسية بضعة أوجه، كما أنه ما يزال يقدّم كثيراً من الدروس القيّمة، وبوصفه محافظ شارتر Préfet of عام ١٩٤٠ فقد وجد مولان نفسه بين قوات الاحتلال الألمانية والحكومة المتعاونة معها في فيشي. وبعد قيامه بالمقاومة الممكنة ضمن المعايير

المتغيرة لدوره السياسي – من رفضه مباشرة أن يؤيد الإدانة الافترائية للقوات الاستعارية الفرنسية إلى إرسال الإعلانات الفرنسية لسلطة الاحتلال تحت عنوان «المكان محجوز لإعلانات الجيش الألماني (١٩٩٩، ٨٠) – وصل مولن بسرعة إلى مرحلة لم يعد فيها منصب المحافظ منسجماً مع ممارسة المقاومة. وبعد ذلك مباشرة حاول مولان الانتحار، وبمعنى ما إنه عاد من الموت كذات مقاومة. وبعد استقالته من منصبه عام ١٩٤٠ كرّس مولان ستة أشهر لدراسة حركات المقاومة وشبكاتها الصاعدة في فرنسا فيشي المُحتلة.

ولدى اعتراض سبيله في ليزبون في أثناء رحلة طويلة الأمد إلى لندن بهدف لقاء ديغول قام مولان بإعداد تقرير مؤثر عن المقدرة الفرنسية على المقاومة: «تقرير عن نشاط ومشروعات وحاجات المجموعات المُشكَّلة في فرنسا، مع الأخذ بالحسبان تحرير التراب الوطني». إن هذا التقرير وثيقة لافتة تصف المقدرة على المقاومة وتكونها في آن واحد، ومن الملاحظ أنه لا يستخدم كلمة «المقاومة» بوصفها مصطلحاً من أجل توحيد نشاطات الحركات والمنظات التي انبثقت من الأجواء المدنية والعسكرية إلا نادراً، فهو يستخدم عوضاً عن ذلك مصطلح «حركات» و «تجمعات»، ونادراً ما يصفها بأنها «حركات مقاومة فرنسية» أو «منظات مقاومة ضد العدو» (,۲۰۹ ما يصفها بأنها جرى تقويمه كذلك من جانب ديغول، فالتقرير بمعنى ما ابتدع منهجاً وصفياً وتكوينياً معاً، لتصنيف المقدرة على المقاومة وتقييمها: إذ إن تحديد أشكال وتكوينياً معاً، لتصنيف المقدرة على المقاومة وتقييمها: إذ إن تحديد أشكال المقاومة الوليدة ووصفها كان خطوة ضر ورية، نحو تأسيس المقاومة.

يحدد مولان (ويضخّم) مقدرة افتراضية على المقاومة في الشعب الفرنسي (الذي بالمجمل كان متواطئاً مع بيتان وفيشي)، لكنه يكرّس معظم اهتامه

لعمل المعارضة العسكرية ضد الاحتلال. (في ذلك الوقت كان لا يزال منسجهاً مع مجاهرات الولاء لد بيتان). ويركز وصفه على ثلاث حركات مقاومة رئيسة: التحرير الوطني Libereté والحرية كالفوت والحرية المقاومة، وليسة: التحرير الوطني Liberation المعاية عبر الصحافة المقاومة، ونشر المعلومات، وجمع المعلومات، والتخريب، والعمل شبه العسكري، فقد عبر مسبقاً عن هذه المعايير ضمن الحركات نفسها، لكن إنجاز مولان يكمن في ترتيبها في تصوّر متهاسك لمقاومة موجودة، وفي تنويهات إلى المقاومة التي ستأتي، وبعد تقييمه نقاط القوة الداخلية للمقاومة ينتقل إلى دراسة الصلات الفرعية بين مجموعات المقاومة ثم مع المقاومة العسكرية الفرنسية الحرة في المنفى (٢٢١-١٩٩٩ ١٩٩٩). إن مولان في وصفه للحركات وصلاتها المنفى (٢٢١-١٩٩٩ المودية المقاومة ثم مع المقاومة الراهنة» وحسب، بل إنه بهذه الطريقة لم يقدم إلى ديغول توصيفاً ثميناً لـ«الحالة الراهنة» وحسب، بل إنه أوصى بطرائق معينة يمكن من خلالها للمقدرة الوليدة أن تتحقق وتتقوى.

أُوكلت إلى مولان نيابة عن ديغول مهات تأسيس المقاومة القادمة في فرنسا. إن هذا التاريخ المعقّد هو بالأساس انتقال نحو توحّد الحركات والمنظات المقاومة تحت أشكال من الإشراف العسكري والسياسي، وبعبارة أخرى: إن المقدرة على المقاومة تحققت في ظل أشكال من الهرمية العسكرية والنظام التمثيلي للدولة، كما أن ظهور مقاومة موحدة مبنية هرمياً تعرّض بدوره للمقاومة بشكل متنظم من جانب الحركات نفسها، إلا أنها وجدت نفسها بشكل متزايد مصنّفة تحت منطق سياسي – عسكري قوي ولا يمكن تجنبه (٥٠٠).

⁽٥٦) تعايش المنطق العسكري للمقاومة مع المنطق السياسي، على الرغم من التوتر وعدم الثقة، بل حتى الصراع بين المقاومة المدنية والمقاومة العسكرية. إن الموشور المحدد الذي من خلاله يُنظر إلى تلك التوترات وصراعها المميت أحياناً هو تاريخ السلطة الإجرائية للعمليات الخاصة البريطانية الذي تقاطعت مهامه العسكرية الخالصة بحكم الضرورة مع تشكيل=

إن المنطق السياسي المفروض على المقاومات انبثق من الحزب الاشتراكي الفرنسي ومن استجابته إلى تحوّل الشيوعية الفرنسية المتأخر نحو المقاومة، فقد تحرر الحزب الشيوعي الفرنسي من وضعية السكون الإستراتيجي ومن شبه التعاون مع العدو بسبب غزو ألمانيا النازية له اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية والإنهاء العملي لاتفاق هتلر- ستالين، وقد أصبح البعد السياسي للمقاومة - الحاضر في المخاوف بشأن مؤهلات ديغول الديمقر اطية - مهاً مثلها أصبح التصور أن التحرر لا ينفصل عن إعادة تكوين الثقافة والسياسة الفرنسيتين، وكما أصبح يُنظر بشكل متزايد إلى المقاومة بأنها ليست فحسب عملية عسكرية ضد عدو، بل إنها أيضاً عمل تطهير للمجتمع الفرنسي، أو إعادة تكوين تنفيسية له، فقد كان مأمولاً سابقاً في عام ١٩٤٢ أن تخرج فرنسا «مُطهّرة» ومتغيرة عبر تجربة المقاومة، ولم يكن ممكناً فصل البعد السياسي لهذا التطهير عن العمل العسكري كما لم يكن ممكناً تركه للحظ، إذ إن فرع جهاز فرنسا الحرة الرئيس لجمع المعلومات العسكرية وإحداث التخريب (المكتب المركزي للمخابرات والعمليات Bureau central de renseignements et d'action المركزي المخابرات وسّع عملياته تحت ضغط الاشتراكي بيير بروسوليت Pierre Brossolette ليشمل قسماً «غير عسكري» أو قسماً سياسياً.

وفي حين كانت مهمة مولان هي تنسيق حركات المقاومة، فقد سعى بروسوليت لتكوين حكومة فعلية أصلها المقاومة، إذ إن الهدف المباشر

⁼مقدرة مدنية على المقاومة: بالنسبة إلى حالة فرنسا المعقدة، والتي لا تزال جدالية في فرنسا، انظر إلى (١٩٩٣ & Kokonas (٢٠٠٤) وإلى (٣٠٠٤) نظر إلى (١٩٩٣ & كريت تكون أكثر نجاحاً ونظريةً من تدخلات السلطة الإجرائية للعمليات الخاصة في كريت Crete.

لمقاومة العدو المحتل اندمج مع الهدف السياسي الأبعد، وهو إعادة بناء الدولة والمجتمع الفرنسيين على ضوء تجربة المقاومة، كما جرى بشكل متزايد النظر إلى المقاومة بأنها تشكّل ذاتية وطنية مقاومة وديمقراطية تتميز بتضامن – لأنها مكوِّن – تجاوز الخلافات السياسية، فأصبحت المقاومة تمثل الدولة والمجتمع الفرنسيين المستقبليين المنفيين في الزمن. إن حكومة المجتمع الفرنسي المستقبلية تكوّنت في شكل افتراضي من المجلس الوطني للمقاومة الفرنسي المندي كان مجرّد وجوده كمبّشر بأيام مستقبلية أكثر سعادة هو فعل إيهان مقاوم، لكن إنشاء المقاومة بهذه الطريقة أي جعلها أداة لإعادة التكوين السياسي والثقافي لم يكن خالياً من المخاطر.

وحد المجلس الوطني للمقاومة حركات المقاومة تحت منطق سياسي هيمنت عليه الأحزاب السياسية والاتحادات العمالية، فالاجتماع التأسيسي الذي دعا إليه مولان، وترأسه عُقد في باريس المُحتلة في السابع والعشرين من أيّار / مايو عام ١٩٤٣ وجمع ثمانية ممثلين لحركات المقاومة، ستة ممثلين لأحزاب سياسية واثنين من ممثلي اتحادات العمال. وافتتح مولان الاجتماع بقراءة رسالة من ديغول دعت المجلس الوطني للمقاومة كي يؤمّن تماسك المقاومة:

إن كل شيء منتشر، وكل عمل منعزل وتحالف خاص في أيّ مجال يتجلى فيه النضال الشامل، يُضعف الضربات التي توجهها فرنسا إلى العدو ويُضعف تلاحمها الوطني معاً. لهذا السبب من الضروري أن تشكّل المقاومة على التراب الوطني كُلَّا مركزاً منظماً ومتهاسكاً. وسوف يتم ذلك عبر خلق مجلس للمقاومة يُشكل جزءاً لا يتجزأ من فرنسا المقاتلة، ويجسد القوى كلها من كل الأصناف المنخرطة في الداخل ضد العدو و المتعاملين معه (De Gaulle, cited in Cordier 1999, ٧٠٨).

وعلاوة على توفيره التهاسك وتكوين مقاومة من مقاومات كان مطلوباً أيضاً من المجلس الوطني للمقاومة أن يخطط من أجل تحرير فرنسا ما بعد الحرب وإعادة بنائها. ومع ذلك كان من الواضح للجميع، وهذا ما سبب بعض المقاومة، أنه لا يمكن للمقاومة أن تتوقع أن يكون لها دور مباشر في إعادة بناء فرنسا، وإن كانت ستحررها، فتلك سوف تصبح مهمة الأحزاب السياسية التي خضعت للإصلاح، وذلك في ديمقراطية برلمانية مستأنفة يتطلب نجاحها أفول حركات المقاومة. وقد وصف ديغول في «مذكّراته» دور المجلس الوطني للمقاومة ليس في إعطاء المقاومة تماسكاً عملياتياً فحسب، بل أيضاً في ضهان سرعة اختفائها السلمي نسبياً بعد التحرر، إذ إن إحدى الإنجازات البارزة للمجلس الوطني للمقاومة كانت عدم تحول المقاومة إلى حرب أهلية بعد الانتصار على العدو المشترك:

من دون المجلس الوطني للمقاومة ما كانت لتوجد مقاومة، بل لكان هناك مقاومات، وعند التحرير ما كان ليوجد شعب متحد، بل بلد منقسم، ولما كان ممكناً منع الشيوعيين من الإمساك بأجزاء من الأرض. انظروا إلى الذي حصل في يوغسلافيا واليونان. هذا ما كان سوف يحصل معنا أيضاً (De Gaulle, cited in Cordier, VYY)

لكن هناك معنى تركت بموجبه المقاومة إرثاً أكثر إيجابية، ألا وهو توريث روح جماعية من التضامن أو الإحساس بالمقدرة على المقاومة، وقد بقي حياً بعد حل حركات المقاومة، وكان برنامج المجلس الوطني للمقاومة لعام ١٩٤٤ الذي يحمل عنوان «الأيام السعيدة» les jours heureux في صلب هذا الإرث الذي دوّن تجربة المقاومة وجعلها مُتاحةً من أجل العمل على إعادة بناء المجتمع الفرنسي بعد التحرير، وتقترح الوثيقة استمرارية بين

المقاومة والقادم بعد الحرب. تبدأ بالافتراض القائل: إن المقاومة وُلِدت من «إرادة متقدة لدى الفرنسيين في رفض الهزيمة»، ولم يكن لها «أي سبب آخر للوجود غير الكفاح اليومي المكثّف باستمرار» (١٣). (Heidsieck et al., ١٣). لكن الوثيقة تزعم بعد هذه البداية مباشرة «أن مهمة الاشتباك هذه يجب ألّا تنتهي بعد التحرير»، كما أنها تقترح مخططاً لإعادة تكون فرنسا يتضمن استعادة الحقوق الديمقراطية، إضافة إلى عدد من الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية لتضمينها في الدستور الفرنسي فيها بعد الحرب، وقد يكون من غير المستغرب كثيراً أنه تم إحياء هذه الوثيقة دفاعاً عن دولة الرفاه الفرنسية التي هددتها الإصلاحات الليبرالية الجديدة وأُعيد نشرها عام ٢٠١١ تحت عنوان «مواطنو الماضي والحاضر المقاومون - الأيام السعيدة - برنامج المجلس الوطني للمقاومة آذار / مارس ١٩٤٤: كيف كُتب وطبق، وكيف يسرّع ساركوزي تقويضه؟»، فقد أصبحت التجربة بحد ذاتها جزءاً من مقدرة معاصرة على المقاومة يُستشهد بها.

إن المقاومة الفرنسية تقدم مثالاً على مقاومة حققت أهدافها، وإلى حد كبير ألغت نفسها كمقاومة، إلا أنها بقيت تجربة أنموذجية تكتسب هالة من الأسطورة والمغامرة، لم يكن حتى ديريدا مُستثنى منها كما رأينا، لكن نجاحها في الإسهام في إعادة تكوين المجتمع الفرنسي دلّ في حد ذاته على انتهاء وجودها كمقاومة، إذ إن المقاومات يمكن أن تحيا فحسب عند مواجهة عدو فانتظامها في مقاومة مركبة هرمياً قد يكون عزز مقدرتها العملياتية، لكنه لم يعزز مقدرتها على البقاء بعد التحرر، إنها وللمفارقة كان الانفضاض العملياتي للمقاومة شرطاً لارتقائها إلى أسطورة معنوية،

ومن ثمَّ إلى تحوّلها إلى رمز مقدرة على مقاومة لا تزال في حالة كامنة في الحكومة الفرنسية.

٤ -٣- المقاومة والسيطرة الشاملة:

زعم جورجيو أغاميين Giorgio Agamben في كتاب «الإنسان المُستباح: السلطة السيادية والحياة العارية» Arendt السلطة الشمولية افتقر إلى «منظور Bare Life: أن تحليل آرنت Agamben 1998. وفي حين أن البعد السياسي الحيوي سياسي حيوي» (Agamben 1998). وفي حين أن البعد السياسي الحيوي لوصف آرنت للسيطرة الشاملة هو بالتأكيد بعدٌ إشكالي، فإنه بالفعل وصف مركزي بالنسبة إلى تحليلها، ويربط تاريخ السيطرة الاستعارية مع التجربة الأوروبية ذات السياسة البيولوجية الإبادية المتطرفة (وستمر المشكلات في مفهوم آرنت للسياسة البيولوجية بسبل مختلفة لاحقاً في نظرية البيولوجية السياسية، وتتجلى في فهم غير متطور للمقاومة. إذ إن وصفها البيولوجية السياسية، وتتجلى في فهم غير متطور للمقاومة. إذ إن وصفها

⁽٥٧) تمثل آرنت تحوّل الظاهراتية إلى النظرية الثورية (كانت أيضاً طالبة عند هيدغر Heidegger وبايسبارز Jaspers) الذي حفّزه عملها مع المنظات للاجئين اليهودية في الثلاثينيات. هربت إلى الولايات المتحدة الأمريكية عبر بورت بو Port Bou بعد أسبوع أو ما يقرب من محاولة بينجامين غير الناجحة سلوك الطريق نفسه، وفي سنوات ما بعد الحرب انكبت على محاولة فهم الاشتراكية القومية والمعسكرات التي نتجت عنها أولاً في «أصول الشمولية» Origins of Totalitarianism ثم في «الحالة الإنسانية» The Human وفي مقطوعات من عملها المُهمل حول ماركس – «عن الثورة بين الماضي والحاضر» On Revolution, between Past and Present والحاضر» تقرير عن محاكمة «إيخمان يحمل عنوان «إيخمان في القدس: تقرير عن تفاهة الشر» (العلن في تقرير عن محاكمة «إيخمان يحمل عنوان «إيخمان في القدس: Eichmann in Jerusalem: A Report on the Banality of Evil (1977)

للسيطرة الشاملة استبعد المقاومة بالتعريف، لأنه حيث توجد مقاومة، لا يمكن أن تكون السيطرة شاملة، كها أن الحطّ من قيمة المقاومة يتحكم أيضاً في نسخة التاريخ الاستعهاري المقدمة في الصول الشمولية Origins of وهو حط استثنى بصمت حركات المقاومة المعادية للاستعهار مثل تلك التي قادها ماو وغاندي، وتزامنت هذه الحركات مع العمليات التي وصفتها آرنت، والتي تتوجت في أوروبا في المحرقة Aboah الدولة وإبادة العجر الروم Porajmos أو الجريمة الجهاعية (۱۰۰۰ التي نظمتها الدولة بحق اليهود وروما Roma على أساس النظرية البيولوجية السياسية للعرق.

إن كتاب «أصول الشمولية» بوصفه تدشيناً للنقد البيولوجي السياسي، يبقى كتاباً فريداً بسبب الطريقة التي يجمع فيها ظهور خطاب حول العرق في القرن التاسع عشر مع تجربة الهيمنة الاستعارية. (كرر فوكو الإياءة بشكل أقل إقناعاً في محاضراته التي تحمل عنوان «يجب الدفاع عن المجتمع»). إن آرنت تفضح الصلات بين الأيديولوجيا وتكنولوجيات السيطرة الاستعارية من جهة والاضطهاد العنصري لليهود وصياغة مشروع وتكنولوجيا إدارية لما دعاه الإداريون الاشتراكيون القوميون المسألة اليهودية في أوروبا من جهة أخرى، ومع ذلك فإن غياب أي اعتراف بالدور الإبداعي الذي أدّته المقاومات في ابتداع أشكال جديدة من التحدي وتعزيز المقدرة على المقاومة يقزّم تحليلها ويوجهه بشكل مهلك نحو مشكلة السيطرة والطاعة بدلاً من المقاومة والتحدي. ففي «أصول الشمولية» تبقى

⁽٥٨) الإشارة هنا إلى المجازر التي ارتكبتها النازية بحق الغجر الرومانيين الذين كانوا بالنسبة إلى النازية مثل اليهود [المترجم].

آرنت قدريّة في رؤيتها لشبه عبثية المقاومة، وعند ذكرها تجربة الصين وماو يتضح أنها غير ملمّة بإسهامه في تكتيكات المقاومة، وهي صامتة تقريباً بخصوص غاندي دون ثمّ تبدو الاستعارية في روايتها كأنها عملية أحادية الطرف لا تُقاوم، بل رُبها لا يمكن مقاومتها وتنزع نحو السيطرة الشاملة.

وتربط آرنت تجربة الاستعمار العنيف بالعودة إلى الموطن الأم للتكنولوجيات والأيدولوجيات، بل حتى الشخصيات القمعية المُستخدمة في الأطراف الاستعمارية. إن حساسيتها تجاه مدلول العنف المرتكب في الطرف الاستعماري هي جزء من مديونية آرنت إلى عمل روزا لوكسمبورغ التي احتفظت لها باحترام هائل ومستمر، إذ إن آرنت تصف في أصول الشمولية كيف استخدمت النازية الألمانية أيديولوجية العنصرية وتقنيات الهيمنة الاستعمارية التي تتضمن عزل الشعوب وتجميعها وإبادتها في ما تصفه بأنه «تجربة ضخمة» في إعادة قولبة الطبيعة البشرية، أو بحسب لغتنا إخماد أي أثر للذاتية المقاومة، ومقدرتها على المقاومة. ويُعلن هذا المشروع في تصديرها الأول المؤرخ صيف عام ١٩٥٠:

⁽٥٩) إن التعليق المبتذل في «عن العنف» حول المقاومة لدى غاندي هو مؤشر على هذا الحط من القيمة: «لو كانت إستراتيجية المقاومة اللاعنيفة القوية والناجحة جداً لدى غاندي قد لاقت عدواً مختلفاً – روسيا ستالين، ألمانيا هتلر، بل اليابان ما قبل الحرب، بدلاً من إنكلترا – لما كانت المجزرة والإذعان المحرر من الاستعهار، بل لكانت المجزرة والإذعان (Arendt 19۷۰, ٥٣). إن القصد من تأييد آرنت لهذا الحكم هو دعم حجتها من أجل التمييز بين القوة والعنف، فالقوة متجذرة في المجتمع السياسي، في حين أن العنف يعتمد على امتلاك «أدوات العنف» وتحلل القوة.

كانت محاولة الاستبدادية القيام بفتح عالمي، والسيطرة الشاملة هي السبيل التدميري للخروج من المآزق. إن انتصارها قد يتصادف مع تدمير الإنسانية، إذ إنها بدأت بتدمير جوهر الإنسان حيثها حكمت (Arendt Y • • ٤, xxxii).

تفهم آرنت هذا «الجوهر» وفقاً للمقدرة على العمل العفوي، إلا أنها لا تربط هذه المقدرة مع المقدرة على المقاومة، فهي بمعنى ما تفصلها عن جذورها في العمليات التاريخية التي تصفها، ثم تنحيها إلى مجال المثالية الجالية والسياسية.

إن هدف تحليل آرنت في «أصول الشمولية» هو عملية السيطرة الشاملة، وهو بمنزلة إضافة تقدمها إلى التصنيف الفيبري Weberian لأشكال السيطرة التقليدية والعقلية القانونية والبرّاقة المشروعة، لكن السيطرة الشاملة ما هي إلا اسم آخر، ليس لطمس العفوية الإنسانية فحسب، بل لطمس المقدرة على المقاومة أيضاً، وهي بالنسبة إلى آرنت (كها بالنسبة إلى فوكو وورثته لاحقاً) غير قابلة للفهم بمعزل عن اعتبارات بيولوجية سياسية. وفي القسم عن «الشمولية في الحكم» تصف آرنت تولى الحركات الشمولية الحكم بأنه «امتلاك نوع من المخبر» يركز على «معسكرات الاعتقال بوصفها مختبرات لإجراء تجاربها في السيطرة الشاملة» (Arendt ۲۰۰٤, ٥١١). إن ما يتضمنه ذلك يوضّح لاحقاً في التعريف الرسمي للسيطرة الشاملة:

إن السيطرة الشاملة التي تسعى لتنظيم التعددية والاختلاف اللامتناهي لدى الكائنات البشرية، وكأن كل البشر مجرّد فرد واحد، هي سيطرة ممكنة، إذا أمكن فحسب تقليص كل شخص إلى هوية من ردود أفعال لا تتغير أبداً بحيث يمكن مبادلة كل واحدة من رزم ردود الفعل تلك مع غيرها عشوائياً،

فالمشكلة تكمن في اختلاق شيء ما غير موجود، وهو تحديداً نوع من الصنف البشري يشبه أنواع حيوانات أخرى تتضمن «حريتها» الوحيدة «الحفاظ على النوع» (Arendt ۲۰۰٤, ٥٦٥).

إن السيطرة الشاملة تسعى إلى اختزال التنوع البشري في جوهر بيولوجي سياسي، أي في نوع حيواني، لكن آرنت مضت أبعد من ذلك بقولها: إن تقليص تلك «الحياة الحيوانية» نفسها يزداد لتصبح «شيئاً» يمكن التحكم به والسيطرة عليه. إن الأمر المركزي في هذا التقليص لتنوع الفعل الإنساني، وإعادة تعريفه، بوصفه ردة فعل عشوائية هو إقامة المعسكر الذي سبق أن فهمته آرنت بوضوح على أنه مخبر تجربة بيولوجية سياسية لإلغاء العفوية الإنسانية:

إن المعسكرات لا تهدف إلى إبادة الناس وامتهان البشر وحسب، بل إنها أيضاً وفي ظل ظروف متحكم بها علمياً تخدم تجربة الإبادة المريعة للعفوية نفسها بوصفها تعبيراً عن السلوك الإنساني وعن تحويل الشخصية البشرية إلى مجرّد شيء، إلى شيء لا ينطبق حتى على الحيوانات... (٨٢٥١ ٢٠٠٤, ٥٦٥).

إن تكنولوجيا معسكر الاعتقال السياسية تُطبّق بهدف تدمير العفوية الي بغية استبدالها المحفّز بردة الفعل وتزامناً مع ذلك إخماد المقدرة على المقاومة. إنها تسعى نحو تلك الأهداف، ليس فحسب بالنسبة إلى قاطني تلك المعسكرات الذين يكابدونها مباشرة، والذين قام بازوليني بتحليل تجربتهم بشكل قاس في فيلمه «سالو أو ١٢٠ يوماً من سدوم» Saló or the تجربتهم بشكل قاس في فيلمه «سالو أو ١٢٠ يوماً من سدوم» المجتمعات التي نشأت المعسكرات ضمنها، فالمعسكر هو المنتج النهائي لفصل على أساس بيولوجي سياسي، تضمّن تدمير حقوق أقلية إضافة إلى تدميرها معنويا، وهذه خطوة مكرسة لجعل حيوات ضحاياها عديمة الجدوى تماماً. إنها

تصف هذه العملية وفقاً لإجراء عقلاني إداري قانوني موجه نحو هدف سيطرة شاملة لم يواجه أي مقاومة تذكر. في الواقع إن هدف هذه العملية يتضمن في النهاية فعلياً تقويض أي مقدرة على المقاومة:

إن تدمير الفردية يصبح ناجحاً دوماً بعد قتل الشخص الأخلاقي، وإفناء الشخص القانوني المعنوي، فمن المعقول أن يُكون بالمُستطاع إيجاد بعض قوانين لعلم النفس الجماهيري تشرح لماذا سمح ملايين البشر لأنفسهم أن يُقادوا إلى غرف الغاز دون مقاومة على الرغم من أن تلك القوانين لم تكن لتشرح أي شيء آخر عدا تدمير الفردية. وأهم من ذلك أن أولئك المحكومين بالموت إفرادياً لم يحاولوا إلا ما ندر جداً أن يأخذوا معهم أياً من جلاديهم وأنه لم يكن هناك أي ثورات جدية إلا ما ندر، بل حتى في لحظة التحرير كان هناك قليل جداً من المجازر العفوية بحق رجال الدأس أس. إن تدمير الفردية هو تدمير للعفوية، أي لمقدرة الإنسان على البدء بشيء جديد من موارده الخاصة، شيء لا يمكن شرحه على أساس ردود الفعل تجاه البيئة والأحداث (Arendt ۲۰۰٤, ۵۸٦).

إن آرنت توسّع بشكل حرفي رؤية فيبر بشأن دور الرضا في السيطرة الشرعية، لتصل إلى حد السيطرة الشاملة، وتجد أن تدمير العفوية يتزامن مع تدمير المقاومة، ثم تتخلى عن تحليليها عند هذه النقطة تاركة مجالاً ضئيلاً لتحليل المقاومة في عمل مكرّس أساساً لتوضيح نظرية السيطرة. وتماماً مثلها تتضمن السيطرة الشاملة إخماد المقدرة على المقاومة، فإن تحليل هذه السيطرة يبدو كأنه يُخفي المقاومة عينها التي تتوجه السيطرة الشاملة ضدها، إذ إن يبدو كأنه يُخفي المقاومة هو حقيقة تاريخية بدلاً من أن يكون نتيجة من نتائج نظرية السيطرة التي عندما تُسقَط على التاريخ الاستعماري وعلى تاريخ نتائج نظرية السيطرة التي عندما تُسقَط على التاريخ الاستعماري وعلى تاريخ

الشمولية فإنها تُقدّم وصفاً من طرف واحد للسيطرة الشاملة، يستثني البعد الذي تقدمه حركات المقاومة ضد النازية وضد نظرية وممارسة كل من ماو وغاندي وآخرين. إن آرنت لا ترى أن السيطرة هي بالفعل مقياسٌ لقوة المقدرة على المقاومة، وهي من خلال تشديدها على السيطرة الشرعية وعلى مشكلة «الطاعة» تحجب دور المقاومة في تحديد نوعية السيطرة وكميتها. إن غياب المقدرة على المقاومة يبقى حلقة ضعيفة في روايتها الخاصة والروايات اللاحقة للبيولوجيا السياسية، وهو غياب سمح لتأملها السياسي أن يبتعد عن التبعية المزعومة «للاجتماعي» إلى استقلالية «السياسي»، أي يبتعد عن المقدرة على المقاومة المتجذرة في المهارسات اليومية للمقاومة نحو ثورة عفوية طوباوية وإعجاب خانق بالسيطرة الشاملة الشرعية أو «بالطاعة».

ومع ذلك تبقى المقاومة وجوداً مربكاً في عمل آرنت، يُدار بتحويل سهات التحدي لدى مقدرة جماعية إلى سهات خاصة بالضمير الفردي، أو إلى نتاج عفوية مجرّدة، وهذا ما يؤدي إلى إزاحة المقاومة من المجالات السياسية إلى المجالات الأخلاقية أو الميتافيزيقية. إن إزاحة المقدرة على المقاومة ترتبط في عمل آرنت مع جدال تاريخي أشمل حول الحداثة، لُمِّح إليه في أصول الشمولية»، ثم جرى تطويره في المحالة الإنسانية» وفي شذرات من مشروعها الماركسي في أواخر الخمسينيات. إن هذا الجدال الذي يجري التعبير عنه لاحقا بجرأة كبيرة في «عن العنف» يربط تفسّخ القوة ومعه تفسّخ سياسة تستند إلى الكلام في المجال العام مع ظهور العنف والتكنولوجيا والحرب، إذ إن العنف ذرائعي وتكنولوجي أساساً: فهو الاستخدام التدميري للتكنولوجيا على الأشياء أو على البشر الذين يُنظر إليهم بوصفهم أشياء – أي هو ما وصفه جينيه بالوحشية وليس العنف، إنه سمة من سهات الإنسان الخالق Homo faber

التكنولوجي الذي يُدرس في «الحالة الإنسانية»، أي إنه رؤية لطبيعة الحضارة التكنولوجية العنيفة أساساً، وإن تحليلها يرتبط مباشرة مع نقد كلاوزفيتز الذي هو بالنسبة إلى آرنت رسول تحوّل السياسة إلى حرب أو رسول «العكس التام للعلاقة بين القوة والعنف» (۱۰، ۱۹۷۰) (۲۰۰۰) بن هذه الرؤية القاتمة لتغلّب الحرب التكنولوجية على السياسة، أي لتقليص العناصر البشرية إلى موضوعات للتعامل التكنولوجي العنيف تترك مجالاً ضئيلاً من أجل تحديد أي مقدرة على المقاومة. ففي الجزء الثالث والأخير من «عن العنف» الذي يتأمل بالعنف والحياة تربط آرنت تكنولوجيات العنف مع الكفاح من أجل الحياة وتلمّح إلى وجود استمرارية بين الحرب البيولوجية الاشتراكية القومية (البيولوجيا السياسية في هذه النقطة هي تناقض في المصطلحات بالنسبة إلى (البيولوجيا السياسية في هذه النقطة هي تناقض في المصطلحات بالنسبة إلى المتعاد من أجل الحياة. كما يوجد هناك مرة ثانية إغفال كلي لدور العنف في نظرية الأخير المناهضة للاستعمار، وهو إغفال يدل على شبه اختفاء القدرة على المقاومة في عمل آرنت (١٩٠٠).

⁽٦٠) غني عن القول إن قراءة آرنت لـ كلاوزفيتز لا تُظهر أي إلمام بإعادة اكتشاف المقاوم كلاوزفيتز من جانب أرون وهيلويغ وشميت. إنه بالنسبة إليها منظّر أولوية الحرب على المُسيّس، والعنف على القوة، وهو مبّشر بالسيطرة الشاملة بدلاً من المقاومة.

⁽٦١) توسّع آرنت ضمنياً النَسَب ليشمل اليسار الجديد في الستينيات: «إن المقولات التي بموجبها يفهم مبجلو الحياة الجدد أنفسهم هي مقولات غير جديدة، إذ إن رؤية إنتاجية المجتمع على صورة «خلق» الحياة هي رؤية قديمة بقِدَم ماركس على الأقل، وإن الإيهان بالعنف بوصفه قوة تشجع الحياة هو إيهان قديم بقِدَم نيتشه، كها أن التفكير بالإبداع بأنه مصلحة الإنسان العليا هو على الأقل قديم بمثل قدم بيرغسون» (١٩٧٠, ١٩٧٠)

تصبح الآثار المترتبة على انسداد المقدرة على المقاومة جلية جداً، في قضية التأمل الجدالي بشأن المحرقة Shoah الذي أثارته محاكمة أدولف إيخهان فضي المخرقة Adolf Eichman، ففي المخروب ففي القدس: تقرير حول تفاهة الشر» ادعت آرنت أن محاكمته كانت أيضاً محاكمة ليهود الشتات من جانب الدولة الصهيونية، فقد كتبت في بداية تقريرها:

إن التعارض بين (البطولة الإسرائيلية) والتخاذل الخانع الذي ذهب فيه اليهود إلى حتفهم، من حيث الوصول في الوقت المحدد إلى نقاط النقل والمشي على أقدامهم إلى أماكن الإعدام وحفر قبورهم الخاصة وتعرّيهم وجمع ملابسهم في أكوام أنيقة والاستلقاء جنباً إلى جنب كي تُطلق النار عليهم، بدا نقطة بارعة، كما أن سؤال المدعي لشاهد بعد شاهد، «لماذا لم تحتج؟»، «لماذا ركبت القطار؟»، «خمسة عشر ألف من الناس كانوا واقفين هنا ومئات من الحراس يجابهوكم، لماذا لم تثوروا؟ وتتقدموا وتهاجموا؟»، شرح النقطة وأعطاها حق قدرها، لكن الحقيقة المحزنة للمسألة هي أنه أُسيء فهم تلك النقطة، إذ لم يتصرف أي أناس أو مجموعة من غير اليهود بشكل مختلف (١٩٧٧, ١٩٧٧).

هنا أصبحت الطاعة التامة المزعومة بالنسبة إلى آرنت شاهداً على السيطرة الشمولية وفقدان أية مقدرة على المقاومة من جانب المواطنين اليهود في الشتات.

إن الحسرة على غياب المقاومة في «النصبة في القدس» لهي بالنسبة إلى آرنت دليل على فقدان نظرية المقاومة أكثر مما هي مسألة تدوين تاريخي، إذ إن مثالها الرئيس عن حالة مقاومة استثنائية في الأعمال البطولية للعريف

٧٤). إنه نَسب تتبعه آرنت عائدة حتى كلاوزفيتز وإلى أولوية العمل العنيف على الكلام والسياسة المزعومة في كتاب «في الحرب».

أنتون شميت " Sergeant Anton Schmidt يُقدَّم كمثال على المقاوم الأخلاقي الفردي المدفوع بإملاءات أخلاقية. هذه هي بالفعل مقاومة أنموذجية فردية استثنائية بالنسبة إلى آرنت، كما أن الشهادة بأعمال شميت في أثناء المحاكمة بالنسبة إليها أعطت بصيص ضوء للمجريات القاتمة.

وفي هاتين الدقيقتين اللتين كانتا مثل ومضة ضوء مفاجئة، وسط عتمة ظلماء، برزت فكرة وحيدة بوضوح، فكرة دامغة، ولا يرقى إليها الشك، وهي: كم كان كل شيء ليبدو اليوم مختلفاً تماماً في غرفة المحكمة هذه في إسرائيل أو في ألمانيا أو في كل أوروبا، وربها في جميع دول العالم، لو أمكن فحسب رواية مزيد من مثل هذه القصص (٢٣١، ٢٣١).

بالطبع، ترتبط هذه الإضاءة مع اهتهامات آرنت الأشمل بالسرد والسياسة، وفي النهاية بمحاولتها إعادة التفكير في الحكم التأملي لدى كانط وفقاً لحكايات أنموذجية، لكنها تقود إلى نظرية مقاومة تحدد مكان المقاومة في الضمير الفردي وفي العفوية. إن شميت المقاوم الألماني الذي يواجه المنصاع إيخهان يوصل آرنت إلى نتيجة مخدّرة يُختتم بها «إيخهان في القدس»، ألا وهي إنه، وبالحديث سياسياً «فمن الصحيح أن معظم الناس سوف ينصاعون في ظل ظروف الإرهاب، لكن بعضاً منهم لن ينصاع...» ينصاعون في ظل ظروف الإرهاب، لكن بعضاً منهم لن ينصاع...» التي توردها آرنت نفسها وهي أن مقاومة شميت تضمنت العمل مع «أعضاء في الحركة السرية اليهودية» ومساعدة «المناصرين اليهود عبر

⁽٦٢) الإشارة هنا إلى العريف شميت (١٩٠٠-١٩٤٢) الذي أعدمه قادته النازيون بسبب مساعدته لـ ٢٥٠ من الرجال والنساء والأطفال اليهود في الهروب من الإبادة عبر إخفائهم وتزويدهم ببطاقات هوية مزورة [المترجم].

تزويدهم بأوراق مزورة وشاحنات عسكرية» (Arendt 19۷۷, ۲۳۰). هذا يعني أن شميت لم يكن فرداً يعمل وفقاً للضمير الفردي، بل إنه كان يشارك في حركة مقاومة، وكانت أعماله ممكنة فحسب نظراً لوجود مقدرة على المقاومة جماعية ومنظمة ومحددة تاريخياً.

إن سؤال آرنت الافتتاحي لماذا الطاعة؟ وجوابها، بسبب السيطرة الشمولية، يسلم المبادرة النظرية إلى السيطرة الشرعية، كها استهل بادرة لا تزال تؤثر في السياسة البيولوجية حتى في أشكالها الأكثر حداثة وتطرفاً. يبقى تفكير آرنت والتفكير البيولوجي السياسي الحالي نظرية سيطرة قبل كل شيء، وليس له في كثير من الحالات نظرية مقاومة محددة، فهو يبدأ بالطاعة ويتخذ دور العاصي في حالات استثنائية بدلاً من البداية بالتحدي واحتساب الطاعة استثناءً معيارياً. إن الجواب في مثل هذه المقاربة على السؤال المصاغ وفقاً للسيطرة الشاملة الشرعية: وهو لماذا لم يكن هناك مقاومة؟ هو جواب يتملص من السؤال حقيقة، فعلى العكس من ذلك فإن المقاومة إذا ما أخذت زمام المبادرة النظرية، أي إذا لم توضع في موقع دفاعي أمام السيطرة، وإذا ما قورب غيابها المزعوم بشك ومن منظور إستراتيجي بدلاً من أخلاقي، عندها قد يصبح ممكناً تأسيس فلسفة سياسية – ولا سيا فلسفة بيولوجية سياسية – حول نظرية المقاومة بيولوجية سياسية بيولوجية سياسية – حول نظرية المقاومة بيولوجية سياسية بحول نظرية المقاومة بيولوجية سياسية بيولوبية بيولوبية بيولوبية سياسية بيولوبية بيولوبية سياسية بيولوبية بيولوب

⁽٦٣) إن الخطوة المهمة في هذا الاتجاه هي كتاب «الطريقة الليبرالية للحرب» (٢٠٠٩) مع الخطوة المهمة في هذا الاتجاه هي كتاب «الطريقة الليبرالية للحرب» (٢٠٠٩) The Liberal Way of War له ديلون Dillon وريد Reid الذي يواجه السياسة البيولوجية مع الأطروحات الكلاوزفيتزية بشأن الحظ والعنف في السياسة والحرب. إن وصفها للعلاقة المتنامية والمعقدة بين المقاومة والمقاومة المضادة وبين الحكومة العالمية والإرهاب العالمي يُشير إلى تكثيف التشويش الأساسي بالنسبة إلى فكرة المقاومة، فهما يظهران التواطؤ والتبادل الغريب بين الهيمنة والمقاومة بأنه شكل من التصعيد التأملي

٤-٤ - المقدرات شبه الصفرية على المقاومة: عقيدة المطاردة:

الآن سوف ترى شيئاً ما، إنه المطاردة، فلن تصدق ما لم ترها بنفسك (كارسكي، «قصة دولة سرية» Karski, Story of a Secret State).

إن محاولة تقليص المقدرة على المقاومة إلى درجة الصفر أو إلى نقطة تقترب منها، ليست مجرّد تجربة فكرية، بل إنها خيار سياسي عسكري جرت متابعته تاريخياً بإصرار منتظم. إنها تحديداً ما دعته آرنت «السيطرة الشاملة» التي اتُبِعت في نظام المخيم النازي وما عاد إليه أغامبين Agamben في توصيفاته ل موسيلهان Muselmann في «ذكريات أوشفيتز» فاستمن بان المقاومة إلى شبه الصفر لا يتضمن نهاية المقاومة إن تقليص المقدرة على المقاومة إلى شبه الصفر لا يتضمن نهاية المقاومة فحسب، بل إنه أيضاً يرسم حدود نظرية الحرب الكلاوزفيتزية، فعند هذه النقطة (يُوحشن) العدو – والمعرّف تحديداً بمقدرته على المقاومة – ويُحوَّل إلى فريسة. إن الفريسة لا تنهمك في حرب، فهي ليست عدواً سيُحارَب وفقاً فريسة. إن الفريسة لا تنهمك في حرب، فهي ليست عدواً سيُحارَب وفقاً

الكلاوزفيتزي ويحاولان الإشارة خلفها إلى الشخصية الصاعدة (للمقاوم الأزعر voyou)، أو المحتال rogue التجريبي «الذي لا نفع فيه»، والذي يقاوم عبر التعامل في لعبة تأملية من المقاومة والمقاومة المضادة. إن شخصية توم بين Tom Paine الذي يلازم شبحه «الطريقة الليبرالية للحرب» هي بالضبط هذا المحتال، أي الشخص الأنموذج لدعوة إنقاذ «شرف السياسة» الذي يخلص إليه كتابها.

⁽۱) المعنى الحرفي لهذه الكلمة الألمانية هو مسلم، وكانت تُطلق على السجناء في معسكرات الاعتقال الذين كانوا شبه أموات، أي في حالة انهيار جسدي ومعنوي بسبب الجوع والإعياء والمرض، وقد تجلي ذلك في غيابهم عن الوعي وفي عدم مبالاتهم بها حولهم وعدم مقدرتهم على الوقوف إلا مدة قصيرة جداً. ويُرجِع بعض الباحثين سبب إطلاق هذه التسمية على تلك الفئة من السجناء، وضعهم الجسدي الذي كان يشبه المسلم في وضعية الركوع والسجود في أثناء الصلاة [المترجم].

لقواعد الحرب، بل إنها شكل من الحياة الحيوانية التي يمكن أن تُطارد، وتُعتَقل أو تُكلف بالعمل العبودي أو تُباد، وعندما يُختزَل العدو إلى فريسة، فإن مقدرته على المقاومة تقترب من الصفر، وهو تقليص يتجلى في الملاذ الأخير للبقاء على قيد الحياة عبر الهروب.

إن كتاب «مطاردة الإنسان» Les Chasses à l'homme لا غريغوار شامايو Grégoire Chamayou هو تحليل مفهوماتي تاريخي مهم لظاهرة المطاردة، ففي هذا الكتاب وفي كتابات أخرى، ولا سيها في تأملاته في مطاردة أسامة بن لادن واغتياله، يصر شامايو أن حقبة من المطاردة وإبادة «الأعداء» السابقين الذين حُصِروا الآن في وضعية الفريسة أخذت تخلف الحقبة الكلاوزفيتزية الخاصة بالأعداء المُعلنين الذين يطعنون بمقدرات بعضهم بعضاً على المقاومة في الحرب:

وعلى النقيض من التعريف الكلاسيكي لدى كلاوزفيتز، فإن مثل هذه الحرب التزامنية cynergetic war ليست مبارزة في بُنيتها الأساس. فالبنية لا تتضمن مقاتلين يتواجهان، بل إنها تتضمن شيئاً آخر: مُطارِد يتقدم وفريسة تهرب وتختبئ (Chamayou ۲۰۱۱, ۲).

إن الخيار الوحيد للفريسة المُطارَدة، وهو خيار تبناه أسامة بن لادن، هو خيار النجاة عبر الهروب والتخفي، كما أن المُطاردة نفسها هي عملية شُرطية تُدار خارج البنى القانونية الرسمية، وهي عملية مكرّسة للاعتقال أو الإبادة، وهكذا فإن الوصول إلى نقطة الحد الأدنى من المقدرة على المقاومة يتم من خلال تحويل الحياة إلى بقاء على قيد الحياة في ظل ظروف من المطاردة.

إن شامايو بهذا التأمل في تحوّل الحرب إلى مطاردة يقوم بخطوة نظرية ذات أهمية قُصوى في فهم تقليص المقدرة على المقاومة تُضفي بعداً حركياً

على الوصف الثابت لسيطرة المعسكر التامة التي طرحتها آرنت وطوّرها أغامبين لاحقاً في رباعية «الإنسان المُستباح». فالحرب التزامنية تلتزم بالخطة الآرنتية Arendtian في تحديد الناس المُستهدفين وتجميعهم وتصفيتهم، إذ إن تحديد مكان الفريسة عبر الترصّد هو الخطوة الأولى، وتتبعها المطاردة، ثم إلقاء القبض، فالحبس أو الإفناء. إنها إستراتيجية تشرح مسار المطاردات التاريخية والحديثة، أي إن تقليص العدو إلى فريسة يميز بالقدر نفسه مصير اليهود وشعوب أخرى في أثناء الحرب العالمية الثانية ومطاردة بابون والشرطة الباريسية المميتة للمتظاهرين الجزائريين ليلة ١٧ تشرين الأوّل / أكتوبر ١٩٦١ بمثل تمييز ما تسميه الحكومة الهندية صراحة «عملية المطاردة الخضراء» المُكرسة لتصفية المقدرة الجسدية للشعب القبلي الهندي على المقاومة وتمظهرها مؤخراً في العصيان الماوي «Araist» ومع ذلك فإن المايو مثله مثل آرنت يُخطئ في تقليله من قيمة المقاومة وفي تركيزه الأحادي على السيطرة أو على منظور المُطارد.

يقتبس شامايو في بداية كتاب «مطاردة الإنسان» بعبارة تصديرية نسخة غير منقحة من ادعاء أرسطو المتضمن أن «فن امتلاك العبيد، أعني اكتسابهم بعدالة [هو فن] يختلف عن كل من فن السيد وفن العبيد، لأنه نوع من الصيد أو الحرب» (Aristotle, Politics 100b, ٣٨-٤٠). يأتي هذا مباشرة بعد مقطوعة ملطّفة يعهد فيها مالكو العبيد بهم إلى وكلاء يهارسون فن السيد بحيث يُترك

⁽۱) بالنسبة إلى «عملية المطاردة الخضراء» Operation Green Hunt انظر Operation Green Hunt ومجموعة مقالات من كتاب «الديمقراطية والصراع الطبقي عملية المطاردة الخضراء: حرب الهند على الشعب» (۲۰۰۹) Operation Green Hunt: India's War on the (۲۰۰۹) ولمزيد من النقاش انظر الفصل الخامس أدناه.

المالكون للتفرّغ في «إشغال أنفسهم بالفلسفة أو بالسياسة». كما أن أرسطو يعود لاحقاً في كتاب «علم السياسة» Politics (الكتاب ٧، الفصل ١٤) إلى تملك العبيد، وذلك في نقاشه «للحياة برمتها» وللفرق بين المبدأ العقلاني للروح الذي يأمر والمبدأ الأدنى أو غير العقلاني الذي يُطيع. إن هذا التسويغ للعبودية يُدعم بسلسلة من التقسيات الإضافية التي تضع الحرب ومؤسسة العبودية في صف واحد، وتستنتج أن الحرب تُشن «ليس بهدف استعباد أولئك الذين يستحقون الاستعباد، لكن من الواجب عليهم قبل كل شيء أن يحتاطوا ضد عبوديتهم» (Politics ۱۳۳۳b, ۳۸-٤٠). إن الدافع وراء دراسة الحرب هو الحاجة إلى الاحتياط ضد العبودية، وهو ما يُنبئ بها يصفه كلاوزفيتز لاحقاً بأنه الحفاظ على المقدرة على المقاومة، لكنه يبتغى أيضاً «كسب الإمبراطورية لصالح المحكومين». يعود أرسطو إلى الافتراض الذي لا يكاد يختفي في كل هذا، وهو افتراض يزعم أن دراسة الحرب هي من أجل أولئك الذين «يسعون كي يصبحوا سادة فحسب على أولئك الذين يستحقون أن يكونو اعبيداً» (Politics) ١-٢ ١٣٣٤٥. ينتقد شامايو بشدة هذا التعريف الوجودي للجدارة بالاستعباد ويستخدمه في شرح سبب مطاردة العبد المتمرد حتى الإفناء، لكنه لا يتبع تفسير الطابع الهجين للحرب/ المطاردة التي ألمح إليها أرسطو وبذلك فإنه عملياً يفصل بين الاثنين، فبالنسبة إلى أرسطو يمكن امتلاك العبيد باصطيادهم أو بوساطة الحرب التي تقلُّص مقدرة العدو على المقاومة عبر استعباده.

ويستفيض شامايو في شرح رواية تاريخية تصبح فيها ملاحقة العبيد عبر المطاردة أمراً مركزياً، ويركز على تجارة العبيد الأطلسية وتقديمها للمطاردة كعنصر أساس في ثقافة الرأسهالية والاستعهارية الناشئتين، إن الأمر المركزي في روايته هو النقد القوي والمذهل لجدلية (العبد – السيد)

عند هيغل، إذ إن شامايو يبيّن أن السيد لا يعرّض حياته للخطر والعبد لا يفضّل الحياة على الموت، وأن الصراع بينها من أجل الاعتراف، غير موجود، والتوسط بينها يتأمن عبر شخصية الكلب المُدرّب على مطاردة الفريسة. ففي قراءة شامايو:

خلافاً للأسطورة الملحمية للسيد، فإن قوتها غير مستمدة من نصر يتحقق في نهاية مواجهة حرة بين ضميرين، إذ إن أصل العبودية الحديثة هو المُطارَدة وليس المبارزة (Chamayou ۲۰۱۰, ۹۹).

إن السيد لا يواجه العبد في صراع من أجل الاعتراف، لكنه بكل بساطة يُطلق كلابه عليه، وبذلك فإنَّ شامايو لا يقلل من قيمة ادعاءات الجدل الهيغيلي فحسب، بل إنه يقلل أيضاً من قيمة فن الحرب لدى كلاوزفيتز لأنه هو الآخر يعتمد على التعارض المركزي للنزاع، فبدلاً من الحرب - سواء أكانت للاعتراف أم للحفاظ على مقدرة المرء الخاصة على المقاومة من خلال إضعاف تلك العائدة للآخر - يصل شامايو إلى المطاردة مع إطلاق السادة كلابهم أو (الشرطة/ المطاردين) لملاحقة أناس منزوعي الذاتية وموحشنين يُلقى القبض عليهم ويُوضعون في الخدمة أو يُعدمون ميدانياً.

إن مناقشة مطاردة العبد/السيد الهيغيلية في «مطاردة الإنسان» مناقشة معبرة بسبب إهمالها تجربة المُطاردين، إذ إن تحليل شامايو يُقدَّم عموماً من وجهة نظرة المُطارد، وفي حين أن التحليل ينتقد علم السيد/المُطارد فإنه يعطيه أفضلية، لكن أرسطو لم يطرح فن أو علم السيد فحسب، بل طرح فناً للعبد أيضاً. إن الأول هو العلم والفن الذي حاز تاريخياً على أكبر قدر من الاهتمام في عقائد السيادة والقانون والمشروعية وإن شامايو من خلال نقده له باسم المطاردة فإنه ينقضه، لكنه في الوقت نفسه يصادق ضمنياً على أولويته، إنها من

المهم عدم نسيان فن العبد وعلمه، ويبدو أن أرسطو قد حصر ذلك في «تعليم العبيد واجباتهم اليومية... كالطبخ وفنون دونية مشابهة» (٢٦-٢٥ ,٢٥ الطبخ وفنون دونية مشابهة لكن من المكن توسيع هذا الفن كي يتضمن فنون المقاومة وفن وعلم مقاومة جديدين على مستويات من المقاومة تقارب درجة الصفر.

إن شامايو في نقده جدلية (السيد/ العبد) عند هيغل يقترب من تطوير نَسَب لفن الخادم وعلمه، لكن مع ذلك لا تزال روايته لوعي الذات المُطارَدة تُعطي الأولوية إلى مبادرة المطارِد. إذ إن الذات المُطارَدة أو في هذه الحالة العبد الفار

[...] بالتأكيد يظفر ثانية بحرية حركته، وهو يهرب، لكنه يعلم أنه نفسه لا يزال مُلاحقاً، وأن حياته الجديدة هي حياة وجود مُطارَد. مرة أخرى إن هذا يشكّل عن بعد صيغةً معينةً من التذويت Chamayou ۲۰۱۰, ۱۰۲).

إن شامايو بمساعدة سارتر يُنعش الدياليكتيك في فن العبد وعلمه ويتوافق مع افتراض أرسطو المتضمن أن ذلك ما هو سوى انعكاس لفن السيد وعلمه. إذ إن الذات المُطارِدة تصبح سريعاً ذاتاً مطارِدة تبقى على قيد الحياة فحسب بوساطة عكس مبادرات مطاردها وتوقعها:

على الإنسان المُطارَد كي يصبح قادراً على توقع ردود فعل متعقبيه أن يتعلم قراءة أفعاله الخاصة بعيون مُفتَرِسه، إن هذا الاستبطان لنظرة الآخر يجعله يطور تعقّلاً شديداً يُنتج شكلاً من بلبلة شالّة من صنف جنون الاضطهاد... (Chamayo ۲۰۱۰, ۱۰۲)

لقد وصلنا إلى النقطة التي وصلها فانون في تشريحه السيكولوجي للوعي المستَعمَر، لكن شامايو يلجأ عند هذه النقطة من روايته إلى عكس جدليّ أو إلى عكس تأملي، يصبح فيه المُطارَد مطارِداً والمُطارِد مطارَداً:

إن الفريسة ومن خلال إدراجها منطق مُفتَرسها في برنامج عملها تُطوّقُ وتُستَبطن. ومن ثم فالفريسة - نتيجة لهذا (الدياليكتيك) الأول من المطاردة - تكتسب المقدرات العقلية للمطارد، في حين أنها تبقى مجرّد فريسة، وإذا كانت هذه القابلية لا تزال تسمح للفريسة في هذه المرحلة المبكرة أن تخمّن نوايا متعقبيها فإنها سوف تمكنها سريعاً من فعل شيء مختلف تماماً، إذ إن فن الهروب المجدي بقدر ما يفترض سيطرة عقلية على المنطق التزامني، فإنه يُميّئ لعكس علاقة المطاردة. إن الفريسة تحوّل نفسها من هدف مطارد إلى ذات، أي إنها تجعل من نفسها مطارداً كامل الحقوق من هدف مطارد إلى ذات، أي إنها تجعل من نفسها مطارداً كامل الحقوق (Chamayou ۲۰۱۰, ۱۰٤).

لكنْ يوجد هناك شيءٌ شكليٌّ ومحكمٌ جداً في العكس المرآتي للمطارِد والمطارَد، ألا وهو حصر فن العبد وعلمه في وضعية عكس دياليكتيكي لعلاقة (أو لا علاقة) المُطارد والمُطَارَد.

إن إعادة اكتشاف شامايو للعكس الدياليكتيكي في لحظة المقدرة شبه الصفرية على المقاومة تحصر فن العبد وعلمه في الدياليكتيك، بل أكثر من ذلك في دياليكتيك مرآي للمطار والمطارد. إن رواية إرنيست يونغير Ernest Jünger في دياليكتيك مرآي للمطار والمطارد. إن رواية المناهضة للنازية المُعنونة بـ «على منحدرات الرخام» On the Marble Cliffs هي تأمل تنبؤي فَطِن حول حدود هذا الدياليكتيك للمطارد والمطارد ونتيجته المشؤومة. كما أن هذا الدياليكتيك يستحضر ثورة أخلاق العبيد النيتشية مع

الحقد المودع في البلاء المتضمن أن المطارد يمكن أن يهرب فحسب بوساطة تحوّله إلى مطارد، أي عبر نفي اضطهاده واستبطانه له من خلال التسلط الدائم والحقود. فمع المقاومة كهروب ومراوغة يوجد هناك مجال ضئيل للتحدي أو للتطوير أكثر بكثير من وضعية ارتكاسية مُصَممة للنجاة من شراسة المطارد المباشرة والملحة. ومع ذلك يُشير شامايو أحياناً إلى احتمالات أخرى خاصة في نقاشه لمطاردة الفقراء عندما يتطرق إلى إيواء الشعب للفقراء المطاردين نقاشه لمطاردة الفقراء عندما يتطرق إلى منطق مختلف، منطق تضامن يجبط منطق المطاردة، لكن ليس عبر تبنيه وعكسه، بل إنه يؤشر إلى لحظة نادرة في التحليلات التي تكوّن «مطاردة الإنسان».

ماذا كان فن العبد أو علمه سيشبه لو لم يكن مقصوراً على الاستجابة بطريقة مرآتية إلى فن السيد وعلمه؟ من الجدير ذكره أن الاستخدامات الأولى لمصطلح «مقاومة» في السياق المدني انبثقت عن تجربة العبودية الإفريقية الأمريكية، ففي واحدة من أولى مقالات مجلة «أطلانتيك» The Atlantic بعد قرار المحكمة العليا الأمريكية الخاص بدريد سكوت "Dred Scott القاضي أن العبيد لا يمكن أن يصبحوا مواطنين، ووسط صراع سياسي ومدني متنام يحيط بتوسيع العبودية سأل إدموند كوينسي Edmund Quincy: «هل روحنا محطمة فعلياً؟ هل

⁽۲) الإشارة هنا إلى دريد سكوت (١٧٩٥-١٨٥٨) الذي حاول الحصول على حريته من خلال النظام القضائي الأمريكي. لكن حكم المحكمة الأمريكية العليا عام ١٨٥٧ رفض التهاسه وقضى أنه لا يمكن لأي عبد (وهو ما كان يُطلق على أي شخص من دم إفريقي) أن يصبح مواطناً، مما أغاظ الشهاليين من مؤيدي القضاء على العنصرية، فأصبحت قضيته نقطة جذب ومهدت الطريق أمام انتخاب الرئيس أبراهام لينكولن (١٨٠٩-١٨٦٥) Abraham Lincoln

سمة الخسة والمساومة حرقت أرواحنا بشكل لا يُمحى؟ وهل لأي مذلات أن توقظ فينا أبداً سخطاً شديداً ومقاومة مؤثرة؟» إلا أن تلك المقاومة أصبحت أكثر من عكس لدوري المطارد والمطارد، وذلك على الرغم من أنها في الأغلب تبنت صيغة الهروب وأدت إلى قوانين الولايات المتحدة المخجلة التي تسمح بمطاردة العبيد الفارين واسترجاعهم. بعبارة أخرى يجب على المقاومة الفعّالة أن تصبح أكثر من سخط شديد.

إن فن المقاومة وعلمها بمعنى ما يرفضان اختيار أرسطو للحرب أو للمطاردة وسيلة لتملّك العبيد (والاحتفاظ بهم) لمصلحة حرب/ مطاردة هجينة، إذ يجب أولاً أن يقاوم علم العبد وفنه إغراء الدخول في علاقة مراتية مع المطاردة من خلال الإبقاء على مفهوم العداوة بالنسبة إلى المطارد، إذ إن المُطارد سوف يختزل خيارات الفريسة بتلك المناسبة للفريسة، في حين أن المقاومة تتضمن إقراراً بأن المطارد يهارس مقاومة متحدية ضده، على أساس العداوة، بدلاً من مقاومة على أساس المطارد والفريسة، وإن هذا التشديد هو الذي يولّد ذاتاً ليست مجرّد شخصية مراتية للمطارد، كما أنها تعزز أيضاً مقدرة الذات على المقاومة.

إن عدّ المطارِد عدواً يسمح لأشكال أخرى من منطق المقاومة أن تنهمك في تنشغِل بها يتعدى أولئك الناجين من المطاردة، وبالنتيجة أن تنهمك في صراع سياسي وثقافي وعسكري مع المطارِد، بوصفه عدواً، وليس بوصفه مطارِداً أو فريسة محتملة، ومنذ البداية تقدم المقاومة الإفريقية –الأمريكية مروراً به الحرب الأهلية وبحركة الحقوق المدنية وأعمال أخرى في الستينيات، مثالاً حياً على رفض قبول المنطق التزامني أو انعكاساته، وعلى

⁽٣) إدموند كوينسي Edmund Quincy في كتاب «المسألة التذكارية الأطلسية الخاصة: الحرب الأهلية». كتب المقدمة الرئيس باراك أو ياما March ۲۰۱۲, ۱۲-۱۳) President Barack Obama).

تعزيز مقدرة دنيا على المقاومة من خلال صراع مديد يُخاض مع عدو على عدد كبير من الجبهات أن تبني جينيه لمنظور الذات المقاومة هو تصحيح أنموذجي، وهو تصحيح أيّد تشديد الفهود السود على العداوة أو رفضهم التحول إلى فريسة وإنْ كانوا يخضعون فعلياً للمطاردة أنه أنه ويسة وإنْ كانوا يخضعون فعلياً للمطاردة أنه أنه المناه وإنْ كانوا يخضعون فعلياً للمطاردة أنه أنه المناه وإنْ كانوا يخضعون فعلياً للمطاردة أنه أنه المناه وإنْ كانوا يخضعون فعلياً للمطاردة أنه المناه والنه في المناه والنه والنه في المناه والمناه والنه وله والنه والنه والمناه والنه و

إن كتاب هيوي بي. نيوتن Huey P. Newton إن كتاب هيوي بي. نيوتن Revolutionary Suicide الموسومة بـ «الحرب ضد الفهود: War Against the Panthers: A Study of المتحدة»

⁽٤) إن المقاومة الإفريقية-الأمريكية مشهورة باستمرارها وبنوعية الجدالات الداخلية المتعلقة بفن المقاومة وصياغة المقدرة على المقاومة. إن عمل كل من دوغلاس ومارتن لوثير كينغ الصغير ومالكوم إكس وهيوي بي نيوتن قد نشأ من أرضية تجربة مقاومة متواصلة ومقاومة مضادة، كما أن الاختلاف بين الدكتور كينغ ومالكوم إكس هو= =اختلاف مهم جداً بالنسبة إلى مسألة المقاومة العنيفة واللاعنيفة، وإلى تكوين مقدرة على المقاومة تفترق عن العلاقات المرآتية التي يدفع إليها فن التسيد، ولأن اللاعنف بالنسبة إلى الدكتور كينغ المُعجب بكل من غاندي ونيتشه كان مسوّغاً تكتيكياً وأخلاقياً بوصفه افتراقاً مع بني الحنق: «كانت المقاومة اللاعنيفة قد ظهرت (كتكنيك) حركة، في حين مثّل الحب الأنموذج الناظم. بكلمات أخرى، إن المسيح أمدّ الروح والدافع، في حين أن غاندي وفّر المنهج» (Carson, TV). إن الذي قصده الدكتور كينغ بالحب هو بالتحديد كسر العلاقة المرآتية بين المطارَد والمطارد وبين مقاومي الحقوق المدنية والمقاومة المضادة للرجال ذوى الكلاب. أجاب الدكتور كينغ بقوة على الانتقادات الموجهة لموقفه من جانب مالكوم إكس والآخرين الذين رأوا أنها خيار إنشائي أكثر مما هي خيار ضعيف وارتكاسي: «أنا لا أقول لك أن تجلس وتقبل الظلم بصبر، أنا أتحدث عن قوة قوية جداً، إذ تقف بكل ما أُوتيت من قوة ضد نظام شرير، فأنت لست جباناً، أنت تقاوم، لكنك أصبحت ترى أنه من الأفضل من الناحية (التكتيكية) والأخلاقية أن تكون غير عنيف» (Carson, ٢٦٦).

⁽٥) إن مصير هيو بي نيوتن لهو دليل محزن على الآثار الوحشية والتدميرية للمطاردة، حتى على أكثر المطاردين مقاومة، انظر Pearson ١٩٩٦.

بالمطارد/ المطارد. وصف نيوتن هذه الوضعية بأنها «انتحار ثوري» أو أنها اللطارد/ المطارد. وصف نيوتن هذه الوضعية بأنها «انتحار ثوري» أو أنها الرفض المنضبط لقبول شروط المطارد بوساطة تبني وضعية الفريسة، فهذا الفعل من المقاومة تضمّن الحفاظ على وضعية العداوة حتى عند الخضوع للمطاردة، بل حتى إلى حد الموت على يدي المطارد:

كنت سابقاً قد واجهت الموت لكن في ظل ظروف مختلفة، لقد كان هناك عفوية وفجائية في كل مواجهة، وكان هناك إمكانية للاحتيال على الموت، لكن عندما تقتلك الدولة ليس هناك احتيالات لأن حتمية الموت تصبح مطلقة، إن مواجهة الإعدام على يد الدولة يستلزم نوعاً خاصاً من الشجاعة هو المقدرة على العمل بشرف وكرامة ضمن حالة مُهينة تماماً، وإنَّ هذا هو الشكل المطلق للحقيقة (٢٠٠٩, ٣٠٢).

إن نظرية الفهود وممارستهم تقدم تصحيحاً مهماً لعقيدة المطاردة وافتراضها أن على المقاومة أن تتأقلم مع مبادرة المطارد، أي أن تتبنى وضعية وافتراضها أن على المقاومة أن تتأقلم مع مبادرة المطارد، أي أن تتبنى وضعية حقد. وبالفعل استخدم نيوتن نيتشه من أجل تطوير فهم للمقاومة الإثباتية وزعم أن أفكار الأخير «كان لها تأثيرٌ كبيرٌ على تطور فلسفة الفهود السود» (Newton ۲۰۰۹, ۱۷۳). تعلم نيوتن من نيتشه ضرورة مواجهة المطارد بوصفه عدوّا، فبدلاً من مكابدة تعريفات الظالم كان من الضروري الانخراط في الحرب في هذه الحال في «شكل من الحرب النفسية [التي] زادت من وعي الناس وفرضت على الدائرة الحاكمة وعياً جديداً» (۱۷۵ ، ۲۰۰۹ ، ۱۷۵). إن المثلين على السياسة النتشية الناجحة هما إعادة تقييم الشرطة بوصفهم إن المثلين على السياسة التشية الناجحة هما إعادة تقييم الشرطة بوصفهم «خنازير» وابتداع الشعار أو الأمر القطعي: «كل السلطة للشعب»، إذ إن نيوتن فهم الشعار بأنه صيغة لتأكيد «إحساس كبير من الاحترام والحب

للشعب، ولفكرة أن الشعب يستحق الحقيقة والصدق التامين» (٢٠٠٩, ١٨٠ من وفي حين ظلَّ الفهود السود واعين على نحو مؤلم بأنهم كانوا مطاردين، فإنهم رفضوا تبني وضعية الفريسة، أي إنهم رفضوا السعي للتخفي أو تمويه أنفسهم، ومن ثمَّ فإنهم نالوا إعجاب جينيه. إن عقيدة المطاردة بتركيزها كها في الفصل التاسع من «مطاردة الإنسان» على زمرة المجرمين المتعقبين للضحية السوداء وبوضعها الإعدام كـ«نقطة الذروة لطبيعية مكوّنة من احتقار مستمر ومتعدد الأشكال لحياة المحكومين» (٩٠٠ ٢٠٠٩) فهي تحاكي الاختزال عينه للمقدرة على المقاومة إلى الصفر، فيصبح هدفها الصريح، بل إنجازها، هو تحديه أو على الأقل إظهاره.

ع - ٥ - «سالو» أو نهاية المقاومة:

إن فيلم بير باولو بازوليني Pier Paolo Pasolini الأخير الذي يحمل عنوان «سالو أو ١٢٠ يوماً من سدوم» (١٩٧٥) Saló or the ١٢٠ Days of (١٩٧٥) هو محاولة مدروسة لتخيّل مقدرة على المقاومة مختزلة إلى ما يقرب الصفر، ويمكن تفسيره بأنه تأمّل نقدي ذاتي عن حياة مقاومة جمالية وسياسية وجنسية عانت في البداية من ندوب المفارقات الوحشية للمقاومة التاريخية الإيطالية. لقد كانت وضعية مقاومة المقاومة المُمثلة في «سالو أو التاريخية الإيطالية. لقد كانت وضعية مقاومة المؤلومة بازوليني في المقاومة الشاملة ضد أعراف المجتمع الإيطالي الأخلاقية والسياسية والجمالية والجنسية. فقد بازوليني المولود في شمال إيطاليا (فريولي المواود في أوستيا Ostia) عام ١٩٢٧ أخاه المقاوم مع المقاومة وقُتِل في أوستيا Ostia عام ١٩٧٥. إن المواقف المتضاربة في الأغلب التي يتبناها في ممارسته للمقاومة المثيرة للجدل

عبر الشعر والأفلام والصحافة، أضفت بأشكال مختلفة غموضاً على الاتساق السياسي لعمله وأسهمت في كسوفه الجزئي بعد موته.

تحدّی جورج دیدی – هبرمان Georges Didi-Huberman مؤخراً – تحديّاً قويّاً - هذا الإهمال، وتأمّل في أسبابه، وذلك في كتاب «بقاء البراعات على قيد الحياة» (Survivance des lucioles (۲۰۰۹) الذي هو أيضاً نقد مشفّر بخفة للفيلسوف أغامبين الذي يُزعم أنه الأقرب إلى بازوليني ". إن رؤية هبيرمان مغزى نبذ بازوليني للمقاومة، ولا سيما في فيلمه الأخير، هي رؤية قابلة للنقاش وإن كانت تدعو إلى العودة إلى تفكير بازوليني السياسي. إنها رؤية تقلل بطرائق متعددة من التزام بازوليني بالمقاومة وقبل كل شيء بالمقاومة السلبية أو المدنية، وهذا ما يتضح في افتتانه بـ الهند وبالفكر والمارسة السياسية لدى غاندى، كما أنه أمر لم يستوعَب ولم يُقدِّر مغزاه كليّه، فمقاومة بازوليني لتبني نهاذج المقاومة المسلحة التي تبناها المقاومون الغربيون تتأثر بدعمه لمواقف غاندي عن الساتيغراها اللاعنيفة. كما أن قراءته للشخصية المقاومة الغاندية اللاعنيفة التي ترجع إلى القديس فرانسيس، وحتى إلى المسيح هي جزء من مشروع أشمل من إعادة اكتشاف وإنعاش للجوانب المنسية في العرف الأوروبي على ضوء التجارب غير الأوروبية، إن غزارة مادة هذا المشروع هي غزارة واضحة، ليس في أفلامه المأساوية فحسب، بل أيضاً في إدراكه لأهمية «الحياة»، وإشارته إلى

⁽٦) يصبح إخلاص أغامبين لـ بازوليني واضحاً بشكل متزايد مع اقتراب «الإنسان المُستباح» من الانتهاء، فشخصية القديس فرنسيس وسياسة التبرؤ بارزان في الجزء الرابع من الرباعية.

مفهومات وشخصيات اقترنت لاحقاً مع البيولوجية السياسية وانتقاداتها - «الإنسان المُستباح» Homo Sacer (بازوليني هو أول من استعمل هذا المصطلح في سياق حديث، وهو استعمال جرى توسيعه لاحقاً في عمل أغامبين) لحدود المقاومة الجنسية والرؤية الثاقبة للتحول الأنثروبولوجي في حياة الناس، فقد كانت المعادلة الصعبة للحياة والمقاومة موضوعاً وانشغالاً لدى بازوليني من تاريخ مبكر جداً، فالحياة، بل الحياة المجرّدة أو البقاء على قيد الحياة كانت بالنسبة إليه إثباتاً متحدياً للمقدرة على المقاومة: إذ إن الكلمتين المتحديتين – أنا أعيش io vivo – تقعان في صلب حياته وعمله.

إن السمة المذهلة لمقاومة بازوليني هي ما يمكن وصفه بطبيعتها السقراطية Socratic. كان بازوليني على الدوام في سجال مع الشرطة، مع إيطاليا المعاصرة بوصفها التجلي المحلي للتحوّل العالمي. ويجرى التعبير عن اختلافاته ليس في قصائده وحسب، أي قصائده الأولى باللغة المحكية وفي والمجموعتين المهمتين «رماد غرامشي» (١٩٧٥) la religione del mio tempo (١٩٦١) و «من عابر للإنسانية إلى و «دين وقتي» (١٩٧١) التنظيم» (١٩٧١) المتنابة المحللة أو أعماله السردية الأبناء الحياة» (١٩٥٥) التي تبنت المصطلح الروماني البروليتاريا الرثة المعاندة المعاندة المنشورة بعد موته والمهملة بشكل نخز، و violenta و «نفط» (١٩٩٦) المنشورة بعد موته والمهملة بشكل نخز،

⁽٧) أحياناً تُترجم الكلمة بـ «حُثالة البروليتاريا» أو «دون أو تحت البروليتاريا» وهي بالنسبة إلى ماركس تتميز بأنها تمتلك نسبة متدنية من الوعي وتقع خارج علاقات الإنتاج الرئيسية في المجتمع وتتبع طرائق مشبوهة وثانوية مثل السرقة والدعارة والقار والتهريب والتشرد والقتل والسلب بغية تأمين سبل العيش [المترجم].

كما أنه كان أيضاً ناقداً غزير الإنتاج وكاتب عمود صحفى ومعلقاً يستخدم منصة المجلتين الأسبوعيتين «فاي نوف (٩٠) Vie nouve و «تيمبو ٩٠) منصة الستينيات كي ينهمك في جدال سقراطي مع قراء المجلة (نُشر باللغة الإيطالية بوصفه «حوارات» I dialoghi قيمة). إن هذه الحوارات توثّق استجابته الأسبوعية تقريباً للتحولات الهائلة في الثقافة والمجتمع الإيطاليين في أثناء الستينيات، وكذلك التحوّل من ثقافة زراعية فلاحية عموماً إلى مجتمع صناعي حضرى، يتميز بالهجرة الداخلية، كما أنها توثّق الهزات التي عصفت بأضخم حزب شيوعي في أوروبا الغربية والإرث الخلافي لـ عصر النهضة والتحوّل في المسيحية الكاثوليكية من خلال الفاتيكان الثاني Vatican II وما بعده. لكنه كسب أهميته بوصفه مُنغّص إيطاليا وربها منغّص الحداثة عبر أفلامه «المتسوّل» Accattone (۱۹۲۱) و «ماما روما» Mama Roma (۱۹۲۲) و «الإنجيل بحسب متى » (۱۹۶۱) Ilvangelo second Matteo (۱۹۶۱) و الموديب الملك» (۱۹۹۷) و (النظرية) Teorema (۱۹٦٨) و (ثلاثية حياة ديكامبرون) Trilogia (۱۹۷۱) della vita Il Decameron و (حكايات كانتريري) della vita Il Decameron Canterbury و «زهرة ألف ليلة وليلة» (۱۹۷٤) (Canterbury وأخبراً في ١٩٧٥ فيلم « سالو أو ١٢٠ يوماً من سدوم». كل ذلك يشير إلى

⁽٨) تعني طرائق جديدة [المترجم].

⁽٩) تعني الزمان [المترجم].

⁽¹⁰⁾ هذا هو الاسم الشائع لله المجلس الفاتيكاني الثاني الذي دعا إلية البابا يوحنا الثالث والعشرون وانعقد بين ١٩٦٦ و ١٩٦٥ و صدر عنه بعض المقررات والمراسيم والدساتير، كما تمخض عنه جملة من الإصلاحات في جسم الكنيسة كان أبرزها التخلي عن استعمال اللاتينية في الصلاة وإبدالها باللغات المحلية والإقرار بالحركة المسكونية والحوار مع الديانات الأخرى [المترجم].

ممارسة مقاومة جمالية وسياسية كثيفة وواسعة الطّيف، وهي ممارسة تبدو في السالو» بأنها تخضع إلى تقييم ذاتي مدمّر.

ونظراً لأن مجال مقاومة بازوليني هو مجال واسع للغاية ومعقّد لا المقاومة وضوعُها» La restenza e la «المقاومة وضوعُها» La religion del mel tempo (۱۹۶۱) دمن «دين الزمن السيئ» (۱۹۶۱) sua luce توفر وسيلة قيمة للدخول إليه:

هكذا أتيتُ إلى أيام المقاومة

دون معرفة شيء منها سوى الأسلوب:

أسلوب كله ضوء، كله وعي شمس محفور في الذاكرة.

لم يكن ليخبو أبداً، ولو للحظة واحدة، حتى عندما

اهتزت أوروبا في الوقفة الاحتجاجية الأكثر فتكاً.

هربنا مع أغراضا في عربة

بعيداً ببعد كاسارسا Casarsa وقرية تائهة

بين القنوات والكروم: وكان الضوء ساطعاً.

غادر أخي في صباح آذاري ١٠٠٠

هادئ بالقطار متخفياً

والمسدس في كتاب، وكان الضوء ساطعاً.

⁽١١) نسبة إلى شهر آذار/ مارس [المترجم].

عاش أزماناً طويلة في الجبال التي أنارت كما لو أنها فردوسية في الزُّرقة الداكنة

للسهل الفريولي Friulian: وكان الضوء ساطعاً.

ومن عليّة البيت الريفي راقبتُ

أمى التائهة دوماً تلك الجبال،

وهي واعية للقدر سلفاً: وكان الضوء ساطعاً.

عشتُ برفقة قلة من الفلاحين في الجوار

حياة مجيدة لشخص مُلاحَق

بقوانين فظيعة: وكان الضوء ساطعاً.

وعندما جاء يوم الموت

والحرية تعرف العالم الشهيد

إلى نفسه مجدداً في الضوء...

ذاك الضوء هو الأمل بالعدالة:

لم أكن أعلم أيّ عدالة.

إن الضوء يساوي ضوءاً آخر على الدوام،

ثم تغيّر: أصبح الضوء فجراً خجولاً،

فجرأ بزغ وامتد

فوق الحقول الفريولية، فوق القنوات.

فجراً أنار العمال الذين كافحوا. وهكذا كان الفجر الوليد ضوءاً خارج خلود الأسلوب... إن العدالة في التاريخ هي وعي لتقسيم إنساني للثروة وكان للأمل ضوء جديد.

إن للقصيدة مقطعين شعريين غير متساويين وفقاً لنوع من تيرتزا ريمان العرام الذي بالنسبة إلى القراء الإيطاليين يستحضر دانتي Dante مباشرة). يصف أحد المقطعين تجربة المقاومة لدى طفل، أما المقطع الآخر فهو تأمل مراهق فيها، وإن المقطع الأول يربط سلسة من الذكريات من خلال تجربة الضوء، ويُكيف وعي تجربة حركة تاريخية للمقاومة مع تجربة المقاومة تلك بالنسبة إلى طفل وأناس لم يحصلوا بعد على اسم أو مفهوم المقاومة، وهكذا فإنه أتى إلى أيام المقاومة دون معرفة أي شيء عنها باستثناء الأسلوب وباستثناء الطرائق التي

⁽١٢) نظم ثلاثي القافية أي بحر من الشعر فيه مجموعات من أبيات ثلاثة يكون للبيت الأوسط فيها قافية مماثلة لقافية البيت الأول والثالث من المجموعة التالية. أحياناً يُترجم هذا المصطلح إلى اللغة العربية بكلمة «موشح»، ولا بد من التذكير هنا أيضاً أن التحليل الوارد لهذه القصيدة يستند إلى نصها في اللغة الأصل، إي باللغة الإيطالية وعليه قد لا تبدو هذه القوافي والنغهات المشار إليها جلية في ترجمة القصيدة إلى اللغة الإنكليزية الواردة في الكتاب موضوع الترجمة، وبالتأكيد فهي غير واضحة أيضاً في الترجمة إلى اللغة العربية الواردة هنا. وهذا بالطبع يؤشر إلى خصوصية النص الشعري الفنية التي يصعب كثيراً تقديم معادل لها في الترجمة إن لم يكن المترجم شاعراً أو إن لم يتعاون مع شاعر آخر في اللغة الهدف [المترجم].

اختلفت بها تلك الأيام عن أيام أُخر، فالكل ضوء، أي إدراك مشهود للشمس، حتى عندما كانت أوروبا تهتز «أقدس عشية العوار الداخلي، ف أوروبا ترتعش عشية الإحساس بالأصداء المسيحية في هذا الحوار الداخلي، ف أوروبا ترتعش عشية صلبها – تعاماً مثل المسيح ليلة الشك في حديقة الجثمانية (Garden of vigilia – عماماً مثل المسيح ليلة الشك في حديقة الجثمانية (Gethsemane وعلى الرغم من ذلك هناك ضوء يقسمها: إنه ضوء المقاومة الذي لم يسمح للعتمة أن تصبح تامة، ففي هذه المقدمة الشعرية لا يقبل بازوليني بالسيطرة الشاملة، إذ إن هناك بصيصاً من ضوء المقاومة حتى في أحلك الساعات.

إن هذا هو ما يُقال ويُفعل معاً في القصيدة، ولا سيما في المقطع الأول وبشكل لافت على مستوى القافية، ففي الأبيات الستة الأولى تتناغم اله تيرتزا ربيا على حرف «a» الذي يُلفظ بفم مفتوح في المقاومة/الوعي/اليقظة وبيا على حرف الذي يُلفظ بفم مفتوح في المقاومة/الوعي/اليقظة ضوء Resistenza/conscienza/vigilia فو حتكر متكرر لكلمة ضوء عاما التي تأتي في خاتمة اللازمة، وكان الضوء ساطعاً الدي ومرتين والثلاثية الثالثة تتناغم بـ ٥/٥/٥ وتُختتم بـ ضوء عامه وهي صيغة تتكرر مرتين إضافة إلى اللازمة، وفي الثلاثية السادسة تنقطع الـ ٥/٥/٥ بـ (a» و (i» تليهما (a» وللازمة ضوء عامه، وبعد هذا الانقطاع هناك تناغم مشؤوم لكلمتي موت/ ضوء morte/luce في الثلاثية الأخيرة من المقطع الأول يقطعها حرف الدو» في كلمة ضرب martoriato. يستحضر هذا التعاقب لكلمة ضوء عاله

⁽١٣) تقع حديقة الجثمانية في أعلى وادي قدرون في أسفل منحدر جبل الزيتون المطل على القدس القديمة في فلسطين المحتلة، وقد عُرفت هذه الحديقة منذ القرن الرابع للميلاد بأنها المكان الذي أدى فيه المسيح الصلاة قبل إلقاء القبض عليه بعد وشاية من يهوذا [المترجم].

القصيدة الفرانسيسكانية الهروبية «أخ الشمس» Brother Sun، لكنه هنا يقوم بوظيفة سرد تجربة فقدان أخ. فمن الأبيات الستة الأولى التأملية ندخل إلى زمن الاسترجاع، زمن الهروب إلى قرية نائية وننتهي باللازمة «وكان الضوء ساطعا» ed era pure luce وطاعة وطاعة والمنضام إلى المقاومة ed era pure luce ed era pure والمنضام الله المقاومة والمنافعة فوق سهول فريولي وبيا والله وطاعة والمنافعة فوق سهول فريولي وبيا العلية في المجال الساطعة فوق سهول فريولي على العلية في الجبال وهي توّاقة إلى عودة ابنها era pure luce إلى حياة الطفولة البهية وسط الجبال وهي توّاقة إلى عودة ابنها والحرية – إذ قُتل أخ بازوليني في «سوء الاستبداد era pure luce إلى يوم الموت والحرية – إذ قُتل أخ بازوليني في «سوء على ضوء المقاومة.

ومع قطْع إملائية المقطع الأول بالحذف «...» ينقطع الاستحضار، ويعجز ابتهال «كان الضوء ساطعاً» الجليل عن المساندة لأن الضوء الذي من خلاله يتعرّف العالم إلى نفسه ثانية، لم يكن ضوءاً ساطعاً جداً بمثل ما ذُكر، إذ إن العالم مات شهيداً وإن المقاومة قتلت ابنها، لقد فقد بازوليني أخاه كما أن أمه فقدت ولدها. يشدد بازوليني شعرياً من خلال تقسيم البيت عبر الحذف والتخلي على اللازمة التي تدل على أن ضوءه الساطع era pure luce كان تخيلاً طفولياً للمقاومة. إنه لمن المثير للاهتهم مقارنة هذا التناقض مع قصيدة عظيمة أخرى عن المقاومة وهي «له المجد» Axion Esti التيس (المكوّن من اثني عشر بيتاً يُسمح فيها لأي شك بنقاوة الضوء. إن المقطع الثاني المكوّن من اثني عشر بيتاً يلي تقسيم بازوليني لتجربة نقاء ضوء المقاومة أربع ثلاثيات، ينتقل بين تجربة يلي تقسيم بازوليني لتجربة نقاء ضوء المقاومة أربع ثلاثيات، ينتقل بين تجربة

⁽١٤) أوديسو إليتيس (١٩١١- ١٩٩٦) Odysseus Elytis على جائزة نوبل للآداب Nobel Prize عام ١٩٧٩ [المترجم].

نقاء أسلوب المقاومة والإقرار بعدم نقاوتها. فالقافية تكاد تثير تعبيراً فيزولو جياً عن الشك: «a/a/e, a/a/e» إذ إن التكرار يُشير إلى اليقين، لكنه يتعدل بعد ذلك ليصبح «o/e/e» قبل العودة إلى نغمة اليقين، إلا أنه لا يبدو الآن بتلك الدرجة من اليقين «a/a/e». إن تفكير المقاومة يحصل بالقدر نفسه في حركات النطق الجسدية بقدر ما هو حاصل فيها يُقال. إذ إن الثلاثية الأولى تومئ إلى كشف حقيقة ما عرفه الطفل كأسلوب وحسب - ذلك الضوء كان ضوء الأمل بالعدالة: إنها تراهن على **عدالة أفلاطونية** يتجلى أملها في الضوء وتضيف أنَّ كل الضوء وكل الدعوات للعدالة، هي دعوات متشابهة، لكن تُنقّى هذه التجربة - ونحن هنا نتبع ظاهرية مقاومة - مع تغيّر الضوء: إذ إن الفجر غير أكيد، ومعه يتمايز الأمل بالعدالة ويظهر أن له درجات، إنه فجر يزداد ويوسّع نفسه. ففي نهاية المطاف، لم يكن الضوء الذي أنار نضالات العمّال (المقاومين) ضوء الأسلوب النقى الأفلاطوني الأبدي... فالقافية تغيرت، وينقسم البيت ثانية عبر الحذف. إن لحظة الـ «ربما» النيتشية التي يُعبَّر عنها بالحذف، والتي رأيناها في «ما العمل؟» لدى لينين هي بمنزلة تقسيم للمقدرة على طرح السؤال أكثر مما هي علامة استفهام، فإذا كان الضوء أو الأمل بالعدالة هو المؤمل «خارج أزلية الأسلوب» خارج الضوء الذي يشبه الأضواء الأخرى، وإن كان هناك آمالٌ مختلفة بالعدالة... فهاذا إذا؟ أو بالأحرى ماذا بعد...

تنتهي القصيدة بإعادة تأكيد جافة لصيغة قافية المقطع الشعري الافتتاحية وبتأكيد شعري على الاستحواذ الشيوعي على تجربة المقاومة، إذ يعلم الحزب أن «العدالة في التاريخ هي وعي التوزيع الإنساني للثروة»، لكن لاحظوا أن تلك العدالة هي التي سمحت للأمل أن يجد ضوءاً جديداً، وربها عدالة جديدة. يختتم بازوليني بترك طبيعة هذا الضوء، أو بترك العدالة

غامضة: أهو مزيد من الشيء نفسه؟ وهذه هي العبرة من المقطع الأول، أم هل يمكن أن تكون شيئاً ما جديداً وغير مسبوق كلية؟

إن من المهم جداً التمعن في كيفية تفكير بازوليني شعرياً، إذ إن رهافة تفكيره الشعري كانت في ثورة تحدِّ ضد أي استحواذ هيغيلي على التفكير من أجل المفهوم، وهذا يتضح في تفكيره بشأن المقاومة أكثر من أي مكان آخر، فالمقاومة بالنسبة إليه ليست مجرّد جواب واضح على سؤال يثيره الظلم، بل هي معضلة يجب التفكير بها والإشارة إليها بتأنِّ. إن المقاومة التي يصبح فيها ممكناً الهروب من (الدياليكتيك المفاهيمي) الذي ابتُلى به تفكير المقاومة هي المقاومة الجمالية. كما أن هذا التعبير الدقيق عن غموض يكتنف المقاومة هو بالتحديد الذي يبدو أن بازوليني هجره في نهاية حياته - تحديداً عام ١٩٧٥ - بإيهاءة نبذ عنيفة ووحشية حقّاً، تحفّز قراءة ديدي- هبيرمان لأهمية عمله. إن ديدي-هيبرمان يقارب رؤية سياسة الضوء لدى بازوليني بمقارنة الصحافة الأخيرة "قراصنة مكتوبة" scritticorsari سيئة الصيت مع الشعر المبكر، إذ إن قراءته التي هي أيضاً نقد مسهب، وإن كان أحياناً مبطناً له أغامبين تركز على واحدة من آخر كتابات بازوليني الصحفية التي نُشِرت في «كورير ديديلاسيرا» Corriere di della sera في الأول من شباط/ فبراير ١٩٧٥ وعنوانها الأصلي «It vouto di polere in Italia» (فراغ السلطة في إيطاليا)، أما الآن فهي ببساطة تُعرف بـ («مقالة اليراع») L'articolo delle luciole وقد تكون من بين أكثر مقالات الصحافة الإيطالية في القرن العشرين تأثيراً. يزعم بازوليني فيها أن المجتمع الاستهلاكي الإيطالي والأوروبي أكثر فاشية من الفاشية التاريخية ويقترح أن يُقسّم التاريخ الإيطالي ما بعد الحرب بناءً على لحظة اختفاء اليراعات التي طُردت بسبب التمدن، والتصنع ووجود الضوء الاصطناعي. إن اليراعات أو «النجوم الراقصة» لدى نيتشه ذات الاضطراب في قلوبها (التي تُوصف في نقطة ما في «زارادشت») هي يراعات غير قابلة للتنبؤ وهاربة وتُنير أنفسها من أجل رقصة التزاوج. (العاهرات الليليات في إيطاليا يُسمّين أيضاً يراعات الاصطناعي أن اختفاءها عام ١٩٧٥ مع انتشار الضوء الاصطناعي قاد بحسب رؤية بازوليني إلى زوال ذاك الضوء من الأمل بالعدالة الخاص والهارب وإلى ظهور ضوء شديد من التحكم والسيطرة الشاملة تبدو المقاومة في ظله عقيمة وعبثية، فالصلة بين أطروحات مقالة «اليراعات» وبين العرض القاسي والشفاف للسيطرة الشاملة هي صلة واضحة في «سالو». كما أن إستراتيجية ديدي—هبرمان تتضمن استعادة اليراعات ضد بازوليني نفسه، بل أيضاً ضد «تشاؤمية» أغامين التي يفترض أنها تنبع من أواخر بازوليني:

إذا ما مددنا الرؤية في الأفق الهائل والثابت الذي يتعدانا، وإذا على العكس من ذلك ما ركزنا نظرتنا على الصورة الصغيرة والمتقلبة التي تمر بجوارنا، فإننا سوف نُبصر أشياء مختلفة جداً. إن الصورة يراعة من تقطّع عابر، لكن الأفق يغمرنا في ضوء محكم، ألا وهو زمن الشمولية الثابت، أو الزمن المكتمل ليوم القيامة، فالتحديق في الأفق بعيداً يعني عدم رؤية الصورة التي تجتمع حولنا، إذ إن اليراعات الصغيرة تضفي شكلاً ونوراً على استقرارنا الهش، كها أن «الأنوار الساطعة القوية» الناجمة عن الأضواء القوية تستهلك كل الشكل والإضاءة – أي الساطعة القوية» الناجمة عن الأضواء القوية تستهلك كل الشكل والإضاءة – أي كل الاختلاف – في سمو الغايات النهائية (٢٠٩, ٢٩).

إن ديدي - هبرمان يزعم أن «اليأس السياسي» لدى بازوليني عام ١٩٧٥ كان «خطأ»، وهو يأس نجم عن اعتقاده (مكرّراً رأي آرنت) بأن المراقبة والأضواء الساطعة العائدة إلى المجتمع الاستهلاكي ألغت العفوية الإنسانية. أي إن رؤية بازوليني المتضمنة زوال أي إمكانية للمقاومة عام

19۷٥ تغفل أن اليراعات لا تزال موجودة، وهي تقاوم الفناء، وأنه لا يزال مكناً بين الفينة والأخرى إيجاد لحظات من المقاومة حتى في أحلك الظروف، وبالفعل يبدو أن شخصية اليراعة تمتلك السهات التي أضفاها شميت على الأنموذج المثالي للمناصر: فضوءها الغهاز ليس متسقا، وهي متحرّكة وغير قابلة للتوقع وأخيراً إنها أرضية أو مرتبطة بأرض. إن ديدي -هبرمان يصرّ على وجود هذه الصفات في بازوليني على الرغم من بازوليني، ومع ذلك فإن حجته حتى وفقاً لشروطها الخاصة لا تتصدى بشكل كامل لـ «يأس» بازوليني، إذ إن بازوليني لم يكن يائساً من حلول مجتمع المراقبة والتحكم فحسب، بل إنه أيضاً كان يائساً من حلول مجتمع الاستهلاكية، إذ أصبحت الرغبات نفسها موضوعات تبادل قابلة للقياس والتوقع، حتى تلك اللحظات النادرة من كثافة «اليراع» في «سالو» مثل تحدي السجين الشاب الذي ضُبط يهارس الجنس غير الحلال، ويقف عارياً يؤدي تحية المقاومة بيده المقبوضة قبل أن يتم إطلاق النار عليه، تبدو بالنسبة إليه لحظات عقيمة.

إن مقاومة التسليع التي لا تستسلم لـ «عدالة» التبادل، وتبتعد عن استبدال زمن العمل بمتعة العمل، تبدو مقاومة غير قابلة للتصور في قرية مخيم العطلة، ألا وهي الفيلا Villa في «سالو»، فقد كان الهدف من «سالو» أن يصبح نقداً ذاتياً فظيعاً لـ «ثلاثية الحياة»، وللطريقة التي يمكن بوساطتها أن يُسلّع سريعاً تصوير قديم للجنسانية المجانية، يُباع على شكل إباحية دون مقاومة تُذكر.

لكن ضوء المقاومة الذي يبدو أنه فُقِدَ في وهج مجتمع الاستهلاك / المراقبة المتسق، والذي يُقدَّم في سالو يستمر مع ذلك طوال الفيلم، إذ يجري استبداله بدلاً من إخماده. إن الفيلم بحد ذاته هو فعل مقاومة يطرح على مشاهدي السينها الاستهلاكيين شيئاً لا يمكن استهلاكه بسهولة أو

تحويله إلى سلعة تبادل، إذ إن مقاومته عينها تضعه ضمن نسق من أضواء مقاومة ضبابية تومض في عمل بازوليني، وإذا ما نُظِر إلى «سالو» على أنه فعل مقاومة فيمكن مقارنته مع تصوير المقاومة في «الإنجيل وفقاً للقديس متى» الذي يُدعى فيه المسيح مقاوماً. إن هذين التعبيرين عن المقاومة يكملان بعضها بعضاً، فالأخير هو إيفاء رائع لمديونية غاندي لفكر المسيح وتفسيره له، كما أنه أنموذج من العرف المسيحي، فالمسيح لدى بازوليني هو مسيح غاندي، إذ إن بازوليني يُعبِّر عن حماسته له غاندي ولمبدأ المقاومة اللاعنيفة في أحد التبادلات في حوارات عام ١٩٦٢:

إن اللاعنف يبدو لي تصوّراً مذهلاً، أصله أرستوقراطي إلى أقصى درجة (غاندي، راسيل، دوستيوفسكي...) وما قبل إنجيلي (شرقي) مثل معظم التصورات الإنجيلية التي مُسْحِنتْ مع رومانسية القرن التاسع عشر، ثم انتُزعت مسيحيتها لتصبح علمانية بفخر... إن اللاعنف هو أعلى درجة من التصوّر العقلاني للواقع، فإذا كان لكل شكل من التفكير في الواقع العملي حاجة إلى التجلي المحسوس، أي إلى تجل يعتمد على العاطفة والإقناع، فإن اللاعنف هو سلوك عاطفي إقناعي يتجاوز كلية أي امتثالية، وهو خال تماماً من الاحترام لأداتي العقل والثقافة (٢-٢١١، ٩٥٥).

في مقابلته الأخيرة التي أجراها مع فوريو كولومبو ١٩٧٥ كان بازوليني قبل موته بساعات في الأول من تشرين الثّاني / نوفمبر ١٩٧٥ كان بازوليني متجهاً، لكنه كان بعيداً كل البعد عن اليأس. أن الحوار مسكون بفكرة أن شخصاً ما في مكان ما يفكر بكيفية قتلنا، ومن هنا يأتي العنوان الذي اقترحه بازوليني: «نحن جميعاً في خطر». تُفتتح المحادثة بمشكلة كيفية المقاومة وبمثال إيخان. يزعم بازوليني أن «الرفض كان على الدوام إشارة ضرورية.

عمل وفقاً له قديسون وناسكون، بل مفكرون أيضاً، فالقلائل الذين صنعوا التاريخ هم أولئك الذين قالوا لا...» (Pasolini ۲۰۱۱, ۵۳). لكن يجب أن يكون هذا الرفض المتحدي ثورياً وليس رفضاً مقتصراً على الحس السليم. كان إيخمان بالنسبة إلى بازوليني «رجلاً عاقلاً» وربم رجلاً «مقامراً» يتذمر من العمل الذي كان عليه القيام به، لكنه افتقر إلى أي مقدرة على مقاومته، وإلى أي مقدرة على «قول لا، في البداية، عندما كان ما يقوم به هو مجرّد عمل إداري. مجرّد بيروقراطية» (Pasolini ۲۰۱۱, ۵۳). إن الـ «لا» بالنسبة إلى بازوليني «يجب أن تكون كبيرة لا صغيرة. أن تكون كلية وموجودة في هذه النقطة أو تلك...» (Pasolini ۲ · ۱۱, ۵۳). إنها لا الذات المقاومة، لا جان مولان، لكن مع تقدم المحادثة ومع خفوت الضوء ومع اقتراب ليلة مقتله يقر بازوليني. بأن هذه المقدرة آخذة في التحول إلى حدها الأدني، وهي مقدرة عرضة للانكشاف إلى الأبد، وفي تلميح ثانٍ إلى إيخمان وإلى «وحدة الحماية النازية»، بل أيضاً إلى «فاشى سالو» يقول بازوليني: إنه كان من الأسهل عليهما قول «لا» مع «قليل من الشجاعة والضمير... لكن الآن لا... »، (Pasolini ۲۰۱۱, ۵۵)، إن الفيلا في «سالو» هي أي مكان يستحيل فيه قول لا، حيث إن المطاردين يلعبون وأسراهم ينحسرون إلى مستوى الفريسة، وينسون كيف يقاومون، ينسون التحدي ويتعلمون متع الطاعة. كانت الفيلا بالنسبة إلى بازوليني هي إيطاليا المعاصرة، وهي الحداثة الأوروبية ممثلة في لباس الجمهورية الاشتراكية الفاشية.

الفصل أنخامس

المقدرة المعاصرة على المقاومة

إن كتاب ستيفان هيسيل "Stèphane Hessel المؤثر "عتبوا عن المقاومة الستنكاركم!" (٢٠١١) ! Indignez vous! المتمرارية بين المقاومة الفرنسية والمقاومات المعاصرة، فقد تزامنت تجربة هيسيل بوصفه مقاوماً، وكذلك رؤيته اللاحقة لإنجازات المقاومة الفرنسية مع فترة توحّدها في المجلس الوطني للمقاومة، وبوصفه صوتاً للمقاومة المؤسساتية لا يُظهر هيسيل تعاطفاً يُذكر مع المقاومات الفرنسية التي كانت موجودة قبل اتحادها تحت المجلس الوطني للمقاومة، ولا مع انجذاب الحركات والشبكات المعاصرة نحو هذا الأنموذج المتشر من المقاومة. إنَّ كتاب "عتبروا عن المعاصرة نحو هذا الأنموذج المتشر من المقاومة، لكنه أيضاً تحذير ضد المقاومات

⁽١٥) كان هيسيل (١٩١٧-٢٠١٣) دبلوماسياً وكاتباً فرنسياً. وُلد في برلين لأب يهودي من أصل بولندي وأم بروتستانتية ألمانية. شارك في صياغة لائحة حقوق الإنسان الصادرة عن الأمم المتحدة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، كها شارك في صفوف المعارضة الفرنسية ضد القوات النازية الألمانية. وقع في الأسر وحُكم عليه بالإعدام، لكنه تمكن من الفرار بعد إعطائه هوية مزورة. وقد اشتُهر بانتقاداته للسياسات (الإسرائيلية) وبدعوته إلى المساواة في المعاملة بين الفلسطينيين و(الإسرائيلين)، حتى إنه زار الأراضي الفلسطينية المحتلة وعبر عن إعجابه بمقدرة الفلسطينيين على التحدي على الرغم من الأوضاع الكارثية التي يعيشونها، مما جعله عُرضة لانتقاد وتضييق إعلامي من جانب المنظات الصهيونية العالمية (وإسرائيل) [المترجم].

العفوية، وبوصفه كذلك فهو نقد مُبطّن لحركات المقاومة المعاصرة الأخرى وشكاتها.

أصبحت تجربة المقاومات الفرنسية محطة مرجعية لكثير من ممارسات المقاومة المعاصرة، لكن لهذه المهارسات أيضاً عدداً من السهات المختلفة التي تدل على قرب حلول حقبة جديدة من المقاومة، إذ يمكن القول: إن المقاومة المعاصرة قد تكون بدأت مع الدعوة إلى فن حياة مقاومة ضمن الحركة الموقفية Situationist movement، وقد اكتسبت صبغة عالمية بوساطة التحول في تكنولوجيات الاتصالات التي ابتُدعت كجزء من السعي الكلاوزفيتزي الجديد لضهان بقاء المقدرة على المقاومة عقب ضربة ذرية أولى في الحرب الباردة، كما ظهرت بوصفها مقدرة على المقاومة متمردة وقادرة على العمل على مستوى عالمي. إن السؤال المتعلق بحالة المقدرة المعاصرة على مقاومة الليبرالية الجديدة يستلزم منا قبل كل شيء أن نرسم خريطة لبعض حركات المقاومة المعاصرة وشبكاتها، ثم أن ننظر لنرى ما هي أشكال التنسيق الناشئة بينها بمساعدة تكنولوجيات الاتصالات الجديدة. من هنا يصبح ممكناً سبر نوعية التعبيرات المختلفة للمقدرة المعاصرة على المقاومة، كما يمكن سبر فوعية التعبيرات المختلفة للمقدرة المعاصرة على المقاومة، كما يمكن سبر قوي وها الداخلية وتماسكها وقابليتها للمقاومة المضادة.

٥-١- الجانب الآخر من المشهد:

اختبر جينيه وبازوليني حدود المقاومة الجمالية بوصفها طريقة مقاومة وأسلوب تفكير في المقاومة معاً، فقد قام الجمالي بوصفه طريقة مقاومة مقام المكان أو اللامكان، أو مقام اليوتوبيا الذي منه وضمنه تتم المقاومة، وهما مكان وإمكانية دفع بهما بازوليني إلى أقصى حدود في «سالو». استعادت اليوتوبيا

الجنسية لـ «ثلاثية الحياة» – أي تأكيد مقاومة ضرورية جمالية / جنسية – عافيتها بسرعة فائقة في ظل التصنيف الإباحي، إلى درجة دفعت بازوليني كي يحاول ما هو غير قابل للشفاء في «سالو»، ففي حين أن ديدي – هيبرمان فهم الفيلم الأخير بأنه يأس بازوليني، فمن المكن أن نرى فيه تلميحاته إلى شيء آخر: إلى فعل مقاومة جمالية، أو أسلوب نفي via negationis إذ قال: لا لكل شيء باستثناء الحقيقة الحتمية، ألا وهي أن هذا النفي كان يجري تمثيله في عمل فني مقاوم، ففي «سالو» أُخذ التفكير بإمكانية المقاومة عبر الأسلوب إلى حده الأقصى، إذ إن بازوليني صنع فيلماً غير قابل للتكرار عن عدم إمكان المقاومة، ويمكن القول: إنه من خلال قيامة بذلك قد حقق لحظة مقاومة جمالية.

إن جمالية المقاومة هذه تجيب عن بعض المشكلات التي صودفت بداية في تأملات سارتر في لابوياد عام ١٩٦١. كما أن لمنطق المقاومة مواصفات العلاقات relexionsbestimmung الهيغيلية التي تُوصف بأنها جزء من «منطق الجوهر» أو الجزء الرئيس الثاني من كتاب «المنطق» لدى هيغل الذي يلي منطق الوجود ويسبق منطق المفهوم، فالمقاومة – وفقاً لهذا المنطق - تعتمد على ما تعارضه، وهي أيضاً بمعنى ما متواطئة معه، وهذا كما رأينا سابقاً يصح بالنسبة إلى المقاومة الارتكاسية أي الحقد، لكنه لا يصح بالضرورة على مقاومة إثباتية، لكن يجب ألا تُفهم الأخيرة على أساس أنها المفهوم». فقد يكون اللاتحديد بحد ذاته في الشعر أو الفن – من دون وجهة المفهوم». فقد يكون اللاتحديد بحد ذاته في الشعر أو الفن – من دون وجهة والأسلوب والإيحاء الذي يُفصح عنه في قصيدة بازوليني عن المقاومة أو في هم يط اللون السارترى Sartrian – هو الذي يمكن فيه تجربة اعتهاد المقاومة شريط اللون السارترى المتعادة – هو الذي يمكن فيه تجربة اعتهاد المقاومة شريط اللون السارترى Sartrian – هو الذي يمكن فيه تجربة اعتهاد المقاومة شريط اللون السارترى المتعادة و الذي يمكن فيه تجربة اعتهاد المقاومة شريط اللون السارترى المتعادة و الذي يمكن فيه تجربة اعتهاد المقاومة شريط اللون السارترى Sartrian – هو الذي يمكن فيه تجربة اعتهاد المقاومة شريط اللون السارترى المتعادة و الذي يمكن فيه تجربة اعتهاد المقاومة أو في

الإثباتية على الماضي وانفتاحها على المستقبل، إذ إن احتفاء الفن بتجربة المقاومة يوحي أن أطروحة موت الفن الهيغيلية، – أي فكرة أن الفن لم يعد يعبر عن مفهوم الحرية الحديث، بل إن عليه أن يترك هذه المسؤولية للفلسفة – هي أطروحة سابقة لأوانها، كما يوحي أن بإمكان الفن أن يوفّر مكاناً لتفكير المقاومة، وفرصة له إن لم يكن للحرية.

إن مسألة طريقة المقاومة الجمالية وأسلوبها هي مسألة مناسبة من أجل فهم إحدى أكثر المحاولات المعروفة والمؤثرة للإبقاء على مقاومة جمالية خارج حدود العمل الفني، فقد وسّعت المغامرة المواقفية المقاومة الجمالية لتصل إلى الحياة اليومية باسم التحوّل من النجاة إلى الحياة (١٠٠٠). يبقى هذا المسعى معاصراً بقدر ما ترك فشل الموقفية نظرية المقاومة في لحظة كمون غير مُتحقق، كمون جرى مؤخراً تفعيله من خلال ردود راؤول فانيجيم (١٩٥٠) Raoul Vaneigem على الأزمة الراهنة، ففي نص موجه إلى اجتماع المقاومين اليونانيين في سولينيكا في أيلول / سبتمبر ٢٠١٠ - «الدولة لا تفعل شيئا نحن من يفعل» (١٩٥١) Létat ne plus rien المواقفية على التمرّد اليوناني. إن كثيراً من هذه الأطروحات تعود إلى كتابه «بحث في آداب السلوك في خدمة كثيراً من هذه الأطروحات تعود إلى كتابه «بحث في آداب السلوك في خدمة

⁽١٦) في مقابلته الأخيرة الشاملة التي أجراها مع هانز ألريتش أوربيست Hans Ulrich في مقابلته الأخيرة الشاملة التي أجراها مع هانز ألريتش أوربيست Orbist يُعبِّر راؤول فانيجيم بشكل واضح جداً عن الفرق بين الحياة والبقاء على أساس الإبداع والكرم (Vaneigem ۲۰۰۹).

⁽۱۷) فانيجيم (المولود عام ۱۹۳۶) هو كاتب بلجيكي. كان ناشطاً في الأممية الموقفية Situationist International وهي منظمة عالمية مكونة من ثوريين اجتهاعيين، عهادها الفنانين الطليعيين والمفكرين والمنظرين السياسيين البارزين في أوروبا منذ تشكيلها عام ۱۹۷۷ حتى حلها عام ۱۹۷۷ [المترجم].

الأجيال الشابة (The Revolution of Everyday Life (الذي تُرجم إلى النورة الحياة اليومية) (The Revolution of Everyday Life (الذي تُرجم إلى النورة الحياة اليومية) (الذي تُرجم إلى النورة الحياة اليومية) واحد من قلة من النصوص النظرية المستمرة عن فن المقاومة التي ظهرت في السنة نفسها التي ظهرت فيها نظرية الهيمنة لدى غي ديبور (١٩٥٠) ايعرّف النصان سوية بشكل نظري العجتمع الفرجة (١٩٦٨ عام ١٩٦٨ ويكملان بعضها بعضاً بوصفها نظرية اللحظة المواقفية لثورة عام ١٩٦٨ ويكملان بعضها بعضاً بوصفها نظرية هيمنة، ونظرية مقاومة ويفتحان بينها مجالاً نظرياً وسياسياً كان بالنسبة إلى فانيجيم عام ٢٠١٠ لا يزال يتعيّن درسه والأربية النسبة الله فانيجيم عام ٢٠١٠ لا يزال يتعيّن درسه والأربية النسبة الله فانيجيم عام ٢٠١٠ لا يزال يتعيّن درسه والأربية المؤلفة المؤلف

يُعرّف النصان مجال المقاومة المواقفية، وهما يكملان بعضها فعلياً: فقد كان مؤلّفاهما يكتبانها جنباً إلى جنب تقريباً منذ بداية إلى أواسط الستينيات فيها يُشبه براك Braque وبيكاسو Picasso في الأيام الأولى له التكعيبية "Braque ولسوء الحظ يتم تذكر أطروحة الهيمنة لدى ديبور فحسب في إرث الموقفية، حيث تُفصل عن توءمها المتحدى Traité de Savoir-vivre à L'usage des jeune Generations.

⁽١٨) غي ديبور (١٩٢٨-١٩٩٤) هو كاتب وشاعر وسينهائي ماركسي فرنسي. كان متأثراً أيضاً بفكر لودفيك فيورباخ (١٦٧٢- ١٨٠٤) Ludwig Feuerbach وكان عضواً في منظمة الأممية الموقفية (المترجم].

⁽١٩) في المقابلة مع أوربيست يُقر أنه «لم يتوقف أبداً عن إعادة كتابة» « بحث في آداب Traité de Savoir-vivre à L'usage des jeune السلوك في خدمة الأجيال الشابة» (Vaneigem ٢٠٠٩) Generations

⁽٢٠) هي اتجاه فني ظهر في فرنسا في بدايات القرن العشرين على يد بابلو بيكاس (١٩٧١-١٩٧١) Georges Braque (١٩٦٣-١٨٨٢) الفرنسي الجنسية وجورج براك (١٩٨٢-١٩٨٣) Pablo Picasso الفرنسي الجنسية. يتخذ هذا الاتجاه الفني من الأشكال الهندسية أساساً لبناء العمل الفني [المترجم].

إن خفوت نجم كتاب فانيجيم له علاقة بانسحابه من الأممية الموقفية لانفصال، L'Internationale situationniste وتسويغ ديبور المُتباين لهذا الانفصال، لكنه يعتمد أيضاً على طبيعة الكتابين، فالنصوص حول السيطرة هي نصوص أكثر اعتيادية وقابلية للهضم، من تلك النصوص عن المقاومة، ومع ذلك فقد كوَّن الكتابان عاملين في معادلة لم ولن تكن صائبة، فهما ليسا توءماً مرآتياً، بل إنها موقفان مختلفان، ولاحقاً متخاصهان بشأن أولوية التسلّط والتحدي، وإذا ما قُرئا معاً فإن النصين يتركاننا ربها مع نيتشيه أي مع سلسلة من النقط الإضهارية... لقد عبر ديبور عن ذلك بشكل حسن في رسالة إلى فانيجيم كُتبتْ مباشرة بعد قراءة مسودة الدبيعية عن المرس ١٩٦٥:

أعتقد أن ظهور هذا الكتاب... سوف يؤذن بنهاية «ما قبل تاريخ الأممية الموقفية»... والشيء الحسن الآخر هو: أن كتابينا يعالجان المشكلة نفسها كها هو واضح ويصبان معاً في الرؤية نفسها ويجتازان التضاريس نفسها من دون تخطئة نفسيهها، لكنهها يتقاطعان في كثير من الأحيان فيدعهان بعضهها بشكل ما على الدوام مثل أقواس العقد القوطي. سواء أكان ذلك مصادفة نادرة أم لا، فالأمر سيان بالنسبة إلى النصين المختلفين جداً فيها يخص التفاصيل (٢٨١).

إن هذا التعبير الجميل عن توازن قوى تسير في اتجاهات مختلفة، إنها متقاطعة في نقاط عديدة، هو إعلان صريح عن وجوب قراءة الكتابين مع وضد بعضها بعضاً، بغية فهم الموقفية... دعكَ من المقاومة الموقفية، إذ إن تذكّر تشريح ديبور للسيطرة الشاملة مع انعكاسيتها المتوحشة فحسب من دون

⁽٢١) بالنسبة إلى تصوّر فانيجيم للفصل، انظر ٢٠٠٩.

تتمتها في فانيجيم يُخلّف رؤية قاتمة وأُحادية عن الحركة الموقفية وإمكاناتها. لقد وصف معاصر مجهول النصين بأنها «الرأس المال وما العمل؟» للحركة الموقفية، وهو تشابه يثيره ديبور في تحويله للسطور الافتتاحية من كتاب «رأس المال» (٣٠٠ لـ ماركس في بداية «مجتمع الفرجة»:

إن كل الحياة في هذه المجتمعات التي تطغى عليها شروط الإنتاج الحديث تعلن عن نفسها بأنها تراكم هائل للفرجات. فكل ما يُعاش مباشرة يُبعد نفسه من خلال التمثيل (Debord, ٧٦٦).

إن نص ديبور مثل «رأس المال» هو تحليل موضوعي لظروف إمكانية العيش في مجتمع تُسيطر عليه الفرجة، مجتمع يبدأ بوصف للبنى التي ترهق الحياة، ثم ينتقل إلى مواجهتها بأشكال أخرى من التنظيم الممكن. من جهة أخرى، فإن كتاب «ثورة الحياة اليومية» ينتقل من تجربة معيشة متحدية نحو تكثيف تلك الإمكانات من العيش التي تُعيل على الرغم من البنى الضاغطة. إنه يبدأ بها تبقى من المقدرة على المقاومة ثم يسعى إلى تنشيطها وتعزيزها.

إن ما قبل تاريخ الحركة الأعمية الموقفية الذي انتهى بظهور «مجتمع الفرجة» و «ثورة الحياة اليومية» بدأ في أوائل خمسينيات القرن العشرين بمقربة من الحركة الحروفياتية Letterist - أي أولئك الكوميديين المتجهمين ذوي الكتابة الاحتفالية - وتواصل عبر مقالات نقدية للعمارة والتمدن والسينما. اتخذت كل من الحروفياتية Letterism والأعمية الموقفية ما قبل تاريخية موقفاً ضد قوى الموت، ودعتا إلى تغيير الحياة عبر الفن، لكن عبر فن

⁽٢٢) «إن تلك المجتمعات التي تطغى فيها أنهاط الإنتاج الرأسهالية تقدم نفسها على شكل تراكم ضخم من السلع» (Marx).

مفهوم على نحو أوسع، بوصفه سياسة وحياة يومية. لقد جلب الموقفيون situationists حرية الفن الطليعي avant-garde إلى قضية تغيير الحياة، لكن بتخليهم عن اللامبالاة الحُروفياتية – بل العداوة – واتجاههم نحو الحياة المعيشة لمصلحة النقش inscription والآلي، فإنهم رهنوا مقاومتهم وآمالهم في التحرر على تحالف بين الثورتين الموقفية والبروليتارية.

إن حدود المقاومة الموقفية تظهر في اهتمامها باختزال الحياة إلى مجرّد البقاء، إذ ينطلق كل من ديبور وفانيجيم من حياة مفقودة هي بالنسبة إلى أحدهما مهجورة في «تراكم هائل من المشاهد»، إذ إن المعيش «يُبعد نفسه من خلال التمثيل»، في حين إنها بالنسبة إلى الآخر تجربة مُعاشة ضاعت ويجب استعادتها بطريقة ما من جانب أولئك الذين بقي لديهم مقدرة كافية على المقاومة، أي مقدرة على الاستمرار بالشعور بفقدانها. لقد كتب فانيجيم:

ليس هدفي هو جعل التجربة الفعلية التي يتضمنها هذا الكتاب مفهومة للقراء الذين ليس لديهم مصلحة في إعادة عيشها. إنني أتوقع تماماً أن تُفقَدَ هذه التجربة - ويُعاد اكتشافها - في حركة أرواح عامة تماماً مثلها أنني مقتنع بأن الظروف الحالية لحيواتنا لن تكون في يوم ما سوى ذاكرة (Vaneigem 197V, V)

ويبتعد كل منها عن سوداوية حياة مفقودة، أي عن حياة منفصلة عن نفسها، ويجعلان من حالة الفصل موضوعاً لمقاومتها، لكنَّ النصين يتابعان مشكلة المقاومة والاستعادة بطريقين مختلفين: إذ إن ديبور يستكشف الظروف البنيوية للفقدان التام تقريباً، ثم ينتقل نحو علاج على مستوى البنية والتنظيم، في حين أن فانيجيم يعمل من خلال سوداوية تجربة حياة مفقودة ويستحضر

إستراتيجيات للإنعاش من خلال تجربة المقاومة. إن واحداً منهما يبحث عن المقدرة على المقاومة في إعادة تنظيم الحياة، أما الآخر فيبحث عن تكثيفها بوساطة المقاومة الإثباتية ابتداءً من الحياة اليومية.

إن تكامل النصين واعتهادهما على بعضهها يزداد غرابة، بالنظر إلى المعياريات المختلفة جداً التي يؤيدها كل منها، وفيها يخص ديبور إن لغة كتابه ومحتواه مدينان إلى هيغل وماركس ولوكاش (مع حضور مستمر له كلاوزفيتز)، في حين أن المديونية بالنسبة إلى فانيجيم منسوبة إلى نيتشه وفرويد ورايخ ""، لكن قبل هؤلاء جميعاً فإنها منسوبة إلى لوتريامون "" Lautréamont والسوريالية (دون إغفال القراءة الدقيقة له ساد "" Sade" ينطلق كل منها من نقد المجتمع الاستهلاكي ومسألة كيفية مقاومته، إذ يستقصي ديبور تحوّل الرأسهالية المعاصرة إلى مجتمع فرجة ومسألة تنظيم مقاومة ضد هذا التحوّل، في حين أن فاينجيم يحلل استعمار الاستهلاكية للرغبة والطريقة الأفضل لمقاومته، إن أطروحة ديبور هي محاولة لإعادة تنظيم الحياة، فهي تنطلق من السيطرة أو الغربة في حياة هي محاولة لإعادة تنظيم الحياة، فهي تنطلق من السيطرة أو الغربة في حياة

⁽٢٣) الإشارة هنا إلى ويلهالم رايخ (١٩٥٧ –١٨٩٧) Wilhelm Reich (١٩٥٧ –١٨٩٧)، وهو عالم نفس نمساوي ومؤلف عدة كتب من أهمها «علم نفس الفاشيّة على المستوى الجماهيري» The Mass (علم علم الفاشيّة على المستوى الجماهيري). Psychology of Fascism الذي يحلل فيه أسباب اندفاع الشعب الألماني وراء النازية [المترجم].

⁽۲٤) الإشارة هنا إلى الكونت لوتريامون Comte de Lautréamont، وهو اللقب الذي كان إيزيدور دوكاس Isidore Lucien Ducasse (١٨٦٧–١٨٤٦) الشاعر الفرنسي يكتب باسمه [المترجم].

⁽٢٥) الإشارة هنا إلى دوناتا ألفونس فرانسوا دي ساد المعروف بماركيز دي ساد (٢٥) الإشارة هنا إلى دوناتا ألفونس فرانسوا دي ساد المعروف بماركيز دي ساد (١٧٤٠ - المعروف) وهو روائي فرنسي أرستقراطي، لا كنه كان ثورياً، وهذا ما تجلى في رواياته التي اتسمت بالفلسفية والتحرر من القوانين الأخلاقية وبالتطرف في معالجة موضوعات حساسة [المترجم].

التحول القمعي للعلاقات الاجتهاعية إلى صور وتركّز على دور السلعة في تحقيق ذلك – «السلعة بوصفها فرجة» – ومن ثم تستشهد به لوكاش وشوبنهاور٬٬٬ Schopenhauer لتنتقل إلى مسألة كيف يمكن أن تصبح البروليتاريا العالم المعيش «ذاتاً» «وتصويراً». تتوجه هذه المسألة بصلابة نحو مشكلة التنظيم مع انههاك ديبور في نقد خالص لما وصفته لوكسمبورغ بـ«المسائل التنظيمية للديمقراطية الاجتهاعية»، بحث فيه عن شكل تنظيمي يقاوم نزعة البروليتاريا كي تصبح مثيلاً أو موضوعاً بنفسه ويبقى الثورة حيةً.

إن ديبور يرى النزعة لتصوير الذات ساريةً في برقطة ماو وفيها الأحزاب الثورية، وهي نزعة يحددها بثقة ليس في لينين فحسب، بل في ماو وفيها يُسمى «الثورة الثقافية» أيضاً. (إن المقالة التي تحمل العنوان «نقطة انفجار الأيديولوجيا في الصين» Le point d'explosion de L'idéologie en Chine [IS الأيديولوجيا في الصين» المقائد العظيم (المقائد العظيم المعالد العظيم المعالد العظيم المعالد العظيم المعالد العظيم المعالد العظيم (انظر المحالد في أوهام حقبته بخصوص القائد العظيم (انظر المعالد العليم) ومنظريها (بانيكويك (انظر المحالد على هذا الانفصال في تجربة مجالس العال ومنظريها (بانيكويك (انظر المحالد)) (Gorter)، (انظر المحالد)

⁽۱) الإشارة هنا إلى أرثر شوينهاور (۱۷۸۸ –۱۷۸۸) Schopenhauer –Arthur (۱۸٦٠ –۱۷۸۸)، وهو فيلسوف ألماني ذو فلسفة تشاؤمية إذ إنه يرى في الحياة شراً مطلقاً، وهو يبجّل العدم [المترجم].

⁽٢) الإشارة هنا إلى الزعيم الصيني ماو تسيتونغ [المترجم].

⁽٣) الإشارة هنا إلى أنتون بانيكويك (١٩٦٠–١٩٦٠) Antonie Pannekoek، وهو عالم فلكي ومنظّر ماركسي وثائر اجتهاعي هولندي، كما كان أحد منظري مجلس الشيوعية (Council of Communism [المترجم].

⁽٤) الإشارة هنا إلى هيرمان غوتر (١٩٦٧-١٩٦٧) Herman Gorter، وهو شاعر واشتراكي واشتراكي هولندين، وقد انتسب واشتراكي هولندي وعضو ناشط في إحدى مجموعات الكتاب الهولنديين، وقد انتسب تباعاً إلى عدة أحزاب اشتراكية وشيوعية، وكان أحد المؤسسين له حزب العمال الألماني

اللذين كانا ناشطين في عشرينيات القرن العشرين كن هذا التوسل يبدو مثل معجزة مسرحية dues ex machina لا تقدم سوى حلِّ شكليّ، بل مرآي لمشكلة الحياة بوصفها تمثيلاً، كها أن جواً من الرسمية المجرّدة يطغى أيضاً على تحليل الزمن المعيش في الأجزاء الأخيرة من «مجتمع الفرجة»، إذ إن زمن الفرجة الذي يحكم على الحياة بالتكرار والبقاء يواجه بدعوة خطابية شكلية إلى المقاومة، تُذكّر بها وصفه ولتر بينجامين Walter Benjamin بأنه «كآبة اليسار» أو «القبضة المشدودة على ورق معجّن». إن التحويل بوصفه «اللغة السائلة لنقيض الأيديولوجيا» القادرة على بلبلة التمثيل المرآتي يجد نفسه بسرعة مُقحهاً بخطاب شكلي وثوري مُنمّط:

إن التحرر الذاتي من القواعد المادية للحقيقة المعكوسة هو التحرر الذاتي لعصرنا، ولا يمكن إنجاز هذه «المهمة التاريخية في إقامة الحقيقة في العالم» من جانب فرد ولا من جانب حشد مُستَغَل ومفتت، بل إنه يتم مرة واحدة وإلى الأبد من جانب الطبقة القادرة على أن تكون ذوباناً لكل الطبقات عبر إضفاء سلطة على نفسها ضمن الصيغة المعروفة للديمقراطية المتحققة، أي ضمن المجلس الذي تتحكم فيه النظرية التطبيقية بنفسها وترى عملها (٥٩ م ،Debord).

إن هذا الاستنتاج اليائس - الإيهان بالمجالس بوصفها الصيغة التنظيمية للديمقراطية المباشرة والحياة المعيشة أدى إلى تقويض الأممية الموقفية بعد عام ١٩٦٨ - ومع اضمحلال الإيهان بالديمقراطية المباشرة

Communist Workers Party of Germany ومؤيداً قوياً للأمامية العمالية الشيوعية الشيوعية Communist Workers International

⁽۱) ارتبط شخص آخر هو هينريتسش بلوخر Heinrich Blücher مع المعارضة اليسارية في الشيوعية الألمانية وأصبح أهم محاور وحيد مع (هانه أرنت Hannah Arendt)، وقد أقرت أنه أسهم في تفكيرها بشكل جوهري في أثناء خمسينيات القرن العشرين.

بعد عام ١٩٦٨، فإن كل ما يبقي من «مجتمع الفرجة» هو تمرين قيامة، أي نهاية مرآتية للزمن وللحياة في ظل السيطرة الشاملة للمشهد... نجول في الليل فتلتهمنا النارin girum imus nocte et consumimur igni.

إن التفكير التنظيمي لدى ديبور وتحليله لسمات مجتمع الفرجة البنيوية تركا لديه قليلاً من الموارد للمقاومة، فإذا كان العدو قوياً جداً، وإذا كان الميل نحو التمثيل عنيداً جداً فها الذي يمكن أن يقوم بوظيفة صيغة تنظيمية كافية للمقاومة؟ إن اقتراح ديبور هو أن الانحراف dérive والتحويل détournement بوصهها أسلوبين لتفكير المقاومة يعملان بحرج مع المناشدة الموجه إلي المجالس العمالية بوصفها موقع مقاومة ديمقراطياً ضد المشهد، كها أن فانيجيم الذي انطلق من التجربة التاريخية نفسها للمقاومة الجمالية «ما قبل تاريخ» الأممية الموقفية اتخذ مقاربة نحو المقاومة مختلفة جداً تُكمل تحليل ديبور البنيوي، ففي تشديده على اقتصاد الرغبة والوجدان الذي يكوّن مجتمع الفرجة وفي إشارته إلى مستوى التجربة المعيشة السابقة للتمثيلات التي سحرت ديبور اكتشف فانيجيم مقدرة على المقاومة وفّرت موارد فعّالة لتحقيق مقاومة ضد الفرجة.

وفي تصدير كَتَبه لـ (ثورة الحياة اليومية) بعد مغادرته الأممية الموقفية يضفى فانيجيم على نصه فراسة بمفعول رجعى فيقول:

إن الماضي الطبقي stratified الذي لا يزال يتمسك به أولئك الذين يكبرون مع الزمن، يتميز بسهولة دائمة عن رواسب الطمي الخالدة في خصوبتها، التي يخلفها الآخرون الذين يستفيقون على أنفسهم (أو على الأقل يسعون) كل يوم (Vaneigem ۲۰۰۳, V).

إن ذلك يكوِّن الحدس الفلسفي الأساس للعمل: فهو تحليل لـ «لحظتي وجود منفرد متقلّب ينزع الحاضر فيه باستمرار عن نفسه أشكاله القديمة»

وفي مجال السلطة ليس هناك وجود لمستقبل سوى الماضي المكرر... فقمة الإنجاز لدى السلطة تكمن في لجوئها إلى الأيديولوجيا التاريخية، وذلك من خلال محاولتها إيقاع الناس في شَرك مثل ذلك المستقبل الماضي (Vaneigem 1977, ۲۳۸-9).

إذا كانت السلطة تبدد نفسها بالتكرار، فإن المتعة تجد نفسها في الإبداع، ففي قراءته لدي ساد يلتقط فانيجيم التوتر بين النزعتين، وهي قراءة بمنزلة نقد ينبئ بـ «سالو» لـ بازوليني ويفضّل فلسفة المخدع (''Boudoir على عذابات الفيلا / القصر:

يصف دي ساد سلوكين محتملين. فمن جهة هناك خلاعيو أليام سودم الدين يمكنهم أن يمتّعوا أنفسهم فعلياً فحسب بتعذيب الأجسام

⁽۱) الإشارة هنا إلى رواية المركيز دي ساد marquis de Sade التي تحمل عنوان «فلسفة في المخدع» La philosophie dans le boudoir التي كتبها عام ۱۷۹۰ على شكل حوار مسرحي، وهي تُعد مسرحية سياسية اجتهاعية على الرغم من عدّها بداية عملاً إباحياً، فأحداث الرواية تدور في غرفة نوم تقيم الشخصيتان الرئيستان فيها الحجة على أن الحلاعة المناسية التي المخلاعة النظام الأخلاقي الوحيد الذي يعزز الثورة السياسية التي حصلت في فرنسا مؤخراً وإذا فشلت فرنسا في تبني الفلسفة الخلاعية فإنها ستكون محكومة بعودة الحكومة الملكية [المترجم].

التي أغووها حتى الموت (فأي تكريم لشيء هو أكثر ملائمة من جعله يتألم). ومن جهة أخرى هناك خليعو «فلسفة في المخدع» الدافئون واللعوبون الذين يقومون بكل ما يستطيعون لزيادة متعة بعضهم بعضاً، فالأولون هم أسياد الماضي مفعمون بالكره وبالثورة، والتالون هم أسياد من دون عبيد، يرى بعضهم في بعض مجرّد انعكاس لمتعتهم الخاصة (٧٦٢, ٢٦٢).

يُبعد فانيجيم نفسه عن ديبور وعن الانجذاب نحو السيطرة من خلال النظر إلى «الأسياد من دون عبيد» المُستقى مباشرة وبوضوح من تمييز نيتشه بين الحقد والأخلاقية الإثباتية، كما يُبعد نفسه عن الدياليكتيك الهيغيلي وضمنياً عن اعتماد ديبور على «مجتمع الفرجة»، ويمضي بعيداً جداً، بحيث إنه يثبت إمكانية مُنتِجةً في المرآتية أو في العكس المتبادل للمتعة بالنسبة إلى الأسياد من دون عبيد.

إن فانيجيم يرى في الحب والكرم أساسين لمقاومة جديدة، لكنها مقاومة لا تتنازع مع السلطة على أرضيتها من العداوة والقوة المعارضة، بل إنها – بدلاً من ذلك – تبني أرضيتها الخاصة الجديدة. ليست هذه أرضية عائدة إلى الدياليكتيك الهيغيلي، بل هي مبارزة كلاوزفيتزية بين موت السلطة وحب الحياة، تُحدد الصراع في التضاد الفرويدي بين دافع الموت ومبدأ المتعة – السلطة/ الجمود والحب / الإبداع. إن الجزء الأول من جزئي «نورة الحياة السلطة والموسوم بـ «منظور السلطة» يقدم تحليلاً للحياة اليومية من وجهة نظر السلطة والموت، فالسلطة تواجه الحياة بثلاثة مستحيلات: المشاركة والتضييق (الفصل الأول)، التواصل (الفصل الثاني)، والتحقق أو السلطة بوصفها إغواءً (الفصل الثالث)، وهذه المستحيلات تتآمر معاً بحيث تختزل الحياة في البقاء، فالحياة هي ما تبقى بعد مواجهة المستحيلات الثلاثة للسلطة، لكنها تبقى

بصيغة تشوبها المساومة والصراع مع السلطة والموت، وعلى العكس من ذلك يحاول الجزء الثاني «عكس المنظور» في فراق مع مستحيلات السلطة باقتراح الإبداع والكرامة أو الأسياد من دون عبيد وبوساطة التجربة الإثباتية للزمن وثالوث تحقيق الذات والتواصل والمشاركة. بذلك نصل إلى المقاومة والتحدي الحاسم: «لن تمارس الجنس معنا من الآن فصاعداً» – هو الرد المناسب على الجلادين في «سالو»، لكنه رد يفترض مقدرة متبقية على المقاومة أصر بازوليني (ولاحقاً ديبور) بأنها استُنفدت تماماً في الرأسهالية الاستهلاكية.

إن ما يؤثر في عكس منظور القوة لدى فانيجيم هو نقد دافع الموت، وإثبات مبدأ المتعة لدى فرويد، فثالوث المشاركة والتواصل والتحقيق يظهر بأنه دافع موت قيد العمل، فـ «العناصر الثلاثة لدافع الموت: السعادة القصوى nirvana، ودافع التكرار، والمازوخية masochism - ما هي إلا ثلاثة أساليب للسيطرة: الحجز المقبول بسلبية، والإغواء عبر التكيف مع الأعراف، والتأمل الذي يُنظر إليه بأنه قانون حتمى» (Vaneigem 197V, 177). هذه – تحديداً - هي المجالات الثلاثة المحددة في تحليل اختزال الحياة في البقاء في الجزء الأول. إن التحليل البارع للـ الكينونة Dasein الاستهلاكية في الجزء الأول مع أوصافها الظاهراتية من الإذلال والعزلة والعذاب والتبادل والفصل والتضحية هي كلها سمات لنقد دافع الموت قبل عشر سنوات من فيلم «سالو» ل بازوليني. فقد كان فانيجيم يقيم معادلة بين الاستهلاكية ودافع الموت وأيام سادوم الـ ١٢٠، إلا أنه فهم هذه تأسياً بـ فرويد على أنها مقومات سوف تُقاوَم عبر مشروع إثباتي من التحقيق والتواصل والمشاركة. إن الأمر يبدو كما لو أن (أنلاثية الحياة) أو (افلسفة في المخدع) في فانيجيم هي التي تلت (اسالو) أو «۱۲۰ يوماً من سدوم». لكن فانيجيم يتوجه للحديث مباشرة مع ديبور، فحسب مع نهاية النورة الحياة اليومية» أو «فلسفة في المخدع»، فيدعو إلى إستراتيجية وإلى تكتيكات «ثورة عفوية» غير كلاوزفيتزيين، كها يمتدح العفوية الثورية بأسلوب منمّق. في النهاية إن فانيجيم ومن خلال نقده لدافع الموت وتأييده لبدأ اللذة اتبع ديبور إلى مشكلة التنظيم، وأكمل هدفه الإستراتيجي في تدمير السلطة عبر الدعوة إلى «اتحاد بين تكتيكي الحياة اليومية» اللذين يمكنهها «تلبية متطلبات رغبة تدمير المجتمع القديم». إن تجهيز مثل هذا الاتحاد، أي تزويده بحاجاته إلى التقنية، هو واحد من الأهداف العاجلة للا الأممية الموقفية، فالإستراتيجية هي البناء الجهاعي لمنصة إطلاق الثورة على أساس تكتيكات الحياة اليومية للفرد» (١٩٦٧, ٢٧٥). إن فانيجيم يتصوّر سلفاً دوراً عسكرياً محتملاً للد الأممية الموقفية، وذلك باستعماله مصطلحات وفروقاً أقرب إلى كلاوزفيتز أكثر مما قد يرغب:

إن حرب العصابات حربٌ شاملة. هذه هي السكة التي وُضعت عليها الأممية الموقفية، فالتحرش المتعمد يأتي من كل جهة - ثقافية وسياسية واقتصادية واجتهاعية، كها أن التركيز على ساحة معركة الحياة اليومية سوف يضمن وحدة المعركة (Vaneeigem ١٩٦٧, ٢٧٥-٦).

إن هذه المحاولات لمقاربة ديبور في نهاية الكتاب تنسى الرفض الافتتاحي للعمل بمنطق المواجهة، كما أن الدعوة إلى المقاومة على مستوى الحياة اليومية ورغبتها في الحياة أثارت رد ديبور البارد، ألا وهو أن الحياة اليومية هي – أساساً – تحت سيطرة الفرجة، وهذه إيهاءة كررها بازوليني لاحقاً في «سالو».

إن ديبور وفانيجيم يخلقان توتراً خلّاقاً بين محاولتيهما المختلفتين جداً في التنظير للمقاومة الموقفية: الأول عبر الدياليكتيك والتنظيم، والآخر عبر مناهضة الدياليكتيك والتغلب على دافع الموت من خلال تعميم مبدأ اللذة، فبعد الاقتراب من ديبور مع نهاية «نورة الحياة اليومية» تراجع فانيجيم ورسّخ رفضه الدخول في منطق المواجهة وإغراء حله الدياليكتيكي. يتضح ذلك في اللدولة لا تفعل شيئاً» Letterist الذي رفض فانيجيم قراءته في اجتماع الديمقراطية المباشرة المنعقد في سالونيكا، حيث كان فانيجيم فرفض فأنيجيم الدخول في حلبة نقاش دياليكتيكي. لقد أعطى أسبابه التي كانت:

أولاً: رغبته في تحاشي أن يكون جزءاً من فرجة،

وثانياً: رغبته في تخفيض عواطف التملك المتعلقة بالنقاش، ورغبته في أن يسود موقفه. يبدأ نصه بإيهاءة تضامن مع التمرّد اليوناني وبفساد الديمقراطية المعاصرة، ثم ينتقل مباشرة إلى المشكلة التي تُعالج في الجزء الثاني من شورة الحياة اليومية»، ألا وهي عكس منظور السلطة. إن مقاربته لهذا الجانب من المقاومة – المقاومة الإثباتية – تُتابع هذه المرة من دون أي مساومة:

حتى الآن لدينا بديلان فحسب هما: الإصرار على وضع حد للعنف القمعي من خلال الدخول إلى أرضية العدو ومواجهته بعنف من الطبيعة نفسها، إنها في الاتجاه المعاكس والمقاومة السلبية ضد الطغيان على الطريقة التي مارسها غاندي بنجاح أكيد (Vaneigem ۲۰۱۰, ۳).

إن فانيجيم يعدُّ التعارض بين ماو وغاندي اللَّمَّح إليه هنا بأنه أصبح تاريخياً الآن، ووصل إلى حدوده القصوى من المعقولية في الأزمة الراهنة. إذ يمكن

بالنسبة إليه لإستراتيجية غاندية أن تعمل فحسب بسبب الطبيعة الأخلاقية المتبقية لبعض أجزاء السلطة الاستعمارية، وهذه سمة لم تعد كثير من الأنظمة القمعية المعاصرة تتشارك فيها "، لكن ذلك بالنسبة إلى فانيجيم لا يتضمن أن الإستراتيجية الماوية مع ما يدعوه مبدأها البغيض القائل: «إن كل السلطة تأتي من فوهة بندقية» هي الطريق الوحيد المتبقي للمقاومة "، ويضع فانيجيم عوضاً عن ذلك نصب عينيه حركة الزاباتستين، وفي نقد صريح لعنف المتمردين اليونانين يدعو المقاومة كي تتعلم دروس تشياباس أو ما يشابهها، وهي دروس كوميونة باريس:

إن جماعات الزاباتيستا في تشاباس قد تكون الجماعات الوحيدة اليوم التي تطبق الديمقراطية المباشرة، فالأراضي العامة تستبعد منذ البداية الصراعات المصاحبة لمصادرة الأملاك الخاصة، إذ إن لكل فرد الحق في المشاركة في المجالس وفي التكلم والمجاهرة بصوته وتوضيح خياره، حتى الأطفال... وبغية تحديد إرادتهم في إقامة مجتمع أكثر إنسانية يمتلك الزباتستيون صيغة تذكّر بضرورة الحذر المستمر: نحن لسنا مثالاً، بل إننا تجربة (٧٠١٠, ٢٠١٠).

عملياً إن فانيجيم يدعو إلى إعادة التفكير به الساتياغراها: أعمال المقاطعة والجماعات البديلة والعصيان والإبداع، كما أن آخر كلماته لليونانيين تتسق تماماً مع موقفه عام ١٩٦٧، وهي جواب قوي على أواخر ديبور وعلى «سالو» له بازوليني:

⁽٢) وهذا حكم صادقت عليه أرنداي روي Arunddhati Roy في حالة نقدها لإستراتيجيات المقاومة اللاعنيفة الغاندية ضد وحشية الدولة الهندية المعاصرة. إن كليهما قريبان من أرنت في الإقرار بإمكانية أخلاقية في السيطرة وفي التقليل من أهمية التحدي اللاعنيف.

⁽٣) تتخذ أرنداتي روي موقفاً مختلفاً عن فانيجيم وتخرج من خراب الاستراتيجيات والخطط الغاندية فاقدة المصداقية في الهند المعاصرة نحو الصراع الماوي المسلح.

لدي الاعتقاد بأن القوى الحية للعالم برمته التي تتحرك متخطية حواجز المقاومة والدفاع عن النفس تستيقظ من حلم طويل، إذ إن هجومها السلمي الذي لا يُقاوم سوف يجرف أي عوائق تنتصب في وجه الرغبة الجامحة للعيش التي تغذي أولئك الذين يُولدون وتُعاد ولادتهم كل يوم، إذ إن عنف العالم الذي سوف يُولد، سيحلُّ محل عنف العالم الذي سيدمر نفسه إن عنف العالم الذي سوف يُولد، سيحلُّ محل عنف العالم الذي سيدمر نفسه (Vaneigem ۲۰۱۰, ٥).

٥-٢- مقاومات الشعوب الأصلية:

رأينا كيف أن كارل شميت كان في عمله مهتماً بظهور حرب الأنصار العالمية، وهي حرب تُدار فيها الصراعات غير النظامية والمتحركة والأرضية المدفوعة أيديولوجياً على مستوى عالمي، ويبدو أن الأمر الأكثر إثارة للدهشة في تحليل شميت هو رؤيته القيامية تقريباً لحرب أهلية عالمية، أي لصراع بين الإمبراطورية والثورة العالمية، يؤدي فيه في نهاية المطاف ماو والماوية وظيفة الرادع الجيوسياسي ضد كونية الثورة اللينينية العالمية، ولكنْ تبقى هذه الرؤية للمقاومة العالمية رؤية مجرّدة، نظراً لأن المقدرة العامة على المقاومة اتخذت المكالاً معقدة ومتباينة تجمع المقاومة في العاصمة مع صراعات حصلت في الأماكن التي كانت ذات مرة تُعدّ «أطرافاً». إن نضالات «الشعوب الأصلية» التي أثارتها. يوجد تعبيران عن مثل هذه المقاومة مختلفين جداً لكنها مميزان كل التي أثارتها. يوجد تعبيران عن مثل هذه المقاومة من الفصل الثالث برؤيتهم بطريقته، وهما الزاباتستيون الذين سبق أن رأيناهم في المفصل الثالث برؤيتهم للذات المقاومة والمقاومات المزمنة للشعب القبلي في الهند الوسطى والمتحالفة بشكل متزايد مع الحزب الشيوعي الهندي (ماوي).

تتشارك كلتا الحركتين بسات تساعدنا على فهم الصراع المعاصر بين المقاومة العالمية والمقاومة المضادة. إنها صراعات الشعوب الأصلية الذين أبعدوا إلى أطراف دولهم-أمتهم، والذين تتجلى الآن التقاليد المحلية المحيطة بنضالهم وحق تقرير مصيرهم في مقاومة ضد الاستخراج العالمي للمعادن وفي فوائد المواد الخام الأولية. فمع الطلب الهائل للاقتصاديات الصناعية الجديدة على المواد الخام، فإن أي مقاومة لمحاولات استخراجها من الأراضي الأصلية وشعوبها تُعطي للمقاومات المحلية أهمية عالمية وتلقي ظلاً من الشك ليس على دستورية الدولة-الأمة وحسب، بل أيضاً على أولويات الإيهاءة المتكررة ويتكرر طوال حياتها، كما ترك بصمته على جبين الحداثة نفسها. إن المقاومة لدى المهمشين والمستثنين، وفي حالات كثيرة المُطارَدين بكل معنى الكلمة، الذين يُلحقون ويُستولى عليهم بعنف، من جانب الرأسمال العالمي، تسهم في تكوين مقدرة عالمية ناشئة على المقاومة وتستند إليها.

لقد رأينا في الفصل الثالث كيف عبر الزاباتيستيون عن رؤية ثاقبة للذاتية المقاومة تضمنت الذين هم على قيد الحياة والأموات وأولئك الذين لم يولدوا بعد، بل إن الأمر الذي قد يكون أكثر غرابة هو الطريقة التي أفصح بها عن هذه الذاتية الله حقة عبر مقدرة عالمية ناشئة على المقاومة، إذ أصبح ذلك ممكناً بوساطة الشابكة، والإمكانية التي وفرتها لمقاومة مشبوكة عالمياً. لقد ألحت على ضرورة المقاومة أصوات الموتى، والذين لم يحيوا بعد، فالمسألة ليست مجرد تحقيق لحرية الجيل الحاضر، وإنها أخذت المقدرة على المقاومة تتشر بين الأحياء والأموات، والذين لم يُولدوا بعد، لكنها انتشرت أبعد من ذلك في ربيع ١٩٩٤. لقد التقطت صيغة الزاباتستين: «كل شيء للجميع، ولا شيء لنا» هذا التوسع للمقدرة على صيغة الزاباتستين: «كل شيء للجميع، ولا شيء لنا» هذا التوسع للمقدرة على

المقاومة، ومنذ تلك اللحظة أشير إليها بصورة متكررة في بيانات الزاباتستين لتحل محل «كفى، يعني: كفى» التي أثارت تمرد عام ١٩٩٤ ومقاومته العائدة للأموات الأصليين. ففي استخدامهم للتكنولوجيا نفسها التي جلبت الموت من السياء وبتجاوزهم الفرق بين «الموت الحديث في مقابل الحياة المتعلقة بالأسلاف» (٩٠ Ponce de Lèon, ٩٠) جلب الزاباتستيون في مدة قصيرة جداً «أسلحتهم الخشبية والأقدام المكسورة والفلسفة المتعلقة بالأسلاف» (٩٠ Ponce de Lèon, ٩٠) إلى جمهور العالم وعملوا على تحقيق مقدرة عالمية على المقاومة قامت بدورها في تنشيط مقاومتهم المحلية. كانت مقاومتهم للجميع، لكن ليس لهم، إذ كانت تنمية المقدرة على المقاومة غاية في حد ذاتها، وهي على حد قول فانيجيم هدية أو فعل من الكرم بغض النظر عها قد تجلبه للمقاومين أنفسهم.

وكجزء من تضامنهم مع مقدرة عالمية على المقاومة فإن اللجنة الثورية السرية - القيادة العامة طرحت اللقاء encuentro من أجل الإنسانية ضد الليبرالية الجديدة في تموّز / يوليو وآب / أغسطس ١٩٩٦ واستحضرت نضالات جيش الزاباتستا للتحرر الوطني تحديداً وتَبنّت إستراتيجية مقاومة تسلّح الصوت، وتخفي الوجه والاسم، كما أنها تبنّت الإستراتيجية النيتشيّة المتضمنة ألّا يكون المرء أحداً كي يُصبح الجميع، فخلف القناع ووراء السلاح ووراء الاسم المجهول «من خلفنا نحن أنتم» يوجد كل الأسماء في التاريخ، وفوق كل شيء كل تلك الأسماء المنسية: إن مقاومة الواحد هي باسم الجميع الذين اضطُهدوا وسوف يُضطهدون، والذين قاوموا وسوف يقاومون:

من خلفنا أنتم نحن.

خلف أقنعتنا يوجد وجه كل النساء المحرومات.

كل الأصليين المنسيين.

كل المضطهدين.

كل الشباب المحتقرين.

كل المهاجرين المغلوبين.

كل أولئك المسجونين بسبب كلماتهم وأفكارهم.

كل العمال المُهانين.

كل أولئك الموتى من الإهمال.

كل الرجال والنساء البسطاء العاديين.

الذين لا يُعَدُّون.

الذين لا يُرون.

الذين لا اسم لهم.

الذين لا غد لهم.

إن إعلانات اللجنة الثورية السرية - القيادة العامة بعد التأسيس واجهت الاضطهاد الاقتصادي العالمي والسياسي والثقافي والعسكري بالدعوة إلى شبكة عالمية من المقاومة، إذ يصبح الزعم القائل: إن المقاومة الأصلية هي للجميع بمنزلة دعوة إلى الإسهام في مقدرة عالمية على المقاومة. إن الذي يجب فعله هو خلق:

[...] شبكة من الأصوات التي تقاوم الحرب التي تشنها السلطة عليها... تقاوم من أجل الإنسانية وضد الليبرالية الجديدة، شبكة من الأصوات التي

وُلِدت وهي تقاوم وتعيد إنتاج مقاومتها في أصوات أخرى هادئة ومنعزلة، شبكة تغطي خمس قارات وتساعد في مقاومة الموت الذي تعدنا به السلطة (Tomorrow Begins Today" Ponce de Lèon, 112,7/199).

يمضي الإعلان الثاني في آب / أغسطس ١٩٩٦ أبعد بكثير من مجرّد الدعوة إلى تكوين شبكة من خلال البدء في وصف طبيعتها وأهدافها، وفيها يتجاوز وصف المقدرة العالمية الوليدة على المقاومة يُظهر الإعلان الثاني دراية إستراتيجية متطوّرة بالحاجة إلى تجنب الدخول في وضعية مواجهة مباشرة مع السلطة، فالشبكة المقترحة تتوجه مباشرة إلى الإمكانات التقنية التي تفتحها شبكة الشابكة، والتي لم تكن متاحة له نساء يلو غيت في غرينهام وشبكتهن، وفي بنائه على الشابكة، والتي التي أثبتتها التكنولوجيا الجديدة في مقاومة الانقلاب العسكري الروسي يشرح الإعلان الثاني رؤية للمقدرة على المقاومة عالمية ومشبوكة تبشّر بظهور المقدرة العالمية الراهنة على المقاومة اعتاداً على الشابكة، فقد سمح هذا الإعلان بإدراك هذه الإمكانية وبتطويرها نظرياً وعملياً.

يقر الإعلان أن على النضالات المحلية ضد الاستبداد العالمي أن تعتمد على الطاقة المُتاحة في مقدرة عالمية على المقاومة. إنه يدعو إلى «شبكة جماعية لنضالاتنا ومقاوماتنا الخاصة، أي إلى شبكة مقاومة دولية ضد الليبرالية الجديدة، شبكة مقاومة عابرة للقارات من أجل الإنسانية» (Ponce de Lèon, ۱۱۷). إن ما يُركّب على العمق المحلي للمقدرة على المقاومة المتجذرة في المقاوم الميت الذي لم يولد بعد، هي شبكة عالمية لنقاط تقاطع المقاومة، تمتلك كل منها ثقلها النوعي الخاص:

إن شبكة المقاومة العابرة للقارات التي تقر بالاختلافات وتعترف بالتشابهات، سوف تعمل على اكتشاف نفسها في المقاومات الأخرى حول

العالم، كما أن شبكة المقاومة العابرة للقارات هذه سوف تصبح الوسيلة التي من خلالها قد تدعم المقاومات المستقلة بعضها بعضاً (Ponce de Lèon, ۱۱۷).

ومع ذلك فإن المقدرة الناشئة عن المقاومة سوف تتحاشى الوقوع في مصيدة تحوّلها إلى مكان وحيد وثابت، أو أن تُصبح مبنية وفقاً لهرمية عسكرية أو سياسية: «فهي ليست بنية تنظيمية، وليس لديها رأس أو صانع قرار، ولا قيادة مركزية أو هرميات، نحن شبكة جميع أولئك الذين يقاومون» (Ponce de Lèon, ۱۱۷). إن الاستاع إلى المقاومات الأخرى والتحدث إليها يكون في حد ذاته مقدرة عالمية على المقاومة. كما يُنظر إلى التكنولوجيا بأنها توفر طريقاً يمكن أن يمشي عليه المقاومون، وإنْ كانوا يتبعون طرائق مختلفة من المقاومة.

أكد ماركوس بمهارة على هذه الرؤية للمقاومة كغاية في حد ذاتها، أي كهدف وليس كوسيلة ثورية للوصول إلى مكان آخر، وذلك في رسالة (فيديو) موجهة إلى طاولة عالمية مستديرة حول الثقافة السفلية تحمل عنوان «من الثقافة السفلية إلى ثقافة المقاومة» في تشرين الأوّل / أكتوبر عام ١٩٩٩، وفي عبارة مازحة عن «سلاح المقاومة» بعد قليل من دعابات الإحماء أفاد القائد الأدنى ماركوس الطاولة المستديرة بالقول: «أعلم أنكم جميعاً توّاقون لمعرفة عما سوف أتحدث»، وأجاب نفسه قائلاً: «ولهذا فمن الأفضل الحديث إليكم عن السلاح، وبشكل خاص سوف أتحدث إليكم عن سلاح المقاومة» (Ponce de المحمور الماوية بشأن أسلحة المقاومة فحسب، كي يمثل فكرة أن المقاومة هي بحد ذاتها سلاح، وهو لعب على صيغة التملّك في عبارة «سلاح المقاومة». إن

النص خال من الحقد، فهو يورد الظروف المريعة لـ تشياباس ثم يدّعي: «أن فقرنا مثل فقر الآخرين، لكنه فقر مختلف أيضاً، إنه فقر «آخر». نحن فقراء لأن فقرنا مثل فقر الآخرين، لكنه فقر ختلف أيضاً، إنه الزاباتستين يقاتلون «إنها من ذلك هو ما اخترناه» (Ponce de Lèon, ١٦٧). إن الزاباتستين يقاتلون «إنها من أجل الجميع، وليس فحسب من أجل أنفسنا». «حسناً، إنكم تسألون أنفسكم، ولكن ما السلاح ...؟» حسناً إنه سلاح به «قاومنا أكثر من ٢٠٠٠، جندي ودبابات حربية وطائرات قاذفة ومدفعية وطائرات الهليكوبتر والمدافع والبنادق والرصاص والقنابل» (Ponce de Léon, ١٦٧). إنه يقصد «سلاح المقاومة» وليس سلاحاً يُستخدم في المقاومة، وهذا يعنى النضال باسم الاختلاف نفسه:

هناك الأصليون، هناك العمال، هناك النساء، هناك الطلاب، هناك الشباب [...] وعندما نقول: نحن نقاتل من أجل احترامنا، من أجل أنفسنا «المختلفة» «والأُخرى»، فهذا يتضمن القتال من أجل احترام أولئك الذين هم آخرون ومختلفون، والذين ليسوا مثلنا، هنا هو المكان الذي تلتقي فيه حركة المقاومة هذه بمجملها سواء أكانت سرية أم خفية لأنها تصل بين من هم تحت أو أسفل الحركات المؤسساتية - مع الزاباتسمية Ponce de Léon, ۱۲۷).

إن المقاومة هي نفسها سلاح المقاومة، وهذا تعريف جيد للمقدرة على المقاومة بمثل جودة أي تعريف، وهو تعريف يمكن الآن أن يكتسب مكانة دولية تتناسب مع عدوها الإمبريالي الليبرالي الجديد المنظّم عالمياً. إن المقدرة على المقاومة المشبوكة تحقق نفسها، ليس بتقليد عدوها أو مواجهته مباشرة، بل بتجنب الصراع على أرض لا يمكنها أن تكسب فيها.

إن إبداع الزاباتستيين واستخدامهم المضبوط للعنف يضعهم بشكل متناقض ظاهراً إلى جانب كل من الحركة الغاندية والحركة الماوية في الهند، إذ يبدو أن الزاباتستين يقترحون ساتياغراها معاصرة تُحفّز التغيير من دون أن تتبع برنامجاً بالضرورة، وبكلمات أخرى: إن السياسة ليست تدميراً، وحرباً، بل هي إبداع، أو سلام بوسائل أخرى، ففي الوقت الذي عارض فيه الزاباتستيون الحزب الثورى المؤسسى والدولة المكسيكية والنافتا، وفي الوقت الذي يقومون فيه بتحدي ادعاء الدولة لاحتكار العنف، فإنهم لا يمتلكون إحساساً قوياً بالعداء الشخصي، ولا إحساس بأن خصمهم طريدة، أو هدف مسلوب الإنسانية، بل إن عداوتهم هي للسلطة نفسها وصداقتهم هي مع المقاومة ومن أجلها، كما أن هذا المنحى يأخذ اتجاهاً مختلفاً تماماً عن مقاومة الأصليين أو مقاومة أديفاسيس (٤٠ Adivasis في وسط الهند التي تقاتل في معركة مشابهة، لكن - وبشكل متزايد - ضمن إطار وضعته الماوية الجديدة. إن خطة المنظور الحضري للحزب الشيوعي (الماوي) الهندي عام ٢٠٠٤ تعرض برنامجاً لأخذ صراع المناطق القبلية التي تقاوم توغّلات الرأسمال العالمي المدعوم من الدولة الهندية و «مذكرات التفاهم» العائدة إليها إلى المدن، وتنظّم الطبقة العاملة وقطاعات أخرى من السكان، بغية بناء جبهة سياسية متحدة مدعومة بأعمال عسكرية من قبيل التخريب والاختراق والدعم اللوجستي للمقاومة المسلّحة، وفي حين أن الكفاح المسلَّح يتركز في الريف، وهو متجذر في المقدرة على المقاومة لدى الشعوب الأصلية، فإن الوثيقة تقترح توسيعه ليشمل المقاومة الحضرية ومروحة واسعة من الأشكال التنظيمية بها فيها المنظمات السرية و«الإرهابية» المفتوحة والمجزأة والجمعيات السكانية. إن النضال منظّم هرمياً

⁽٤) تعنى أصلي أو الشعب الأصلي باللغة الهندية المحلية [المترجم].

وله قيادة عسكرية محددة بإحكام ومبنية وفقاً لتعريف قوى وصارم للعدو الطبقى. فالنضال ضد العدو الطبقى يتوسع ليشمل مؤسسات الدولة عبر مجالات تتراوح ما بين نضال تقليدي اقتصادي وسياسي إلى حرب سايبرية Cyber كما أن الدافع الديمقراطي القوى المميز لله الزاباتيسيين يجرى تطويعه لضرورات تنظيمية خاصة بهرمية عسكرية محددة بصرامة تتبع أهدافأ صارمة محددة. إن النقاش الإستراتيجي الذي - مرة أخرى - لا يشبه الزاباتيستيين يُدار وفقاً لمُسلّمة العداوة الطبقية العالمية المطلقة، لكن تكتيكات المقاومة المقترحة في خطة التطوير الحضرى لها كثير من التشابهات والاختلافات مع مقاومة الزباتيسيين الأصلية، فالمقاومون يصبحون «مخفيين عن مراقبة العدو»، ليس بوساطة ارتداء أقنعة واضحة، بل بوساطة الإحجام عن كشف أنفسهم «في مظاهرات صغيرة، إذ تُحدُّد بسهولة كل نشاطاتنا، بل حتى تصويرها بالفيديو، من أجل الاستهداف السهل في المستقبل» (Chakravarti, ٣٨٥). إن الإستراتيجية الماوية التقليدية لحرب المقاومة الطويلة الأمد هنا تُرشد تكتيك سرية الكوادر والتنظيم عبر الاختراق والتقنيع في مقابل التناقض التمثيلي المتعمد لتقنيع الزاباتيستيين العلني. إن الحزب يتحمل أيضاً مسؤولية تنظيم المقاومات القائمة وإرشادها:

ونظراً لأن الفقراء الحَضَريين يعيشون باستمرار في ظروف محفوفة بالمخاطر، فمن الطبيعي أن يتآزروا لمساعدة بعضهم بعضاً ويتحدوا ضمن تنظيهات، بغية النضال من أجل حقوقهم، بهدف تأمين ظروف حياة أفضل، وكي يحلوا المشكلات بينهم وينظموا نشاطاتهم الاجتهاعية والثقافية على نحو أفضل (Chakravarti, ٣٨٨).

إن المقدرة على المقاومة الناشئة والعفوية سوف تُبنى هرمياً، ومن ثم تُوجه نحو هدف الحرب الطبقية الثورية، ومما يُثير الانتباه أنه في الوقت الذي تدرك فيه الوثيقة أن «علينا أن نستفيد بالحد الأقصى الممكن من أجهزة الحاسوب والشابكة» فإنها لا تفهم ذلك تماماً على أنه جزء من إستراتيجية تكوين مقدرة عالمية على المقاومة، كما هي الحال مع الزباتيستيين. إن استخدام الشابكة يتم من أجل «تعزيز» الأهداف العسكرية للثورة مع التركيز على الحرب التقليدية بوساطة الشابكة، ويبدو أن أنموذج القرصنة والتخريب هو الأكثر بروزاً في الوثيقة، مع النظر إلى استعمال الشابكة بوصفه حقل معركة بدلاً من أن تكون مصدر تكوين مقدرة عالمية على المقاومة: «يجب أن يكون لدينا الرؤية لإنشاء وحدات تتولى مهمة تدمير الشبكات العسكرية وغيرها من الشبكات المهمة بالنسبة إلى العدو» (٢٠١٥ Chakravarti). وهكذا فإن الوثيقة الشبكات المهمة بالنسبة إلى العدو» (٢٠١٥ Chakravarti). وهكذا فإن الوثيقة أيديولوجياً من أجل التحكم بالأراضي المحررة المزمع لها أن تؤدي وظيفة أيديولوجياً من أجل التحكم بالأراضي المحررة المزمع لها أن تؤدي وظيفة قواعد لحرب مقاومة طويلة الأمد.

لكن المقاومات في الهند حفّزت مقاومة مضادة ضخمة، تبنت شكل المطاردة، فقد أُخضِعت الماوية الهندية ومقاومات الأديفاسيس التي تعبر عنها إلى مطاردة شرسة لأنه جرى تسميتها صراحة بأنها تمثل «أكبر تهديد للأمن الداخلي للبلد منذ الاستقلال». وكانت الفترة الأولى غير رسمية ومحلية – فترة سلوى جودم Salwa Judum (التي أُطلقت عام ٢٠٠٥) – التي حاولت تدمير القواعد التي تتحكم بها الماوية واستخدمت ضباط شرطة خاصة غير نظاميين، للقيام ليس بالمطاردة فحسب، بل أيضاً بتدمير الأرضية التي يمكن أن يجد فيها المقاومون ملجاً. إن هذا الحكم من

الإرهاب المنهجي إنها غير الرسمي المُكرّس لتدمير مقدرة الأديفاسيس على المقاومة تبعته عملية عسكرية رسمية يُتحكم بها مركزياً، فاسم عملية الحكومة الهندية بحد ذاته: «عملية المطاردة الخضراء» هو إثبات مذهل لأطروحة تشامايو، ويكاد يكون حالة أنموذجية عن عقيدة المطاردة. إنها عملية مكرسة لاكتشاف المقاومين واغتيالهم وتدمير مقدرتهم المادية والأرضية والمعنوية على المقاومة. لقد عرّف سكرتير الحزب الشيوعي الهندي (ماركسي لينيني) الرفيق أجيث Comrade Ajith عملية المطاردة الخضراء بأنها «حرب على الشعب»، وهي:

[...] رأس حربة لمخطط أشمل يهدف إلى مهاجمة وتصفية تشكيلة واسعة من حركات المقاومة الحاصلة طوال البلاد وعرضها، وإن كانت موجهة ضد الحرب الثورية التي يقودها الحزب الشيوعي الهندي (ماوي). تتضمن هذه الحركات تلك الحركات المناهضة للخصخصة والإحلال والتدمير البيئي والعديد من الحركات الأخرى (Comrade Ajith, Democracy and Class Struggle, ٣٣).

إن هذا التحليل صحيح طالما أن عملية المطاردة الخضراء موجهة ضد المقدرة على المقاومة نفسها بكل تجلياتها المُعبِّر عنها قبل كل شيء في الحزب الماوي، لكن التحليل يُخطئ في تصنيفها بأنها حرب، فالحكومة الهندية لم تعلن الحرب، هكذا كموسم صيد ضد المعارضة، إذ إن عملية المطاردة الخضراء هي تماماً مثلها تدعي مطاردة لا تعترف بعدو سيُحارب، بل بمجرّد طريدة سوف تتم تصفيتها.

يمكن أن نرى في كتاب أرنداهتي روي Arundhati Roy الذي يحمل عنوان «السّير مع الرفاق» Walking with the Comrades عنوان «السّير مع الرفاق»

الحنق الأخلاقي، بل عن الحيرة السياسية أيضاً التي يُثيرها التنفيذ الصريح والفظ لعقيدة المطاردة. فهي أيضاً تؤمن أن عملية المطاردة الخضراء هي حرب، إلا أنها تدرك بالحدس بشكل صائب أن العملية قد تكون شيئاً آخر أكثر فظاعة من ذلك: «ما نوع الحرب التي ستكونها عملية المطاردة الخضراء؟ وهل سنعرف بالمطلق؟» (٢٠١٢, ١٢) إن أرنداهتي روي تقدم تحليلاً واضحاً لتحوّل علاقة العداوة إلى علاقة مُطارِد ومُطارَد وتُظهر كيف يُعاد في الهند تعريف المقدرة على المقاومة بحد ذاتها بوصفها مصدر إزعاج يجب التخلص منه وتشير إلى:

[...] الحملة المنسقة التي نُظِّمت لإقحام أشكال لا تُعدَّ ولا تُحصى من المقاومة الحاصلة في هذه البلاد في ثنائية جورج بوش البسيطة: «إن لم تكن معنا فأنت مع الماويين... » سوف تنتهز الدولة الفرصة كي تُصفي المئات من حركات المقاومة الأخرى في عمليتها العسكرية الكاسحة بالقول عنها جميعاً: إنها متعاطفة مع الماويين (٢٠١٢, ١٣).

في حالة هذا الاختزال للمقاومات في مقاومة تؤكد روي أن «الشعب القبلي في وسط الهند لديه تاريخ من المقاومة يسبق ماو بقرون»، (٢٠١٢, Roy ٢٠١٢) وهو الآن يطعم أشكال الصراع المسلح الماوية بهذه المقدرة في كفاح من أجل البقاء، يمكن فهمه تماماً، وهو مثير للإعجاب بطرائق عديدة.

وفي مقابل مطاردة حاقدة تنظمها الدولة ضد مواطنيها المقاومين تواجه روي حيرة صادقة تتعلق بمسألة كيفية تحدي مثل هذا الهجوم ومقاومته:

لكن ماذا عليّ أن أقترح عليهم أن يفعلوه؟ أن يذهبوا إلى المحكمة؟ أن يقوموا به دهارنا في جانتر مانتر المحكمة على المعام؟ بتجمّع؟ بتجمّع إضراب عن الطعام؟ إن ذلك يبدو سخيفاً، إذ يجب أن يُطلب من مروجي السياسة الاقتصادية الجديدة – الذين يجدون من السهولة بمكان القول: «ليس هناك بديل» – أن يقترحوا سياسة مقاومة بديلة، سياسة محددة لشعب محدد في هذه الغابة المحددة، هنا والآن. (Roy ۲۰۱۲, ۸۸).

إن الحاجة الملحة لصياغة سياسة مقاومة بديلة تنشأ من أن المطارِدين غالباً ما يكونون فعلياً على بعد دقائق من فريستهم، وهم يحملون الأسلحة بأيديهم، ففي ظل هذه الظروف من المفهوم أن تتضايق روي من أي حديث عن إطلاق ساتياغراها:

سأل سوخديف Sukhdev من دون اهتهام كها لو أن الأمر هو الأكثر طبيعية في العالم: «نحن نقترب من «الحدود». هل تعرف ماذا نفعل عندما نتعرض لإطلاق النار؟»، أجبتُ: نعم أعلنْ فوراً إضراباً مفتوحاً عن الطعام. جلس على صخرة ثم ضحك (٢٠١٢, ١٤٥).

بالفعل أصبحت روي تعدُّ أي دعوة للإستراتيجيات الغاندية ملاذاً الأوغاد، ومجرّد تسويف مخادع في ظل ظروف عملية المطاردة الخضراء التي ينغمس فيه أولئك الذين ليس لديهم سوى الحد الأدنى مما يقدمونه من تضامن مع مضطهدي الهند، وإن أولئك الذين ينهمكون في مقاومة أوسع

⁽٥) أسلوب من فرض الالتزام بتسديد الدين للدائن، إذ يقوم الدائن بالجلوس أمام باب بيت المديون والصوم حتى يتم تسديد الدين أي إنه نوع من المظاهرة السلمية [المترجم].

⁽٦) اسم مكان للرصد الفلكي، شُيّد في القرن الثامن عشر [المترجم].

«قد يختلفون بقوة مع الماويين، وقد يكونوا حذرين، بل حتى ساخطين منهم، لكنهم حقيقة يرونهم جزءاً من المقاومة نفسها» (٢٩١٢,) منهم، لكنهم حقيقة يرونهم جزءاً من المقاومة نفسها» (١٩٤). ولكن يبدو أن إقصاء الساتياغراها الكلاسيكية وتقبّل الكفاح المسلّح الماوي يدل تحديداً على غياب أي مخزون مقاومة مناسبة للظروف الحالية، ومهما كان القصد ساخراً فإنه يوجد حقّاً حاجة إلى «سياسة مقاومة بديلة» تكون منفتحة على أشكال المقاومة كلها، وتكون مع ذلك قادرة على الاستجابة للظروف القاتلة لمقاومة مضادة تُنظّمها الدولة على أساس عقيدة المطاردة.

٥-٣- الدعوات إلى المقاومة:

لا يمكن لأي نقاش للمقاومتين اللتين قامت بها تشياباس والماوية الهندية ضد الرأسال العالمي باسم «الشعوب الأصلية» إلا أن يندهش لتشابه الأوضاع التي تعمل في ظلها كلتا المقاومتين، وكذلك بالفرق بين الذكاء البيروقراطي الإستراتيجي والثابت لـ«خطة المنظور الحضري» ولدعوات المقاومة المتعددة الشكل والمبدعة التي وجهها الزاباتستيون، فالبيانات والقصص والدعابات والأقنعة والحيل تشير إلى الحرص الشديد الذي أولاه التشياباسيون إلى جمالية التحدي وإلى ضرورة أداء دور المتمرد وإن بشكل ساخر، لكننا رأينا في ذلك أيضاً إلغاءً تاماً لشخصية المقاومة، فالمقاومون كانوا يتكلمون ويعملون في مجال الموتى ومن أجلهم وأجل أولئك الذين لم يولدوا بوصفهم أشباح آلهة المايان والأبطال المكسيكيين أمثال زباتا وفيلا، فقد أصبح المقاوم المقنع نجاً عالمياً وصوتاً مجهولاً للتحدي في آن واحد. لقد رأينا أن هذا

التنقل بين الشخصية العلنية والمجهولة - مقاومة للجميع ولا لأحد - أظهر أيضاً إستراتيجية الحركة بين المقاومة المحلية والمقاومة العالمية.

إن أحد جوانب الطبيعة التمثيلية للمقاومة التي ارتقى بها الزاباتستيون إلى الكهال هو نوع الدعوة للمقاومة، ففي العقد الأخير ولا سيها بعد تحدي جينوا، أصبحت الدعوة إلى المقاومة نوعاً حياً بالتأكيد مستوحىً من أسلوب الزاباتيستا، لكنها أيضاً وضعت نفسها ضمن عرف إشكالي وأشمل لمثل هذه الدعوات. لقد أثيرت الدعوة في كتاب («تعريف بالحرب الأهلية له تيكون» Tiqqun's An أثيرت الدعوة في كتاب («تعريف بالحرب الأهلية له تيكون» المتصلة به ذات التاريخ غير المُحدد أو الموطن غير المُعلن، لكن ربها من أرضية إيطالية في الكتلة السوداء Black Bloc وفي كتاب اللجنة السرية المعنون به «التمرد القادم» الكتلة السوداء Black Bloc وفي كتاب اللجنة السرية المعنون به شائم هيسيل الكتلة السوداء Stéphane Hessel ومؤخراً في كتاب ستيفان هيسيل المنتشرة بشكل واسع ردود فعل في (الربيع العربي) وفي مقاومة الإنديغنادوز في اسبانيا والمكسيك وفي أغناكتيسمينيو في اليونان وفي احتل! في الولايات المتحدة إسبانيا والمكسيك وفي أغناكتيسمينيو في اليونان وفي احتل! في الولايات المتحدة

⁽۷) هو اسم لمجموعة من الكتاب والناشطين الفرنسيين تأسست عام ١٩٩٩ بهدف إعادة خلق ظروف لمجتمع آخر. نشرت هذه المجموعة عددين من مجلة في عامي ١٩٩٩ و ٢٠٠١، وفيها ظهر الكاتب الجهاعي «اللجنة السرية» أول مرة. لكن حُلَّت هذه الجهاعة بعد هجهات ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد حظيت المجلة ببعض الاهتهام بعد اعتقال جولين كوبات (المولود عام ١٩٧٤) Julien Coupat (١٩٧٤) من بين مؤسسيها. علماً أن الاسم هو النسخة الفرنسية للمصطلح العبري تيكون أولام Tikkun مؤسسيها. الذي يعني حرفياً «إصلاح العالم، أو «شفاء العالم»، من خلال العمل الاجتماعي والسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية [المترجم].

الأمريكية ٥٠٠ وبالنظر إلى الإسهام المتنامي لمثل هذه الدعوات في مقدرة عالمية صاعدة على المقاومة، من المفيد، أولاً، التأمل في تاريخ الدعوة إلى المقاومة وفي بعض السهات الشكلية للنوع، وثانياً، النظر بإيجاز إلى المضامين المتنوعة للدعوات وتشابها العائلية، وثالثاً، إظهار كيف تستجيب الدعوات بعضها إلى بعض وتتميز من بعضها، وكمثال على السمة الأخيرة نذكر أن دعوة هيسيل إلى «تمرّد سلمي» سوف تُقرأ بأنها دعوة محافظة بالنسبة إلى الدعوات الأخرى التي سبقتها ولا سيها بالنسبة إلى دعوة التمرد الخاصة باللجنة السرية.

لم تلق السيات الشكلية لهذا النوع من الدعوة إلى المقاومة التحليل الفلسفي الذي تستحقه، فعلى النقيض من الإعلان الذي حلله ديريدا وإعلان الاستقلال الأمريكي والبيان اللذين حللها أرنت وديريدا أيضاً إضافة إلى البيان الشيوعي في الطياف ماركس، فإن الدعوة إلى المقاومة لا تأتي من موضوع حديث مكون إشكاليا، فهي ليست إظهاراً لمناد كان سابقاً غير مرئي أو غير مسموع مثل الشعب الأمريكي الذي سبق أن أخفته السيطرة الاستعارية البريطانية أو الجمعية الشيوعية الشيوعية عكان وبالطريقة التي الآن سرية. إن الدعوات إلى المقاومة تأتي بالمجمل من أي مكان وبالطريقة التي وصف فيها نيتشه نصوصه في «هو ذا الإنسان» وحدد انها تؤدي مقدرة على المقاومة ما إن تُعلن حتى تتحقق، ولطرح الأمر بشكل صريح فإنها ليست دعوات

⁽٨) كانت مقاومة المكسيكيين الساخطين indignados للدولة أقل من مقاومتهم لفسادها عبر سوق المخدرات والأثر الثقافي والاجتهاعي التدميرى لهذا الفساد على المجتمع المدني المكسيكي. إن الدعوة إلى مقاومة مدنية ضد الجريمة المنظمة كانت أيضاً بارزة مؤخراً في إيطاليا مع العمل المُتابَع جداً للكاتب روبيرتو سافيانو Roberto Saviano (٢٠٠٧).

معاصرة، ولا موجهة إلى مخاطَب بعينه أو من جانبه، بل إنها تفوق ذلك لتصبح شهادات على مقدرة على المقاومة في سياق تحقيقها لنفسها.

إن المرشح المعقول للدعوة الافتتاحية إلى المقاومة هو «بيان المتساوين» Manifeste des Égaux الذي أصدره سيلفان ماريشال Manifeste des Égaux الذي أصدره سيلفان ماريشال Secret Directory و«الدليل السري» Babeuf إن «بيان المتساوين» الموجه إلى الشعب الفرنسي (المخاطب المقصود سيكون أقل تحديداً في الدعوات المستقبلية) دعا إلى مقاومة أولئك الذين يعيقون مسار الثورة أو يحرفونه، ففي دعوتهم إلى المقاومة باسم المساواة يعهد متآمرو الدليل السري الأنفسهم بمقاومة مضادة، أي مقاومة أولئك الذين يقاومون الوعد الثوري بالمساواة:

حسناً جداً! مع ذلك نحن نريد أن نعيش ونموت سواسية مثلما وُلِدنا، نحن نريد المساواة الفعلية أو الموت، إن هذا هو ما يجب أن نكون، نريد هذه المساواة الفعلية أياً يكن الثمن، وملعون أيُّ شخص يحاول مقاومة قسم أُعلن بمثل هذا الوضوح (Mareschal ۱۷۹٦).

وفيها يتعدى الإقرار بالعلاقة المعقدة بين المقاومة والمقاومة المضادة، فإن دعوة ١٧٩٦ ثُبرز دور القسم أو «الاستحلاف» في تكوين ذاتية مقاومة، ومن ثم فإنها تتنبأ بمركزية القسم في ممارسة غاندي المقاومة، ومن المثير للاهتهام أيضاً المكان الذي تحتله المقاومة فيها يتعلق بهذا القسم: إنها مقاومة موجهة ضد أولئك الذين يقاومون القسم. وللمفارقة فإن المقاومة في هذه الدعوة تستلم زمام المبادرة، فالاستحلاف يستمر مع الدعوة من أجل ثورة عالمية مسيحانية قيامية وأخيرة: «إن المثورة الفرنسية ما هي إلا مرسال لثورة أخرى أعظم وأكثر مهابة وسوف تكون الأخيرة» (Mareschal ۱۷۹٦). إن صدى النبرة القيامية

والمسيحانية للدعوة يتردد في «دعوة تيكون» وفي دعوة اللجنة السرية اللتين تتوجهان أيضاً نحو المستقبل. ويظهر المستقبل المسيحاني ما بعد الثوري في دعوة عام ١٧٩٦ على شكل إشارة استباقية لنظرة المستقبل إلى الحاضر، إذ إن فضيحة عدم المساواة سوف تبدو غير قابلة للتصديق بالنسبة إلى الأحفاد، إذ تسوِّغ الدعوة إلى تأسيس جمهورية جديدة:

إن الوقت قد حان الآن لتأسيس جمهورية المتساوين، لتأسيس ذاك الملتجأ العظيم المفتوح لكل البشر، فقد جاءت أيام الاستعادة الأخيرة. أيتها العائلات، تعالوا، واجلسوا إلى الطاولة المشتركة التي أقامتها الطبيعة لكل أطفالها (Mareschal 1۷۹٦).

إن هذا الإحساس القيامي المتضمن: أن لحظة المقاومة قد حانت، وأنها لم تعد قيد الانتظار، ولم تعد قيد الإمكان، بل هي فعلية، ولم تعد مسيحانية، بل هي متحققة، هو إحساس يميز زمانية هذه الدعوة والدعوات اللاحقة إلى المقاومة التي ربها ظهرت في أوضح تجلِّ لها عام ١٩٦٧ في دعوة إلى مقاومة السلطة غير الشرعية: «الآن هو زمن المقاومة»، إن السمة الملحوظة الأخرى لمثل هذه الدعوات هي تجهيلها للعنوان وللمخاطب. فدعوة عام ١٧٩٦ تضعف ذلك بعض الشيء، وذلك من خلال توسلها إلى «الشعب»، ولا سيها الشعب الفرنسي، لكن بمعنى أن هؤلاء هم الشعب المدعو إلى مقاومة اللامساوة، وإلى عيش الحياة النموذجية للمتساوين: «أيها الشعب الفرنسي، افتح عينيك وقلبك لكهال السعادة، اعترف بجمهورية المتساوين، وادعُ معنا إليها» (١٧٩٦ Mareschal). إن الطبيعة الإثباتية للمقاومة هي طبيعة مذهلة هنا، بمعنى أنها تحدد أي معارضة ضد جمهورية المتساوين بأنها تأتي حكماً من حالة ارتكاسية مقاومة تحاول إعاقة مبادرة الشعب.

إن كثيراً من هذه السمات وللمفارقة (إنها على نحو مميز بالنسبة إلى هذا النوع) توجد أيضاً في أفضل الدعوات إلى المقاومة وأقلها شهرة، ألا وهي «نداء ۱۸ حزیران/ یونیو ۱۹۶۰ » Appel du juin ۱۹۶۰ من جانب دیغول علی ال ب. بي. سي ١٠٠٠. إن هذه الدعوة هي بسبل متعددة دعوة كلاسيكية إلى المقاومة يوجهها شخص نكرة، أنا Moi (كان الجنرال ديغول وزيراً ثانوياً في آخر حكومة فرنسية قبل الاحتلال الألماني)، ولأنها لم تصدر باسم أحد، ولأنها باختصار لم تكن بياناً ولا إعلاناً، بل كانت دعوةً، فهي تردد دعوة عام ١٧٩٦، وإنْ كانت قد قلبت بعض عناصر خطابها الرئيسة. فإنها تكوّن مخططاً درامياً قيامياً وجوهرياً كي ترفضه فحسب: «كنا ولا نزال مغمورين بقوة العدو الميكانيكية والأرضية والجوية» (De Gaulle ۲۰۰۷)، لكن الكلمة الأخيرة لم تُقل بعد، وهي أن التكنولوجيا نفسها التي أطاحت به فرنسا بدورها سوف تطيح بالعدو. لأن هذه حرب عالمية - بل كونية - بالنسبة إلى ديغول، إذ «يوجد في الكون كل الوسائل الضرورية لسحق العدو يوماً ما» (ly a, dans :De Gaulle ۲۰۰۷) .(l'univers, tous les moyens nécessaire pour écraser un jour nos enenemis من الواضح جداً من بث ديغول الإذاعي أن الدعوة نفسها تحقق المقاومة، فهي لا تدعو إليها فحسب، بل إنها تقوم بها، وهي تضرم الشعلة وتقوم بنفسها بوظيفة «سلاح المقاومة»: «ومهما يحصل، فيجب ألا تنطفئ شعلة المقاومة الفرنسية، وهي لن تنطفئ» (De Gaulle ۲۰۰۷). إن هذا التحقيق للمقاومة من خلال المطالبة بضر ورتها تتبعه لحظة من الدعوة، قد تكون الأكثر إثارة، وتكاد تكون الأكثر شعائرية، وهي: «غداً، سوف أتكلم عبر البث الإذاعي من لندن

⁽٩) احتفي به مؤخراً بوضع صورته على العملة النقدية من فئة (٢ يورو) ، كما أنه أُدرِج في سجل اليونيسكو للذاكرة العالمية.

مثلها تكلمت اليوم» (De Gaulle ۲۰۰۷) - وهي في الواقع إشارة إلى لحظة مقاومة افتتاحية تُطلِق سلسلة من البث الإذاعي الموجهة لإضرام شعلة المقاومة، بل تزويدها بالوقود.

لم يخاطب ديغول أي أحد حرفياً، وعندما بُثّت الدعوة لا يكاد يبدو أن أحداً قد سمعها، وبوصفها أول دعوة إلى المقاومة، فهي لم تكن مُتوقعة، ومن ثم لم يُستمع إليها، كما لا يوجد تسجيل لها، وقلة هم من زعموا سماعها، لكنها مع ذلك وبشكل غير محسوس خلقت المقاومة. إن هذا الأنموذج من الدعوة إلى المقاومة ضمن ظروف ميئوس منها يُستَحضر في الدعوات الحديثة التي تُردد صدى ظروف بث ديغول، فهي من دون موضوع، ومن دون مشروعية، من لا أحد إلى لا أحد ومنفصلة عن التاريخ، وتماماً مثلما تخاطب دعوة ديغول بمفعول رجعي المقاومة الأولى المؤلفة من شبكات فضفاضة تتبع التخريب ونشر المعلومات، فإنها أيضاً تطمح إلى إخضاعها إلى إجراءات سياسية وعسكرة ثابتة من جانب جان مولان والمقاومة الثانية. فالمقاومة الثانية للمجلس الوطني للمقاومة وبيانه الذي يحمل عنوان الأيام السعيدة المناهدة عن المقاومة.

اختار ستيفان هيسيل أن يُنهي كتابه «عبروا عن استنكاركم» في دعوة متناقضة عمداً إلى «تمرد سلبي»، وهو بهذه المناشدة يستخدم مصطلحاً - تمرد - أخذ في العقد الأخير يزداد بروزاً في النقاش والمهارسة السياسيين، لكن وكها سنرى فإن مفهوم التمرد يبقى غير واضح المعالم، وذلك ليس فحسب في عمل هيسيل: إذ لا يزال غير واضح بالضبط ما نوع العمل

السياسي الذي يُشير إليه، وما نوع الحشد السياسي الذي سوف يتبعه. قد يُعزى نجاح كتاب هيسيل إلى انجذابه نحو الشعور التمردي وتقديمه في الوقت نفسه نقداً حاداً للأنموذج التمردي. وبطريقة ما فإن هيسيل يكرر تجربته الخاصة في تركيز المقاومات المناهضة للنازية في صيغة هرمية مقاومة، أي في تركز الطاقات التمردية للمقاومات الأولى وفي تنظيمها في الدولة الافتراضية للجلس الوطنى للمقاومة.

تؤكّد على أهمية تجربة المجلس الوطني للمقاومة من بداية دعوة هيسيل التي تبدأ بالإشادة بإنجازات برنامج عام ١٩٤٤، لكنّ المتضمّن في هذا المديح للمجلس الوطني للمقاومة – الذي يبدو غير مثير للجدل – هو المجادلة من أجل احتواء التمرد، أي التحكم به وتوجيهه ضمن أشكال الدولة، ومع ذلك لماذا يعود هيسيل في هذه اللحظة إلى الاستحضار التاريخي لأسطورة التمرد الناجح، وهو تمرد نحج تحديداً لأنه وُضع على هيئة الدولة؟ يمكن الحصول على جواب في الزعم القائل: إن «عبروا عن الستكاركم» هو في حالة حوار مع دعوة سابقة إلى التمرد وهي دعوة اللجنة السرية للتمرد القادم، التي نُشِرت عام ٢٠٠٧. إذ إن هناك كثيراً من النقاط التي يبدو فيها هيسيل وكأنه يُشير مباشرة إلى «التمرد القادم»، ويعمل معه أو ضده في إشارة مبهمة من التضامن والنقد.

أصبحت فكرة اللجنة السرية مشهورة عام ٢٠٠٨ مع اعتقال تسعة تارناك Tarnac Nine في الحادي عشر من تشرين الثّاني / نوفمبر بسبب

⁽١٠) الإشارة إلى الفوضويين التسعة الذين اعتقلتهم الشرطة الفرنسية في قرية تارناك وسط فرنسا بتهمة التخريب وتعطيل شبكة القطارات حيث عُطِّل ١٦٠ قطاراً. كان هؤلاء

"الزمالة الإجرامية بمقاصد نشاط إرهابي" في مهاجمة شبكة المواصلات الفرنسية، لكن المثير للدهشة بشأن تقديمهم لأفكارهم في "التمرّد القادم" هو استحضاره "المقاومة الأولى"، فاللجنة السرية تحتكم إلى التجربة التاريخية للمقاومة قبل وضعها تحت إمرة المجلس الوطني للمقاومة. إنها جماعة سرية، جماعة منهمكة في نشر المعلومات والتخريب وتُقلقها مشكلة "كيف يحد بعضنا بعضاً؟"، إذ تُستحضر المقاومة التاريخية ويؤتى بها إلى الحاضر عبر الزعم القائل: "نحن نعيش تحت الاحتلال، احتلال الشرطة" والمشكلة التي يطرحها هي كيفية بناء شبكات مقاومة ضد هذا الاحتلال. يطعن كتاب يطرحها هي كيفية بناء شبكات مقاومة وخرِّبت أخلاقياتها، لكن بقي منها أفسدت الجمهورية المولودة من المقاومة وخرِّبت أخلاقياتها، لكن بقي منها ما يكفي للدفاع عنها، ليس باسم المقاومة الأولى، بل باسم المقاومة الثانية.

إن لدعوة ديغول إلى المقاومة في ١٨ حزيران / يونيو ١٩٤٠، وكذلك لبيان المقاومة الأيام السعيدة السعيدة الدعوات المقاومة من جانب تيكون والنداء فعلى غرار الدعوة الأولى؛ إن الدعوات إلى المقاومة من جانب تيكون والنداء واللجنة السرية تنصرف عن حالة الاحتلال هذه المرة من جانب الإمبراطورية، وعلى الرغم من انتقاداتها له نيغري البارزة في تيكون وفي اللنداء فإن الافتراض الأساس المتضمِّن أننا نعيش تحت احتلال الإمبراطورية هو نقطة افتراق مشتركة، لكن الدعوات إلى المقاومة تختلف إلى حد بعيد فيها بينها، حتى وهي تتقاسم العداوة للإمبراطورية. إذ إن تيكون (المصطلح يأتي من

التسعة من حملة الشهادات العليا، وقد اتُّهم أحدهم ويُدعى جولين كوبا Julien Coupat (المولود في بوردو عام ١٩٧٤) بأنه هو من كتب كتاب (التمرّد القادم) المنشور باسم اللجنة السرية [المترجم].

الكابالا" kabbalah ويشير إلى المارسات والطقوس الصغيرة من أجل إصلاح الخلق وتسريع قدوم المخلّص (Messaih) يقلب عن وعي مسلمات شميت عن الرادع catechon الذي يلجم الحرب الأهلية عبر اتباع بينجامين في عدّ الرادع جزءاً من الحرب الأهلية التي يجب أن تُظهَر. إن تيكون بتبنيه منطق التصعيد يدعو إلى حرب أهلية تُفهم وفقاً لقراءة ثلاثية «الإنسان المُستباح» لـ أغامبين بأنها حرب بين أشكال متصارعة من الحياة. إنه يقارن هذا الموقف مع الحرب الأهلية الخفية لدى هوبس Hobbes أو حرب كل واحد ضد الجميع التي يراها تطرح «أخلاقية فقيرة» للحرب الأهلية التي يقبلها شميت ومفكرون محافظون آخرون، إذ يُوضَّح ذلك في القسم ٧٤ من كتاب «مقدمة للحرب الأهلية» وذلك بالإشارة إلى «الحزب الوهمي» وإلى المارسة الكابالية:

إن تيكون يعني أن كل فعل وتصرف وقول له معنى - فعل، وتصرف، وقول بوصفه حدثاً يُظهر بشكل عفوي ميتافيزيقيته metaphysics الخاصة، وقول بوصفه حدثاً يُظهر بشكل عفوي ميتافيزيقيته الخاصة، وجماعته الخاصة، وحزبه الخاص. فالحرب الأهلية ببساطة تعني أن الحالم تمرين وأن الحياة بطولية في أدق تفاصيلها (١٨١).

تكفّلت هذه الرؤية للحرب الأهلية نظرية بلوم Bloom، وهي نظرية البطل المُحيّد الذي بشكل غير متوقع يتولى مسؤولية لينين وماو بوصفه الثوري المغمور في هذا العمل. وفي «النداء» يُتَبع منحى مشابه، إذ إن صحراء الحاضر تجمع سهات من الصحراء لدى تي. إي. لورانس ونيتشه، إنها مع الشرط النقدي

⁽۱۱) كابالا أو القبالة هي كلمة عبرية تعني المعتقدات والشروحات الروحانية والفلسفية التي تفسر الحياة والكون والربانيات وتركز بشكل خاص على تفسير العلاقة بين الله غير المتغير والأبدي والسرمدي والكون المتهالك والمحدود [المترجم].

القائل: "إن بعضهم حاول أن يُسمي الصحراء. لقد تحدثوا عن الفرجة، عن السلطة البيولوجية أو الإمبراطورية، لكن ذلك أيضاً زاد من البلبلة الحالية» (Anonymous 7). إن "النداء» يرى بأن حركة عصابات البستنة البريطانية البريطانية المناطق الحضرية «البور» (British Guerrilla Gardening Movement التي تزرع المناطق الحضرية «البور» هي أنموذج من المقاومة. فالأعمال الصغيرة مثل أعمال تيكون بالنسبة إلى الكابالي تصل إلى حد عيشة مقاومة قد يكون لها نتائج بحجم غير متوقع، وكما هي الحال مع الرسائل والكتابات على الجدران والمنشورات السرية للمقاومة الفرنسية الأولى فإن هذه الدعوات تتوجه إلى الآخرين، كي يعرفوا حقيقة حالهم ويتصادقوا وينضموا إلى المقاومة، وهي بالنسبة إلى «النداء» دعوة إلى مغادرة الصحراء والسير مع زاردشت نيتشه فوق جسر عالي بين بحرين، وما هو على المحك في هذه المقاومة هو «المراهنة على وجود اصطلاح آخر: جسر ضيق بما للحك في هذه المقاومة هو «المراهنة على وجود اصطلاح آخر: جسر ضيق بما يكفي، كي نمشي عليه فحسب، بما يكفي فحسب لكل أولئك الذين يمكنهم أن يسمعوا من أجل أن يمشوا ويعيشوا» (Anonymous).

إن دعوة هيسيل تطعن بصحة تلك الدعوات المعاصرة إلى المقاومة، ولا سيا دعوة اللجنة السرية، فهي تعارض الاحتفاء بالشباب المتمرد الذي يتخلل «التمرد القادم» بوساطة طلب وداعة العمر وسلطته. يصف تيكون اللجنة السرية المقاومة في صفحاتها الأخيرة بأنها «الاسم المُعطى لأخلاق الحرب الأهلية التي يُعَبِّر عنها في تلك الصفحات، وهي تشير إلى جماعة محددة من حزب وهمي ألا وهو جناحها الثوري والتجريبي» (Tiqqun, 19۳). وفي بداية دعوته يجيب هيسيل على ادعائها بأن التمرّد القادم هو «الإمكانية الحيوية للشباب» بقوله: «٩٣ سنة، إنها تشبه قليلاً آخِر العمر بعينه، إذ إن النهاية ليست بعيدة بقوله: «٩٣ سنة، إنها تشبه قليلاً آخِر العمر بعينه، إذ إن النهاية ليست بعيدة

جداً» (Hessel ۲۰۱۱, ۹)، ولا تزعم انفصال العمر فحسب، بل تزعم سلطة الذاكرة التاريخية للمقاومة: «فالمقاومة والبرنامج المُكوَّنان منذ ستين عاماً هما الآن المجلس الوطني للمقاومة» (Hessel ۲۰۱۱, ۹). كما يجيب هيسيل على احتفاء اللجنة السرية بسياسة الصداقة واستخدامها الحصري لـ «أنت» ساستخدامه الرسمية الجمهورية «أنتم» vous. إن سياسة الصداقة التي كان ديريدا رائداً في تحليلها في التسعينيات تشمل كل الدعوات المعاصرة إلى المقاومة مع استثناء بارز لـ هيسيل. إنها الأساس الأخلاقي للـ «الحزب الوهمي» الذي يعلنه تيكون بصراحة في القسم ۷۲ من «مقدمة إلى الحرب الأهلية»:

إن الطريقة الوحيدة لتقليص مجال العداوة تكمن في توسيع المجال الأخلاقي السياسي للصداقة، والعداوة، ولهذا السبب لم تكن الإمبراطورية أبداً قادرة على تقليص هذا المدى من العداوة، على الرغم من كل صراخاتها باسم السلام، وإن تحوّل الحزب الوهمي إلى واقع هو ببساطة صياغة معدية لمستوى من الانسجام يمكن فيه للصداقة والعداوة أن يستخدما نفسيها ويجعلان كل منها مفهومة للأخرى (٢١٩٩ مري).

إنّه تعبير قوي على يمكن أن نعدّه بمفعول رجعي وصفاً للتضامن والصداقة اللذين ميّزا المقاومة الفرنسية الأولى، إذ إن الصداقة أيضاً تحتل موقعاً مركزياً في «النداء» الذي يعلن منذ البداية من الصحراء ومن الحرب الأهلية العالمية الناشئة أن «كل الصداقة سياسية من الآن فصاعداً» (Anonymous, 4). وهذا يؤثر في تكتيكه المتضمن البدء «من نوى صغيرة ومكثفة بدلاً من شبكة ضخمة ومفككة» (Appel, Anonymous, 4)، وذلك في إشارة ثانية إلى تجربة المقاومة الفرنسية الأولى وإلى استحضارها لفهم السياسة الصغيرة لدى نيتشه، كها أن البحث عن الصديق المقاوم يحفّز أيضاً إستراتيجية «الحزب الوهمي» الذي

تشكّل المشاركة بين الأصدقاء بالنسبة إليه «جمعاً من الأماكن والبنى التحتية والوسائل المشاعة ومن أحلام الأجسام والتمتهات والأفكار والرغبات المنتشرة بين تلك الأماكن ومن الاستخدام لتلك الأماكن والمشاركة في هذه البنى التحتية» (Anonymous, ٤٦-٧). إنها شيوعية صداقة سبق أن سيّاها جان مولان مستشهداً بدوره بالأيام الأخيرة من كوميونة باريس - بـ «جمهورية سراديب الموتى».

يدافع هيسيل عن الأهمية السياسية للشعور بالسخط ضد نبذ اللجنة السرية له عبر وصفه بأنه ضعيف وعاطفي، إذ إن كتاب «التمرّد القادم» يبدأ بدراسة ظروف إمكانية التمرّد بالرفض الصريح لقوة السخط لأن: «من غير المجدي السخط جهاراً بشأن القوانين غير الدستورية... وكذلك لأن من غير المجدي الانغهاس مع هذه المجموعة من المواطنين أو تلك» من غير المجدي الانغهاس مع هذه المجموعة من المواطنين أو تلك» (The Invisible Committee, 90). إن المجهول Anonymous وتيكون يتشاركان بمثل هذا السخط المرتاب فلا يعوّلان على العاطفة من أجل التبشير المثير للشفقة» (Anonymous, 17). إن اللجنة السرية تزعم بدلاً من ذلك أننا في حالة حرب تكاد تكون مخفية ويجب علينا أن نجعلها مرئية، كما أن عاطفة السخط غير كافية كي تستنهض العمل البنّاء للمقاومة الإثباتية: في هو باختصار نوع التمرد المدفوع بالسخط؟ إن المقاومة الإثباتية تتحقق عبر الصداقة وابتداع شكل من الحياة أو كوميونة تكمل الدعوات للتحرّك وإزالة «العوائق» أمام الحركة.

هذه هي النقطة من «التمرّد القادم» التي يبلغ فيها الإلهام الغرامشي Gramscian للجنة السرية أقصى درجة من الوضوح، لأن دعوتهم تحاول أن

تتأقلم مع التوتر المفاهيمي الكامن ضمن فكرة التمرد عينها. إنه الجمود أو حالة الانتفاضة المفاهيمية التي تُفهَم بأنها توازن بين حرب الحركة وحرب المواضع. فالتمرد يعمل على كل من مستويي السطح والعمق — الحركة عبر السطح ممزوجة بتقوية للعمق أو في حالة اللجنة السرية بإزالة العوائق أمام الحركة عبر السطح وتطوير كوميونة أو مجتمع صداقة: «إن الكوميونة أمي الوحدة الأساسية لواقع أنصاري. وإن الإنطلاق التمردي قد لا يكون أكثر من مضاعفة للكوميونات واحتكاكها مع بعض وإقامتها للروابط» (The Invisible Committee, 11۷).

يرد هيسيل على هذه الدعوة بالدعوة إلى تمرد مختلف. يستهل دعوته إلى «تمرّد سلمي» بإشارة إلى الكفاح الفلسطيني، ولكن ليس إلى تمرّد الانتفاضة الكلاسيكي، بل إلى مقاومة سلبية تلتمس دعم «كل أعداء الاضطهاد في العالم» (۲۰۱۱, ۲۰)، ويتضح بشكل سريع أن التمرّد لدى هيسيل هو حركة أخلاقية تتجلى على سبيل المثال على المستوى العالمي في التحرر من الاستعار وفي نهاية التمييز العنصري وسقوط جدار برلين أو في عمل الأمم المتحدة. إن دعوته الختامية إلى التمرد تقوم بترديد صدى دعوة اللجنة السرية واستبدالها معاً، فهو يدعو المواطنين المقاومين إلى:

تمرّد سلمي واقعي ضد وسائل الاتصال الجهاهيرية التي تقترح على شبابنا كأُفقِ لهم: الاستهلاك الجهاهيري، واحتقار الأضعف وثقافة نسيان عامة ومنافسة شديدة من الجميع ضد الجميع (Hessel ۲۰۱۱, ۲۲).

انطلق هذا التمرد ضد وسائل الاتصالات، لكن ليس ضد النظام المادي للاتصالات الذي يُزعم أن اللجنة السرية استهدفته، إذ إن هيسيل بعيد كل البعد عن الدعوة إلى تدمير تكنولوجيا الاتصالات الجهاهيرية، لكنه يدعو عوضاً عن ذلك إلى تمرّد ضد القيم الأخلاقية والثقافية التي تطرحها التكنولوجيا. من هنا إن التمرد هو تمرّد جدال ونقاش، ومن ثم فهو تمرّد سلمي لكنه بالنسبة إلى هيسيل وفي ترديد له غاندي تمرد يمتلك قوة أخلاقية. إنه يقاوم عبر إعادة احتلال أزمنة الاضطهاد وأماكنه من خلال سياسة الذاكرة، أي من خلال إنعاش برنامج الرفاه لدى المجلس الوطني للمقاومة واحتلال الفضاء العام وتحدي محتوى وسائل الإعلام وثقافة الاستهلاك الجهاهيري.

أصبح مفهوم التمرّد هو الأرضية المشتركة بين الدعوتين إلى التمرّد المختلفتين جداً اللتين أصدرهما كل من ستيفان هيسيل واللجنة السرية، لكن يبقى السؤال عن ماهية ذاك الشيء المتعلق بهذا المفهوم الذي يجعله مها إلى هذه الدرجة في الخطاب السياسي المعاصر. ومن سخرية القدر بالنسبة إلى هيسيل أن الوعد بالاتساق من دون تنظيم مفرط والمزج بين التكتيكات والعفوية الذي أصبح ممكناً من خلال مفهوم التمرد، وقد يكونان هما اللذين يجعلانه مها جداً بالنسبة إلى دعوات المقاومة من الدليل السري اللذين يجعلانه مها جداً بالنسبة إلى ما وراء الأعال الفردية للمقاومة نشأت بعد جينوا، فإن التمرد يُشير إلى ما وراء الأعال الفردية للمقاومة نحو تحقيق مُستدام ومتاسك، للمقدرة على المقاومة تتطلّب مع ذلك مستوى منخفضاً جداً من التنظيم، ومن ثم يتطلب أيضاً قليلاً جداً من اللجوء إلى الهياكل الهرمية، فالجاعة التمردية هي هكذا تماماً: جمعية للعادلين اللجوء إلى الهياكل الهرمية، فالجاعة التمردية هي هكذا تماماً: جمعية للعادلين

أو كوميونة أصدقاء، كما أن التمرد بوصفه نمطاً سياسياً يُثير أيضاً بادرة تحدِّ لكنه يشدد على الانتفاضة المُستدامة، بدلاً من النشاط الذرائعي المتوجه نحو هدف الثورة. إن التمرد مقاوم، لكنه ليس مكوِّناً، فهو يفتح فضاءات بدلاً من تكوينها ويستنفر خطاب عمل حتى العنيف منه، بغية إلهام انتفاضاته. وقد يكون الآن مصطلحاً أكثر بروزاً من الثورة مع وعده بحركة مكتملة ووضعه ذلك إلى جانب إحساس بتحدِّ مستدام يلتمس مقدرة على المقاومة، يمكن أن تختفي وتعود، أو تظهر ثانية بعد حين، وفي مكان آخر، وتبقى على الدوام في حالة صعود تقاوم في مواجهة المقاومة المضادة"...

٥-٤- تكنولوجيا المقاومة:

يجب على أي تأمُّل في المقدرة المعاصرة على المقاومة أن يدرس مسألة تكنولوجيا المقاومة، ولا سيها إسهام التكنولوجيا الرقمية، لكن هذه المسألة تتعرض لصعوبات وإرباكات تفوق كثيراً تلك التي تؤثر أساساً في قضية التكنولوجيا. على سبيل المثال من المثير للدهشة أن شميت لا يذكر في النظرية المناصر» أن «المناصر» كان في الأصل سلاحاً أو ابتكاراً ضمن مجال بداية التكنولوجيا العسكرية الحديثة (١٠٠٠) إذ لم تكن مسألة العلاقة بين المقاومة والتكنولوجيا موضوع نقاش، إلا ما ندر، ومؤخراً، على الرغم من وجودها الطاغي، وهي موجودة في نظرية المقاومة اللاعنيفة التي تتحاشى استخدام الطاغي، وهي موجودة في نظرية المقاومة اللاعنيفة التي تتحاشى استخدام

⁽١٢) يُنظِّر لسياسة التمرد بشكل تلميحي جداً- إنْ لم يكن بوضوح - في ثلاثية «الإنسان المُستباح» Homo Sacer لـ أغامبين وبأقصى وضوح في الفصل الثامن عن «المملكة والمجد». The Kingdom and the Glory، وفي الاقتباس الافتتاحي عن انفصال العوام بالمنافقة والمجد»

⁽۱۳) يبدو «المناصر» في بداية «هامليت» Hamlet عندما يسأل مارسيلوس Marcellus «هل المناصر». من أجل تصوير لذلك انظر Simon and Schuster Paperbacks, New York ۱۹۷۲, ۱۶

تكنولوجيا السلاح، لكن ذلك كان جزءاً من شك ثقافي أوسع بها هو تكنولوجي. غير أن مسألة الدور الذي أدّته التكنولوجيا الرقمية في المقاومات الحديثة له (الربيع العربي) والأنديغنادوز واحتل وول ستريت و «جمهورية تقسيم» قد ركّز الانتباه على المسألة الأوسع للعلاقة بين المقاومة والتكنولوجيا، ومن المهم محاولة التفكير بهذه العلاقة كي يتم فهم وتقييم حالة المقدرة العالمية المعاصرة على المقاومة، وأشكالها المستقبلية الممكنة وسيم

إن مقاربة هذه المسألة تتعقد ليس فحسب بإدراك أن مفهوم المقاومة لا يزال يُساء فهمه نسبياً، بل بإدراك أن مسألة التكنولوجيا نفسها تبقى دون جواب أيضاً، منذ هيديغير Heidegger وسيموندون Simondon وإذا أضفنا إلى ذلك التاريخ، الحديث المتغيّر المتعلِّق بشكل سريع وخاص بكل من التكنولوجيا الرقمية وحركات المقاومة الجديدة، فعندئذ تبدو العوائق المنهجية للتأمل الفلسفي في المقاومة والتكنولوجيا هائلة. إن إحدى الطرائق للبداية على الأقل هي اقتراح بعض الأطروحات الأولية التي يمكن أن تتبنى مقاربة لمسألة التكنولوجيا والمقاومة، وبذلك تساعد في فهم بروز السمات التقنية التي تحيط الآن بالمقدرة على المقاومة، فالأطروحة الأولى

⁽١٤) الأنديغنادوز: المظاهرات الشعبية ضد التقشف.

⁽١٥) يمكن رؤية بدايات تأمل في الوعد السياسي للتكنولوجية الرقمية وتهديدها في المعاومة: (انظر أيضاً درواية «كريبنوميكون» دور الشيفرة cryptography في إثبات مقدرة رقمية على المقاومة: (انظر أيضاً رواية «كريبنوميكون» Neal Stephenson's Cryptonomicon 1999)، إضافة إلى المخاطر المتأصلة في التكنولوجيا. على سبيل المثال: إن تمرداً على الشبكة «يجب أن يحصل بسرعة وعليه أن يربح لأنه إن لم يربح فإن البنية التحتية نفسها التي سمحت بإنشاء إجماع سوف تُستخدم لتتبع كل الناس المعنين وتهميشهم... (Assange et.al ۲۰۱۱, ۲٤).

⁽١٦) الإشارة هنا إلى غيلبير سيموندون (١٩٢٤-١٩٨٩) Gilbert Simondon، وهو فيلسوف ومهندس فرنسي كتب عن التقنية والثقافة [المترجم].

تتبنى الموقف الذي اقترحه سيموندون في تحليله للموضوعات التقنية، وكذلك ما أضاف إليه بيرنارد ستيغلر Bernard Stiegler في «التقنيات والزمن» Technics and Time في وسط milieu ألا وهو أن التكنولوجيا هي وسط milieu أو بيئة ودماوي: فهي ليست شيئاً دخيلاً على الحالة الإنسانية يُستخدم ذرائعياً، بل إنها مكوّنة لها، وبعبارة أخرى فإن الإنساني هو استبدالي «أساساً»، فنحن في كثير من المعاني أغراضنا تكنولوجية خاصة، إضافة إلى ذلك قد تُفهم التكنولوجيا بأنها وسط أو محيط أصبحت فيه المقاومة الآن ضرورية، وإذا أصغينا ثانية إلى افتراض هيديغر المتضمن أن «جوهر التكنولوجيا ليس شيئاً تقنياً» يمكننا أن نضيف بأنه قد يكون مقاوماً وإذا ما وُسِّع ذلك إلى وسط التكنولوجيا الرقمية، أصبح من الممكن النظر إلى الشبكة على أنها وسط تقني يُعرّف وفقاً للمقاومات الداخلية، فالشبكة تعريفاً: هي جملة من المسالك والعوائق التي تحقق الحركة والجمود وتقيّدهما.

يمكن أن يُضاف إلى الأطروحة القائلة: إن الوسط التقني نفسه هو موقع مقاومة، آراء فيبر وفوكو المتضمنة أن السياسة، أي الحوكمة هي نفسها تكنولوجيا، وأن الطرائق التي من خلالها يُسيطر علينا فنقاومها هي نفسها طرائق تقنية تماماً، فالنتيجة الطبيعية لذلك هي أن التكنولوجيا لا تنفصل عن العنف، عنف الهيمنة والمقاومة معاً، وقد تصبح بالفعل مسرحاً مهماً للصراع بينها. فإذا فُهمت التقنيات عند ستيغلر «بأنها أفق لكل إمكانية قادمة ولكل

⁽۱۷) ستيغلر (المولود عام ١٩٥٢) هو فيلسوف فرنسي معاصر وسجين سابق. سُجن بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٣ لارتكابه سرقة بقوة السلاح، لكنه اهتم في تلك المدة بالفلسفة وخرج من السجن فيلسوفاً [المترجم].

إمكانية مستقبل» (Stiegler 1994, ix)، عندئذٍ فإن الصراعات ضمنها وعليها تتضمن نتائج مهمة بالنسبة إلى مستقبل أي مقاومة.

في تحليله للسيطرة الشرعية في كتاب «الاقتصاد والمجتمع»، ولا سيا في الفصل الأخير «عن الانضباط» اقترح فيبر نمطية للسيطرة الشرعية تشتمل على سيطرة تقليدية وكاريزمية وقانونية-منطقية تتحدد على أساس توقعات الطاعة المحتملة. إن اعتبارات الاحتمال والتوقع تضع السيطرة الشرعية ضمن سياق تقنى من الفعل المأمون والمتوقع كما تسمح للأنماط النموذجية أن تُحسب أوساطاً للطاعة، ويمكن أن يُضاف إلى نوعية السيطرة الشرعية شدتها كما يمكن أيضاً فهم الأنباط النموذجية على أنها مؤشرات عكسية للمقدرة على المقاومة، حيث إن المستوى العالى من السيطرة الشرعية تقابله مقدرة منخفضة على المقاومة، وإن المقدرة العالية على المقاومة تقابلها سيطرة منخفضة، وحيثها تكون المقدرة على المقاومة عالية يصبح تقابلياً توقع الطاعة منخفضاً، إذ إن العلاقة التبادلية للطاعة والتحدي هي تعبير عن شدة الوسط أو الشبكة التي يحصل العمل ضمنها، لذا فإن نمط السيطرة الشرعية يمكن أن يُفهم على أساس تماسك الشبكات واستقرارها مع اعتماد مستوى السيطرة على تماسك الشبكة، فعندما يكون التهاسك عالياً، أي عندما تُحدد المسالك بصرامة في داخل الشبكة وفي نقاط الدخول إليها، يصبح عندئذٍ توقع الطاعة أو السيطرة عالياً وتصبح المقدرة على المقاومة تبعاً لذلك منخفضة (١١٠).

⁽١٨) مهّد سيميل Simmel لتحليل العمل الاجتماعي على أساس الشبكات والترابطات في «علم الاجتماع» (١٩٩٢) Soziologie الذي لا يزال مبخوس القيمة.

إن النمط النمو ذجي للسيطرة الشرعية التقليدية يُقدّم شبكة مستقرة من علاقات قرابة وولاء تتخلل الأنظمة العسكرية والملكية (الإقطاع)، فيُصبح توقع الطاعة المحتملة عالياً وتصبح المقدرة على المقاومة بالمقابل منخفضة. على النقيض من ذلك تتميز السيطرة الكاريزمية بشبكة أولية غير مستقرة، لا تكون فيها الطاعة متوقعة، ويجب أن تُطلب وتُكافأ بشكل متكرر، ففي المحصلة إن فيبر وصف في «عن الضبط» النوعية والشدة، ومن ثم فإنه وصف المقدرة على المقاومة لدى الشبكة الحديثة للهيمنة العقلانية القانونية التي رآها تنشأ في أوروبا من مجموعة متهايزة لكنها متشابكة من ثورات بداية العصر الحديث. تكوّنت تلك الثورات من الثورة العسكرية للقرنين السادس عشر والسابع عشر مع ما رافقها من تطورات تكنولوجية في الأسلحة النارية والمناصرين والحصار والتحصينات (انظر Drake, ۲۰۰۲ من أجل دراسة ممتازة لهذه التطورات) فمن الأشكال الجديدة من التنظيم الهرمي ثورة الإصلاح الدينية التي لم تكن منفصلة عن تكنولوجيا الطباعة ونشر الكلمة المطبوعة، ومن الثورة الإدارية للدولة الحديثة وما خلقته من أشكال الحكم، البيروقراطية وملفاته المتناسبة، ومن الثورة الصناعية المترافقة مع تراكم رأس المال، وتركيز ملكية وسائل الإنتاج، وتأسيس أشكال هرمية للمشروع الإنتاجي، وإذا ما نُظِر استرجاعياً إلى شروط الإمكان لكل تلك الثورات، فإنها تبدو كأنها تحالف بين العنف والتكنو لو جيا، يميل نحو توليد شبكات ذات درجة عالية من التهاسك والاستقرار يُعبَّر عنها في تركيز ينزع نحو التوحيد أو الاحتكار. إن فير يُعرّف الدولة وفقاً لاحتكار العنف والرأسال بوصفها تركيزاً للثروة وللملكية، فالسيطرة إذن، هي نتيجة لإدخال الذوات ضمن شبكة تميل نحو إدراج تام أو نحو «قفص حديدي» لكن من دون إخماد تام للمقدرة على المقاومة. إن السيطرة والمقاومة يمكن أن تُفها بأنها مُعامِلان لبنية وكثافة شبكة أو وسط تكنولوجي، فالشبكة تسهّل الحركة بسرعات محددة على طرق محددة مع نقاط حتمية للدخول والخروج ومع تقاطعات داخلية، ونلاحظ أنها تتجسد في ذاكرة مبنية وفقاً لطرائق الماضي، وهي تقرر مجال ممرات المستقبل. تحصل المقاومة ضمن هذه الشبكات وضدها ويمكن التعبير عنها بوساطة تغيير سرعة الانتقال عبر الإطالة والتسريع والجمود أو من خلال التحويل، أو تغيير الاتجاه عبر الانحراف عن الطرق المحددة والقيام بدخول وخروج غير مسموحين، والتظاهر بأخذ موقع، بل حتى الخروج كلياً من الشبكة، فهذه الحركات التي تأتي في سياق الشبكة تستحضر مباشرة الشابكة والقرصنة، لكن عب النظر إلى مثل هذه الظواهر على أنها جزء من ظاهرة مقاومة أوسع تمارس على أرضية من البيئة التقنية أو شبكة السيطرة.

إن التكنولوجيا بوصفها تنظيماً للأحداث من خلال تنظيم الطاقة تتخذ أشكالاً عديدة جميعها تقريباً قريب من شبكة/بيئة أو مجال معين، وإن إحدى التكنولوجيات المهمة هي الكتابة التي تصبح مع الأرشيف شرط إمكان لتطوير شبكة أخرى وهي القانون، ففي شكلها الملكي يصبح الملك مركز هذه الشبكات المبنية على شبكات من القوة العسكرية والولاء وملكية العقارات. إن الثورات المتقاطعة التي عالجها فيبر في «عن الانضباط» تُظهر امتداداً أكبر للشبكة/ البيئات إضافة إلى تكثيفها، إذ إن تداخل الشبكات العسكرية والاقتصادية والسياسية ينتج عنه زيادة في احتمال الطاعة، يقابلها نقصان في المقدرة على المقاومة وإمكانية التحدي. كما أن التكنولوجيا المعروفة في مجال الحوكمة بالبيروقراطية تؤرشف الأرض والمواطنين الذين المعروفة في مجال الحوكمة بالبيروقراطية تؤرشف الأرض والمواطنين الذين

يحتلون تلك الأرض والأحداث التي تحصل عليها. فحوكمة الزمان والمكان وتعزيز احتمال الطاعة، يعتمدان في النهاية على تأمين الأرض وإعادة تأمينها من جانب القوة العسكرية أو تكنولوجيا العنف، والحوكمة البيروقراطية تفترض مُسبقاً تأميناً عنيفاً لمجال عملياتها، وظرف سيرها السلس هو ادعاء الدولة الحديثة بأن لها حق احتكار وسائل العنف. كما يمكن للمقاومة الروتينية للهيمنة البيروقراطية أن تتصاعد بسرعة لتأخذ شكل تحدِّ تام لهذا الاحتكار، فتأمين الحكم عبر بيئة تقنية بيروقراطية/عسكرية هو شرط إمكان من أجل توسع علاقات السوق المعتمدة على الملكية الخاصة التي بدورها تعزز البنية التحتية وتوفر الموارد الضرورية للحكم والإنتاج. هنا يمكننا الحديث عن شبكةٍ لانتقال الملكية سواء أكانت ملكية البضائع (المواد الخام والسلع المصنّعة) أم ملكية قوة العمل (حركة السكان)، فمثل هذه الحركة تسهلها وتتحكم بها شبكة النقل والاتصالات المكوّنة من الطرقات والسكك الحديدية والطرق الجوية والبرق والهاتف واللاسلكي وخطوط الطاقة والأقمار الاصطناعية، وإن إنشاء شبكات النقل والتراكم تلك وتوسيعها يشكّل لحظةَ صَدم في حداثة القرن التاسع عشر خلّفت بيئة تكنولوجية لحركة البضائع والسكان والمعلومات وقد قامت بوظيفة تكنولوجيا حكم، لكنها كانت أيضاً مسرحاً للمقاومة.

تعاظمت شبكة/بيئة الحكم البيروقراطي وحركة السلع الحية والميتة بوساطة ثورة القرن التاسع عشر الكهرومغناطيسية التي مهد لها عمل جيمس كلارك ماكسويل James Clark Maxwell. إذ إن توصيف الحقل الكهرومغناطيسي أطلق ثورة تكنولوجية أدت بسرعة إلى اختراع وسائل بث الطاقة والمعلومات واستقبالها، والأمر المركزي في هذه الثورة هو تحويل

المعلومات إلى طاقة ونقلها أو بنها عبر خطوط الهاتف والبرق والمذياع والتلفاز، ولاحقاً تحويلها ثانية إلى معلومات. إن ذلك هو ما أتاح لشبكة/ بيئة اتصالات قوية لا تزال تشكل الأساس لشبكة الشابكة المعاصرة وتوفر بشكل متزايد موقعاً مها للمقاومة. إن كل هذه الشبكات/ البيئات المتقاطعة غير المتوافقة بالضرورة، توفّر البيئة التي يمكن أن يتزايد فيها نشوء حياة بشرية، إذ إن الذاتيات الطبية والسياسية والتربوية والثقافية والدينية تخضع للسيطرة، كما أنها تقاوم وتعيش و/ أو تموت في هذه البيئة (۱۰).

إن اختراع مثل هذه الشبكات المعقدة والمتقاطعة وفرضها يقودان إلى صراعات وميول نابذة للمركز وجاذبة له، وإلى تركيز واحتكار، وإلى تشتت وتعددية، وبعبارة أخرى إنها يقودان إلى السيطرة والتحدي، كما أن شبكة السيطرة هي بالقدر نفسه شبكة مقاومة تظهر فيها المبارزة الكلاوزفيتزية كأنها الأثر السطحي لخصائص شبكة أو تصادم شبكات. إذ إن مُعامل الهيمنة والمقاومة يتحدد عبر انفتاح مثل هذه الشبكات وانسدادها، كما أنه يعتمد أيضاً على درجة سهولة الوصول والحركة ضمنها، مما يجعل مثل هذه الشبكات مسرحاً ليس للمقاومة والسيطرة وحسب، بل هدفاً للمقاومة أو للسيطرة أيضاً، فالسيطرة تحافظ قدر الإمكان على تماسك الشبكة وتركيزها وتتحكم بالسرعات التي يمكن من خلالها تخطيها وبنقاط الدخول

⁽١٩) كما يلاحظ أسانج بشكل وثيق الصلة. في حين أن جزءاً متزايداً من البشرية قد «ألقوا بالنواة الداخلية لحيواتهم على الشابكة» فإن ما أصبح أكثر إلحاحاً دائماً هو إدراك أن «هناك معركة بين قوة هذه المعلومة التي يجمعها المطلعون بباطن الأمور، أي دول الظل التي تجمع تلك المعلومات، التي أخذت بالتطوّر والتبادل بعضها مع بعض وتطوير الاتصالات بعضها مع بعض، ومع القطاع الخاص، في مقابل الحجم المتزايد لعامة الناس على شبكة الشابكة بوصفها وسيلة مُباحة للبشرية كي تتحدث باسمها» (Assange Y·17, YY).

والخروج والاتجاهات التي يمكن اتباعها، وباعتاد الهوية وضان الموقع، كما أن المراقبة والتحكم والأمن هي أسماء تُعطى لهذا الاتساق، فالمقاومة تنطوي على اكتشاف غير المسموح به من سرعات واتجاهات ومسار ومكان ضمن هذه الشبكات، أو بحسب التعبير الكلاوزفيتزي: إنها تنطوي على تعارض حرب العصابات المتبخرة مع تدفقات العنف الإمبريالي السائلة والمكثفة والموجهة بعناية. إن هذا هو مجال الأرضي الذي حدده شميت بأنه بيئة المناصر، فهو الأرض التي عليها وفيها تحاول السيطرة أن تقلص المقدرة على المقاومة وتخضع هي بدورها للمقاومة. إن الإبقاء على مثل هذه الشبكات والطرق والهواتف والإذاعات...، إلخ مفتوحة وقابلة للتخطي، هو أحد أدوار المقاومة الذي يضعها في اتحاد مع الحركات الديمقراطية التي تنشد الأهداف نفسها، وتستخدم الأدوات نفسها. كها أن مثل هذه المقاومة تساعد أيضاً – وهذه هي رؤية فوكو الثاقبة – في صقل واختبار كل من تساعد أيضاً – وهذه هي رؤية فوكو الثاقبة – في صقل واختبار كل من السيطرة الشرعية والمقدرة على المقاومة.

٥-٥- المقاومة الرقمية:

أصبحت الشبكة التقنية لحركة المعلومات أو الشابكة موقعاً أساساً للمقاومة، ومع ذلك فقد كان لها منذ البداية وجه يانوس (معلام) فهي تقوّي المقدرة على السيطرة بقدر ما تقوي المقدرة على المقاومة، وهذا توتر اكتسب بسرعة بعداً عالمياً. إن سلالة الشابكة توضّح ذلك بسرعة عبر إظهار أصلها في العقيدة الكلاوزفيتزية الجديدة لخلق مقدرة على المقاومة

⁽٢٠) إن المقصود هو امتلاك وجهين لأن الإشارة هنا إلى يانوس إله الأبواب والبدايات والنهايات في الأسطورة والدين الروماني القديم، وهو غالباً يُصوّر بوجهين (وجه أمامي ووجه خلفي): أحدهما ينظر إلى المستقبل والآخر ينظر إلى الماضي [المترجم].

قادرة على النجاة من ضربة نووية أولى، فقد فهم استراتيجيو الحرب الباردة صراعهم وفقاً للمبارزة الكلاوزفيتزية وتحقيق الحرب المطلقة، إذ إن نشوء حرب الردع وضع في المقدمة مسألة بقاء المقدرة على المقاومة، ومعها بقاء هذا البعد من التفكير الكلاوزفيتزي، ففي سياق حرب مطلقة فعلية صارت ممكنة بوساطة الأسلحة الذرية، أصبح من الحيوي ضهان بقاء المقدرة على المقاومة في حال وقوع هجوم ذري أول. لقد صُممت شبكة الشابكة كي تنجو من ضربة ذرية أولى، وهي تقلّص تلك الضربة الأولى من خلال جعلها العدو يعرف قابلية نجاة المقدرة على المقاومة.

يمكن إرجاع أصول الشابكة مباشرة إلى الاهتهامات الكلاوزفيتزية الجديدة في الحفاظ على المقدرة على المقاومة. لقد تجهّزت الأرضية المؤسساتية للبحث والتطوير المبكّر للشبكة العنكبوتية من خلال الأبحاث الذرية الإستراتيجية التي أُجريت في مؤسسة راند RAND Corporation التي تأسست عام ١٩٤٦ كمركز فكري Think tank إستراتيجي لإدارة الحرب النووية وقد موّلها إلى حد كبير سلاح الجو الأمريكي وفيها بعد وكالة مشاريع البحث المتقدمة (Advanced Research Projects Agency (ARPA) التي تأسست عام ١٩٥٨ رداً على إطلاق الاتحاد السوفييتي له السبوتنيك (٢٠٠٠ كانت مؤسسة راند مركزاً مهماً لتطبيق الإستراتيجيات الكلاوزفيتزية على سيناريو الحرب النووية، وعلى الرغم من أن ذلك كان كلاوزفيتزاً من نوع مختلف جداً عن منظّر المقاومة الذي يُناقش في هذا الكتاب فقد جرى اعتهاد مبدأ المقدرة على النجاة من على المقاومة في السيناريو النووي، فلقد تحوّل إلى قضية مقدرة على النجاة من

⁽۲۱) انظر (۲۰۰۰) Naughton، الفصلين ٥ و٦.

ضربة نووية أولى وإلى المحافظة على المقدرة العملياتية على شن «هجوم نووي معاكس» أو على المقاومة.

كان الأمر الأساسي بالنسبة إلى هذه المقدرة هو نجاة نظام «القيادة والتحكم» ومعه نظام اتصالات قابل للبقاء. فالعمل الذي قام به بول باران Paul Baran مع راند عام ١٩٥٩ عالج هذه المشكلة بالضبط كها نظر للشبكات القابلة للنجاة مبدئياً على محطات تضمن السعة الإذاعية AM للشبكات القابلة للنجاة مبدئياً على محطات تضمن السعة الإذاعية مل radio stations ولاحقاً على أجهزة الحاسوب التي تتواصل رقمياً. كان عمل باران مُتاحاً للعموم كي يضمن – طبقاً لروح الردع الكلاوزفيتزية – أن العدو يعلم الشروط التقنية ويقلدها أيضاً من أجل بقاء المقدرة على المقاومة، وبينها نشأت أفكار باران من سياق كلاوزفيتزي جديد فإنها ضمّت قواها لاحقاً إلى محاولات وكالة مشاريع البحث المتقدمة ARPA زيادة السخدام الحاسوب إلى الحد الأقصى من جانب الباحثين بوساطة تقاسم الوقت عن بعد. لقد طوِّرت لاحقاً المقدرة على مقاومة هجوم نووي عبر شبكة قابلة للنجاة، وذلك في اتجاهات تخطت كثيراً السياق الأصلي للنجاة من ضربة ذرية أولى.

وبصراحة فقد كانت شروط إمكان نجاة المقدرة على المقاومة في ظل هجوم ذري تتسم بالمفارقة، إذ إن الحفاظ على بنية قيادة مركزية وهرمية قادرة على إعطاء الأمر بهجوم نووي معاكس («المقاومة» في هذا السيناريو) استلزم خلق شبكة اتصالات لامركزية، وغير هرمية لا تكون عرضة للهجوم، فقد كانت تلك المفارقة ولا تزال مستمرة في التأثير بطبيعة المقدرة على المقاومة التي تحدد الشبكة. إنها تكرر بطرائق عدة معضلة المقاومة لدى كلاوزفيتز وهي: أن

شكل المقاومة الأكثر تأثيراً ضد عدو صلب/جامد أو سائل/متحرك هو أسلوب حرب العصابات المتبخرة غير الهرمية، ومع ذلك فقد كان كلاوزفيتز ومعاصروه واعين أن ذلك الشكل من المقاومة يمكن أن يتملص بسرعة من تحكم الجيش النظامي ويقوض الهرمية عينها التي كان يهدف للدفاع عنها. لقد تأثر التاريخ المبكر للشبكة بظاهرة مشابهة وذلك مع بروز توتر بين العقد المتفرقة والمرور الحر بينها اللذين كانا ضروريين من أجل الحفاظ على مقدرة نووية على المقاومة، وعلى التقييد والسرية اللذين يحتاجها الجيش في تحقيق ادعاء الدولة حق احتكار العنف.

إن التوتر بين التسييجة الهرمية (سواء أكانت سياسية أم تجارية) والمشاعات يميز تاريخ الشبكة ولاحقاً الشبكة العنكبوتية، فبوساطة تجسيدها للمقدرة على مقاومة هجوم نووي أصبحت الشبكة ولاحقاً الشبكة العنكبوتية نفسها، موقعاً للمقاومة، كما أن التركيز المبكر لمثل هذه الصراعات تضمّن انتشاراً للشبكة ولعدد العقد المسموح الوصول إليها، ففي ستينيات القرن العشرين انضم البث الإذاعي ولاحقاً البث عبر القمر الاصطناعي إلى الشبكة الأنموذج العائدة له شبكة وكالة مشاريع البحث المتقدمة المتعدمة المتعدمة المتعدمة المتعدمة المتعدمة المتعدمة المتعدمة وكالة مشاريع البحث فولا نظام فرعي من حواسيب تحويل رسائل متصلة بخطوط هاتف، وقد أبط هذان النظامان اللذان طُوِّرا برعاية عسكرية/ أكاديمية مع شبكات أخرى وطنية وعالمية، وبها أن شبكة وكالة مشاريع البحث المتقدمة هي نظام اتصالات عسكري، أي هي جوهر المقدرة على مقاومة هجوم نووي، فقد وجب تأمين موثوقيتها، وكان من اللازم مراراً وتكراراً وضع موثوقيتها على

المحك وتعظيمها إلى أقصى حد، وإن احتمال تعرض النظام لحمولة زائدة وتحطمه (من الواضح أن ذلك غير مناسب في سياق الرد على ضربة نووية أولى) استلزم تمديداً للشبكة وتنظيماً لحركة مرورها بطريقة من شأنها أن تقلُّص إلى الحد الأدنى من احتمال الحمولة الزائدة. كانت الطريقة الواضحة هي توسيع الشبكة عبر ضمها إلى شبكات أخري - «شبكة متداخلة» - ونقل بث الرسائل واستقبالها إلى حواسيب مضيفة (٩-١٥٧, ٢٠٠٠). إن النظام الذي استنبطه في. جي. سيرف V.G. Cerf و آر. بي. كاهن Kahn تضمن بث حزم بيانات تستطيع الحركة بين شبكات مختلفة إنها غير مكترثة بالمحتوى، وقد جرى اختبار النظام في محاكاة لـ «بيئة ساحة معركة متنقلة» غالباً لأن «وزارة الدفاع كانت تموّل ذلك» (Cerf, cited in Naughton, ١٦٤) وتربط الحواسيب في الولايات المتحدة والنرويج والمملكة المتحدة عبر الإذاعة وخط الهاتف والقمر الصناعي، وإن النشر والنقل الأساسين بالنسبة إلى الشابكة أصبحا ممكنين عن طريق (النظام المعتمد) بالإرسال يحدد حزمة البيانات النظام المعتمد في الشابكة الذي يعرِّ ف الحواسيب الفردية. كان الأول حيادي المحتوى، في حين شهد الأخبر على لامركزية الشابكة كجزء من إستراتيجية مدروسة لضمان بقاء المقدرة على المقاومة في سياق التصعيد النووي أو تحقيق الحرب المطلقة.

لقد وقرت شبكة الشابكة حلاً لمشكلة الموثوقية العسكرية، ومن هنا لإمكانية التكهن بمقدرة الشبكة على المقاومة، لكن بطريقة استلزمت لامركزية الشبكة. كان هناك مضاعفات إضافية لهذا «التبخير» للمقدرة على المقاومة أو لهذا التوليد لشبكة عصابات افتراضية مرتبطة عضوياً بهندسة

الشابكة، إذ إن مبدأ بناء الشبكة في حواسيب فردية ذات أنظمة تشغيل تتسق مع أنظمة الشابكة المعتمدة، مما سمح بإنشاء شبكات غير رسمية مثل شبكة الديوزنيت "Usenet التقنية المنخفضة. إن إطلاق اليوزنيت عام ١٩٨٠ استبق «الشبكة العنكبوتية الاجتماعية» اللاحقة في توجهها نحو التواصل والنقاش ومجموعات الأخبار التي لم يكن محتواها خاضعاً لأي تحكم مركزي. فقد أثارت إمكانية حصول منتدى ديمقراطي جرى الاعتقاد بأنه يشير إلى تحقيق ديمقراطية جديدة رقمية، وذلك مع ما صحبه من تطورات أخرى مثل الواجهات الرسومية التي سهّلت الدخول إلى الشبكة وإلى الشبكة العنكبوتية العالمية التي وسعت الوصول إلى الملفات المؤرشفة.

إن المقدرة على مقاومة التحدي الأقصى للحرب المطلقة تطلّبت شبكة زادت إلى حد أقصى عدد نقاط الدخول والخروج والعقد ومسالك العبور وسرعتها، أو بكلهات أخرى، فإنها زادت إلى أقصى حد المقدرة على المقاومة الذاتية، فمنذ بداياتها كشبكة اتصالات لضهان بقاء المقدرة على مقاومة ضربة ذرية أولى، ومن ثم كعنصر أساس في إستراتيجية الردع الذرية، فإن الشبكة - ولاحقاً الشبكة العنكبوتية - أصبحت وسيلة لامركزية للاتصال والوصول إلى الذاكرة التي كوّنت موقع مقاومة بحد ذاتها، إذ يمكن بوجه والوصول إلى الذاكرة التي كوّنت موقع العنكبوتية وفقاً للتعارض مع النزعات الهرمية التي تنبثق عن المنطقين السياسي والتجاري اللذين يخترقان قواعدها العسكرية اللامركزية، وإن تقاطع الشبكة العنكبوتية، بل تداخلها أيضاً مع شبكات الحكومة والسوق يولّد توتراً يظهر في محاولات إخضاع أيضاً مع شبكات الحكومة والسوق يولّد توتراً يظهر في محاولات إخضاع

⁽٢٢) تعنى في الأمم المتحدة شبكة مجموعات النقاش [المترجم].

الشبكة العنكبوتية للرقابة أو التحكم السياسي بها، ويظهر كذلك في انتشار (المُنَقِّيات) التي تقلّص الوصول باسم الاستهلاك المتعقلن.

إن التوترات واضحة في إستراتيجيتي المقاومة المتبعتين على الشابكة، وهما: مقاومة في العمق: تعمل في مجال الأرشيف، ومقاومة على السطح: تستغل انتشار العقد بغية مضاعفة روابط المسح. تعمل الأولى على مستوى الوصول إلى الأرشيفات أو تركيزات المعلومات وقرصنة وخرق أو إفشاء الأسرار المخزَّنة أو المشفرة، كما هي الحال في عمل ويكيليكس Wikileaks. إن مثل هذه الجهود تحرف موارد التشفير المستخدمة لمصلحة السيطرة باتجاه فك تشفير الأسرار وإفشائها، أما الإمكانية الأخرى للمقاومة فلا تتناول مباشرة الأرشيفات السياسية أو التجارية، لكنها ومن خلال زيادة عدد الروابط بين العقد إلى الحد الأقصى تقوى الاتصال وتجعل من الصعب ضمان التحكم السياسي بنشر المعلومات ومناقشتها، وهذا يؤدي دوراً مهماً في نزع الشرعية عن السيطرة وجعلها متاحة للتفحّص والتعليق من منظورات متنوعة، وربها يطعن بالميل نحو احتكار المعلومات والثروة والقوة، وفي النهاية احتكار العنف الضرورى من أجل السيطرة القانونية العقلانية أو حتى الشاملة "".

⁽۲۳) يلاحظ أسانج أن شبكة الشابكة مضمونة ليس فحسب بوساطة الأساس المادي للأسلاك ذات الألياف الضوئية وتكنولوجيا الأقهار الاصطناعية، بل أيضاً بوساطة «جملة اقتصاد سوق حديث معولم عابر للقوميات وليبرالي جديد» (Assange ۲۰۱۲, ۲۷)، والآن بصورة غير واضحة عبر عنف الدولة: إذ «إننا نعيش في ظل حكم عرفي بقدر ما يتعلق الأمر باتصالاتنا، نحن لا نرى دبابات أبداً، لكنها موجودة» (Assange ۲۰۱۲, ۳۳).

لقد أصبح تمركز السلطة والثروة هدفاً للمقاومة المعاصرة، سواء أكان ذلك في شعارات جينوا «أنتم ثمان بيليونات ونحن ستة» أم شعار أوكيوباي «نحن الـ ٪ ٩٩». إن هذه دعوات تنزع الشرعية جذرياً، أي إنها إيهاءات مقاومة كلاسيكية، لكنها ليست إياءت ثورية بالضرورة. وفي حين أن الشابكة تمكّن من نزع الشرعية عن السيطرة أو التحدي، فإنها أيضاً تهدده. ففي «سوف تتم رقمنة الثورة: رسائل من حرب المعلومات» (۲۰۱۱) Revolution Will Be Digitalized: Dispatches from the Information War ترى هيثير بروك Heather Brooke بوضوح شديد أن «لدينا التكنولوجيا لبناء نوع جديد من الديمقراطية، لكننا وبالتساوي قد ننتج نوعاً جديداً من الاستبدادية» (Brooke, xi). لكن الـ «بالتساوى» لديها تُظهر تفاؤلية تسمح لها أن تتخيل أن شبكة الشابكة سوف تمكّن «أول انتفاضة في العالم لشعوب عالمية» أي سوف تولّد «أول ديمقراطية عالمية»، بل حتى «قفزة التطوّر التالية... من نوع منقسم إلى متحد» (Brooke, ۲۳۸). لكن محاورها الرئيس جوليان أسانج Julien Assange هو أقل تفاؤلاً بشأن الـ «بالتساوي»، إذ إنه يرى بدلاً من ذلك أن هناك تآكلاً متواصلاً للحرية على الشابكة، فهناك فرصة لثورة ديمقراطية رقمية، لكنها بالتأكيد ليست متساوية مع الظهور الأكثر احتمالاً «لنوع جديد من الاستبدادية» أو السيطرة الشاملة، وفي حين أنه لا يزال هناك إمكانية للمقاومة، فإن عدم إمكانية الثورة في ازدياد مضطرد. يرى أسانج أن هذا «التآكل» - ربها يكون هذا مصطلحاً حيادياً بشكل زائد عن الزوم بالنسبة إلى إعادة تأكيد الهيمنة وإلى السعى لإضعاف المقدرة الرقمية على المقاومة - يحصل أساساً على مستوى التحكم السياسي مع إعادة تأكيد الاحتكار السياسي لحركة المعلومات، وعلى النقيض من

ذلك، فإن إيلي باركر Elie Parker وتيم بيرنيرز - ي Elie Parker مخترع الشبكة العنكبوتية العالمية يريان الإمساك بالشبكة بناءً على الجمع بين التحكم السياسي وتحكم الشركات أن إعادة تأكيد السيطرة الشرعية تتناسب في كلتا الحالتين مع تحجيم المقدرة على المقاومة، وهذا توتر جوهري كل رأينا بالنسبة إلى هندسة الشبكة العنكبوتية والشبكة.

انتهجت سياسة المقاومة مؤخراً إستراتيجية نزع الشرعية التي هي في الوقت نفسه سياسة تقوية المقدرة على المقاومة، فقد أُعلن ذلك بوضوح بوصفه هدفاً سياسياً في كتاب شارب وجينينكينز المؤثر «ضد الانقلاب» (٢٠٠٣)، إذ يصف «ضد الانقلاب» إستراتيجية مقاومة تهدف إلى نزع شرعية الحكومة الاستبدادية بجعلها غير قادرة على ممارسة عملها بتعزيز المقدرة على المقاومة على المدى الطويل عبر الإضرابات والتظاهرات العامة ونشر المعلومات والتخريب.

يمكن لشبكة الشابكة أن تسهم في ذلك بدرجات مختلفة، لكنها هي نفسها خاضعة إلى التبادل نفسه بين السيطرة والتحدي الذي عليها التعامل معه. ففي «احتل (٢٠١٢) لـ نعوم تشومسكي إن التحدي أو مناهضة السيطرة هو أمر مركزي بالنسبة إلى الحركة: إذ «إن تركيز الثروة ينتج تركيزاً للقوة السياسية. كما أن تركيز القوة السياسية يفضي إلى تشريع يزيد الدورة ويسرّعها»

⁽٢٤) في حين أن شبكة الشابكة يمكن أن توفر لنا فرصاً لإنهاء هواياتنا وتجربتها، فإن اقتصاديات الشخصنة personhood. وفي حين أن الشخصنة personalization تدفع باتجاه مفهوم ثابت للشخصية personhood. وفي حين أن لدى شبكة الشابكة إمكانية إبطال مركزية المعرفة والتحكم، فإنها في الواقع تركّز التحكم بها نرى وبالفرص المُتاحة في أيدي أناس أقل بكثير مما كان سابقاً» (١٩٤١، ٢١٨) لتعبير عن ذلك بشكل أكثر وضوحاً: «إن التكنولوجيا المصمَّمة كي تمنحنا مزيداً من التحكم بحيواتنا، بالفعل تنتزع التحكم منا» (٩٤١ ٢٠١١, ٢١٩).

(Chomsky ۲۰۱۲, ۲۸)، لكن يتم تجاهل دور الشابكة تماماً في تحشيد وربط (واختراق) حركة احتل. بالنسبة إلى تشومسكي «لا يوجد شيء يوقف كل أنواع العمل من العمل التثقيفي والتنظيمي إلى العمل السياسي إلى المظاهرات، وإن كل أنوع المقاومة ممكنة، أي إن كل تلك هي الأنواع من الأمور التي نجحت في الماضي» (Chomsky, ۹۲). وها هي المقاومة الرقمية تنضم الآن إلى غزون المقاومات المجربة والمختبرة بها فيها المقاومة الصناعية وحركة الحقوق المدنية والحركة النسائية والمقاومة المناهضة للاستعمار والمقاومات الجنسية، ويكوّنون معاً مقدرة على المقاومة، لها تاريخها وقدرها الخاصّان، ويمكن للقادم الجديد أن يحوّل المقاومات ويعزز قوتها الكلية، لكن يجب عدم نسيان أنه هو نفسه منهمك في صراع داخلي بين السيطرة والتحدي، وهو صراع يستلزم بدوره دعم الدائرة الأعم للمقاومة.

إن المقاومة المعاصرة حتى في أكثر تجلياتها التكنولوجية تعقيداً ليست استثناءً للقواعد التي تحكم سياسة المقاومة، فهي منهمكة في نزع شرعية متحدِّ للسيطرة القائمة والمحتملة، لكن من دون أي أفق بأي نتيجة نهائية على شكل نتيجة أو حل ثوري أو إصلاحي، وبها أن السيطرة والتحدي متبادلان، فإنها منهمكان في صراع دائم لا يمكن فيه للمقاومة أن ترتاح، إنها عليها أن تتبنى وضعية جديدة فيها يتعلق بمقاومة – معاكسة معززة. إن سياسة المقاومة سياسة خائبة الفأل ومن دون نهاية، وهي سياسة يمكن أن تمتد طوال عمر المرء أو حياته في سعيها من أجل العدالة، وتستلزم دوام الشجاعة ورباطة الجأش والتعقل. إنها تصاحب مغامرة الحرية والإمكان الحديثة، في هوامشها المتناقضة والمبهمة، لكن ليست الحياة المتحدية سلبية

ولا هي مجرّد ردة فعل على مكائد مسعى نحو السيطرة، دائم التجدد ويعشِّش ضمن الحرية نفسها، بل إنها حياة لها ضروراتها الخاصة وإثباتاتها الخاصة وفرحها الخاص.

خاتمة

خارج القانون

إن المقاومة فحسب هي التي تستطيع أن تزيل الضغوطات التي يمكن أن تسبب انتحاراً رجعياً. (Huey P. Newton)

من بين الأمور التي تعنيها حكاية كافكا الوعظية الأمام القانون القانون القانون القانون المودجي في نجاح المقاومة وفشلها، وقد نُشرت أول مرة في مجلة النها تأمّل أنموذجي في نجاح المقاومة وفشلها، وقد نُشرت أول مرة في مجلة النها تأمّل أنموذجي في نجاح المقاومة وفشلها، وقد نُشرت أول مرة في مجلة السلسويهر المحافظة (الدفاع الناتي) بعد نكبة انهيار التضامن بين جالية براغ اليهودية واللاجئين الغاليشيين Galician المين وظهرت ثانية في مجموعة عام ١٩١٧ التي تحمل عنوان الطبيب ريفي ١٩١٧ التي تحمل عنوان الطبيب ريفي الإحتلال العسكري لـ الأرض وهي حكاية أخذت مكانها بين قصة عن الاحتلال العسكري لـ الأرض الأجداد ندبت غياب أي مقدرة على مقاومة الغازين (اصفحة من الوثيقة والعرب) وقصة المؤامرة العقيمة للثعالب ضد العرب (ابنات آوى والعرب)، كما ظهرت مرة أخرى بوصفها موضوعاً للتعليق على عظة تدل والعرب)، كما ظهرت مرة أخرى بوصفها موضوعاً للتعليق على عظة تدل على نهاية مقاومة جوزيف كي Joseph K ضد المحكمة وتُهد الإعدامه المثال كلب». إن الأمام القانون الوقب المقاومة والمقاومة والمقاومة والمقاومة والمقاومة المضادة تعطي درساً في كيفية القيام بالمقاومة، لكن أيضاً في كيفية التعامل مع المقاومة، إذ إن مقاومة البواب لتوغل الرجل من الريف تنجح، أما تلك

العائدة إلى الرجل من الريف ضد البواب فتفشل، كما أن مقدرته المقوضة تستسلم للموت.

إن السيناريو الافتتاحي لـ المام القانون "يوازي شكلياً مشهد التحدي الذي وصفه لابوياد وسارتر، واتساقاً مع أصل كلمة مقاومة في Stare الوقوف، يبدأ كافكا بقوله لنا: إن «بوّاباً يقف (steht) أمام القانون». يقاوم البوّاب الدخول إلى القانون، وبهذه الصفة يعيق حركة الرجل الريفي. في السطرين الأولين نصبح في المكان والزمان غير المألوفين نفسيها اللذين جاء إليها الشرطة والمحتجون للوقوف، واللذين استحضرهما سارتر وحللها كلاوزفيتز على أساس المبارزة. إن البوّاب يقاوم مبادرة الرجل الريفي، ويجد الاثنان نفسيها في المأزق الذي يصفه كلاوزفيتز بأنه حرب، ف الرجل الريفي هو إستراتيجي مسكين تتضمّن خطيئته التكتيكية الأولى تسليم المبادرة لل البوّاب من خلال طلب للدخول، يُواجه برفض يدعو بذكاء إلى الخذر من تصاعد العداء. ثُخفّف العداوة بين البوّاب والرجل الريفي اللذين المبواب الإصلاحية الرافضة للدخول الآن، لكنها تترك إمكانية الدخول إلى النواب الإصلاحية الرافضة للدخول الآن، لكنها تترك إمكانية الدخول إلى القانون لاحقاً.

إن جهة الإمكان هذه غير منسجمة مع الذاتية المقاومة، فالذوات المقاومة ليست حرة وعليها أن تعيش في الواقع، لكن الرجل من الريف يسمح لنفسه بأن يتحوّل إلى عالم المكن. إنه يتأمل في جواب البواب ويتنازل ثانية عن المبادرة ويسأل: إن كان سوف «يُسمح» له بالدخول لاحقاً وإن كانت الإمكانية التي مُنحت له سوف تتحقق أبداً، وإذا كانت ستتحقق، فمتى؟ يُدعّم البواب توجيهه

الرجل من الريف نحو عالم الإمكان من خلال تكرار «من المكن»، ومن ثم يقوم بمزيد من الاختبار لمقدرة الرجل من الريف على المقاومة، هذه المرة بادعاء التنحى جانباً وكأنه يسلم المبادرة ويتحدى الرجل الريفي كي يدخل. وبفشل الرجل الريفي في التحرك، فإنه يؤكد السيطرة المتزايدة للبواب التي ما هي إلا العكس لتحديه الخاص المتضائل. ثم يوطد البواب سيطرته عبر توسله الإرهاب ووصفه تسلسلاً هرمياً من البوابين المتحدين في عداوتهم للرجل الريفي وما البواب نفسه سوى أدناهم وأضعفهم. إن إيهاءة الردع تلك أو اللمحة بإمكانية حرب مطلقة ضد خصم متصاعد ينتظره إن حاول التقدم، تؤكد إحساس الرجل الريفي بعدم جدوى مقاومته الخاصة المنعزلة. ثم ينهمك البواب في حرب مطوّلة من المقاومة موجهة ضد المقدرة المتلاشية للرجل الريفي على المقاومة، ثم يقرر وهو في حالة رعب أن ينتظر في الوقت الذي تضمحل مقدرته على المقاومة. تُقدّم له كرسيّاً من دون ظهر، ومن ثم لم يعد يجد نفسه واقفاً أمام القانون وعدوه، بل جالساً بجانبه، ولم يعد بالارتفاع نفسه مثل خصمه، بل هو تحته وخاضعٌ له. ينهار الرجل الريفي في «المراقبة المُسلحة» الطويلة اللاحقة التي تظهر كل محاولاته لاستعادة المبادرة - الأسئلة، الرشوة، المراقبة - كأنها مجرّد ردود ارتكاسية على مبادرة البواب المضمونة.

إن الرؤية الثاقبة الأخيرة لدى الرجل الريفي تظهر فحسب عندما تقترب مقدرته على المقاومة من درجة الإنهاك، وهذا يعني – بعد فوات الأوان – أنها تدل على لمحة أخيرة من تحقق المقاومة، أي على الضوء في عتمة متزايدة ليس للقانون، بل لمأزق المقاومة المُشترك. لا يمكن أن يكون هو المقاوم الوحيد، «فكل واحد يسعى إلى القانون» وكل واحد يتحرك نحو الباب. ومع

ذلك لم يأتِ أحد آخر إلى هذا الباب. إن هذا بمنزلة إدراك في لحظة الاحتضار أنه حُرفت مقاومته عبر فردنتها، وأنه يو جد حقًّا كثيرٌ من المقاومين الآخرين، ربها كل واحد أكثر قوة من الأخير، وقد يكون هو «أدناهم» وهم معاً سوف يكونون نظراء للبوابين جميعاً، فبدلاً من التراجع نحو الحقد واتخاذ وضعية الشخص المُطارَد الذي يُراقب عن كثب مبادرات مُحاكِمه ويرد عليها، كان عليه هو أن يسعى إلى التضامن مع المقاومين الآخرين، وأن يضم مقدرته الخاصة إلى مقدرة مشتركة على المقاومة. كان عليه أن يسأل في وقت أبكر عن مكان المقاومين الآخرين، وأن يسأل إن جرى حرفه هو وحده أم أن الآخرين قد حُرفوا أيضاً نحو بوابة الإمكان هذه. كان عليه أن يبحث عنهم وليس عن القانون، فلو أنه سعى إلى الآخرين، وتواصل معهم بطريقة أو بأخرى فهم أيضاً قد يكونون أسيري انهيار مسحور أمام بوابات وبوابي إمكانهم الخاص، لكانوا جميعاً عندها قد أدركوا أن تلك البوابات لم تكن تستحق الدخول، ولكانوا استأنفوا - من ثمّ - حركاتهم وحيواتهم خارج ذاك القانون. إن المبادرة في (سيناريو) المقاومة هذا كانت دائماً لدى البواب، فقد فشلت مقاومة الرجل الريفي لأن القصد من هذا المدخل هو منعه من الدخول فحسب، كما أن هزيمته التي ما هي إلا عكس لنصر البواب تُختتم بإغلاق الباب.

أثينا، تموز/ يوليو ٢٠١٣.

الببليوغرافيا

- -Agamben, Giorgio (\ \ \ \ \ \ \ A) Homo Sacer: Sovereign Power and Bare Life, trans. Daniel Heller-Roazen, Stanford University Press, Stanfor California
- -(Y· V·) The Sacranent of Language, trs. Adam Kotsko, Polity Press, Cambridge Anonymous Appel Call
- Arendt, Hannah (\ \ \ \ \ \ \ \) On Violence, Harcourt Brace and Company, San Diego and New York
- -(\\\V) Eichmann in Jerusalem: A Report on the Banality of Evil, Penguin Books, Harmondsworth
- -(Y • E) The Origins of Totalitarianism, Schocken Books, New York
- Aron, Raymond (1971a) Penser la guerre, Clausewitz I L'âge Européen, Éditions Gallimard, Paris
- -(Y · · o) Sur Clausewitz, Editions complexe, Bruxelles
- Assange, Julien et al. (Y \ Y) Freedom and the Future of the Internet, OR Books, New York. London
- Attali, Jacques Gandhi ou l'éveil des humiliés, livre du poche, Paris
- Babeuf, Gracchus (Y \) Le Manifeste des plébéiens. Éditions Mille et Une Nuits, Paris
- Baumann, Bommi (\ \ \ \ \ \ \ \ \) Wie Alles Anfing, trs. Helene Ellenbogen and Wayne Parker, Pulp Press, Vancouver
- Benjamin, Walter (* •) Über den Begriff der Geschichte, Suhkamp, Franfurt am Main
- Bensäid, Daniel (Y • Y) Marx for our Times, trs. Gregory Elliot, New Left Books, London
- Blackburn, Robin (* 1 1) An Unfinished Revolution: Karl Marx and Abraham Lincoln, Verso Books, London
- Blanchot, Maurice (Y· V·), *Political Writings* 1907–1997, trs. Zakir Paul, Fordham University Press, New York

Bourrinet, Phillipe (Y · · \) *The Dutch and German Political Left*, International Communist Current, London

Brooke, Heather (Y • \ \) *The Revolution will be Digitised: Despatches from the Information War*, William Heinemann, London

Brown, Judith M. and Anthony Parel (Y • \ \ \ \) *The Cambridge Companion to Gandhi*, Cambridge University Press, Cambridge

Budgen, Sebastian et al., (Y • • V) *Lenin Reloaded: Towards a Politics of Truth*, Duke University Press, Durham and London

Butler, Judith (Y • • \$) Precarious Life: The Powers of Mourning and Violence, Verso, London and New York

Carson, Claybourne (Y • • 4) The Autobiography of Martin Luther King, Jr., Abacus, London

Caygill, Howard (Y • \Y) 'Philosophy and the Black Panthers' Radical

Philosophy 1 V 9, May/June Y • \Y, V-\ \x

Chakravarti, Sudeep (Y • • A) Red Sun: Travels in Naxalite Country, Penguin Books, New Delhi

Chamayou, Grégoire (* • • •) Les chasses à l'homme, Le fabrique éditions, Paris

-(Y·\\) 'The Manhunt Doctrine', trs. Shane Lillis *Radical Philosophy* \\\, September/October Y·\\, Y-\\

Chandra, Bipan et al., (\ \ \ \ \ \ \ \) India's Struggle for Independence, Penguin

Books, New Delhi

Chapman, Jake and Dinos (Y · · o) Like a Dog Returns to its Vomit (cat.) White Cube, London

Chomsky, Noam (Y • \Y) Occupy, Penguin Books, London

Clausewitz, Carl Von (1977) Schriften – Aufsätze – Studien – Briefe, Erster Band, hsg. Werner Hahlweg, Vandenhoeck & Ruprecht in Göttingen

-(\\\A\Y) On War, Anatol Rapaport (ed.), Penguin Books, Harmondsworth

-(Y · \ ·) Vom Krieg, RaBaKa Publishing, Neukirchen

Close, David H. (\ 9 9) The Origins of the Greek Civil War, Longman, London and New York

Cordier, Daniel (\ 9 9 9) Jean Moulin: La République des catacombs, Gallimard, Paris

- Dach, H. von (\ 970) Total Resistance, trs. Hans Lienhard, Paladin Press, Boulder Colorado
- De Gaulle, Charles (Y··V) *The Flame of the French Resistance*, foreword by Antony Beevor, Guardian, News and Media, Manchester
- Deleuze, Gilles (199A) Essays Critical and Clinical, tr. Daniel W. Smith and Michael A. Greco, Verso, London and New York
- Democracy and Class Struggle (Y · · 4) Operation Green Hunt: India's War on the People, London
- Derrida, Jacques (\ 9 9\mathbb{Y}) Spectres de Marx, Galilée, Paris
- -(\ 9 9 A) Resistances of Psychoanalysis, trs. Peggy Kamuf et al., Stanford University Press, Stanford
- -(Y·•V) 'Penser ce qui vient', in René Major (ed.) *Derrida les temps à venir*, Edition Stock, Paris
- -(Y • 9) Writing and Difference trans. Alan Bass, Routledge, London Didi-Hubermann, Georges (Y • 9) Survivance des lucioles, Minuit, Paris
- Dill, Günter (۱۹۸۰) Clausewitz in Perspective: Materialen zu Carl von Clausewitz: Vom Krieg, Ullstein, Frankfurt am Main
- Dillon, Michael and Reid, Julien (Y • 9) *The Liberal Way of War: Killing to make life live*, Routledge, London
- Douzinas, Costas (Y \Y) Philosophy and Resistance in Crisis, Polity Press, Cambridge
- Douzou, Laurent (Y)) La Résistance: Une morale en action, Gallimard, Paris
- Drake, Michael (Y •• Y) Problematics of Military Power: Government, Discipline and the Subject of Violence, Cass, London
- Dreyfus, François-Georges (\ 9 9 7) Histoire de la Résistance, Éditions de

Fallons, Paris

- Evans, Martin (\ 9 9 V), The Memory of Resistance: French Opposition to the Algerian War, Berg Publishers, Oxford
- Fairhall, David (Y • ٦) Common Ground: The Story of Greenham, I. B. Tauris, London

- Fanon, Frantz (Y \ \ \) *Oeuvres*, Preface D'Achille Mbembe and Introduction Magali Bessone, La Découverte, Paris
- Foot, M. R. D. (1977) S O E in France: An Account of the Work of the British Special Operations Executive in France 1984. Her Majesty's Stationary Office, London
- -(1994) S.O.E. The Special Operations Executive 1984-1987, Arrow Books, London
- Foucault, Michel (\ 9\7) Histoire de la sexualité: La volonté de savoir, Gallimard, Paris
- -(Y··\) Dits et écrits I. 190 & 1900: II. 1907-1911. Éditions Gallimard. Paris
- -(Y · · Y) 'Society Must Be Defended', trs. David Macey, Picador, New York
- -(Y • ٦) Psychiatric Power, trs. Graham Burchell, Palgrave Macmillan, Basingstoke
- Freud, Sigmund (Y • \) *The Standard Editition of the Complete Works of Sigmund Freud*, vol. Y \, trs. James Strachey, Vintage, London
- Gandhi, M. K. (194A) Satyagraha in South Africa, The Collected Works of Mahatma Gandhi, vol. 75, New Delhi
- -(Y •• 9) An Autobiography or the Story of My Experiments with Truth, Vasam Publications, Bangalore
- -(Y \ •) 'Hind Swaraj' and Other Writings, Anthony J. Parel (ed.), Cambridge University Press, Cambridge
- Genet, Jean (Y··Y) Prisoner of Love, trs. Barbara Bray, New York Review of Books, New York
- —(Υ·· ξ) The Declared Enemy: Texts and Interviews, trs. Jeff Fort, Stanford University Press, Stanford
- Giap, Vo Nguyen (\ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \) La guerra e la politica, Emilio Sarzi Amadé (ed.), Mazzotta Editore, Milano
- Girard, René (Y· V) Achever Clausewitz: Entretiens avec Benoît Chantre, Flammarion, Paris
- Glatzer Rosenthal, Bernice (Y · · Y) New Myth, New World, From Nietzsche to Stalinism, Pensylvania State University Press

- Gramsci, Antonio (\ \ \ \ \ \ \ \ \) Selections from the Prison Notebooks, trs. Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith, Lawrence and Wishart, London
- Greenham Common Women's Peace Camp (\ 9\lambda 9) Resist the Military, Newbury
- Guevara, Ernesto Che (Y · · o) Guerra per bande, trs. Adele Faccio, Mondadori, Milano
- Hahlweg, Werner (1911) 'Clausewitz and guerrilla warfare' *Journal of Strategic Studies*, 9:7-7, 17V-77
- Hall, Sarah (Y · · V) The Carhullan Army, Faber and Faber, London
- Harford, Barbara and Hopkins, Sarah (eds) (۱۹۸0) *Greenham Common: Women at the Wire*, The Women's Press, London
- Hegel, G. W. F. (1907) *The Philosophy of History*, trs. J. Sibree, Dover Publications Inc., New York
- -(\\\V) Phenomenology of Spirit, trs. A.V. Miller, Oxford University Press, Oxford
- Heidseck et al., (Y·\\) Les jours heureux: Le Programme du Conseil Nationale de la Résistance de mars 11 19 £ £: Comment il a été ecrit et mis en oeuvre, et comment Sarkozy accelere sa demolition, La Decouverte, Paris
- Hessel, Stéphane (Y \ \) Indignez Vous! Indigène éditions, Montpellier
- Heuser, Beatrice (Y · · Y) Reading Clausewitz, Pimlico, London
- Hinton Thomas, R. (19A°) *Nietzsche in German Politics and Society,* 1A9 191A, Manchester University Press, Manchester
- Hipperson, Sarah (Y··∘) *Greenham: Non-Violent women v the Crown Prerogative*, Greenham Publications, London
- House, Jim & Macmaster, Neil (Y •• ٦) Paris 1 471: Algerians, State Terror, and Memory, Oxford University Press, Oxford
- Howard, Michael (Y · · Y), Clausewitz, Oxford University Press, Oxford
- Jullien, François (Y • 9) La philosophie inquiétée par la pensée chinoise, Éditions du Seuil, Paris
- Junor, Beth (1990) Greenham Common Women's Peace Camp: A History of Non-Violent Resistance 1912, Working Press, London

- Kant, Immanuel (Y··Y) Critique of Pure Reason, trans. Norman Kemp Smith, Palgrave Macmillan, Basingstoke
- Karl, Rebecca E (Y \) *Mao Zedong and China in the Twentieth Century*, Duke University Press, Durham and London
- Karski, Jan (Y · \Y) Story of a Secret State: My Report to the World, Penguin Books, London
- Kojève, Alexandre (۱۹۸•) Introduction à la lecture de Hegel: leçons sur la Phénoménologie de l'Esprit professées de 1977à 1979 à l'École des Hautes Études, Paris
- Kokonas, N. A ($\Upsilon \cdot \cdot \xi$) *The Cretan Resistance* 19£1–19£0, 'Mystis' Manouras G.-Tsintaris A. Co., Iraklion
- Kurlansky, Mark (Y •• ٦) Non-Violence: The History of a Dangerous Idea, Vintage Books, London
- Lacan, Jacques (Y 1) Écrits, trs. Bruce Fink, W.W. Norton & Company, New York
- Lawrence, T. E. (Y •• Y) *Guerrilla*, ed. Marco Dotti & Simonetta Franceschetti, stampa alternativia Roma
- Lecaldano, Paolo (1971) Goya: Die Schrecken des Krieges, List Verlag, München
- Leigh David et al. (Y \ \) Wikileaks: Inside Julian Assange's War on Secrecy, Guardian Books, London
- Lenin, V. I. (1977) Collected Works Volume 11 June 19.7-January 19.V.

Lawrence and Wishart, London

- Levinas, Emmanuel (\ 9 \ 9) The Levinas Reader, Seán Hand (ed.), Basil Blackwell, Oxford

- -(Y · · 4) Carnets de Captivité et autres inédits, Bernard Grasset/IMEC, Paris
- Leviné Meyer, Rosa (\ 9\\) Leviné; the Life of a Revolutionary, Pluto Press, Farnborough

- Lih, Lars T. (Y · · A) Lenin Rediscovered: What is to be Done? in Context, Haymarket Books, Chicago, IL
- -(Y · \ \), Lenin, Reaktion Books, London
- Lloyd Geoffrey and Sivin, Nathan (Y · · Y) *The Way and the Word: Science and Medicine in Early China and Greece*, Yale University Press, New Haven and London
- Loraux, Nicole (Y • ٦) *The Divided City: On Memory and Forgetting in Ancient Athens*, tr. Corinne Pache and Jeff Fort, Zone Books, New York.
- Lukács, Georg (\ 9 \ \) History and Class Consciousness, trs. Rodney Livingstone, Merlin Books, London
- -(\\QVV) Lenin: A Study in the Unity of his Thought. New Left Review Books, London
- Luxemburg, Rosa (\ 9 \ \) Rosa Luxemburg Speaks, Pathfinder Press, New York
- Mao Zedong (1977) *Quotations from Chairman Mao Tse-tung* 1978–1978, http://www.campbellmgold.com/accessed YA/7/Y•\Y
- -(1977a) Basic Tactics, trs. Stuart R. Schram, Frederick A. Praeger, New York
- -(197V) Selected Works of Mao Tse-tung, Languages Press, Peking
- -(Υ·· ξ) Mao's Road to Power: Revolutionary Writings 1917–Vol. ٦, ed. Stuart R. Schram, East Gate Book, New York
- Malcolm X (\ 9 9) The Autobiography of Malcolm X, Ballantine Books, New York
- Marcot, François (ed.) (Y •• ٦), Dictionnaire historique de la Résistance, Éditions Robert Laffont, Paris
- Mareschal, Sylvain (۱۷۹٦) Manifeste des Egaux, www.bataillesocialiste. wordpress.com accessed ٦ / ٨ / ٢ ١ ٢
- Marx, Karl (1947), *The Revolutions of 1121*, trs. David Fernbach, Penguin Books, Harmondsworth
- -(Y··A) Civil War in France: The Paris Commune, International Publishers, New York
- Marx, Karl and Engels, Friedrich (۱۹۸۰) Collected Works Volume ۱٦, Lawrence and Wishart, London
- -(\\\A\rappa) Collected Works Volume \(\xi\), Lawrence and Wishart, London

- -(\9\1) Collected Works Volume YY, Lawrence and Wishart, London
- Merlio, Gilbert (Y • \) Les résistances allemandes à Hitler, Éditions Tallandier, Paris
- Muller, Jean-Marie (Y • §) *Il principio nonviolenza: una filosofia della pace*, trans. Enrico Peyretti, Pisa University Press, Pisa
- Naughton, John (Y • •) A Brief History of the Future: The Origins of the Internet, London
- Negri, Antonio (🍾 ६) Trentatre lezioni su Lenin, Manifesto Books, Rome
- -(Y · · o) Books for Burning: Between Civil War and Democracy in 14V ·s Italy, trs. Timothy S. Murphy, Verso Books, London
- Newton, Huey P. (Y • 4) Revolutionary Suicide, Penguin Books, New York
- Newton, Isaac (\ \ \ \ \ \ \ \ \ \) *The Principia: Mathematical Principles of Natural Philosophy* trs. I. Bernard Cohen and Anne Whitman, University of California Press, Berkeley
- Nietzsche, Friedrich (\ 4 \ 7 \ 9), On the Genealogy of Morals, trs. Walter Kaufmann, Vintage Books, New York
- -(\\\\\) The Will to Power, trs. Walter Kaufmann and R. J. Hollingdale, Vintage Books, New York
- -(\\\V) Nietzsche Werke Kritische Gesamtausgabe, V(1) hsg., Giorgio Colli und Mazzino Montinari, Walter de Gruyter, Berlin
- Paret, Peter (Y · · V) Clausewitz and the State: The Man, his Theories and his Times, Princeton University Press, Princeton and Oxford
- Pariser, Eli (Y \ \) The Filter Bubble: What the Internet is Hiding from You, Penguin Books, London
- Pasolini, Pier Paolo (\ 9 A) Poésies 1905-1975, trs. José Guidi, Gallimard, Paris
- -(\99Y) I dialoghi, Edizioni Riuniti, Roma
- -(Y·\\) L'ultima intervista di Pasolini, Furio Columbi and G. Carlo, Avagliano editore, Roma
- Peli, Santo Storia della Resistemza in Italia, Einaudi, Torino
- Pettit, Ann (Y · · \) Walking to Greenham, Honno, Dynas Powys

- Peukert, Detlef (\ \ \ \ \ \ \ \ \) *Inside Nazi Germany: Conformity, Opposition and Racism in Everyday Life*, trs. R. Deveson, Penguin Books, Harmondsworth
- Rose, Jacqueline (Y * * V) The Last Resistance, Verso, London and New York
- Sartre, Jean Paul (Y • 9) Portraits, trs. Chris Turner, Seagull Books, London New York Calcutta
- Saviano, Roberto (Y··V) Gomorrah: Italy's Other Mafia, trs. Virginia Jewiss, Pan Books London
- Schmitt, Carl (\\4\^\) 'Clausewitz als politischer Denker. Bemerkungen und Hinweise,' in Dill \\4\^\.
- -(Y·•V) La guerre civile mondiale: essais (1987-19VA), Céline Jouin (trs. And ed.), Éditions ère, Maisons-Alfort
- -(Y·•V) Theory of the Partisan: Intermediate Commentary on the Concept of the Political, trs. G. L. Ulmen, Telos Press Publishing, New York
- Schroers, Rolf (\ 471) Der Partisan. Ein Beitrag zur politischen anthropologie, Kiepenhauer und Witsch, Köln and Berlin
- Scott, James C. (19A0) Weapons of the Weak: Everyday Forms of Peasant Resistance, Yale University Press, New Haven and London
- -(\\\\\\\\\\)) Domination and the Arts of Resistance, Yale University Press, New Haven & London
- Semelin, Jacques (Y \ \) Face au totalitarisme, la résistance civile, André Versailles éditeur, Paris
- Service, Robert (Y \) Lenin: A Biography, Pan Books, London
- Sharp, Gene and Jenkins, Bruce (Y • Y) The Anti-Coup, The Albert Einstein Foundation
- Simmel, Georg (1997) Soziologie: Untersuchingen über die Formen der Vergesellschaftung, Gesamtausgabe, Suhrkamp, Frankfurt-am-Main
- Stiegler, Bernard (199A) *Technics and Time: The Fault of Epimetheus*, trs. Richard Beardsworth and George Collins, Stanford University Press, Stanford

- Sun Tzu (\ 9 \ \) The Art of War, trs. Samuel B. Griffin, Oxford University Press, Oxford
- Tartakowski, Danielle (199V) Les manifestations de rue en France 1911–1971, Publications de la Sorbonne, Paris
- The Invisible Committee (Y • 4) The Coming Insurrection, Semiotext(e), Los Angeles
- Thoreau, Henry David (Υ·· ξ) Walden and Other Writings, ed. Joseph Wood Krutch, Bantam Dell, New York
- Tiqqun (Y \) Introduction to Civil War, Semiotext(e), Los Angeles
- Todorov, Tzvetan (Y 1 1) Goya à l'ombre des lumières, Flammarion, Paris
- Vaneigem, Raoul (\ 9 \ 7 V) Traité de savoir-vivre à l'usage des jeunes générations, Gallimard Paris; trs. The Revolution of Everyday Life, trs. Donald Nicholson-Smith, Rebel Press Y • Y
- -(Y • 9) Hans Ulrich Obrist in conversation with Raoul Vaneigem, e-fluxiournal, \,\ May
- -(Y \ •) L'État n'est plus rien, soyons tout, rue des cascades, Paris
- Vernant, Jean-Pierre (Υ··ξ) La Traversée des frontières, La Librairie du Seuil, Paris
- Virilio, Paul (1991) Popular Defence and Ecological Struggles, trs. Mark Polizzotti, Semiotext, New York
- -(Y •• ٦) Speed and Politics. trs. Mark Polizzotti, Semiotext, New York
- -(Y \) Bunker Archaeology, trs. George Collins, Princeton Architectural Press, New York
- Weber, Max (Y • 4) From Max Weber: Essays in Sociology, ed. H. H Gerth and C. Wright Mills, Routledge, Abingdon
- Weil, Eric (1900) 'Guerre et Politique selon Clausewitz', Revue française de science politique 0, Υ 1900, Υ 91-Υ 1 ξ
- —(\qq\A) Hegel and the State, trs. Mark A. Cohen, Johns Hopkins University Press, Baltimore

المحتويات

الصفحة

	تصدير المترجم
	السابع والعشرون من تشرين الأوّل ١٩٦٠مقدمة.
	الفصل الأول: المقاومة الواعية
٤٥	١-١- كوارث الحرب.
77	٧-٢ - نقد المقاومة الخالصة.
٧٥	١ -٣- المقاومة ضد الإمبراطورية.
97	١ - ٤ - الوعي المقاوم والسياسي
١١.	١ -٥- المقاومة اللاواعية.
171	الفصل الثاني: المقاومة العنيفة
171	١-٢ -منطق التصعيد
۱۳۰	٢-٢-«حرب المقاومة طويلة الأمد».
1 £ Y	٢-٣-المقاومة الغاندية: الأهيمسا والساتياغراها.

100	٢ – ٤ – مقاومة القيامة
۱۷۷	٢-٥-اللاعنف والمقدرة على المقاومة.
١٨٩	الفصل الثالث: الذاتيات المقاومة
١٨٩	٣-١- أساليب المقاومة.
۱۹۳	٣-٢-المقاومة ضد الاستعمار
7 • 1	٣-٣- شخصية المناصر
	٣-٤- القَسَم الغاندي.
	۳–۵– «قاو مي العسكر»
	٣-٦- الأموات المقاومون
	٣-٧- الذاتية المقاومة لدى جينيه
409	الفصل الرابع: السيطرة الشاملة والمقدرة على المقاومة:
	٤ – ١ – نظريات المقاومة ضد الفاشية.
770	 ٤ - ١ - نظريات المقاومة ضد الفاشية. ٤ - ٢ - المقاومة الفرنسية.
7V0 7A0	 ٤ – ١ – نظريات المقاومة ضد الفاشية. ٤ – ٢ – المقاومة الفرنسية. ٤ – ٣ – المقاومة والسيطرة الشاملة.
7V0 7A0 797	 ٤ - ١ - نظريات المقاومة ضد الفاشية. ٤ - ٢ - المقاومة الفرنسية.

٣٢٣	الفصل أكامس: المقدرة المعاصرة على المقاومة
478	٥-١- الجانب الآخر من المشهد.
٣٤١	٥-٢-مقاومات الشعوب الأصلية.
304	٥-٣- الدعوات إلى المقاومة.
٣٦٩	٥-٤- تكنولو جيا المقاومة.
٣٧٧	٥-٥- المقاومة الرقمية.
٣٨٧	خاتمة: خارج القانون
491	الببليوغرافيا.
٤٠١	فهرسفهرس

هاورد كايجل

(....-190A)

- كاتب بريطاني معاصر.
- حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة ساسيكس University of Sussex في بريطانيا عام ١٩٨٤.
 - يعمل حالياً أستاذاً للفلسفة في جامعة كينغيستون Kingston University في بريطانيا.
- درس سابقاً في جامعة باريس الثامنة University of Paris VIII في فرنسا وفي جامعة إيست أنجليا East Anglia وجامعة لندن و London University في بريطانيا؟

من مؤلفاته:

- -له الكثير من المقالات والكتب من بينها:
- «وولتر بينجامين ولون التجربة»، (Walter Benjamin: the Colour of Experience) م.
 - «ليفيناس والمُسيس» (Levinas and the Political)، ۲۰۰۲م.
 - «كافكا على ضوء الحادث» (Kafka in the Light of Accident)، ٢٠١٧م.

د. ممدوح يوسف عمران

- مترجم سوري.
- حصل على درجة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي من جامعة كينت في كانتربري Kent at Canterbury بريطانيا عام ١٩٨٩.
 - يشغل حالياً منصب عميد كلية الدراسات اللغوية في جامعة صحار بسلطنة عُمان.
- عمل سابقاً أستاذاً في قسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة تشرين، اللاذقية، سورية، وقد شغل مناصب علمية وإدارية عديدة في الجامعة.
- له مجموعة من الأبحاث المنشورة باللغة الإنجليزية وعدد من الترجمات من بينها عددين من سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية: ٣٣٧ «الأنهاط الثقافية للعنف» (مارس ٢٠٠٧) و ٤٢٥ «الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية» (يونيو ٢٠١٥).

۲۰۲۲م